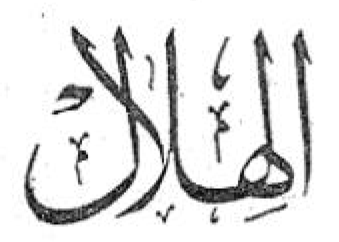


الجزء الاول من السنة الخامسة عشرة

١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٦ و ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤



بيت روتشيلد

اشهر بيوت المال في اوربا

١ — اسباب النجاح

الثروة اشهى ما يطمع فيه الناس لانها تساعدهم على ما تتطلبه نفوسهم من المشتهيات المادية او المعنوية الجسدية او العقلية فهم يسعون في طلبها ويحلمون بها ولا ينالها الاّ افراد توفرت فيهم المواهب المساعدة على نيلها وتوفقوا الى احوال اعدت لهم اسبابها . ولا تنال الثروة اعتباطاً او عبثاً وانما ينالها اهل النشاط والذكاء بجدهم وسهرهم بعد أن يذيبوا ادمغتهم في استنباط الاسباب وتدبير الحيل ومراقبة الفرص مما يحتاج الى ذكاء وتعقل وسداد رأي ولاسيما في هذا العصر عصر الجهاد في سبيل الحياة . فيجتزئون من اسبابها على نسبة ما يبذلونه من السعي والاجتهاد . الاّ نادراً ولاسباب عارضة كالاثراء بطريق الارث او بالعثور على كنز او معدن او صعود الاسعار بغتة لما يملكونه من عقار او نحوه مما لا يحتاج الى تعقل او ذكاء . فهذا لا يجوز اتخاذه قاعدة وانما القاعدة ان ينال الانسان من دنياه بقدر سعيه

وعلى نسبة مواهبه

ومن الاوهام الشائعة « ان الثروة لاتنال بطريق الحلال وان الانسان الامين المستقيم يعيش فقيرًا و يموت معوزًا وانما يثري الكاذبون اهل الحيل والنفاق » . ولهم في ذلك اقوال واشعار وامثال . وهو عذر الذين يفشلون في سعيهم مع رغبتهم في العمل وسهرهم واستقامتهم فينسبون فشلهم الى صدقهم وسلامة نيتهم . وهم انما فشلوا لافتقارهم الى بعض معدات النجاح كالذكاء او المعرفة او الثبات او نحو ذلك . لان الاستقامة وحدها لا تكفي ولو رافقها السعي والسهر . واليك اهم ما يحتاج اليه الانسان من اسباب النجاح على العموم

(١) المعرفة : اول ما يحتاج اليه طالب النجاح في هذه الحياة ان يكون متقنًا لعمل من الاعمال الصناعية او التجارية او الزراعية او العلمية كان يكون نجارًا ماهرًا او تاجرًا محنكًا في اصناف التجارة او عارفًا الحساب التجاري او مزارعًا يعرف اصول الزراعة علمًا وعملًا او عالمًا بفن من الفنون العلمية او متقنًا مهنة من المهن العلمية كالطب والمحاماة او الترجمة او الانشاء او نحو ذلك . ويكفي ان يعرف مهنة واحدة معرفة جيدة لا ان يعرف غير واحدة معرفة ناقصة فان المكثر لا يتقن والنجاح يحتاج الى اتقان

(٢) حسن الاختيار : وهو ان يحسن الانسان اختيار المهنة الملائمة لمواهبه و يضعها في المكان الموافقة له . فلا يتعاطى الصناعة وهو مفطور على التجارة ولا يشتغل بالعلم اذا لم تتوفر فيه المواهب اللازمة له . ولا يتعاطى عملاً حيث لا يرجى له رواج كان يتجر بالاقمشة السميكة في البلاد الحارة او ينشيء معملاً لمصنوعات لا تروج في تلك البلاد او انها تكلف اكثر مما تكلفه اذا حملت اليها من الخارج او نحو ذلك مما لا يمكن حصره وانما يتكفل بتمييزه الذوق السليم

(٣) الثبات : كثيرًا ما يفشل العامل ولو توفرت فيه المعرفة اللازمة وحسن الاختيار و يغلب ان يكون سبب فشله استعجاله في استثمار عمله . فاذا لم يذق ثمر سعيه عاجلاً عدل عنه وشكا سوء حظه او نقم على الزمان لانه لا يساعد غير الجهال . . . وقد يأتي بالشواهد القريبة عن اناس افلحوا وهم اقل منه معرفة وقد فاته انهم انما افلحوا بالثبات او بغيره من الاسباب التي لم تتوفر فيه وهي لازمة للنجاح

(٤) الاستقامة : من الامثال الشائعة على ألسنة صغار الباعة ان هذا الزمان لا ينفق فيه غير النفاق ولا يروج فيه غير الغش وهم يقولون ذلك في كل زمان . وهو غير الواقع لان الاستقامة والامانة من اهم اسباب النجاح ولا سيما في هذا العصر عصر الحق والحرية

وما نجاح الكاذبين الاّ الى حين. على ان الاستقامة وحدها لا تفيد شيئاً لان المستقيم اذا جردته من المعرفة والثبات كان كالعجماوات لأنها سليمة القلب لا تعرف الغش و يندر ان تسرق او تخدع .. وانما يشترط في الاستقامة ان تكون دعامة للمعرفة لا أن تكون هي رأس مال العامل وحدها

(٥) الاجتهاد : قد تتوفر في الرجل المعرفة والاستقامة والثبات وحسن الاختيار ولا يصيب الاّ نجاحاً قليلاً لكثرة المناظرين له في مهنته او لاسباب اخر. فلا يتم نجاحه الاّ بالجد والسهر وقد يكون الرجل متوسط الذكاء والمعرفة فيعوّض جدّه عن ذلك النقص

(٦) مراقبة الفرص : ان اغتنام الفرص من اكبر اسباب النجاح وهي على الغالب أهم وسائل الاثراء . اذ قد تسنح الانسان فرصة اذا تنبه لها واغتنمها اغنته عن سعي كثير وفتحت له باباً للكسب الطائل لا يتوقعه من عمله الاعتيادي

(٧) اسلوب المعاملة : هذا سرٌّ عظيم من اسرار النجاح اذ قد يكون الانسان متقناً ثابتاً مستقيماً مجتهداً ساهراً ولا يصيب نجاحاً كبيراً لانه لا يحسن معاملة الناس او انه اتخذ في معاملتهم اسلوباً لا يرضيهم . وينبغي لطالب النجاح ان يتحلى بالاخلاق الرضية مع خفة الروح ورقة الطبع ودقة الشعور . فاننا نعرف غير واحد من اشهر المتقنين لاعمالهم وقد فشلوا لانهم لم يحسنوا الاسلوب في المعاملة وكثيراً ما يتوقف نجاح الانسان على حسن اخلاقه اكثر مما على حدة ذهنه وذكائه

فمن اتقن صناعة أو تجارة او عملاً من الاعمال وتعاطاه في المكان الموافق له حيث يرجى رواجه وتوخى الاستقامة والامانة وتحمل ما قد يعترض نجاحه من الطوارىء فثبت وصبر وسهر على عمله وترقب الفرص واحسن معاملة الناس فان نجاحه مضمون لا ريب فيه ويختلف هذا النجاح مقداراً وكيفية باختلاف المواهب وبما يحفّ بالانسان من الاحوال أو يطرأ عليه من العوارض . فقد يقتصر النجاح على ما يقوم بأود الحياة وقد يأول الى ثروة طائلة . غير ان الثروة يندر ان يجمعها شخص واحد الاّ اذا توفق الى فرص خصوصية احسن اغتنامها كما فعل مؤسسو بيت روتشيلد فان تاريخ تأسيسه من اوضح الامثلة لاستثمار الاجتهاد والنشاط والاستقامة واغتنام الفرص واكثر الامم سعياً في جمع الثروة اليهود من قديم الزمان ولا يزالون الى الآن

٢ — اليهود والثروة

اليهود من اقدم الشعوب واذكاها وكانت لهم دولة في العهد القديم ونبغ منهم قضاة

وملوك وانبياء . ثم دالت دولتهم وغلبوا على امرهم وخربت مدينتهم (اورشليم) وتفرقوا في بلاد الله لا دولة لهم ولا سلطة ولولا ما فطروا عليه من الذكاء والهمة والاقدام لضاعوا وانقرضوا منذ اجيال شان كثير من الامم القديمة التي تولتها الشيخوخة فاختلطت بامم حية لاتزال في عصر شبابها فضاعت فيها وانقرضت . ولكنهم حفظوا انفسهم بجامعة الدين و بعثهم اضطهاد الامم الاخرى على الاتحاد والتعاون . ولما يئسوا من السيادة بالصولجان صرفوا ذكاءهم وهمتهم الى اكتسابها بالمال . وقد رأيت ان اكتسابه يحتاج الى مواهب فهذه قد توفرت في الاسرائيليين وارتقت فيهم بتوالي الاجيال وتعاقب القرون حتى اصبحوا اقدر الامم على الاثراء

وكان ذلك شانهم من اقدم ازمنة التاريخ حتى في جاهلية العرب فقد جاؤا تلك الجزيرة فرارًا من اضطهاد الروم فما لبثوا ان اقاموا حينًا حتى اصبحت التجارة والصيرفة محصورتين فيهم تقريبًا وانضت معظم الاموال الى خزائنهم . ناهيك بما كان من غناهم في اوربا ولاسيما الاندلس من عهد القوط . وهذا كان حالهم في العراق والشام ومصر . وربما كانت ثروتهم في اكبر اسباب اضطهادهم حسدًا وغيرة فاظهر اعداؤهم النقمة على دينهم فصادروهم وطردوهم وقتلوهم . حتى اذا جاء الاسلام رأوا به فرجًا لانفسهم فاعانوا المسلمين على اغراضهم وسهلوا لهم اسباب الفتح فاحسن المسلمون اليهم وقربوهم فنبغ منهم غير واحد في العلم والسياسة على ان هممهم كانت منصرفة بالاكثر الى التجارة والصيرفة والمرابا‌ة فاشتهر غير بيت من البيوت المالية في الدولة العباسية بالعراق والدولة الفاطمية بمصر والاموية في الاندلس

اما في اوربا فظلوا يقاسون الاضطهاد تحت سيطرة ملوك النصارى حتى كثيرًا ما صدرت الاوامر الرسمية باخذ اموالهم او احراق كتبهم او طردهم بناء على تهم اكثرها مختلق لا يزال آثار بعضها باقيًا الى الآن كاتهامهم بسرقة اطفال النصارى والقاء السم في آبار الشرب ونحو ذلك . ولم يكن اليهود يصبرون على هذا الذل وانما كانوا يكيدون لاعدائهم مكائد مختلفة لا محل لها

حتى اذا نضج التمدن الحديث وانتشرت روح الحرية الشخصية وعرف كل انسان حقوقه وواجباته نال اليهود حقوقهم المدنية والشخصية واتيحت لهم حرية العمل فانجبحوا ونبغ منهم رجال في السياسة والادارة والعلم وانما اكثر شهرتهم في الاعمال المالية واشهر رجال الاموال منهم بيت روتشيلد

٣ — بيت روتشيلد

اشهر بيوت الاموال في العالم اليوم اثنان روتشيلد في اوروبا وروكفلر في اميركا. اما هذا فثروته لا تبقى وقد لا تتعداه الى نسله اذ يموت ويقتسم الورثة امواله وهيهات ان يحسن الاولاد حفظها او استثمارها فتبعثر وتكون مثل شهرة بونابرت ظهرت في حياته فبهرت العالم فلما سقط سقطت . واما بيت روتشيلد فانه قائم على دعائم ثابتة وضعها مؤسس هذا البيت وهي تقضي ببقاء الثروة للعائلة تحت شروط محكمة تضمن طول بقائها . فيمضي روتشيلد ويأتي روتشيلد ويبقى بيت روتشيلد ثابتاً لا يتزعزع . وهكذا دول تسقط ودول تقوم والبيوت المالية باقية لان الملوك احوج الى بيوت المال من حاجة اصحاب هذه البيوت الى ملوكهم والحوادث الجارية تؤيد ذلك . فبيت روتشيلد دولة مالية ارسخ قدماً وامنع حصناً من الدول السياسية وليس شانهم في دولة المال اليوم كما كان في القرن الماضي لظهور بيوت اخرى مهمة ولكنهم لا يزالون ملوكاً يحتاج الملوك الى اموالهم

﴿ امشيل روتشيلد ﴾ جد هذه العائلة رجل اسمه امشيل من عائلة اسرائيلية فقيرة ولد في فرنكفورت سنة ١٧٤٣ وكان لابيه فيها حانوت يبيع فيه الآثار القديمة او نحوها وعلى باب الحانوت ترس احمر اللون يمتاز به عن سائر الحوانيت على عادة الباعة في توجيه الانظار الى حوانيتهم فعرف الرجل به ونسب اسمه اليه فقيل له امشيل « روتشيلد » اي الترس الاحمر بالالمانية Rothschild

وتربى امشيل تربية بسيطة فتعلم مبادىء القراءة والكتابة واراد ابوه ان يعلمه قواعد الدين لينتظم في سلك الحاخامية ولكن ميله الى التجارة شغله عن ذلك فقعد مع ابيه في الحانوت ولم تمض مدة حتى تقدم شغله واتسعت تجارته بما ادخله فيها من اساليب الترغيب ووسائل الربح . ولم يمت ابوه حتى صار ذلك الحانوت بيتاً للصيرفة ووكالة تجارية للعمالة (كومسيون) أو التجارة فكان يبتاع الاقمشة القطنية من انكلترا ويبيعها في جرمانيا . وكان ذلك اوسع ابواب كسبه غير ما كان يكتسبه من الصيرفة والمداينة وتزوج سنة ١٧٧٠ وولد له عدة أولاد سيأتي ذكر بعضهم

فلما ذاق امشيل لذة المكاسب التجارية زاد رغبة فيها وكان يقظاً ساهراً وفيه فطرة تجارية وجد ونشاط وقد جعل نصب عينيه الصدق والامانة والثبات فاخذ يترقب الفرص . وكان له عملاء في انكلترا وفي اهم مدن اوربا وقد نما رأس ماله وتعرف بكثيرين من وجهاء البلاد وامرائها وهم كثيرون في مقاطعات جرمانيا المشتتة يومئذ فسنحت له فرصة ثمينة اغتنمها

ونوفق الى النجاح بها مع حسن قصده وسلامة نيته . فكانت متممة لنجاحه فترك ما تركه من الثروة والصيت الحسن لابنائه

وذلك ان نابوليون بونابرت عزم منذ مئة عام تماماً (١٨٠٦) على مهاجمة مقاطعات جرمانيا وهي يومئذ امارات صغيرة لخافه الجرمان . وكان في جملة امرائهم امير هيس صاحب فرنكفورت وكان امشيل قد اكتسب ثقته ومحبته بحسن معاملته وامانته . وكان عند الامير المذكور نحو خمسة ملايين ريال نقداً وهو مبلغ كبير بتقدير تلك الايام ربما يساوي خمسة اضعافه اليوم . فخاف الامير ان يذهب هذا المال الى بونابرت واصحابه فعهد الى امشيل ان يأخذه ويحفظه عنده ريثما تنقضي تلك الزوبعة . فحمله وقطع به الجبال على البغال والسفن الى منشستر وكان ابنه ناثان مقيماً هناك وكيلاً عن محله في شراء البضاعة القطنية فدفع المال اليه . وظلَّ عندهم كل مدة الحروب البونابرتية يستخدمونه ويتجرون به ولا يعلم مقدار ما ربحوه من ذلك غير الله

وذكروا انه حفظ ذلك المال اولاً في بيته بفرانكفورت وخبأهُ في حفرة تحت الارض لعلمه ان الجنود اذا دخلت المدينة نهبت بيته . فلما دخلتها وجاءت بيته توسل اليهم ان يتركوا لهُ شيئاً من ماله فلم يصغوا له بل نهبوا كل ما عثروا عليه وهو ماله الخاص وبقي مال الامير مخبأً . حتى ارسلهُ الى ابنه كلهُ او بعضهُ بعد جلاء الجنود

وما زال بيت روتشيلد يستثمرون هذه الملايين و يستغلون اثمارها حتى سقط نابوليون وهدأت الاحوال فبعثوا الى صاحب المال ان مالك وارباحه محفوظة فارسل من يقبضها . فاعظم الامير امانتهم وقد كان في وسعهم ان يدَّعوا ضياعها في اثناء تلك الحروب او أن يعرضوا ارجاعها بدون ربح على الاقل . فاجاب الامير شاكراً ولم يقبل الاَّ رأس المال فقط وكافأهم بان ابقى المال عندهم مدة أُخرى بفائدة اثنين في المئة سنوياً فقط . وظل المال في بيت روتشيلد يستخدمونهُ بهذا الربا الزهيد الى سنة ١٨٢٣ اذ توفي نابوليون وهدأت الاحوال فاستولى ورثة الامير على اموالهم وكان روتشيلد قد اصبح ملكاً مالياً تحتاج اليه ملوك اوربا في انشاء القروض ونحوها

فالسبب الرئيسي لقيام هذا البيت انما هو اشتهار مؤسسه بالامانة والاستقامة وتيقظه في اغتنام الفرص واجتهاده في طلب الكسب فضلاً عن ذكائه الفطري ومعرفته اساليب التجارة او المضاربة . ولو لم يكن مستقيماً لم يستفد من هذه الفرصة لان الامير لم يكن ليضع هذه الثقة فيه . ولو لم يكن ساهراً على الفرص لم يتوفق الى هذه الفرصة . ولو لم يكن عارفاً

باحوال المضاربة والمتاجرة لم تنفعه استقامته ولا اغناه سهره

فلما انقضت تلك الحروب كان امير هيس المذكور شبه منادٍ باستقامة بيت روتشيلد وامانته فنشر اسمه بين زملائه الامراء فعولوا عليه في استخدام اموالهم او ما يحتاجون اليه من القروض وانشاء المشاريع فاصبح ذلك البيت مصرفاً لاهم ملوك الارض في ذلك العهد . ولم يكن يقوم عمل كبير في اوربا من روسيا الى انكلترا ولا تحدث حركة من حرب او سلم الا ولبيت روتشيلد يدٌ فيها او نفوذ عليها لانه القابض على المال وعليه المعوَّل في الحروب وسائر الاعمال

ومما ساعد على نجاح هذا البيت يهودية اصحابه لان اليهود كانوا معروفين ببعدهم عن الاحزاب السياسية التي كانت رائجة في تلك الايام . فهم على الحياد لا يخشى الناس دسائسهم او غدرهم وانما يهمهم كسب المال لانفسهم فكان الامراء يتسابقون الى نيل مساعدتهم واكتساب ثقتهم لينتفعوا بخدمهم وقد اسعدهم حيادهم وتعقلهم وانتفعوا منهما

ولما توفي امشيل سنة ١٨١٢ جمع اولاده الخمسة اليه واوصاهم وصية كانت سبباً لحفظ ثروتهم ترجع الى ست فقرات وهي :

(١) احتفظوا بشريعة موسى وسيروا عليها

(٢) اتحدوا جميعاً الى النهاية

(٣) شاوروا والدتكم

(٤) انظروا الى ثروتكم نظركم الى ثروة عمومية باقية

(٥) تزاوجوا فيما بينكم

(٦) لا تشقوا عصا الطاعة

ولا يخفى ما في هذه الوصية من النظر البعيد لان الثروة انما تتشتت بالانقسام في الورثة فاذا انقسمت ضعفت وقد تصل الى من لا يحسنون استغلالها فتذهب ضياعاً . ولا تزال وصية امشيل معمولاً بها عند اعقابه الى اليوم

ناثان روتشيلد ومن الاسباب التي حفظت ثروة هذا البيت ووسعتها ان الذين خلفهم مؤسسها كلهم من اهل العمل والتعقل ويندر ذلك في ابناء الرجال العظام اذ يغلب في الرجل الكبير ان لا يعقب نسلاً قوياً او لا ينشأ من اولاده من يعمل مثل عمله . اما روتشيلد فقد خلف خمسة ابناء كلهم نشيط وكلهم امين . واشهرهم ناثان صاحب فرع انكلترا فقد ظل مديراً للفرع المذكور الى سنة ١٨٣٨ وظهرت فيه

المواهب التجارية والنشاط منذ نعومة اظفاره فأسس فرع انكلترا وهو لا يزال غلاماً وكانت اوربا لا تزال مشتغلة ببونابرت وفتوحه · وقد وجه والده امشيل انظاره الى انكلترا لاعتزالها عن اوربا فبعث ابنه هذا لتأسيس المحل فيها ولم يختصهُ من بين اخوته بهذه المهمة الا لما توسمهُ فيه من القدرة على العمل · ولو اردنا بيان مقدرة هذا الرجل لطال بنا الشرح وانما نذكر حادثة يمكن اتخاذها نموذجاً لسائر مناقبه ومنها يظهر ان الثروة لا تأتي الناس صدفة ولا يرتقي الانسان في سلم الارتقاء عبثاً



ناثان روتشيلد

كان الناس في سنة ١٨١٥ يتوقعون حرباً هائلة يقضى فيها اما لنابوليون او لاوربا ولا يخفى ان الاموال الدولية في مثل هذه الحال لا يعرف لها قيمة لاحتمال صعودها وهبوطها تبعاً لنتائج تلك الحرب · وكان لبيت روتشيلد اربعة فروع مركزية في اربعة اقطار اوربا (١) فرع لندن رئيسه ناثان المذكور وله إشراف على سائر الفروع (٢) فرع فرنكفورت يتولاهُ اكبر الاخوة ماير روتشيلد بدلاً من الاب وكان قد توفي منذ ٣ سنوات (٣) فرع باريس برئاسة جيمس روتشيلد اصغرهم وكان يقاسي العذاب من اضطهاد نابوليون (٤) فرع فينا رئيسه سلمون وهو ارق الاخوة خلقاً وكان مقرباً عند امبراطور النمسا ويعوّل عليه في كل

شيء · وقد انشأوا بين هذه الفروع روابط تجارية لو شبهناها بحبال لاشبهت شبكة احاطت باوربا وانكلترا جملة · وكانت انكلترا قد استدانت من فرع لندرا مالاً تحتاط به لما تتوقعه من محاربة نابوليون · وكذلك فعلت النمسا وروسيا من الفروع الاخرى لمساعدة انكلترا عند الحاجة · فظهر بيت روتشيلد بهذا المعنى مظهر العداء لبونابرت واحزابه · ولذلك فلما انتشبت الحرب في ووترلو كان من مصلحتهم ان يندحر فيها بونابرت

وكان بيت روتشيلد قد اعدوا وسائل للمخابرة بين اهم مدن اوربا لخدمة مصالحهم التجارية تقوم مقام المراسلات التلغرافية وغيرها من الوسائط المستعجلة · وكان ذلك سهلاً عليهم لانهم يهود لا ينتمون الى دولة من الدول المحاربة · فبلغ ناثان قرب المعركة في ووترلو قبل ان تبلغ احداً من دول اوربا وادرك أهمية تلك المعركة بالنظر الى مستقبل هذا البيت فاما ان ترفعهُ الى الأوج أو ان تهبط به الى الحضيض · فرأى ان يتولى استطلاع الاخبار بنفسه فقطع الى بلاد البلجيك سرًّا حتى جاء معسكر الجيش المحالف فاحتملوه ولكنهم اساؤوا معاملته فلم يهمه ذلك وانما التفت الى الغرض من مجيئه فأخذ يتنسم الاخبار و يستطلع الاحوال · فلما انتشبت المعركة في ووترلو ظهر لأول وهلة ان النصر فيها لبونابرت وكان في ذلك المعسكر عدد كبير من المخبرين السياسيين والصحافيين والماليين جاؤوا لاستطلاع الاخبار فلما توسموا النصر لبونابرت اسرعوا الى مراسليهم في شرقي اوربا وغربيها وشماليها وجنوبيها وانبأوهم بانتصار الجيوش الفرنساوية وفشل ولنتن واصحابه

اما ناثان فانه لم يبرح المكان حتى انقضت المعركة وشاهد الجيوش الفرنساوية هاربة وتحقق ان النصر للانكليز فاسرع يطلب انكلترا كالمجنون حتى وصل اوستن وقد اخذ منه التعب مأخذاً عظيماً فلقي هناك نوتياً وسفينته فطلب اليه ان يقطعه الخليج الى انكلترا فأبى لان النوء كان شديداً تخاف النوتي على حياته اما ناثان فلم يخف · والح عليه وشجعه واطمعه بالمال فقبل على شرط ان يتكفل ذلك (المجنون) بدفع ٢,٥٠٠ فرنك الى عائلته اذا اصابهما سوء فاعطاه صكاً بذلك وركبا السفينة الى شاطيء انكلترا · ولم يمهل نفسه ان وطيء الشاطي فركب توًّا الى لندن باسرع ما يمكن فوصلها والخبر قد ملأ اوربا ان ولنتن ذهب من تلك المعركة مدحوراً · فذهب ناثان الى مكتبه ولم يبدل ثيابه ولا اكل وانما قعد على كرسيه وقد انهكه التعب والخطر والقلق وعلم ان الناس الآن يبيعون اوراق انكلترا خوفاً من سقوطها الكثير فاصدر اوامره الى عملائه حالاً ان يشتروا تلك الاوراق فاخذوا يشترون وهم لا يعلمون السبب او لعلهم استجنوه · فلم تمض ٢٤ ساعة

حتى نال ناثان من الفوز المالي فوق ما كان بونابرت يرجوه من الفوز الحربي لو خدمه السعد في ووترلو . فاعتبر مقدار ما كسبوه من هذه المضاربة بعد ما علمته من الشقاء الذي لقيه ناثان قبل الحصول على هذه النتيجة — فهو لم ينل هذا الكسب صدفةً ولكنه خاطر بحياته واستخدم قلباً من حديد ورأياً يفل الحديد . وقد اعظم هذه الحادثة الرواة فطعنوا بها وقالوا ان رجلاً آخر جاءه بخبر النصر قبل ان يعرف به احد

ولبيت روتشيلد تاريخ كبير لا محل له هنا وانما ذكرنا مافيه عبرة لطلاّب العلى من شباننا ليعلموا ان الثروة ولاغيرها من اسباب الرقي ينال بغير السعي مع المعرفة والاستقامة وفي ما تقدم كفاية

الجامعة او العصبية

والجامعة الاسلامية

تحدث الناس طويلاً وتناقلت الصحف فصولاً في معنى الجامعة الاسلامية او التعصب الاسلامي وتناقشوا في المراد من ذلك فرأينا ان نقول كلمة في هذا الباب من الوجهة التاريخية الاجتماعية بالنظر الى العالم على الاجمال والى الاسلام على الخصوص من عصبية العرب في الجاهلية حتى الآن

١ — العصبية على العموم

العصبية نسبة الى العَصَبة وهي « قوم الرجل الذين يتعصبون له وبنوه وقرابته لابيه » ويريدون بها اجتماع القوم للدفاع عن مصالحهم المشتركة . والاصل فيها اجتماع الاقرباء من اهل الرجل لأبيه ثم اطلقوها على سائر الاهل والاقارب من القبيلة الواحدة او القبائل المتقاربة . ولما صارت العرب اماً وطوائف توسع المولدون في اطلاقها على الامة ثم ابدلوها بلفظ « الجامعة » يريدون بها مصلحة عامة او خصائص مشتركة يجتمع تحتها طائفة من الناس كالدين او الوطن او النسب

والانسان اجتماعيٌّ من فطرته اي انهُ ميال الى تبادل المنفعة بالاعانة والاستعانة . ولعل السبب في ذلك كثرة حاجاته وعجزه عن الاستقلال في قضائها فجرّه ذلك الى انتحال اسباب الاجتماع وهي كثيرة مثل اسباب ضعفه . واقدم وسائل الاجتماع القرابة وهي عصبية النسب ثم الوطن والدين واللغة ثم العادات والاخلاق والمهن والحرف حتى الجنس واللون

والزواج والعزوبة والشباب والكهولة والطول والقصر مما لا يمكن حصره . وقد يشترك الرجل بجامعة النسب مع واحد و بجامعة الدين مع آخر و بجامعة الوطن مع آخر . وهكذا من حيث المهنة والعادة واللون والسن والطول والزواج وغيرها . كأن يكون طبيباً فيجتمع مع الاطباء بجامعة المهنة او محام فمع المحامين او تاجر فمع التجار . وان كان متزوجاً فهو من جماعة المتزوجين او شاباً فمن الشبان او شيخاً فمن الشيوخ . و يجتمع بجامعة الرجولية مع الرجال وغير ذلك مما لا يعدّ ولا يحصى

ولا ينتبه احدنا لهذه الجامعة او تلك الا عند الاضطرار الى الاجتماع لدفاع او هجوم او الاشتراك في مصلحة عامة . فاذا رأت النساء ظلماً من الرجال مثلاً اجتمعن عليهم واتحدن بجامعة الانثوية كما يفعلن في العالم المتمدن اليوم . و يجتمع الرجال من الجهة الاخرى بجامعة الرجولية للدفاع . وفي حال آخر يجتمع بعض نساء هذه الطوائف و بعض رجالها معاً بجامعة العصبية للدفاع عن الاهل او بجامعة الوطن للدفاع عن البلد او بجامعة الدين للذب عن حوضه . وفي كل حال لا يكون للجامعة معنى ولا هي تبدو للوجود ان لم يكن ثمت ما يبعث عليها من التماس التعاون على مصلحة مشتركة

وتتفرع الجامعة الواحدة الى فروع يشترك آحاد كل فرع منها على آحاد الفرع الآخر وأكثر ما يقع ذلك في الدين والوطن . فاهل القاهرة مثلاً تجمعهم مدينة القاهرة ولكن ابن هذه المدينة يجتمع مع ابن الاسكندرية على غير المصري و يجتمع مع اهل الشرق على اهل الغرب . والمصري المسلم يجتمع مع المصري غير المسلم بجامعة الوطن ومع السوري والعراقي بجامعة اللغة ومع الفارسي والهندي بجامعة الدين . واعتبر هذا التفرع في كل بلد ودين ولغة فترى الجامعات عديدة يشترك بها الناس بعضهم على بعض او مع بعض على التقاطع والتضارب . ولو رسمنا تلك العلائق خطوطاً بين الانسان ومن يشترك معهم بجامعة او غير جامعة لرأينا كلاً منا عبارة عن مركز تنبعث منه الخطوط انبعاث الاشعة من جسم منير حتى تتقاطع وتشتبك بالخطوط المنبعثة من جسم آخر على شكل مرتبك متقاطع

فاسباب الاجتماع عديدة وميسورة لكل انسان ولكنه انما يجنح الى احدها اذا مسته الحاجة تبعاً لما يتوهمه من مصلحته بالاجتماع . فاذا خاف اهل عصبية او قبيل من عدوّ يسطو عليهم اجتمعوا عليه بجامعة النسب وهم الاهل والاقرباء . فاذا لم ينفعهم ذلك استعانوا بجامعة الوطن فاذا اعجزهم التغلب بها توسعوا بجامعة الدين او اللغة و يختلف ذلك باختلاف العصور وتباين الاحوال

واذا نظرنا الى الجامعة نظرًا عاماً رأينا اوسعها واشملها اربع جامعات وهي : جامعة النسب وجامعة الوطن وجامعة اللغة وجامعة الدين . واذا راجعت التاريخ القديم رأيت الناس يختلفون من حيث اعتمادهم على احداها باختلاف حاجتهم اليها و يختلف ذلك في الامة الواحدة باختلاف ادوار تمدنها

٢ — الجامعة عند الامم الاوربية

من اظهر اسباب الاجتماع عند الامم القديمة الوطن او اللغة فقد كان اليونان يجتمعون على الفرس والفرس على المصريين وكانت كل امة من هؤلاء تنقسم فيما بينها باعتبار البلاد فاهل اثينا يحاربون اهل سبارطة وهؤلاء يحاربون اهل طيبة وكل منهم يحارب رومية ولما اتسع نطاق مملكة رومية اصبحت اللغة او الجنس او الدولة جامعتهم . ولما اعتنقوا النصرانية وصارت هي ديانة القياصرة غلبت عليهم جامعة الدين واللغة معاً وتقوت جامعة الدين على الخصوص لما ظهر الاسلام وفتح المسلمون بلادهم . حتى اذا ضعفت الدولة الرومانية في اوربا وتشعبت مملكتها الى فروع اخذ كل فرع بالاستقلال والنمو على حدة وجعلوا جامعتهم التي يجتمعون بها و يدافعون عنها الوطن واللغة فتكونت دول فرنسا واسبانيا وايطاليا وغيرها — فاعتبر كيف استعانوا على الاستقلال بجامعة الوطن واغضوا عن الدين . فلما نهضوا لمحاربة المسلمين واسترجاع بيت المقدس عادوا الى تلك الجامعة لانها تشملهم جميعاً تحت راية واحدة وحملوا على الشرق الحملات الصليبية المشهورة . فلما دحروا وعادوا الى بلادهم وتنبهت فيهم روح الارتقاء وطلبوا العلم مكنوا استقلالهم باغفال اللغة اللاتينية وهي بقية الجامعة الرومانية . فبعد ان كانت لغة العلم والسياسة عند الامم التي تخلفت عن دولة رومية نبذوها واتخذت كل امة لغتها بدلاً منها . فزادت العصبية الوطنية رسوخاً في تلك الممالك ولا تزال هي جامعتهم الكبرى

ومع ذلك فللجامعات الاخر آثار تظهر عند الاقتضاء لان الكاثوليك اذا رأوا من الانجيليين حركة يخافون ضرّها تضافرت الدول الكاثوليكية بجامعة الكثلكة على دفعها واذا رأى أهل اوربا حركة اسلامية في الشرق تباحثوا في الجامعة النصرانية . وكثيرًا ما تباحثت الامم التي اصلها لاتيني كالايطاليان والاسبان ان يحيوا جامعة اللغة المشتركة باسم الشعوب اللاتينية وهكذا فعلت الشعوب التي تشترك باصل جرماني فانها احيت بينها جامعة الشعوب الجرمانية . وهم في كل حال لا يلتمسون هذه الجامعة او تلك الا عند الحاجة الى احداها

٣ — الجامعة الاسلامية

واعتبر ذلك في الشعوب الشرقية واقربهم عهداً منا العرب فقد كانوا قبل الاسلام اهل جاهلية ورحلة لا دين لهم ولا وطن فلم يروا بدًّا من اجتماعهم تحت راية النسب او اللغة وهما متلازمتان فعنوا بحفظ انسابهم وتفاخروا بها و بالغوا في استقصائها على ما بيناه في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فكانت عصبية النسب جامعتهم الكبرى يجتمعون اليها و يختصمون بها فيتحد القحطانيون على العدنانيين واليمنية على المضرية وقيس على كلب ونحو ذلك

وما زالت قبائلهم تتفاخر بالانساب وتتألب بالعصبية حتى جاء الاسلام واحتاجوا الى جامعة يحاربون بها الامم الاخرى فاجتمعوا باسم الدين واغفلوا عصبية النسب لانها كانت سبباً في اختلافهم وانقسام قواتهم . واصبح المسلمون اخوة عربهم وعجمهم قحطانيهم وعدنانيهم فظلوا كذلك ايام الراشدين . حتى اذا تسلط بنو امية واحتاجوا الى مناوأة بني هاشم ومن والاهم من المسلمين العرب وغير العرب لجأوا الى عصبية النسب واعادوا ما كان قد تنوسي منها واصبح المسلمون مع اجتماعهم بالاسلام حزبين يجمع احدهما النسب العربي و يعرف الآخر بحزب غير العرب وهم الموالي أو الشعوبية . والعرب انقسموا الى نحو ما كانوا عليه قبل الاسلام من اليمنية والمضرية وما يتشعب منهما . وكانوا انما يلجأون الى هذه الجامعات لغرض سياسي على ما قدمناه عن امم النصرانية في اوربا

وكان العرب الى اوائل دولة الامويين لا يبالون بالوطن ولا يعرفون الجامعة الوطنية لانهم كانوا في صدر الاسلام لا يزالون على بداوتهم اذا ساروا للفتح ساقوا معهم اولادهم ونساءهم وابلهم وسائمتهم كما كانوا يتغازون في ايام جاهليتهم واذا فتحوا بلداً نصبوا خيامهم في ضواحيه مما يلي المدينة (مركز الخلافة) وقد نهاهم عمر عن الزرع فكأنهُ نهاهم عن التحضر رغبة منه في استبقائهم جنداً محارباً لا يمنعهم عن الجهاد عقار ولا بناء ولا يقعدهم عن القتال ترف ولا قصف . فكانوا يقيمون في معسكراتهم بضواحي المدن كما يقيم جيوش الاحتلال في هذه الايام وكانوا يعبرون عن ذلك بالحامية او الرابطة . فكان المسلمون في عصر الراشدين فرقاً تقيم كل فرقة في ضاحية مدينة من المدن الكبرى وتسمى جنداً وكانت عساكر الشام اربعة اجناد تقيم في ضواحي دمشق وحمص والاردن وفلسطين ومنها تسمية هذه الاقاليم بالاجناد . وعساكر العراق كانت تقيم على ضفاف الفرات مما يلي جزيرة العرب في معسكرين صارا بعدئذٍ مدينتين هما البصرة والكوفة . وكانت جنود مصر تقيم في

معسكر على ضفاف النيل في سفح المقطم مما يلي بلاد العرب حيث بنيت الفسطاط بعد ذلك

فلما طال مقامهم في تلك المعسكرات وافضت الخلافة الى بني امية ورغبوا في الشام عن الحجاز هان على المسلمين اغفال امر المدينة وسائر الحجاز وطاب لهم المقام في الشام وسائر الامصار واغفلوا وصية عمر فاقتنوا الارضين والضياع وغرسوا المغارس فتحولت تلك المعسكرات بتوالي الاجيال الى مدن عامرة اشهرها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان مما بناهُ المسلمون غير المدن القديمة التي استوطنوها في الشام ومصر والعراق وفارس وغيرها . وما زالوا حتى اقتنوا المغارس والضياع وابتنوا المنازل والقصور واشتغلوا بالزرع وتعلموا أشغال اهل المدن من تجارة وصناعة ونشأَت فيهم الجامعة الوطنية في اهل كل بلد الى بلدهم

ومما حمل المسلمين على اتخاذ الجامعة الوطنية انقسام الاحزاب السياسية يومئذ باعتبار المدن . واول خلاف وقع بين بلدين اسلاميين الخلاف الذي وقع بين الشام والكوفة في ايام عثمان بن عفان ثم حدث الانقسام الوطني السياسي بعد مقتله وكان اساسه الميل الى احد طلاب الخلافة يومئذ وهم علي ومعاوية وطلحة والزبير فكان اهل الشام مع معاوية لانهُ اميرهم ومعظمهم من قريش وكان اهل المدينة مع علي وهم الانصار وتبعتهم مصر وكان اهل الكوفة مع الزبير واهل البصرة مع طلحة . فلما كانت واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ وقتل طلحة والزبير انحاز اهل العراق الى علي فضلاً عن اهل المدينة ومصر وظل اهل الشام مع معاوية ولما كانت واقعة صفين ومسأَلة التحكيم سنة ٣٧ هـ وغلب عمرو بن العاص بمكره فبويع معاوية وتركت مصر لعمرو بن العاص صارت مصر في حوزة معاوية . ولما قتل علي سنة ٤٠ هـ ومات الحسن ثم قام الحسين يطالب بالخلافة بعد موت معاوية وخلافة يزيد استعان الحسين باهل العراق وسافر اليهم فبايع اهل الحجاز لابن الزبير . فأَصبح الحجاز مع ابن الزبير والعراق مع الحسين والشام ومصر مع معاوية — وهؤُلاء انما لجأُوا الى الجامعة الوطنية لانها توافق ما في نفوسهم من طلب التغلب

وكان لاهل كل بلد غرضٌ خاص في السياسة عبرنا عنهُ بالعصبية الوطنية وهي غير عصبية النسب اذ قد يجتمع اهل البلد الواحد على غرض واحد ويعرفون بجامعة واحدة كاهل البصرة والكوفة والشام والفسطاط وهم اخلاط من قبائل شتى . فكان لكل بلد في عصر بني امية جامعة خاصة يجتمع بها ويحارب باسمها . وهو مؤلف من قبائل تختلف نسباً وعصبية وفيهم قبائل اليمن ومضر وربيعة وغيرها يقيم كل منها في حي خاص بها يعرف باسمها فكانت

البصرة مثلاً مؤلفة من خمسة اقسام تعرف بالاخماس كل خمس لقبيلة وقس على ذلك سائر البلاد

ولما طمع بنو العباس في الخلافة واستعانوا على نيلها بالفرس اشتغل المسلمون عن اللغة أو الجنس وافترقوا الى حزبين كبيرين فاصبح الفرس في جانب والعرب في جانب وطال اختصامهما حتى غلب العنصر الفارسي على الخصوص بعد مقتل الامين وانتصار المأمون باخواله الفرس وضعف العنصر العربي . ولما تولى المعتصم واستكثر من الاجناد الاتراك ظهرت العصبية التركية واخذت تتقوى بتوالي الاجيال حتى انشأوا الدول الكبرى . ثم ظهر المغول والشركس والاكراد وغيرهم . ولم ينقض القرن السابع للهجرة حتى اصبح المسلمون احزاباً تحارب بعضها بعضاً من بادية تركستان في الشرق الى شواطيء افريقيا الغربية في الغرب غير انقسام العرب بعضهم على بعض وناهيك بالاحزاب المذهبية الدينية. وكل طائفة انما اتخذت الجامعة التي تتوقع التغلب بها . واغضوا عن الجامعة الاسلامية لذهاب الحاجة اليها بضعف الدول غير الاسلامية عن مناوأتهم او لاشتغالهم بالاختصام فيما بينهم عن محاربة اعدائهم

حتى اذا نهض الافرنج تحت راية الصليب وتألبوا لاكتساح الشرق وفتح بيت المقدس شعر المسلمون بافتقارهم الى جامعة الدين فاغضوا عن كل جامعة غيرها وتكاتفوا لرد هجمات الصليبيين تحت راية الاسلام . ولم يحسن الصليبيون الاجتماع كما احسنه المسلمون فغلبوا على ما في ايديهم من بلاد الشام وعادوا الى بلادهم

ولما فرغ المسلمون من تلك الحرب الدينية رجعوا الى ما كانوا فيه من الاختصام من قبل . وأكثر اختصامهم بين السنة والشيعة او الترك والفرس لاشتغال اهل اوربا عنهم بانشاء دولهم الحديثة . حتى اذا شعر المسلمون بضعفهم في العصر الاخير ورأوا مطامع تلك الدول في بلادهم عادوا بطبيعة العمران الى البحث عن جامعة تلم شعثهم فلم يروا خيراً من جامعة الدين فلجأوا اليها وقاموا ينادون بها — وهو أمر طبيعي لا غرابة فيه ولا هم يلامون عليه

اما ما يترتب على المناداة بتلك الجامعة فليس من شان الهلال البحث فيه لكننا بالنظر الى ما نعلمه من قواعد الاجتماع ونواميس العمران وما نعهده من احوال المسلمين في الاقطار المختلفة الآن لا نتوقع من وراء هذه الجامعة خطراً سياسياً . على اننا نرجو للمسلمين منها نفعاً ادبياً او مالياً بما ينجم عن الاتحاد من تبادل المنافع التجارية او العلمية والتعاون على الاعمال الخيرية بين مسلمي الشرق من اقصائه الى اقصائه ولا نظنه يتعدى ذلك — الا اذا تهور المتطرفون في تغرير العامة واثارة خواطرهم حتى يبدو منهم ما يسميه المتمدنون تعصباً دينياً فينقلب ما رجوناه من النفع لهم ضرراً عليهم والله اعلم

الحكومة الدستورية

وسائر انواع الحكومة

منح جلالة شاه العجم الحكم الدستوري لامته في هذه الاثناء فأعظم الناس فضله واثنوا على تعقله لقلة من يقدم على ذلك من ملوك الشرق فرأينا ان نأتي على فذلكة في انواع الحكومة ونخص الدستورية منها بكلام

يراد بالحكومة الفئة التي تتولى تدبير سائر افراد الامة والقضاء بينهم · وهي انواع عديدة ترجع الى ثلاثة اشكال : الاول ان يتولاها رجل واحد يسمونه ملكاً أو قيصراً أو سلطاناً أو امبراطوراً أو اميراً أو دوقاً أو غير ذلك ويدخل فيه الحكم الاستبدادي المطلق · والثاني ان يستعين هذا الرجل ببعض الخاصة من اهله او اهل دولته أو طائفة من الاشراف او الكهنة · والثالث ان يتولاها الشعب رأساً اي ان تحكم الامة نفسها بنفسها او تنيب من يتولى ذلك عنها

الحكومة في التاريخ القديم

واقدم هذه الاشكال واقربها الى طبيعة الانسان الحكم الاستبدادي المطلق فانه اول ما خطر للبشر في ابسط احوالهم مذ كانوا عائلات يتولى شؤونها آباؤها أو شيوخها ولما تكاثروا تنازع الشيوخ على السيادة العامة فتولاها اقواهم · وهكذا حتى تألفت الامم يحكم كلاً منها ملك او امير — ذلك كان شأن معظم الدول الشرقية في التاريخ القديم · ولما تحضر الناس وانشأوا المدن واستنارت اذهانهم بالعلم اكبر بعضهم الخضوع لارادة فرد منهم فاتفقوا على ان يحكم الجمهور نفسه وهو ما يعبرون عنه بالحكومة الجمهورية · واقدم الحكومات الجمهورية واقربها الى المعنى المراد بها حكومة اليونان القديمة فقد كانت كل مدينة من مدنهم يحكمها شعبها رأساً على التناوب والتبادل كذلك كانت أثينا وسبارطة وغيرهما

ولما عمّرت مدينة رومية نسج اصحابها على منوال اليونان وتوسعوا في انشاء المجالس بالانتخاب لادارة شؤون الامة والقيادة في الحروب والفتوح حتى اذا اتسعت المملكة وتباعدت اطرافها استحال اشتراك الامة كلها في الانتخاب أو العمل فاصبحت السلطة محصورة باهل العاصمة (رومية) واليهم المرجع في كل شيء · وما لبثوا ان رجعوا الى فطرة الانسان ومطامع البشرية فاختلف طلاب السيادة من كبار القواد على الاستئثار بالسلطة فتحولت جمهورية رومية الى حكومة ملكية او قيصرية تولاها قياصرة عظام — مع بقاء سائر ظواهر الحكومة

على شكلها الجمهوري وتقلبت على احوال شتى لا محل لتفصيلها

ولما سطا الجرمان على تلك المملكة في اواخر ايامها واستقروا في بلادها اقتبسوا منها معظم احوال تمدنها بالتدريج وكانوا من طبيعتهم اهل بداوة ورحلة يعيشون قبائل و بطوناً على نحو ما كان العرب في جاهليتهم يجتمع كل جماعة منهم حول شيخ لهم او امير مع تعوّدهم الانفة والحرية . فلما انحلت المملكة الرومانية اتخذت امم الجرمان شكلاً من الحكومة وسطاً بين حالهم وحال الرومان عرف بالحكم الاقطاعي وذلك ان يضع الامير او القائد يده على بقعة من الارض يستغلها و يحكم اهلها و يكون بينه و بين سائر الامراء علائق تنتهي الى كبير منهم له عليهم زعامة حربية و يعاهدونه على ان يعينوه بالجند عند الحاجة . ثم تحول النظام الاقطاعي بالتدريج الى الحكم الملكي . وابت طبيعة تلك القبائل الرضوخ للحكم المطلق فادخلوا الحكم الدستوري وتبدلت الحكومة الاقطاعية شيئاً فشيئاً الى النظام الدستوري

الحكم الدستوري

وحقيقة الفرق بين الحكم الاستبدادي والحكم الدستوري ان الاول هو الشريعة التي يحكم بها الملك رعاياه والثاني عبارة عن القوانين التي يقيد الرعايا بها احكامه واحكام رجال دولته . و بعبارة اخرى ان الحكومة او الدولة قد تكون مؤلفة من رجل او عدة رجال ولها ثلاثة اعمال سن القوانين والفصل في الخصومة وادارة شؤون المملكة . فالدستور يدلنا كيف تتألف هذه الحكومة وما هي نسبة اعضائها بعضهم الى بعض و يبين الكيفية التي ينبغي ان تجري بها الاحكام فهو قيود للقوة المتسلطة

والدستور المذكور يختلف قوة وتختلف قيوده ضيقاً وسعة باختلاف الدول والعصور وهو في كل حال من ثمار التمدن الحديث . واهم ما يمتاز به انه مبني على ارادة الامة أو هو خلاصة ارادتها واساسه الانابة أي ان تنتخب الامة من ينوب عنها في سن القوانين ومراقبة سير الحكومة

والفضل الاكبر في انشاء الحكم الدستوري على هذه القواعد للانكليز فانهم اول من انشأ مجلس النواب واعطاه هذه السلطة ولذلك يقولون في امثال الافرنج « ان انكلترا ام المجالس النيابية » وكل ما عند الامم الاخرى من الاحكام الدستورية مبني على الاساس الذي وضعه الانكليز و كان تاريخهم قدوة الحكومات الدستورية في اثناء هذا التمدن

على ان الدستور في انكلترا يختلف عما في سائر الدول الاوربية بان معظمه تقليدي يستخرجون قواعده من تاريخ الامة مع ما تقتضيه روح العصر من التعديل والتبديل . فمجلس

النواب عندهم يبحث في المسائل السياسية او الادارية او القضائية ويسند احكامه الى السوابق ويعدّلها على مقتضى الاحوال . وكثيراً ما يلتبس عليهم القطع في مسألة فيشكلون لجنة لمراجعة وقائع المجلس القديمة ليقابلوها باشباهها . ومزية الدستور على هذه الصورة انهُ يقبل التحسين كل يوم لسلامته من القيود اللفظية

واما الدستور في الدول الاخرى فانه مدوَّن بنصوص صريحة ومقسم الى موادمعينة فلا يمكن التوسع في احكامهِ الاَّ بعد الاقرار على تغيير بعض مواده أو كلها مما يستلزم نظراً دقيقاً ووقتاً طويلاً . فتضطر الدولة والحالة هذه ان تسير على دستور وضع منذ خمسين سنة أو ستين او مئة سنة ولا يخفى مقدار ما يحدث من الفرق باحوال الامة في اثناء هذه السنين واما الدستور الانكليزي فانهُ مرن يقبل الطي والنشر والقبض والبسط حتى يوافق الاحوال الجارية او هو حيٌّ ينمو نمواً طبيعياً مع الزمان

والدستور لا يختص بالحكم الملكي كما رأيت ولكنهُ يتناول الجمهوريات ايضاً بل الجمهورية اولى ان تتقيد بارادة الشعب . وكل امة فيها مجالس تنوب باصواتها عن الشعب كانت حكومتها دستورية . وفي العالم الآن بضع واربعون دولة معظمها دستوري واكثر الممالك الدستورية جمهوريات وهذا جدول يتضمن اسماء الدول مرتبة حسب نوع حكومتها :

١ — الدول الملكية المطلقة

اسم الدولة	مساحتها بالاميال المربعة	عدد سكانها
الدولة العثمانية	١,٦٦٢,٠٠٠	٤٠,٠٠٠,٠٠٠
روسيا	٨,٦٦٠,٣٩٥	١٣٠,٠٠٠,٠٠٠
الصين	٤,٢٧٧,١٧٠	٤٢٦,٠٤٧,٣٢٥
مراكش	٢١٩,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
افغانستان	٢١٥,٤٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠
الحبشة	١٥٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠

٢ — الدول الملكية الدستورية

اسم الدولة	مساحتها بالاميال المربعة	عدد سكانها
انكلترا	١٢١,٠٢٧	٤١,٦٠٩,٣٢٠
النمسا والمجر	٢٤١,٣٣٣	٤٥,١٥٠,٠٠٠
البلجيك	٢٩,٤٥٥	٦,٨٩٦,٠٧٩
الدنمارك	١٥,٣٨٨	٢,٤٦٤,٧٧٠

المانيا	٢٠٨,٨٣٠	٥٦,٣٦٧,١٧٨
اسوج	١٧٢,٨٧٦	٥,٢٠٠,٠٠٠
نروج	١٣٤,١٢٩	٢,٢٥٠,٠٠٠
ايطاليا	٩٦,٥٠٠	٣٢,٤٧٥,٠٠٠
اسبانيا	١٩٤,٠٥٠	١٨,٦٠٠,٠٠٠
اليونان	٢٥,٠١٤	٢,٤٣٣,٨٠٦
الجبل الاسود	٣,٦٣٠	٢٢٨,٠٠٠
هولندا	١٢,٦٤٨	٥,٣٤٧,١٨٢
البرتوغال	٣٥,٤٩٠	٥,٥٠٠,٠٠٠
رومانيا	٥٠,٧٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
السرب	١٨,٦٣٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
اليابان	١٤٨,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠
سيام	٢٢٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
الفرس	٦٢٨,٠٠٠	٧,٦٥٣,٦٠٠

٣ — الدول الجمهورية

فرنسا	٢٠٧,٠٥٤	٣٨,٩٠٠,٠٠٠
سويسرا	١٥,٩٠٠	٣,٣١٥,٠٠٠
الولايات المتحدة	٣,٥٦٧,٥٦٣	٧٦,٣٠٣,٣٨٧
البرازيل	٣,٢١٨,١٣٠	١٤,٣٣٣,٩١٥
ارجنتين	١٣٥,٨٤٠	٥,٠٢٢,٢٤٠
بوليفيا	٧٠٣,٤٠٠	١,٨١٦,٣٠٠
شيلي	٣٠٧,٦٢٠	٢,٧١٢,١٤٥
كولومبيا	٥٠٤,٧٧٣	٥,٠٠٠,٠٠٠
كوستاريكا	١٨,٤٠٠	٥٠٠,٠٠٠
كوبا	٤٤,٠٠٠	١,٥٧٢,٨٤٥
اكوادور	١١٦,٠٠٠	١,٢٠٥,٦٠٠

غواتامالا	٤٨,٢٩٠	١,٦٤٧,٣٠٠
هايتي	١٠,٢٠٤	١,٠٠٠,٠٠٠
هندوراس	٤٦,٢٥٠	٦٥٠,٠٠٠
ليبيريا	٣٥,٥٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠
المكسيك	٧٦٧,٠٠٥	١٣,٦٠٠,٠٠٠
نيكاراغوا	٤٩,٢٠٠	٣٨٠,٠٠٠
باراغواي	١٥٧,٠٠٠	٥٣٠,٠٠٠
بيرو	٦٩٥,٧٣٣	٤٦٠٠,٠٠٠
سلفادور	٧,٢٢٥	١,٠٠٦,٨٤٨
سانتودومينكو	١٨,٠٤٥	٦١٠,٠٠٠
اوروغوا	٧٢,٢١٠	١,٠٠٠,٠٠٠
فنزويلا	٥٩٣,٩٤٣	٢,٣٥٠,٠٠٠
بناما	٣٠,٥٧٠	٣٤٠,٠٠٠

فنرى من ذلك ان الدول الملكية المطلقة اقل من سائر انواع الحكومات عدداً وان معظمها في اسيا ونظراً لوجود الصين وروسيا بينها فهي اكثر سائر الحكومات سكاناً . والدول الملكية الدستورية اكثرها في اوربا وهي اكثر عدداً من المطلقة واقل من الجمهوريات واكثرها سكاناً الولايات المتحدة الاميركية . واذا نظرت في انواع الحكومات من حيث الاقطار رأيت الحكم المطلق على معظم قوته في الشرق ثم يتحول الى دستوري كلما اتجه نحو الغرب حتى اذا توسط اوربا صار معظمه ملكياً دستورياً فاذا توغل في الغرب حتى قطع البحر الاتلانتيكي ونزل قارة اميركا صار جمهوريا

فالظاهر ان الشرق من طبيعته اقرب الى الحكم الاستبدادي وانما شذت اليابان في الاعوام الاخيرة واتخذت الدستور اقتداء بدول اوربا وقد تبعتها الفرس بالامس ولا ندري اذا كانت تثبت في هذا الطريق الجديد . و يسوءنا تغلب الاستبداد في طبيعة الشرق لاننا نعتقد الرقيّ في الدول الدستورية وانها اقرب الى حفظ الحقوق والسير على شروط العدالة والحرية الشخصية . ولعل السبب في ذلك ميل الشرقيين من فطرتهم الى البساطة او التوحيد كما يقول علماء العمران او هم يخصون الساميين بهذا الميل لما

رأوه من التوحيد في اديانهم والبساطة في اصول لغاتهم فهم اشهر من قال بالتوحيد من قديم الزمان . وكما انهم مطبوعون على التوحيد في عبادتهم والبساطة في الفاظ لغاتهم فانهم يميلون الى مثل ذلك في حكوماتهم

النظام الدستوري والاسلام

واشهر الشعوب السامية واقربها عهداً امنا العرب فقد جاؤوا بالاسلام وهو التوحيد وبالغوا في نصرته وكانت حكومتهم توحيدية اي يتولى شؤونها رجل واحد بسلطة دينية هو النبي وظل ذلك دأبهم بعده ايام الخلفاء فالسلاطين والامراء . وللخليفة سلطتان دينية وزمنية وهو مطلق التصرف فيهما ضمن حدود الشريعة . على ان العقلاء منهم كانوا يستشيرون جماعة يختصونهم بمجالستهم وان كانوا غير مقيدين بما يسمعونه من آرائهم . ولذلك كان المسلمون من ابعد الامم عن الدستور لما تعوده ملوكهم من اطلاق ارادتهم في امور الدين والدنيا

على انهم اضطروا بطبيعة العمران الى مجاراة روح المدنية الحديثة في اثناء القرن الماضي من ايام السلطان محمود الثاني المتوفى سنة ١٨٣٩ إذ أباد الانكشارية ووضع النظام العسكري الجديد ومهد السبيل للتمدن الاوربي واقتدى به السلطان عبد المجيد المتوفى سنة ١٨٦١ فأعلن أساس التنظيمات الخيرية القاضية بالمساواة بين اصناف الرعية

اما الدستور على نحو ما هو في دول اوربا فاول من ادخله في نظام الحكومة جلالة السلطان عبد الحميد الحالي . فهو بهذا الاعتبار اول من ادخل النظام الدستوري في الدول الاسلامية — فعل ذلك في السنة التي تسنم فيها العرش العثماني عملاً بشورة وزرائه ورجال دولته فأصدر امره في ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ بتنظيم مجلس عمومي (برلمان) يتألف من مجلسين احدهما ينتخبه الاهالي ويسمى « مجلس المبعوثان » والآخر تعين الدولة اعضاءه ويسمى «مجلس الاعيان» ووضعوا القانون الاساسي لهذا الدستور في ١١٩ مادة قدمه جلالة السلطان الى وزيره مدحت باشا بعد تعيينه في الصدارة باربعة ايام وامره ان ينشره في انحاء المملكة ويباشر العمل باحكامه . فأعلن القانون المذكور في الاستانة وقرىء في مجلس حافل في ٢٣ دسمبر من تلك السنة واطلقت المدافع من القلاع والدوارع احتفاء بقراءته

وخلاصة ما فيه (١) المساواة بين طبقات الرعية على اختلاف المذاهب فهم على تباين صنافهم وطبقاتهم سواء لدى القانون (٢) حرية التعليم وأن يكون اجبارياً (٣) حرية المطبوعات . وفيه بيان اختصاص مجلسي المبعوثان والاعيان وطريق الانتخاب وشروطه في من ينتخِب وينتخَب وجاء فيه ايضاً ان كل واحد من رعايا الدولة العلية يسمى «عثمانيا» وان الدين

الرسمي هو الاسلام واللغة الرسمية هي التركية وان تبطل المصادرة والتعذيب والسخرة وان تضع الحكومة ميزانية سنوية تعرض على مجلس المبعوثان ثم على مجلس الاعيان ويطلب اقرارها عليها لاعتمادها وغير ذلك

وكأن جلالة السلطان علم بفراسته وذكائه ان الامة لا تزال غير مستعدة لمثل هذا الاصلاح فادخل في القانون المذكور مادة تخوله تنفيذ ارادته في ايقاف ما كان يخشى حدوثه من العبث بسلامة الدولة وهي المادة ١١٣ ومعناها « انه اذا ثبت بعد تحري ادارة الضابطة ان احداً اخلَّ بالامن او اتى ما يخشى منه على سلامة الحكومة فللحضرة السلطانية الحق المطلق في ابعاده » وبالفعل تراءى لجلالته بعد تنصيب مدحت باشا بشهرين انه يسعى في قلب السلطنة وفصلها عن الخلافة فامر بعزله ونفاه كما هو مشهور

اما الدستور فظلت الاوامر بشأنه جارية مجراها فاجتمع مجلس المبعوثان للمرة الاولى في سراي بشكطاش جلسة حافلة حضرها جلالة السلطان وتلا خطبة ضافية شرح فيها الاسباب التي ادت الى انحطاط الدولة وانه تلافى هذا الداء بوضع الدستور المذكور بما يتضمنه من الاصلاحات الهامة • فتعلقت آمال العثمانيين بهذا الدستور وتوالت جلسات مجلس النواب • ولكن يظهر ان الامة لم تكن مستعدة لمثله فتورط بعض اعضائه بالمطالب واستعجلوا في استثمار النتائج وتطرفوا في طريقة التعبير عن حال الحكومة ورجالها على نحو ما اصاب مجلس الدوما الروسي بالامس • فاصدر السلطان امره في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ بايقاف اجتماعه الى اجل غير محدود لان « الاحوال الحاضرة لا تلائم اجتماعه » وقبض على كثير من اعضائه ونفاهم الى الخارج ولم يجتمع بعد ذلك

والظاهر ان بعض اولئك الاعضاء لم يدركوا حقيقة مركزهم بازاء الحكومة والامة ولم يدخلوا في الامر باخلاص وصدق نية فبرهنوا بما صدر من تسرعهم ان الامة لم تستعد للحكم الدستوري بعد فضاعت تلك الفرصة

وبعد بضع سنين قامت مصر تطلب انشاء مجلس النواب ولم يكن ذلك الطلب عن اخلاص وروية نجاة مساعداً على ما حدث في مصر من الانقلاب السياسي المعلوم بعد الحوادث العرابية • والسبب الحقيقي في ذلك ان الامة لم تكن مستعدة لقبول هذا الاصلاح فتناولته كما يتناول الطفل الرضيع قطع اللحم وهي مغذية بنفسها ولكن معدته لا تقوى على هضمها فالجوع خير له منها • والامة اذا لم تكن قد تهيأت للحكومة الدستورية فالدستور يضرها — والامور مرهونة باوقاتها

الماديون والروحيون

او اصل المخلوقات ونهايتها

بينما كنت اطالع في ساعات الفراغ تاريخ حياة العلامة الشهير لويس باستور عثرت على مباحث فلسفية احببت نقلها الى قراء اللغة العربية على صفحات الهلال الاغر

وتتعلق هذه المباحث بمسألة «أصل المخلوقات ونهايتها» التي شغلت ولا تزال تشغل السواد الاعظم من الفلاسفة في كل عصر وآن . فعسى ان يجد القراء في مقالتي فائدة

التولد الفجائي او الذاتي

اكتشف العلامة باستور في القرن الماضي اكتشافاً علمياً كان له صدى مهم في عالم الفلسفة . وهذه الاكتشاف هو «الاختمار وكيفية حدوثه»

لان علماء الكيميا قبل باستور لم يكونوا يدرون للاختمار سبباً حقيقياً بل كان كل واحد منهم يؤول حدوثه طبقاً لرغائبه واغراضه الذاتية . فالماديون كانوا يزعمون انه حادث طبيعي يحدث فجأة من غير علة تسبب حدوثه . ولذلك دعوا ايضاً اصحاب مذهب التولد الفجائي : لانهم زعموا ان المخلوقات لم تحتج قط الى خالق يخلقها بل وجدت من ذاتها واخذت تسير في النمو والتكاثر سيراً طبيعياً واسندوا زعمهم هذا الى مسألة الاختمار التي تغير حالة الشيء بدون علة ظاهرة تسبب هذا التغيير

واما الكيماوي الشهير جيلوساك فزعم ان الاختمار يحدث بواسطة الهواء من تأثير الاوكسجين . وذهب مذهبه الكيماوي الالماني ليبج . غير ان باستور لم يلبث ان ابطل اعتقاد من سلف باكتشافه الجديد فقال : «ان الاختمار هو تغيير كيماوي يسببه وجود احياء ميكروسكوبية تنتشر وتتكاثر بمساعدة بعض عناصر الوسط المستعد للاختمار»

ولكن من اين تولدت هذه الاحياء ؟ وما كانت الشروط اللازمة لانتشارها ؟ وهل تولدت في نفس الوسط المستعد للاختمار بسبب كيماوي محض طبقاً لتعاليم نيدهام وكبانيس وبوشيت في التولد الفجائي ؟ ام هي بالعكس تنشأ من بذور حية تنقلها العوامل الهوائية ؟

كل هذه مسائل ادت الى عراك عنيف بين انصار المذهبين : المادي والروحي . خرج منه باستور ظافراً وافحم المدافعين عن مذهب التولد الفجائي

ولكي يفهم القارىء اهمية هذا العراك نقول له ان البحث في مسالة الاختمار لم يكن

بحثاً علمياً . وانما علّق العلماء عليه اهمية كبرى بالنظر الى الفلسفة والدين . وذلك ان انصار مذهب التولد الفجائي ظنوا انهم يستخدمون مسالة الاختبار لدحض الوحي الموسوي ومحاربة المذهب الروحي قائلين : « اذا كان من الممكن ان يتولد من المادة الفاقدة الحياة (اي الجماد) بطريقة الحل الكيماوي أحياء بسيطة التركيب جداً . يرجح ان تكون هذه الأحياء قادرة على ان ترتقي بالتدريج في سلم هذه الحياة تبعاً لناموس النمو الطبيعي . وعلى هذه الكيفية قدرت الاحياء المتناهية في الصغر ان تولد احياء اكبر واكمل ومع طول الزمن اصبحت الاحياء الصغيرة حيوانات كبيرة وربما الانسان نفسه استفاد وجوده على هذه الصورة . فبناء عليه لا حاجة الى الاعتماد على وجود اله خالق »

ولكن هذا التعليل — على فرض صحته — هل يمكن ان يكون الضربة القاضية على المذهب الروحي ؟ كلاً . لان مذهب التولد الفجائي لا يستطيع ان يحل لنا مسالة علة العلل نعم انهُ يعلمنا الشريعة المتسلطة على تكوين المخلوقات . ولكن هذه الشريعة تبقى بدون تفسير كمسالة تكوين العالم . وما ذلك الاَّ لان العلم يقدر ان يضع لهذه المسالة شروحاً ضافية ولكنه لا يقدر ان يفسر اصلها الاَّ بسبب غير مخلوق اي لا اصل له البتة بل يستفيد وجوده من ذاته . بيد ان انتصار مذهب التولد الفجائي — مع كونه لا يبطل الاعتقاد بوجود الله — فانه كان يضرب بعصاً من حديد على الوحي الموسوي وكافة الاديان المبنية على الاعتقاد بان كل نوع من المخلوقات خلق في يوم خاص به كما جاء في التوراة .

النمو الطبيعي او مذهب الارتقاء

وبما اني ذكرت فيما تقدم من الكلام « النمو الطبيعي » ارى من الواجب ان اشرح للقارىء الكريم هذه العبارة شرحاً يساعده في استيعاب ما سيلي من الكلام

ان لامارك اول من قال في كتابه « الفلسفة الزولوجية » : « ان حيوانات العصر الحالي تخلفت عن انواع اقدم منها وقد تحسنت مع مرور الزمن »

وفي سنة ١٨١٨ قام العالم الانكليزي ولس يؤيد كلام لامارك بقوله « ان المشتغلين بتربية الحيوانات في عصرنا الحاضر يتوصلون الى تحسين حيواناتنا الداجنة بطريقة المزاوجة . وعليه فليس من الجسارة وعدم التروي اذا فرضنا ان ما نقدر عليه الصناعة يمكن حدوثه في الطبيعة على السواء . وان يكن التغيير الاخير يستلزم وقتاً اطول »

وذهب هذا المذهب كل من العلماء غرانت وماتويس وهربرت سبنسر . غير ان هذا الاخير جعل التغيير يشمل ايضاً القوى العقلية والادبية

ثم جاء العالم الطبيعي الشهير داروين فشرح في كتابه المشهور « اصل الانواع بالنمو الطبيعي » مذهب التغيّر من حالة الى اخرى شرحاً وافياً فقال : « اني اعتقد كل الاعتقاد ان الانواع ليست بريئة من التغيير . وان الانواع التي تدخل في ما نسميه الجنس الواحد هي سلالة نوع آخر لم يبقَ له اثر على الاغلب . كما ان الاشكال المعروفة من جنس واحد مهما تعددت تتصل رأساً بهذا الجنس . واخيراً اعتقد ان النمو الطبيعي قد لعب الدور المهم في تغيير الانواع . وان عوامل اخرى شاركته في ذلك »

ولم يظهر مذهب داروين الى عالم الوجود حتى تهافت عليه انصار المذهب المادي تهافت الجياع على القصاع . فاتخذوه سلاحاً يحاربون به تداخل القدرة الالهية في خليقة العالم قائلين : « يعلمنا ناموس النشوء ان للمخلوقات الحية خاصية التحول لملاءمة الوسط الذي خصت بالمعيشة فيه . بصورة ان النوع الواحد قدر ان ينتج بطريقة النمو الطبيعي كل الانواع التي تعمر اليوم سطح الكرة الارضية ومن جملتها الجنس البشري . فلا دخل اذاً للعجائب والاسرار في تفسير ظهور الحياة . وليس بين النمو الطبيعي والتولد الفجائي سوى خطوة واحدة . وقوة المصاهرة الخفية التي تلازم المادة تكفي لتفسير كليهما »

غير ان هذا التعليل بعيد عن مطابقة افكار داروين نفسه . وربما لم يخطر بباله قط انكار وجود الخالق . وهاك ما جاء في كتابه المذكور : « ان بعض المؤلفين الافاضل يظهرون اقتناعهم التام بأن كل نوع خلق بطريقة مستقلة . اما انا فعلى ما يظهر لي ان ما نعرفه من النواميس التي فرضها « الخالق » على المادة يطابق بالاكثر ظننا بان ظهور وامتداد سكان الكرة السالفين والموجودين هما نتيجة اسباب ثانوية كالتي تحكم بولادة الشخص ووفاته »

فهنا داروين يتكلم عن النواميس التي فرضها « الخالق » على المادة . اذاً لم يخطر بباله انكار دخول الخالق في خليقة العالم . وفي محل آخر من كتابه المتقدم يقول ايضاً : « أفلا يوجد عظمة حقيقية في الطريقة التي تتبصر بها الحياة وقواها المختلفة التي خصها « الخالق » منذ البدء بعدد قليل من المخلوقات او بواحد منها ؟ وعليه ما دام كوكبنا باقياً على دورانه في فلكه طوعاً لناموس الجاذبية الثابت . فاننا نجد عدداً لا يحصى من الخلائق الجميلة والبسيطة الاصل لم تنفك عن النمو والازدياد وهي تنمو وتزداد ايضاً »

فترى ان داروين ذاته ينقض دعوى تلامذته الماديين في انكار وجود الخالق

ولكننا لو نظرنا ايضاً نظرة الانتقاد الى مذهب النشوء الذي يحملنا على اعتبار الانواع

من اصل واحد • لرأينا انفسنا مدفوعين بالطبع الى رفضه• اذ لا أساس له غير الحدس والتخمين • ولان مطابقاته مبنية على حوادث افرادية شاذة لا يصح الاعتماد عليها وليست اهميتها الا ثانوية

نعم اننا بواسطة العلم والصناعة نقدر ان نحدث بعض التحسين في اجناس حيواناتنا الداجنة • ولكن هذا التحسين أو التغيير لا يقدر ان يغير الطبع المختص بكل نوع • واذا فرضنا ذلك ممكناً مع طول الايام فافتراضنا اوهى من خيط العنكبوت لان النتائج التي توصلنا اليها حتى الآن لا تقدران تدعم هذا الافتراض اذ لا قيمة لها البتة • فعلى ماذا نعتمد اذاً ؟

ويزعم داروين ان الحيوانات تستحيل من تأثير الوسط الذي تعيش فيه • فكيف نقدر اذاً ان جنساً واحداً يعيش في وسط واحد او اوساط متشابهة يقدر ان يولد انواعاً هذا عددها ؟ واشكالاً هذا مقدار تباينها ؟ وافراداً مختصة باستعدادات مختلفة كهذه ؟

ولو فرضنا ان لزوم المهاجرة من قطر الى آخر واجتياز مضايق الماء قدرا ان يحولا ويجددا بناء الطير • فعلينا ايضاً ان نحسب الفترة الهائلة من الزمان التي تمرُّ بين اول مسعى واول نتيجة وللحال نرى انفسنا مدفوعين الى رفض هذا الفرض

واما ما نراه من المشابهة الكائنة في بنية بعض حيوانات الطبقة العليا فهي ناتجة بالطبع من ان الخالق خصَّ هذه الحيوانات بمجموع وظائف حيوية تجعل هذه المشابهة ضرورية من غير ان نستنتج من ذلك انها من اصل مشترك

باستور والتولد الفجائي

وأراني قد اطلت الكلام في هذا الموضوع • فاعود الى ما كنا فيه من العراك الذي حصل بين باستور وانصار مذهب التولد الفجائي :

لما وجدت اكاذمية العلوم الفرنساوية ان المشاحنة بين الطرفين قد طالت ارادت القطع فيها فاعلنت انها تمنح لمن يأتيها بالبرهان القاطع جائزة قدرها الفان وخمسمائة فرنك • فجمع باستور براهينه وقام يثبت قوله ان الاختمار لا يحدث الا بوجود بذور مكروسكوبية تنقلها العوامل الهوائية

ولو اردت ان ابسط كل هذه البراهين لاستغرقت صفحات هذه المجلة بتمامها وملَّ القاريء من قراءتها فاقتصر على سرد اقواها حجةً وأقربها تناولاً :

كان العالم الطبيعي بوشيت — وهو اهم انصار مذهب التولد الفجائي — يشتغل كل هذه المدة بتجارب ظنها اقوى دليل لتأييد دعواه · ولما طلبت اليه الاكاذيمية اظهار تجاربه أتى بقنينة وملأها ماء حرارته مئة درجة · وبعد ان احكم سدها قلبها وغطسها في دن مملوء زئبقاً ثم اخرج السدادة واخذ يدخل الى جوف القنينة باقة تبن في معظم حرارته مع قليل من الاوكسيجين · ولم تمض ايام قليلة حتى ثبت وجود الاختمار رغماً عن حرارة التبن التي كان يجب ان تقتل الجراثيم · فقام انصار التولد الفجائي وقمدوا لهذا البرهان الدامغ · وأخذوا ينادون بالغلبة والانتصار · غير ان مدة انتصارهم لم تطل لان باستور اعاد التجربة فقرر ان الجراثيم كانت تدخل القنينة بملامسة الزئبق المعرض للهواء المطلق · واراد ان يسد باب هذا الخلل · فبعد ان ادخل المادة القابلة الاختمار في القنينة سد هذه بسدادة يخترقها انبوب بلاتين محمىً — حتى لايدخل الهواء القنينة الا وتكون حرارة الانبوب قد اهلكت الجراثيم التي ينقلها — · وهكذا لم يتم الاختمار · واعيدت التجربة مراراً عديدة وكانت النتيجة واحدة · وبما ان حرارة الانبوب بقتلها الجراثيم قد يمكن ان تقتل ايضاً بعض العوامل التي باختلاطها مع الهواء ربما تكون ضرورية للاختمار · اعيدت التجربة بانبوب اوسع لكنهم حشوه بكتلة قطن حتى اصبح شبيهاً بمصفاة ومع هذا لم يحدث الاختمار لان الجراثيم كانت تتجمع في كتلة القطن · فكانت هذه التجربة ابتداء نجاح باستور ولم يكتف بها فاراد ان يحوز النصر التام فاعاد التجربة واستخدم لزيادة سرعة الاختمار كتلة القطن التي استعملها في المرة الاولى فكانت النتيجة ان الاختمار حصل بقوة غريبة بسبب ما اجتمع في تلك الكتلة من الجراثيم فاستفز هذا البرهان اعجاب الاكاذيمية فاعلنت نيل باستور الجائزة وفوزه على مذهب التولد الفجائي

فنستنتج مما تقدم انه لابدَّ للانسان من الاقرار بوجود اله خالق هو علة العلل وسبب الاسباب · وان من ينكر ذلك يكون قد انكر اهم واجلى حقيقة على وجه هذه البسيطة · ولذلك نرى اشهر الفلاسفة واعظم الرجال في كل عصر ومكان قد اجمعوا على الاقرار بوجود الله

باستور والمذهب الوضعي

بقي عليَّ ان اتكلم عن مذهب قام في القرن الماضي يشبه من اوجه عديدة المذهب المادي ويدعى « المذهب الوضعي » لمؤسسه الفيلسوف اغوست كونت

وما حداني الى ذكر هذا المذهب الآن الا ما قرأته في الخطاب الذي القاه العلامة باستور في نادي الاكاذيمية الفرنساوية حين قبوله عضواً فيها بدلاً من ليتره المتوفى ·

ونظراً لما حواه الخطاب المذكور من الافكار والآراء الفلسفية المتعلقة بالمذهب الوضعي ولأنها تؤيد ما اتيت على ذكره آنفاً من الاقرار بوجود الخالق

عند ما انتخبت اكاذيمية الفرنساوية لويس باستور عضواً فيها بدلاً من ليتره المتوفى، تحولت ابصار العلماء في كل قطر وصوب نحو تلك الاكاذيمية منتظرة بلهفة ورغبة زائدتين نتيجة المصادمة التي ستحدث بين مذهبين متضادين : المذهب الروحي ورسوله العضو الجديد باستور والمذهب الوضعي ونصيره رنان. وكل من الاثنين عالم ذائع الصيت

وكان محور خطاب باستور في المذهب الوضعي وهاك ما قاله فيه : « ان قاعدة اوغست كونت الاساسية هي اقصاء كل بحث نظري عن علة العلل . واعادة الافكار والنظريات الى حوادث . وان لا تعزى سمة التاكيد الا الى بينات التجربة . ويتضمن هذا المذهب ترتيب العلوم بطبقات وشريعة وهمية من التاريخ تختصر بهذه العبارة : ان مدارك العقل البشرى تتدرج في ثلاث حالات : الحالة اللاهوتيـة والحالة النظرية والحالة العلمية او الوضعية »

« وبعبارة اخرى تشتمل الحركة الاجتماعية على ثلاثة ادوار متوالية : الاول هو دور الايمان الحار والانقياد الاعمى لكل ما رتبه الكهنة من الامور المتعلقة بتكوين العالم . والدور الثاني هو الايمان الفلسفي المبني على اقوال لا تخلو من رسم العقائد الدينية . واما الدور الثالث ففيه يتملص العقل البشري تملصاً تاماً من التقاليد الدينية ليستسلم الى نتائج النمط التجريبي الوحيدة

« وبناء على ذلك على الانسان ان يقصي من دائرة ابحاثه كل ما لا يقدر ان يتوصل اليه بالتجربة والحساب . ونتيجة هذا الاقصاء يجب ان تقود الانسان الى الشك العام . غير ان قسماً من تلامذة كونت ومكملي شريعتـه لم يكتفوا بالشك بل تطوحوا الى النفي المطلق »

باستور وعلة العلل

ثم تطرق باستور الى الكلام عن مذهبه : « فقال لو تنازلتم فرمقتموني بانظاركم لرأيتم من طبيعة اعمالي قد تكلمت بلا شك عن اميالي واظهرت الجهة التي اصبوا اليها

« فانني بتقديمي البراهين على ان الحياة لم تظهر للانسان حتى اليوم كحاصل قوى تدبير المادة . قدرت ان اخدم المذهب الروحي الذي يشكو من قلة الانصار في الخارج ولكنه يتعزى إذ وجد في صفوفكم على الاقل معقلاً منيعاً »

وباستور يعدُّ في العالم المتمدن في مقدمة المجاهدين في سبيل الانسانية خدمها باكتشافاته خدماً جليلة لا ينكرها عليه احد حتى اعداؤه . فهذا العالم المشهور يعترف امام جمهور هم نخبة علماء فرنسا وفلاسفتها انه مقتنع كل الاقتناع ان العلم لا يقدر ان يكشف للانسان سر علة العلل . و يعترف بانه من المذهب الروحي . ومن احتدام التصفيق الذي لوقي به هـذا الاقرار يتضح ان السواد الاعظم من سامعيه يشارك الاكاذيبي الجديد في رأيه

ولم يتكلم حتى الآن باستور عن المذهب الوضعي الا بما هو دون الطفيف . ولكنه ما لبث ان قال متحمساً : « ليس من النادر ان نرى اغزر الرجال علماً يفقدون قوة تمييز استحقاقهم الحقيقي . وهذا الذي حملني على ان احكم شخصياً على قيمة عمل اغوست كونت . واعترف لكم انني توصلت الى نتيجة تخالف كثيراً رأي سلفي ليتره »

وطفق باستور حينئذ يبرهن ان كلاً من كونت وليتره قد ارتكب خطأ جسيماً بعدم تمييزه بين حقيقة النمط التجريبي ونمط الملاحظة المحدود . مع ان الفرق بينهما عظيم جزيل الاهمية . لان الملاحظة تقتصر على درس الحوادث المعروفة ومنها نستنتج بالاستدلال من الكائن او الذي كان ما قد يمكن ان يكون

واما المجرب فلا يكتفي بهذا التقريب لانه تعوّد الانتصار على الطبيعة . وهو على الدوام يجد نفسه تجاه حوادث جديدة عليه ان يستخرج كل نتائجها ولا يعلن اقتناعه الا عند حصوله على البرهان القاطع

ولهذا ترى هذا النمط لا يمكن استخدامه في حل المسائل الفلسفية او النظرية الكبرى كمسالة اصل المخلوقات ونهايتها . وما ذلك الا لان السبب الابتدائي لا يمكن وقوعه تحت الحس اي التجربة والحساب

وكل ما يمكننا قوله هو : ان هذا المسبب الاولي من الحقائق الضرورية التي لا يقدر العقل ان يتجنبها مهما عمل او أراد وهذا المسبب كائن لانه يجب ان يكون ولان الشرائع التي تسوس العالم والحوادث الطبيعية لا يمكن ان توجد بدونه

فالتجربة التي تسمح لنا بالتعمق اكثر فاكثر في معرفة هذه الشرائع والحوادث تزيد هذه الحقيقة استيلاء على افكارنا . ولهذا ترى المذهب الوضعي الذي لا يريد ان يقر بعجزه يقتصر على تدوين الاسباب بقطع النظر عن المسببات . وذلك باخراجه من مداركه « اعتبار مصدر الاشياء واصل العالم ومصيره »

فهل يقدر العقل البشري ان يقبل لمسالتنا الكبرى حلاً ناقصاً كهذا ؟ وهل يرضى بترك هذه المسالة التي شغلته منذ ابتداء الاجيال والتي اثار الحروب للانتصار عليها

كلاّ ثم كلاّ . ان العقل البشري لا يمكنه ترك حل هذه المسالة ولو كان ذلك في امكانه لفعل من امد بعيد . وكذلك لا يرضى لها حلاً ناقصاً . وهاك ما يقوله باستور في هذا المعنى :

اللانهاية

« ان اكبر خلل ظاهر في هذا المذهب — أي المذهب الوضعي — هو اهماله اهم المسائل الوضعية وهي مسالة : اللانهاية

« ماذا يوجد وراء هذه القبة ذات الكواكب والنجوم ؟ سموات جديدة ذات كواكب ونجوم . حسناً ووراء هـذه ؟ وهكذا لا يكف العقل البشري مدفوعاً بقوة لا تقهر عن التساؤل : ماذا يوجد وراء ذلك ؟ وهو لا يقف مهما طال به الزمان و بعدت المسافة لان النقطة التي يقف امامها ليست سوى عظمة متناهية . نعم انها اكبر واعظم من كل ما تقدمها ولكنه لا يكاد يقف تجاهها حتى يعود اليه السؤال الذي ارمه والذي لا يمكنه السكوت عنه

« ولا فائدة من الجواب : وراء ذلك فضاء أو عظمة لاحد لها . اذ ليس من يفهم هذه الكلمات . وعليه يجب ان نهتف بأعلى صوتنا مقرين بوجود اللانهاية . والذي يقرّ بهذا الوجود — ومن ذا الذي يقدران يفرّ من هذا الاقرار — يجمع في اقراره من خوارق الطبيعة ما يفوق مجموع العجائب في الاديان كلها . ومتى استولى هذا الفكر على عقولنا ما علينا الا ان نخرّ له سجّدا

« وفي اثناء هذه الشدة المؤلمة يجب ان نطلب نعمة لعقولنا . لان لوالب الحياة العقلية تهددنا بالاسترخاء . وكلٌ منا يشعر انه يكاد يمسه جنون باسكال السامي

« وفكر اللانهاية — واري كل شيء في العالم ينطق بهِ — يجعل خارق الطبيعة في اعماق القلوب كلها . وتصوُّر الباري تعالى هو ضرب من تصور اللانهاية . وما دام سرّ الغير المتناهي ضاغطاً على الفكر البشري فتشاد الهياكل لعبادة « اللانهاية » وسيان دعي برهما او الله اويهوه او يسوع . وترون الناس راكعين على بلاط هذه الهياكل غارقين في لجة الافتكار بالغير المتناهي . والنظريات انما تترجم في داخلنا عن فكر اللانهاية المتسلط

أوليس التصور هو ايضاً القوة المنعكسة عن الغير المتناهي . والتي تدفعنا بحضور الجمال

السل

وعلاجه الناجع — الطعام والهواء

لم يبق سبيل للشك ان كل انسان قابل للاصابة بالسل اذا توفرت فيه الاسباب المساعدة على ظهوره وانهُ ينتقل بالعدوى لا بالوراثة وانما يرث الاولاد الاستعداد لهُ . وان العقاقير الطبية لا تفيد شيئًا في معالجته وانما علاجه الوحيد الغذاء الجيد والهواء النقي والنوم الهادئ المنيء في الهواء المطلق والراحة البدنية والعقلية وكل مايساعد على تقوية الصحة العمومية — هذا ما تقرر نفعهُ في معالجة هذا الداء الذي اصبح عالة على كاهل الانسانية وهو يهددها بخطر عظيم

ومع خطارته وسوء عواقبه فتجنب الوقوع فيه هيّن وانما يحتاج الى تعقل وانتباه اذ هو لا يأتي فجأة بل تتقدمه اعراض ضعفية أو نزلات صدرية اذا انتبه لها الانسان وعالجها سلم من خطر عواقبها . ويجدر الانتباه الى ذلك على الخصوص بالمعرضين للسل من ضعف وراثي او اكتسابي لسبب من الاسباب — فهؤلاء اذا اصاب احدهم السعال او انتابه مرض مضعف فلا يهملهُ وليحذر من اسباب الزكام ونحوهِ مما يصيب الصدر واذا اصابته بحة تجاوز بقاؤها بضعة ايام فعليه بالطبيب يفحص حلقهُ فحصًا طبيًا . اذ كثيرًا ما تنتهي هذه البحة بالسل الحلقي . واذا شعر بسخونة في اثناء النهار مهما يكن من خفتها فينبغي الانتباه اليها وتدارك امرها على يد الطبيب . وبالجملة اذا تيقظ النحيف او غيره من المعرضين لهذا الداء ندر ان يصابوا به .

على ان الاصابة اذا كانت في أوائلها وعولجت بالعلاج الحقيقي شفيت على الغالب . وما هو العلاج الحقيقي ؟ — انما هو الغذاء والهواء والراحة في اليقظة والمنام — ولهذا السبب اهتم اهل اوربا بانشاء المستشفيات الخاصة بالسل و يسمونها المصاح Sanitarium يختارون لها مواقع صحية في بقاع نقية الجوّ معتدلة الطقس يقيمون فيها ابنيـة مطلقة الهواء على شكل صحي و يطعمون المرضى اطعمة كثيرة الغذاء سهلة الهضم و يشيرون عليهم بضروب من الرياضة البدنية تلائم اجسامهم وامزجتهم وسائر احوالهم — هـذا هو العلاج الشافي من السل على ما بلغ اليه جهد الاطباء حتى الآن . اما ما اذاعه الدكتور بهرين عن اكتشافه

لمعالجة السل او منعه فلا يزال في حيز القوة وتحت التجربة ومتى صحت النتيجة ينتفع الناس بها

اما الآن فخدمة الانسانية من اهل اليسار قد وجهوا عنايتهم الى الاحسان في هذا السبيل فيبنون الملاجيء الصحية لمعالجة السل او التدرن على الكيفية التي ذكرناها في من يصابون به من الفقراء رفقاً بحياتهم وتجنباً لنشر العدوى في سواهم . اما الاغنياء فالخطر من نقل العدوى على ايديهم قليل لانهم يجرون غالباً على مشورة الاطباء الماهرين واحوالهم تساعدهم على ذلك

الملجأ الصحي اللبناني

وانشاء المستشفيات او المصاح لمعالجة السل او التدرن على الخصوص لا تزال قليلة حتى في اوربا لانها من الترتيبات الصحية الحديثة فلا لوم علينا اذا كنا لم ننشئ منها شيئاً بين اظهرنا حتى الآن . على ان جماعة من وجهاء سوريا شعروا بهذه الحاجة فتكاتفوا على انشاء ملجأ صحي لهذا الداء في لبنان وشكلوا لجنتين من اهل الوجاهة والغيرة والنشاط نذكر اسماءهم اقراراً بفضلهم وهم :

١ — العمدة العاملة — جرجي افندي ديمتري سرسق . قسطنطين افندي الخوري . الدكتور بشاره منسى . الدكتور اسكندر بك البارودي . فارس افندي مشرق . ميشال بك ابراهيم سرسق (اميناً للصندوق) حليم افندي غرزوزي (كاتباً للملجأ)

٢ — لجنة المستشارين — ندره بك المطران . محمد افندي ابي عز الدين . داود افندي نحول . احمد بك نامي . لطف الله افندي منسي . الدكتور سليم بك الجلخ

وقد انتخبت هاتان اللجنتان من اعضائهما ومن سواهم لجنة سموها لجنة الامناء وهذه اسماء اعضائها : الخواجا ثيوفلوس فالدمير . اسبر افندي شقير . ميشال بك سرسق . الدكتور بشاره منسي . الدكتور ماري بيرسن ادي . الدكتور اسكندر بك البارودي

فاذا توفق هؤلاء الافاضل الى اتمام هذا المشروع كانوا اول من فعل ذلك في الشرق وهي خدمة لا يقتصر نفعها على السوريين بل هو يشمل سائر اهل المشرق ولا سيا جيرانهم سكان وادي النيل لانهم اقرب المشارقة اليهم وقد تعوّد وجهاؤهم الاصطياف على ربى ذلك الجبل السعيد . فنستحث اهل اليسار منهم على الاشتراك في هذا العمل الخيري العائد نفعه على القطرين والله لا يضيع اجر المحسنين

وقد نشرت العمدة منشوراً عمومياً بينوا فيه مشروعهم والغرض منه واستحثوا اهل

الاريحية على الاشتراك فيه وهذا نصه :

« اما بعد فلما كنا في احتياج كلي لانشاء مستشفى في لبنان للمصابين بالعلل الدرنية على النمط الحديث لاجل دفع اذاها عن المستعدين لها ومعالجتها في المصابين بها الذين يرجى شفاؤهم بالتدبير الصحي والتدريب المعيشي في الهواء النقي والشمس المشرقة الامر الذي تدعو اليه الحاجة في هذه البلاد التي انتشرت فيها الاسقام المشار اليها وتهددت الكثيرين فيها واصبحت العناية بذلك من اهم الواجبات تألفت لجنة من الاشخاص المدوّنة اسماؤهم واخذت على نفسها القيام بذلك فتقرر لدى اللجنة المذكورة الشروع بالتدابير العاجلة لاتمام هذا الامر الخطير الذي يعتبر خدمة جلى للانسانية والصحة العمومية . فغدا من الواجب على كل اريحي يحب الخير ان يعضد هذا المشروع ويمدّ يد الجود والسخاء اليه ويساعد على ابرازه الى حيز الوجود . وعليه ارتأت اللجنة العاملة المنتخبة للقيام به ان تعرض على المحسنين من جميع الطوائف اكتتاباً عمومياً راجين من كل منهم ان يبين القيمة التي يود التبرع بها وله الاجر عند الله تعالى الذي أمر بعمل الخير والاحسان مع بني الانسان على اختلاف المذاهب والاديان

« وقد عُرض مجاناً من احد اعضاء العمدة لاجل مستشفى التدرن ارض فسيحة علوها عن سطح البحر نحو الف وخمسمائة قدم بين قصبة برمانا وبيروت مساحتها نحو عشرين الف متر مربع كثيرة الحجارة الكلسية جميلة المنظر جيدة التربة نقية الهواء . واخرى من احد الوجهاء المحسنين في ناحية جمهور بجوار محطة السكة الحديدية في موقع كثير الاحراش والشمس نقي الهواء صافي الماء مساحته عشرون الف دراع مربع

« اما تعيين الموقع الاوفق للعلل الدرنية فسيناط باللجنة خصوصية . على انه يلزم لبناء المستشفى على النمط الحديث نحو الف وخمسمائة ليرة عثمانية ولادارته الطبية مائتا ليرة ولمصروف سنوي لاربعة وعشرين شخصاً خمسمائة ليرة فيكون مجموع ما يلزم بادىء بدء للقيام بمشروع المستشفى الفين وخمسمائة ليرة عثمانية » اه .

وقد قدرت اللجنة اقل مبلغ لهذا المشروع تسبيلاً لاخراجه الى حيز الفعل — فمن اراد الاشتراك بهذا العمل الخيري فليخابر امين صندوق العمدة في بيروت حضرة ميشال بك ابراهيم سرسق

تاريخ الطعام

(القاهرة) محمد افندي مصطفى الحسيني

قرأنا في مقالة « هل نذبح لنأكل » المفيدة ان الانسان في اصل فطرته من اكلة الاثمار وانه انما خرج عن طبيعته بتناول اللحوم ونحوها فكيف تأتّى له هذا الخروج وما الذي بعثه عليه ومن علمه الخبز والطبخ

(الهلال) ان الجواب على سؤالكم يقتضي النظر في تاريخ الانسان في ادواره الاولى قبل زمن التاريخ بالقياس على ما هو معلوم من قواعد العمران وما نراه من حال الامم المتوحشة حتى الآن • والانسان لم يغادر نوعاً من انواع الطعام الا تناوله نباتياً كان او حيوانياً فهو يأكل الاعشاب والاثمار وسائر انواع النبات ويتناول لحوم اكثر اجناس الحيوان من الاسماك والطيور والدبابات والهوام ولم يغادر نوعاً من السوائل الغذائية الا شربه فهو يشرب الماء والعسل واللبن والخمر على انواعها ويشرب عصير الاثمار وكثيراً من مركباتها ويتناول كل ذلك ناضجاً او غير ناضج مطبوخاً او نيئاً حارًّا او بارداً فقد شارك الحيوانات المفترسة والداجنة من اكلة اللحوم واكلة النبات ويكاد يشارك النبات في غذائه

على ان ذلك ليس فطرياً فيه وانما سيق اليه بطبيعة عمرانه وما اقتضته بثاته من التوسع في الحضارة والانغماس في الترف والاكثار من انواع الاطعمة والاشربة • اما من حيث فطرته فهو من اكلة النبات او انه من طبيعته قادر على تناول الغذائين • ولكن الغالب انه لم يتناول في اوّل ادوار وجوده الا النبات فبدأ بالاعشاب يأكلها اقتداء بأكلة الاعشاب ثم تدرّج الى الاثمار يتناولها من الاشجار المرتفعة • والنصوص الدينية تؤيد هذا القول ففي سفر التكوين قال الله لآدم « من جميع شجر الجنة تأكل الخ » ولم يرد ذكر اكل الحيوان الا على اثر حكاية الطوفان بعد ان بارك الله نوحاً وبنيه حيث قال لهم « وكل حي يدب يكون لكم مأكلاً وكبقول العشب اعطيتكم الكل » كأنه يشير الى انه اذن لهم اوّلاً بأكل العشب فقط وقد اذن لهم الآن بأكل اللحوم على ان ذلك لا يدل دلالة قاطعة على ان الانسان لم يتناول لحماً قبل الطوفان وانما اوردنا هاتين الآيتين تأييداً لقول اهل العلم وتوفيقاً بين النصوص الدينية والحقائق العلمية

فالانسان اكل العشب اولا ثم الثمر لاستغنائه في ذلك عن الادوات والعدد او السعي والمشقة فكان اذا استظل بفيء شجرة تناول ثمرها طعاماً واتخذ هيكلها ملجأ وحصناً وخاط اوراقها كساءً واستخدم اغصانها سلاحاً يدفع بها عنه غائلة الوحوش الضارية

ويمتاز الانسان عن سائر انواع الحيوان بقواه العاقلة المساعدة له في اختراع الطرق للدفاع عن نفسه او السعي وراء رزقه . فبعد ان عاش ادهاراً يقتات على الاعشاب حدثته نفسه ان يتناول الحيوان طعاماً اقتداء بالحيوان المفترس وجره ذلك الى اختراع الادوات القاتلة وابسط تلك الادوات الاحجار والعصي فكان اذا اراد حيواناً رماه بحجر او ضربه بهراوة فيقتله ثم يعمد الى لحمه فينهشه نيئاً كما تفعل الوحوش والغالب انه أكل من انواع الحيوان اولاً الاسماك كان يلتقطها عن ضفاف الانهر أو شواطيء البحور فيقطعها بأحجار محددة ثم تفنن في نصب الشراك ورمي النبال واقتناء الحيوانات الداجنة ومعالجة لحومها على النار وفي تناولها شياً وطبخاً مع النبات او بدونه ولا غنى له في كل ذلك عن النار

على انه لما تيسر له اشعال النار استخدمها للتدفئة والانارة ثم طبخ بها طعامه واقدم انواع الطبخ الشواء بان تلقى قطع اللحم او السمك على النار مباشرة او على احجار محماة او ان توضع في جلد وتطمر في تراب محمى او غير ذلك من اساليب الطبخ وعلى هذا المبدإ اخترعوا الافران واهتدوا الى طرق السلق والقلي . وكأن الانسان لم يكتف بتقليد الحيوانات الكاسرة في قتل الاحياء واكل لحومها وشرب دمائها حتى زاد عليها ان يقليها على النار أو يشويها

ومن اهم الادوار التي مرَّ بها الطعام في تاريخه اختراع الخبز وهو ايضاً قديم جداً لا يدرك اوله والانسان لم يهتد الى طحن القمح وعجنه وتخميره وخبزه مرة واحدة او في وقت واحد والغالب انه اكتشف اولاً ان القمح اذا بلَّ في الماء ثم عولج بالنار صار لدناً لذيذاً سهل التناول كثير الغذاء فاستخدمه على هذه الكيفية اجيالاً ثم تدرَّج الى طحن الحنطة بين حجرين حتى اتصل الى عجنه وخبزه ارغفة واخيراً اهتدى الى تخميره على ما هو عليه الآن . على انه لم يصطنع الخبز من الحنطة فقط بل اصطنعه من الشعير والكرسنة والذرة وحبوب اخرى . اما كيفية اهتدائه الى كل من هذه الدرجات بالتفصيل والاسباب التي حملته على اكتشافها كل ذلك من الامور الغامضة التي لا يرجى الاهتداء اليها

فأهمُّ الدرجات التي تدرَّج فيها الانسان بطعامه من اوَّل ازمانه الى الآن خمس

(١) تناول الشعب (٢) تناول الاثمار . و بين هاتين الدرجتين مسافة قصيرة وقد تختلطان (٣) تناول اللحوم نيئة (٤) طبخها بالنار (٥) اختراع الخبز . واخذ من ثم يتوسع في اساليب الطبخ والعجن و يتفنن في انواع المأكولات ثم تفرعت تلك التفننات وتعددت بتعدد الامم واختلاف احوالها حتى بلغت ما هي عليه الآن . على ان تلك الاختلافات ترجع الى مبدأ واحد هو الاغتذاء باللحوم والحبوب وانواع الخضرة ومهما اختلفت اساليب صناعة الطبخ فكلها راجع الى انضاج اللحم بالطبخ اما على حدة او مع بعض انواع الخضرة والحبوب او ما شاكل ذلك . و يجدر بنا في هذا المقام ان نأتي على عوائد اشهر الامم القديمة في طعامهم وشرابهم :

كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس او منقوعاً في الماء الملح و يتعاطون كثيراً من اللحوم نيئة كالسلوى والبط و بعض انواع الطيور بعد تمليحها و بعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحرارة الشمس فقط

وكانوا يتناولون طعامهم على انغام الموسيقى ويجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل اجساماً محنطة كانهم يريدون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير اصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل . وقد يطوفون بتمثال جثة محنطة حول المنزل وهم يغنون الاغاني و يقولون « كل واشرب وتمتع بملاذ الدنيا قبل ان يدركك الموت » . وكانوا يبسطون موائدهم على الطرق قال هيرودوتس « لانهم يحتجون عن ذلك بان الامور المعيبة اذا كان لابد من عملها فلتعمل سراً اما غير المعيبة فجهاراً » ومما ذكره هذا الرحالة الشهير وقد زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد قوله وقد اراد المقابلة بين عوائد المصريين وعوائد الامم المعاصرة لهم « وسائر الامم يأكلون في محل لا تكون فيه بهائمهم واما المصريون فيأكلون مع بهائمهم . وفي كل البلاد يقتات الناس بالحنطة والشعير واما في مصر فالذي يأكلها يحسب نجساً وهم يأكلون الحنطة الحمراء (الحندقوقى) و يعجنون الدقيق بارجلهم لكنهم يرفعون الوحل والزبل بايديهم » ثم تكلم عن طعام الكهنة فقال « ولكل منهم نصيب خاص من اللحم المطبوخ المقدس وكل يوم يوزعون عليهم كميات كثيرة من لحم البقر والاوز وكانوا يعطونهم من الخمور خمر العنب ولكن لا يسمح لهم ان يأكلوا السمك والمصريون لا يزرعون الفول في ارضهم واذا ورد منه شيء من الخارج لا يأكلونه نيئاً ولا مطبوخاً والكهنة لا يطيقون ان يروه لانهم يعتقدون انه بقل نجس »

والبابليون ومن قطن بين النهرين كانوا كالمصريين في الاكثار من اكل الاسماك

ولكنهم كانوا يزيدون على المصريين انهم يجففون السمك جيداً و يدقونه بالهاون ثم ينخلونه بقماش ناعم و يصنعونه اقراصاً و يخبزونه كالخبز و يتناولونه

والفرس كانوا يأكلون قليلاً من اللحم و يتناولون الاثمار كميات قليلة على دفعات متعددة وكان من امثالهم «ان الاغريقي (اليوناني) يأكل ليسد جوعه لانه لو قدم له ما طاب أكله بعد الطعام وقد انقطع عن الاكل لأكله» وكانوا يكثرون من شرب الخمر

وكان اليونان في اقدم ازمانهم يقتاتون على ثمر الارض و يشربون الماء القراح ولم يعتادوا تناول اللحوم الا في اوائل تمدنهم ثم اخذوا يتوسعون في الترف والتأنق بتوسع سلطانهم وانتشار نفوذهم . على ان كثيرين من فقرائهم كانوا يقتاتون على الجنادب والفراش واطراف اوراق الشجر . اما اغنياؤهم فكانوا منغمسين في الترف مكثرين من تناول اللحوم

وهكذا كان الرومانيون في اول ايامهم فانهم كانوا يقتاتون على ألبان الماشية والبقول ونوع من الحلوى يصنعونه من الدقيق والماء فلما قامت دولتهم واتسعت سطوتهم تأنقوا في المآكل والمشارب واكثروا من اكل اللحوم وانواع المطبوخات والمعجونات وبالغوا في ايام جمهوريتهم في الاكثار من اكل الطيور وكان بعض اغنيائهم وولاة امورهم لا يرضون بالمائدة الا اذا كان عليها كثير من رؤوس الببغاء وادمغة بعض الطيور الصغيرة النادرة الوجود

وكان العرب في جاهليتهم على جانب من شظف العيش لمحولة بلادهم وقد ذكر ابن خلدون ان مضر كانوا يأكلون العقارب والخنافس و يفاخرون بأكل العلهز وهو وبر الابل كانوا يموهونه بالحجارة و يطبخونه في الدم . اما طعامهم الاعتيادي بالاجمال فهو اللبن والتمر وبعض انواع الحبوب وكثيراً ما كانوا يطبخون دقيق الحنطة او الذرة باللبن أو اللحم او ما شاكل فيصطنعون من ذلك انواعاً من الاطعمة تعد عندهم بالعشرات وأنواع الحلوى تصنع عادة من الدقيق والعسل أو السمن والعسل أو الحليب والسمن والعسل او ما شاكل ذلك (راجع الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي)

بطهران . وكذلك « فتاة غسان » فانها فضلاً عن الترجمة المنتشرة في (جريدة الحديد قد ترجمت ايضاً ترجمة أخرى وهي تطبع بالحروف في طهران ورأيت بعض اجزائها المطبوعة ايام اقامتي هناك واظنها قد تمَّ طبعها حتى الآن . هذا ما وصل اليَّ خبره فبعد وصولي الى تبريز ارسل اليكم من الترجمات المذكورة . وفي طيه ملزمة واحدة من ترجمة ابي مسلم الخراساني . اما مترجمو هذه الكتب فلا أعلم من هم بعد فاذا وصل اليَّ خبر من ذلك اكتب به اليكم » اه

وقد اطلعنا على الملزمة التي أشار اليها طي كتابه وهي الاولى من ترجمة « ابي مسلم الخراساني » فاذا هي غفل من اسم المؤلف واسم المترجم جميعاً . وقد تُرجم من روايات تاريخ الاسلام الى الفارسية حتى الآن سبع روايات او ٨ فالتي لم يذكر عليها اسم المؤلف ولا المترجم مما وقع تحت نظرنا منها ارمانوسة المصرية وفتح الاندلس وابو مسلم الخراساني . ولا ندري الباعث على ذلك الاغفال مع ان ذكر اسم المؤلف حقٌّ لا نزاع فيه بوجه من اوجه الشرع ولا يترتب من ذكره ضررٌ فالامل ممن يقدمون على ترجمة غيرها من كتبنا ان يلاحظوا ذلك ويعملوا به

مطبوعات جديدة

﴿ دليل لبنان ﴾ هو كتاب كبير في ٨٠٠ صفحة وزهاء ٢٠,٠٠٠ فائدة في الادب والتاريخ والادارة والسياسة والصحة والطب والتجارة والصناعة والحساب وغير ذلك مما يفتقر الى معرفته التاجر والصانع والغني والفقير والعالم والاديب والرجل والمرأة . وفي جملته نظام جبل لبنان واسماء متصرفيه وسائر موظفيه الملكيين والعسكريين في كل جهاته . وجرائد لبنان ومطابعه ومدارسه ومستشفياته وكهنته واعيانه على اختلاف طبقاتهم وأدياره وسهوله وتربته ومعادنه وحيواناته وصنائعه بالتفصيل . وفيه فوائد منزلية ومطبخية وكل شيء مما يفوق الحصر وبينها فوائد ثمينة لا يعرف قيمتها الا من احتاج الى مثلها ولم يجد مايسد حاجته . والكتاب تأليف رصيفنا ابراهيم بك الاسود صاحب جريدة لبنان فنثني على ما بذله في سبيل هذه الخدمة . وهو يطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة خمسة فرنكات غير اجرة البريد

﴿ بحر الآداب ﴾ صدرت الطبعة الرابعة من الجزء الثالث من هذا الكتاب المفيد لمؤلفه الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير بمصر وهو كتاب مدرسي نفيس . ويقسم هذا الجزء الى خمسة ابواب وخاتمة . الباب الاول في الدين والزهد والثاني في مواضيع تهذيبية فكاهية كالشعر والادب ونحوها والثالث في آداب السلوك وشروطها من حيث التعارف والنظافة واللباس والزيارة وغيرها . والرابع في الرسائل والمخابرات على اختلاف مواضيعها وأساليبها والخامس في الحكايات المثلية ولا سيما ما أخذ عن كليلة ودمنة وقد جعل في ذيول الصفحات شروحاً وتعاليق تسهل على التلامذة فهمها . وللاخ بلاج عناية كبرى في تأليف الكتب المدرسية على اسلوب سهل المأخذ جزيل الفائدة . وفي طبع هذا الكتاب اربع مرات متوالية شاهدٌ كاف على انه من خيرة الكتب التعليمية جزاه الله خيراً

﴿ سقوط نابوليون الثالث ﴾ اهدانا حضرة رصيفنا خليل بك صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب نسخة من رواية سقوط نابوليون الثالث في ثلاثة مجلدات . وهي تأليف أميل جابوريو الكاتب الفرنساوي وقد نقلها الى العربية نقولا افندي رزق الله مدير ادارة جريدتي الاهرام والبراميد . والرواية تاريخية اجتماعية تشرح سقوط نابوليون الثالث بعد الحرب السبعينية المشهورة على اسلوب كثير التشويق حتى لا يستطيع المطالع اطباق الكتاب ما لم يأتِ على آخره الا اذا كلَّ بصرهُ من المطالعة فيضع الكتاب من يده ونفسهُ تشتاق الى اتمامه . ومما لاحظناه في تعريب هذه الرواية ان عبارتها رشيقة واضحة خالصة من شوائب العجمة مع انطباقها على الاصل المنقولة عنه — وهذا نادر في ما يترجمهُ ادباؤنا . ولا غرو فان معرّبها من نخبة ارباب الاقلام نظماً ونثراً . ونثني على رصيفنا صادق بك لما يبذله في خدمة الادب بما ينشره في مجلته مسامرات الشعب من الروايات الادبية التهذيبية الخالية مما يخجل العذراء فضلاً عما ينشره منها على حدة مثل الرواية التي نحن في صددها وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن الثلاثة الاجزاء معاً ثلاثون غرشاً واجرة البريد خمسة غروش

مدرسة مار يوسف المارونية بمصر

اتتنا لائحة هذه المدرسة وفيها بيان الغاية والخطة والقوانين المتبعة فيها مدبجة بيراع حضرة مديرها الخوري بولس قرألي . ويؤخذ من مطالعة هذه اللائحة ان مدة التعليم في المدرسة المذكورة خمس سنوات فقط تعلم فيها اللغات العربية والفرنساوية والانكليزية والحساب والتاريخ والجغرافيا والخطوط العربية والافرنجية والآداب الاجتماعية . وتمتاز عن سواها من المدارس المصرية في امور هامة كشرح قواعد اللغات الاجنبية باللغة العربية والعناية على الخصوص بتعليم الترجمة من الانكليزية والفرنساوية الى العربية وبالعكس مع ما يقتضيه ذلك من معرفة المصطلحات التجارية والادارية وغيرها . وتمرين التلامذة على الانشاء العربي وتعليمهم تاريخ اللغة وآدابها وكتابها . وتمرنهم في السنة الاخيرة من المدة المدرسية على اشغال التجارة والزراعة والدواوين والبنوك والمحاكم وتعليمهم المصطلحات اللازمة فيها . وقد فتحت ابوابها للطلبة في اول سبتمبر الماضي فكان الاقبال عليها عظيماً . ونظراً لما نعهده في مديرها من النشاط والمهارة في ادارة التعليم فاننا نرجو لها مستقبلاً مجيداً

رواية الامين والمأمون

هذا هو اسم الرواية التي سننشرها تباعاً مع اهلة هذه السنة وموضوعها الاختلافات السياسية بين الامين والمامون بعد موت ابيهما الرشيد اوهو نزاع بين العرب والفرس أو السنة والشيعة وله اهمية كبرى في تاريخ الاسلام مع وصف عادات ذلك العصر واخلاق أهله حتى ينقضي ذلك النزاع بقتل الامين وتولي المأمون .

السنة الخامسة عشرة

دخل الهلال في سنته الخامسة عشرة وهو دائب في خدمة مشتركيه وقرائه بما يبلغ اليه الامكان من اختيار المواضيع الجامعة بين اللذة والفائدة في الادب والتاريخ والاجتماع والعمران والصحة مما نرى منه فائدة مع ملاحظة ماجريات الاحوال . فنحمد الله على ذلك ونرجو أن يأخذ بيدنا للقيام بما نتوخاه من الخدمة العامة . ونظراً لانتهاء تاريخ التمدن الاسلامي في السنة الماضية فسننظر في كتاب نجعله ملحقاً لهذه السنة ونعلن عنه في حينه



الجزء الثاني من السنة الخامسة عشرة

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٦ و ١٤ رمضان سنة ١٣٢٤ ر



المدرسة الكلية المصرية

او الجامعة المصرية

ترجمنا في السنة السابعة من الهلال رجل الهند وركن نهضتها العلمية الاخيرة السيد احمد خان مؤسس « كلية علي كده » وبينّا الكيفية التي أسس بها تلك المدرسة وما قاساه في سبيل ذلك من المشقة والمقاومة . وعدنا في الجزء التاسع من السنة الثامنة اي منذ سبع سنوات الى ذكر اللجنة التي تألفت لاحياء ذكره بأثر يقيمونه له اقراراً بفضله في انشاء تلك الكلية واستطردنا الكلام هناك الى ما نحن فيه من الافتقار الى مدرسة كلية مصرية وهذا بعض قولنا يومئذ : —

حاجتنا الى مدرسة كلية عالية

« نحن في حاجة الى مدرسة كلية تعلم العلوم العالية يتولى امرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة في الاعتماد على النفس والاقدام وحرية الفكر والقول ومعرفة الحقوق والواجبات . فاذا خرج التلامذة منها انشأ بعضهم المدارس في البلدان والقرى يبثون تلك الروح في ابنائها ويبثها الآخرون في رفاقهم بالاسواق والجمعيات والدواوين وفي المجالس العمومية والخصوصية

« نرى الجرائد الوطنية تبحث في السبيل المؤدي الى الحرية او الاستقلال او جمع كلمة المسلمين او اتحاد المصريين او غير ذلك من عوامل المدنية · فمن قائل ان نعقد مؤتمرًا في الاستانة ومشير بعقده في مكة وقائل بل نرفع امرنا الى الباب العالي وآخر نرفعه الى فرنسا او روسيا او دولة أخرى من دول أوربا وقال غيرهم غير ذلك · وعندنا ان مساعيهم في هذا السبيل ذاهبة ادراج الرياح ان لم يعلّموا الشعب اولاً معنى الحرية او الجامعة او الاستقلال حتى اذا دعوهم الى واحدة منها ادركوا المراد من تلك الدعوة ، لا ننكر ان بين الداعين جماعة اخلصوا الخدمة وهم من الادباء المستنيرين بالعلم والمتخرجين في المدارس العالية · ولكنهم يظنون عامة الشعب مثلهم · ان العامة حتى في اوربا يعدون جهلاء فكيف عندنا ونحن لا نزال نطلّ على التمدن من النوافذ والكوى

« هب ايها الداعي الى الاستقلال انك تدعو مجيبًا فالا يسر لك ان يكون مجيبك عاقلاً مستنيرًا من ان يكون جاهلاً لا يفقه ما تدعوه اليه · واذا خفت اذا تعلّم ان لا يجيب دعوتك فهو انما يفعل ذلك عن روية ونظر فيجدر بك ان تعتبر بتقاعده وتستشيره في الامر

« فنتقدم الى الناشئة المصرية وفيهم نخبة الادباء والوجهاء اذا كانوا يحبون وطنهم وامتهم و يريدون بها خيرًا حقيقيًا لا وهميًا ان يتشبهوا بالسيد احمد خان فيوجهوا سعيهم الى خطة تؤدي الى السعادة الحقيقية وما سعادة الامم الاّ بالعلم

« وهل من دليل ادل من الواقع او من برهان اوضح من العيان · هذه امة الانكليز القائمة بين ظهرانينا وما فينا من ينكر عظمتها وسعة سلطانها وغناها ومجدها ولا ينكر احد انها نالت كل ذلك بالعلم والتربية »

الى ان قلنا : —

« ولكننا نعلم ان مثل هذه المشروعات لايقوم دخلها الخصوصي بالنفقة اللازمة لقيامها على النمط الذي نلتمسه ولذلك فان المدارس الكبرى التي نريد التشبه بها لم تقم الاّ باجراء الرزق عليها من الحكومات او بوقف الاموال الطائلة ثم ترد عليها الهبات من اهل اليسار فتضمّ الى رأس المال فيأمن سقوطها

« فالمشروع الذي نحن في صدده يحتاج الى لجنة تتشكل لهذه الغاية كما تشكلت لجنة اعانة جرحى اليونان ولجنة اعانة جرحى السودان وغيرهما · فنرغب الى الجرائد الوطنية ان تتضافر في استنهاض الهمم للوصول الى هذه الغاية · ومتى تشكلت اللجنة وأعلنت غرضها

تلاقي مساعدة كبرى من الوطنيين والاجانب ولا نشك ان الوكالة البريطانية نفسها تكون من اكبر المنشطين لها والله الموفق في كل حال » اه

هذا ما قلناه منذ سبع سنوات ولم تسنح لنا فرصة للعود الى هذا الموضوع الا اغتنمناها حتى اقترحنا في اول السنة الثانية عشرة من الهلال على المدرسة الكلية الاميركانية ان تنشئ لها فرعاً في مصر . وكان المرحوم المنشاوي في ابان احسانه وجوده فقال انه عازم على انشاء مدرسة كلية بمصر من ماله الخاص ولكن الاجل عاجله قبل اخراج قوله الى حيز العمل

نحتاج الى الكلية اكثر مما الى الكتاتيب

ولما نهض فضلاء المصريين في العام الماضي لانشاء الكتاتيب تباحث الكتاب على صفحات المؤيد في « اي انفع للقطر المصري في حالته الحاضرة الكتاتيب ام مدرسة كلية عالية » وقد فتح هذا البحث احمد افندي حافظ عوض احد محرري المنبر الآن وتجاولت فيه اقلام الكتاب فأنشأنا لذلك فصلاً في اول السنة الماضية من الهلال (صفحة ١٨) بينّا فيه اننا في حاجة في مدرسة كلية عالية اكثر مما الى الكتاتيب الصغرى وهذه خلاصة قولنا هناك : —

« اذا كان المراد بالتعليم مجرد تلقي العلوم والآداب كالنحو والحساب والتاريخ والجغرافية والهندسة والطب والفقه وغيرها ففي مصر مدارس كثيرة قلما ينقصها شيء من العلوم التي تعلم في اشهر مدارس اوربا — ولكن ذلك ليس كل المراد بالتعليم . اذ لا يكفي ان نعلم ابناءنا تلك المقتبسات العلمية لمجرد العلم بالشيء بل يجب ان نثقف عقولهم ونهذب نفوسهم . يجب ان نعلمهم معنى الوطن وكيف يتحدون وكيف يجتمعون وان نعودهم الاستقلال بالرأي ونعلمهم الحرية الشخصية حتى يمتاز المتعلم منهم عن غير المتعلم . لانك اذا مررت بقهوة او محل جعة او ملعب ورأيت الناس فيه افواجاً مااستطعت التمييز بين المتعلمين منهم وغير المتعلمين كأن المدارس عندهم ليست الا لتلقي العلوم فاذا فرغوا منها جاز لهم الجلوس في المنتديات العمومية ومعاقرة الخمرة ونحوها . وقد ترى الاستاذ وتلميذه جالسين معاً يعاقران و يتهاجنان على قارعة الطريق . فمثل هذه المدارس قد تثقف العقول ولكنها لا تهذب النفوس ولا ترقي الاخلاق والمرء انما يعامل الناس بخلقه لا بعقله وعلى خلقه يتوقف مستقبله اكثر مما على ذكائه وحدة ذهنه . فكم من شبان كانوا نوابغ عصرهم بالذكاء وفاقوا اقرانهم في الدروس ونالوا الجوائز في الامتحان فلما دخلوا العالم تغير مستقبلهم فلم يستطيعوا الى الارتزاق سبيلاً الا من بعض ابوابه الضيقة و يغلب ان يكون السبب

في ذلك سوء اخلاقهم او فساد مبادئهم

« قال صاحب « سر تقدم الانكليز » ان سر تقدمهم الاعتماد على النفس والاقدام والثبات وقد حرض امته (فرنسا) على الاقتداء بالانكليز فما اجدرنا ان نقتدي بهم ونحن في حاجة الى هذه الفضائل وغيرها مما تتهذب به النفوس وتترقى الاذواق وكيف يتيسر ذلك وهو لا يوجد بين الاوراق ولا في المحابر او شقوق الاقلام الاّ اظلالاً خفيفة وانما هي تتجسم ويتضح شكلها الكامل في « القدوة » وليست القدوة بالامر الضعيف بل هي من اكبر عوامل الادبيات وبها ترتقي الشعوب وتتهذب الافراد . ولا تكاد تفحص سيرة رجل عظيم او امرأة فاضلة فحصاً تحليلياً الاّ رأيت للقدوة عملاً عظيماً في اسباب ارتقائهما — يكفيك دليلاً على ذلك فائدة التاريخ فانه انما يعلم رجال اليوم الاقتداء برجال الامس . ولو بحثت في سير الساسة وكبار القواد لرأيتهم كثيري العناية في مطالعة سير الذين سبقوهم من عظماء الرجال — كذلك كان يفعل معاوية بن ابي سفيان وابو جعفر المنصور و بونابرت ومحمد علي باشا وغيرهم

« والقدوة بالمطالعة ليست شيئاً بالنظر الى القدوة بالمعاشرة وخصوصاً معاشرة التلامذة اساتذتهم وهم ينظرون اليهم نظرهم الى مثال كامل فيقلدونهم بحركاتهم وسكناتهم فاذا كان الاستاذ فاسد الاخلاق او ضعيف المبادىء ساقط الهمة فسدت اخلاق التلامذة وساءت حالهم بل ساءت حال الامة بجملتها . واذا كان من اصحاب الآداب الصحيحة والهمة العالية نشأ التلامذة على تلك السجايا وكانوا قدوة حسنة لذويهم واصدقائهم فيعلو شأن الامة وترتقي آدابها و ينبغ فيها الكتاب ورجال الاعمال . وقد يكون الاستاذ الواحد علة في انتشال الامة من حضيض الخمول الى اعلى مدارج الارتقاء بما يغرسه في تلامذته من المبادىء الصحيحة و يبثه في نفوسهم من روح الحرية والاستقلال بالرأي والاقدام وعلو الهمة والاعتماد على النفس وحب الوطن ولا يكفي في تعليمهم ذلك مجرد القول بل لا بد من ان يبدأ الاستاذ بنفسه ليقتدوا به — وقد لا يرى الاستاذ حاجة الى القاء تلك المبادىء شفاها وفي سيره عليها اعظم مؤثر واكبر معلم

« لم يكن الاستاذ الاكبر الدكتور فانديك رحمه الله فرداً بعلمه الواسع فربما كان من طبقته في العلم في سوريا غير واحد ولعل بعضهم كان اوسع منه علماً في بعض الفروع ولكنه كان فرداً باخلاقه كان قدوة لتلامذته بحرية الضمير وعلو الهمة وحسن الخلق والاعتماد على النفس والثبات فغرس في الجيلين الاخيرين من اهل الشام همة ونشاطاً كانا

من جملة ما بعثهم على النهضة العربية الاخيرة هناك فنبغ منهم الكتّاب والمؤلفون وانشئت الجمعيات والمدارس والمستشفيات والجرائد وغيرها

« ولا كان المغفور له السيد جمال الدين الافغاني فرداً في علمه وفضله وبين معاصريه وسابقيه نخبة من فطاحل العلماء يشار اليهم بالبنان ولكن الابصار كانت شاخصة اليه والقلوب حائمة حوله فكان تلامذته ومريدوه يقلدونه في كل حركة او عمل او قول فاحدث في مصر نشأة جديدة فتسابق شبانها الى الخطابة والكتابة وتكاتفوا على انشاء الجمعيات واكبوا على المطالعة ونحو ذلك بما كان ينفثه فيهم عن طريق القدوة وهم لا يشعرون » الى ان قلنا : —

« فنحن في حاجة الى معلمين اكثر من حاجتنا الى مدارس . وانتقاء المعلمين امر ذو بال قلما يقدّره الناس قدره وخصوصاً في المدارس التي تنشأ على نفقة الحكومات لان اختيار المعلمين انما يجري فيها بطريقة ميكانيكية على رسوم معلومة شأن سائر مشروعات الحكومات بخلاف المشروعات التي يتولى شؤونها افراد من نوابغ الامة يجدون لذة في العمل وخصوصاً المدارس فان المعلم الذي يشتغل بالتعليم لمجرد رغبته في التعيش ولا يجد لذة في هذه الصناعة لا يكتسب منه التلميذ غير مبادئ العلم . واما اذا تولى التدريس رجال يجدون في التعليم لذة وقد تربوا وتثقفوا على الفضائل التي ذكرناها فانهم يكونون قدوة لتلامذتهم ويكون هؤلاء التلامذة قدوة لسائر افراد الامة

« فما هي الوسيلة الى معلمين من هذه الطبقة يكونون واسطة لبث مبادئ الاعتماد على النفس والاقدام والثبات في التلامذة فضلا عن العلم والادب ؟ هل يتيسر ذلك من زيادة المدارس الصغرى ام هو منوط بانشاء المدارس الكبرى مع انتقاء اساتذة توفرت فيهم الفضائل المشار اليها وقد تعلموا كيف يعلّمون . فالامة المصرية في حاجة الى المدارس الصغرى في القرى والبلاد الصغيرة ولكنها احوج الى مدرسة كبرى يخرج منها اساتذة يعرفون حاجة البلاد و يفقهون معنى العلم والتربية ويميزون بين تعليم العلوم وترقية النفوس فيتولون التعليم بالمدارس الصغري في اطراف البلاد و يبثون في الاهالي الروح التي اقتبسوها من تلك المدرسة العليا » اه

اقتراح الجامعة او الكلية المصرية

و يظهر ان الحالة ماسة الى مثل هذا المشروع والاذهان كانت مستعدة له فما لبثنا ان تلقينا في اول اكتوبر الماضي رسالة من حضرة مصطفى بك كامل الغمراوي احد اعيان بني

سوف يبعث مثلها الى سائر جرائد القطر اقترح فيها انشاء جامعة مصرية وافتتح الاكتتاب فيها بخمس مئة جنيه على الشروط الآتية :

اولا — ان لا تختص هذه الجامعة بجنس او دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم واديانهم فتكون واسطة للالفة بينهم

ثانياً — ان تكون ادارتها في السنين الاولى في ايدي جماعة ممن يصلحون لادارة مثل هذا المعهد العلمي الكبير وتثبت كفاءتهم للملاء

ثالثاً — ان يكتتب على الاقل الف من سكان مصر كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه ويجوز ان يزيد عن هذا المبلغ الى ما شاء كرم الواهب وحبه لوطنه والانسانية

رابعا — ان يقام بناء هذه المدرسة الجامعة في بقعة خلوية من اجمل بقع مصر على شاطىء النيل وتعمل لها حديقة من اجمل الحدائق وغير ذلك من الامور التي يقررها المكتتبون

ويقيني ان كل من في فؤاده ذرة من حب الوطن الحقيقي من الميسورين يجود بمائة جنيه واكثر لخير وطنه وخير اولاده ليتربوا في وطنهم التربية الحسنة ولكي نبرهن للامم الغربية ان فينا بعض الاستعداد والكفاءة

واملي ان جرائدنا تترك النزاع الشخصي وتنشىء المقالات الضافية في استنهاض الهمم لاتمام هذا المشروع العظيم

وفي الختام اقول اذا لم يجب هذا النداء الف من اغنياء مصر وهم الوف عديدة فلنخفي وجوهنا امام كل الامم ولنعترف باننا عاجزون عن مباراة الاجانب في مضمار الحياة الادبية والمادية

وها انا في انتظار ما يكون فلعل اغنياءنا يقبلون بكلياتهم على هذا المشروع المفيد لافرادهم وللامة حتى يكون ذكر من يشترك منهم في هذا العمل خالداً في سجلات كبار الرجال الذين كانت لهم الايدي البيضاء في ترقية اوطانهم ويبقى لهم بين الخلق اثر جميل لا يمحى » اه (الامضاء)

اللجنة التحضيرية لمشروع الجامعة المصرية

فتلقت الجرائد هذا المنشور بالترحاب واذاعته وعلقت عليه الشروح واستنهضت همم اهل اليسار واستحثتهم على الاكتتاب فلم تعدم مجيباً من ذوي الاريحية ورافق البحث في في ذلك ضوضاء اختلط فيها القول واشتبهت الحقيقة فاجمع العقلاء على تشكيل لجنة تتولى النظر في هذا المشروع وجمع الاكتتابات . فاجتمع بضعة وعشرون رجلاً من اهل الدراية والغيرة في منزل حضرة سعد بك زغلول وتداولوا في الامر فقرروا ما يأتي : —

(اولاً) انتخاب لجنة تحضيرية مؤلفة من حضرات :

سعد بك زغلول وكيلاً للرئيس العام

قاسم بك امين سكرتير اللجنة

حسن بك سعيد وكيل البنك الالماني الشرقي اميناً للصندوق

وحضرات : محمد بك عثمان اباظه ومحمد بك راسم وحسن بك جمجوم وحسين باشا السيوفي وأخنوخ افندي فانوس وزكريا افندي نامق ومحمود بك الشيشيني ومصطفى بك كامل الغمراوي : اعضاء

(ثانياً) تأجيل انتخاب الرئيس العام للجلسة المقبلة

(ثالثاً) نشر الدعوة الآتية في جميع الصحف المحلية عربية وافرنكية

(رابعاً) الاجتماع مرة اخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس واعضاء اللجنة النهائية

(خامساً) هذه الجامعة تسمى (الجامعة المصرية)

واكتتب الحاضرون بما جادت به نفوسهم ونحن ناشرون اسماءهم تدويناً لفضلهم لانهم في مقدمة المكتتبين في هذا المشروع : —

جنيه مصري	
١٠٠	قاسم بك امين
١٠٠	خالد بك سعيد
٢٠٠	محمد بك فريد (سنوياً)
١٠٠	محمد بك سليمان اباظه
١٠٠	صادق بك اباظه
٢٠٠	حسين بك ابو حسين
٢٠٠	على بك فهمي
١٠٠	حنفي افندي ناجي
١٠٠	محمود بك الشيشيني
٢٠٠	محمود بك عثمان اباظه
٠١٥	حفني بك ناصف
١٠٠	عبد الله بك اباظه
٥٠٠	مصطفى بك كامل الغمراوي
١٠٠	زكريا افندي نامق و ٥٠ جنيه سنوياً

جنيه مصري	
١٠٠	الدكتور عبد الحليم افندي حلمي
١٠٠	منشاوي افندي سيد احمد
١٠٠	أخنوخ افندي فانوس
١٠٠	محمود بك حسيب
١٠٠	عبد العزيز بك فهمي
٠٥٠	حسن بك سعيد
٠٢٠	الشيخ عبد العزيز جاويش (سنويا)
٥٠٠	محمد بك راسم
١٠٠	سعد بك زغلول
١٠٠	محمد بك هاشم و ٢٥ جنيهاً سنوياً
١٠٠	محمد بك يوسف المحامي
١٠٠	احمد افندي رمزي المحامي
١,٠٠٠	حسن بك جمجوم
٤,٠٨٥	المجموع

اما الدعوة التي قرروا نشرها فهي بعد المقدمة :

« اولاً — ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح ابوابها لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

« ثانياً — ليس لهذه الجامعة صفة سياسية ولا علاقة برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على اي وجه من الوجوه

« ثالثاً — ان اشتمال الجامعة على درجات التعليم الثلاث العالي والتجهيزي والابتدائي وان كان من اقصى الرغائب التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلاً او آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليه غايتنا متعذر الآن لانه يكون مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالاً ونظامات لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن عمله وتقديم ما الحاجة اليه أشد من غيره

« نرى ان التعليم الابتدائي الثانوي والفني موجود الآن بمقدار ما يفي بحاجاتنا على قدر الامكان ويظهر انه يمكننا بدون أن نخشى ضرراً ان نؤجل الاشتغال بهذه الانواع الثلاثة من التعليم وأن نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه : دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم الكمال في أنواع ما يتلقون منها . دروس تؤخذ عن اساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي اوربا تحت ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من اهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بأن عدد هذه الدروس ومواضيعها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الايراد .

« رابعاً — يلزم ان يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون اسماءهم في دفاترها ويلازمون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها ويحصلون على شهاداتها وتكون لهذه الشهادات قيمة ادبية مع الامل ان الحكومة تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل . ومع ذلك فانه يباح لكل راغب في التعليم من غير هؤلاء التلامذة ان يحضر دروساً لها ليتفقه في العلم وليقتبس فيها ما يتمم به كماله العلمي

« خامساً — ان جمعية المكتتبين تنتخب لجنتين احداها فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بلوازم التعليم فيها . والاخرى لجمع الاكتتابات من المتبرعين

« هذا هو مشروع اول من اكتتبوا لتاسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم وقد يجده البعض كبيراً عليهم محفوفاً بكثير من الصعوبات التي اعتادت ان تقوم في وجه كل

مشروع فنقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء اننا سنسعى جهدنا لتحقيقه . واذا سعى كلٌّ سعينا فلا شك في نجاحه اذ لا سبيل للنجاح في مثل هذه المشروعات الا ان يتحد الكل ويعمل الكل . فكل يأس يدعو الى الخيبة وكل أمل يدعو الى النجاح . على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فاننا نرجو ان يوفق لاتمامه غيرنا ممن وهبهم الله همة أعلى وفكراً اسمى وحزماً اقوى واملاً اوسع

« وبعضهم وهم الاكثر يرونه مشروعنا جزئيًّا ليس له من الاهمية ما كانوا يؤملون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوته وان التدرج في الامور اقرب الى النجاح فيها من الطفرة والتأني في السير اضمن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع هالته فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان في قوتنا ان نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعاتنا وضعنا ايدينا في ايديهم وسرنا جميعاً متكاتفين الى تلك الغاية السامية » اه

ولما ذاع هذا المنشور بما فيه من التعقل والاعتدال اقبل الناس على الاكتتاب واصبحت الآمال عالقة انه لا يمضي زمن طويل حتى يجتمع من المال ما يكفي للشروع في العمل . ونظراً لقرب عهدنا من امثال هذا المشروع رأينا أن نبسط الكلام فيه من بعض وجوهه توطئة لما سيكون من شكله وكيفيته على ما يلائم حالنا ويسد حاجتنا فنقول :

الجامعة والكلية والفرق بينهما

نريد بالجامعة ما يريده الافرنج من University وبالكلية ما يريدونه من College والافظان يدلان في اصل وضعهما اللاتيني على معنى واحد يشبه قولنا جمعية او شركة . وكانوا اذا ارادوا التعبير باحدهما عن المدرسة اضافوا اليه لفظاً آخر يدلُّ على العلوم أو الفنون التي تدرس في تلك المدرسة كأن يقولوا مثلاً « جمعية التهذيب » او « شركة التعليم الفلاني » ثم استغنوا عن الاضافة فصاروا يدلون به وحده على اماكن التعليم فاذا قالوا Universitas ارادوا بها المدرسة الجامعة

والكلية احدث عهداً من الجامعة وكانوا يريدون بها جماعة من تلامذة الجامعة واساتذتها يقيمون معاً في بناء خاص يستقلون به عن سائر التلامذة بروابط فيما بينهم ويسمونه Collegium اذ لم يكن يشترط اقامة الطلبة في الجامعة نفسها بل حيث يطيب لهم المقام . ثم صارت الاقامة في المدرسة شرطاً من شروطها فالتلميذ الذي يتلقى العلم في جامعة لا بدَّ له من الاقامة في كلية من كلياتها ولا يقبل تلميذ في كلية ان لم يكن تلميذاً

لجامعتها • ومرّ على ذلك احوال وشؤون بتوالي القرون حتى اصبحت الكلية مدرسة عالية لفرع من فروع العلم والجامعة مؤلفة من عدة كليات

اول مدرسة جامعة في أوربا

كان العلم في اوربا قبل التمدن الحديث محصوراً في رجال الدين وكانت المدارس في الاديرة أو الكنائس كما كانت في اوائل الاسلام في المساجد والمعابد • ولكن المسلمين ما لبثوا ان تمدنوا حتى انشأوا المدارس المستقلة لتعليم العلوم الدينية واللغوية والطبية • واما الافرنج فكان تعليمهم في القرون المظلمة قاصراً على تلقي ما يحتاج اليه الرهبان او القسس ليحسنوا خدمة الرعايا في احوالهم الشخصيـة وشؤونهم الدينية • وظلّ القوم هناك غارقين في ابحر الغفلة لا شغل لهم الا الاختصام في الالفاظ والجدال على الاوهام حتى نهض العرب بالاسلام واكتسحوا ممالكهم من الجنوب والشرق فاهتزت ممالك اوربا لتلك الصدمة • وكانت دولاً صغرى قد تولاها الشقاق والخصام فلما احتكت بالمسلمين في الحرب او المراسلة او السفارة وشاهد اهلها ما انشأه المسلمون من المدنية في العراق والاندلس وما شادوه من معاهد العلم والفلسفة والطب عمدوا الى الاقتداء بهم فتلقوا العلم عنهم واخذوا يتحدّونهم في انشاء المدارس المستقلة • وترجموا كتبهم الفلسفية والطبية من العربية الى اللاتينية وهي لغة العلم يومئذ عندهم — شرعوا في ذلك من القرن العاشر للميلاد

واقدم المقلدين للمسلمين في هذا الشأن اقربهم اليهم واكثرهم احتكاكاً بهم في الاندلس وفرنسا وايطاليا • اما الاندلسيون والفرنساويون فقضوا معظم مدة الجوار بالهجوم والدفاع لاخراج المسلمين من بلادهم • واما الايطاليان فقلما شغلهم المسلمون بالحروب فكانوا البادئين بالاقتداء بهم واقتباس العلم عنهم

وكان العرب قد فتحوا صقلية (سيسيليا) في القرن التاسع للميلاد فحكموها قرناً وبعض القرن ونقلوا اليها علمهم وطبهم وفلسفتهم وكان الايطاليان يختلفون الى تلك الجزيرة يقتبسون علم المسلمين وادبهم • ثم أنشأوا لانفسهم في مدينة سالرنو مدرسة للطب واخذوا يعلمون بها في كتب اكثرها منقول عن العربية • ثم عرفت تلك المدرسة باسم جامعة سالرنو وهي اول جامعة انشئت في اوربا • ولم ينقض القرن الحادي عشر للميلاد حتى ذاعت شهرتها في اوربا واصبحت محط طلاب العلم والفلسفة فضلاً عن الطب

واقتدت بسالرنو مدن أخرى من ايطاليا فتأسست جامعة بولونيا سنة ١١١٣ م ثم جامعتا بادوا وبيزا وغار الفرنساويون فانشأوا جامعة باريس والانكليز فانشأوا جامعتي

اكسفورد وكمبردج وقس على ذلك سائر مدائن اوربا واميركا ٠ ولكلٍّ من الجامعات الكبرى تاريخ طويل ولاسيما جامعة باريس فقد تقلبت على احوال شتى لا محل لذكرها ٠ وانما يقال بالاجمال ان هذه الجامعات كانت ترتقي وتزداد علومها وتتعدد مواضيعها بتقدم العلم واتساع دائرة التمدن حتى اصبح عددها في أوربا وحدها نحو ١٤٠ جامعة على تفاوت في منزلتها وشهرتها ٠ وكل جامعة مؤلفة من عدة كليات تعلم كل منها علماً من العلوم العالية او بعض الفنون او المهن العلمية ٠ والجامعات الكبرى التي طبقت شهرتها الخافقين انما نشأت كلٌّ منها نشوءاً تدريجياً من بناء صغير الى عشرات من الابنية الفخيمة ومن تدريس علم او بضعة علوم الى كل علم وفنّ ومن اخراج عمال للكتابة في التجارة او معلمين للمدارس الصغرى الى اخراج الاطباء والفلاسفة والمحامين واهل اللاهوت والعلم

وتتفاوت الجامعات في عدد كلياتها واهميتها وفي مقدمتها من هذا القبيل جامعات اوكسفورد وكمبردج وباريس ٠ وقد تقدم ان الكلية احدث عهداً من الجامعة او هي فرع منها — والاصل في انشاء الكليات على الغالب ان التلامذة كانوا يفدون من بلاد بعيدة لتلقي العلم في احدى هذه الجامعات فكانوا يقاسون عذاباً شديداً من مرارة الغربة وفيهم جماعة من الفقراء لا يقوون على النفقة اللازمة للمعاش فضلاً عن الدرس ٠ فكانت الاريحية تأخذ بعض الاغنياء فيدفعون مالاً لانشاء بناء يقيم فيه بعض هؤلاء التلامذة ويقفون عقاراً يكفي ريعه للقيام بالنفقات السنوية ٠ وكانت الجامعة تخصص كل بناء لعلم او علوم مشتركة يقيم معلموها وتلامذتهم في البناء على نفقة وقفه ويعرف ذلك البناء باسم كلية

عدد الكليات في جامعة اكسفورد

وتعددت هذه الكليات بتوالي الازمان وسخاء اهل اليسار فاصبح عددها لجامعة اكسفورد مثلاً احدى وعشرين كلية في كل منها ثماني درجات : الرئيس فالعضو فالدكتور فالمعلم فالتلميذ على اختلاف درجاته ٠ وللجامعة على الاجمال مجلس عالٍ يتولى شؤونها العامة يرأسه بعض الامراء او اهل المناصب الرفيعة ومجلس عامل يتولى الادارة الداخلية ٠ ويقوم بالتعليم رجال من خيرة اهل العلم وفيهم الاساتذة والمدرسون والخطباء

ولكل كلية وقفٌ له ريع قائم بنفسه ينفق فيها ٠ وهذا جدول باسماء كليات جامعة اوكسفورد واسماء مؤسسيها وتاريخ التأسيس ومقدار الريع لسنة ١٩٠٠ على سبيل المثال :

اسم الكلية	سنة تاسيسها	مقدار الريع السنوي	
كلية الجامعة	١٢٤٩	٦,٢٧٦	جنيهاً
باليول	١٢٦٢	٦,٨٤٥	»
مرتن	١٢٧٠	١٢,٦٧٦	»
اكسيتر	١٣١٤	٣,٦٨٣	»
اوريال	١٣٢٦	٧,٠٣٣	»
كلية الملكة	١٣٤٠	١٦,٥١٨	»
كل الانفس	١٤٣٧	١٤,٩٩٥	»
الكلية الجديدة	١٣٨٦	١٩,٦٥٣	»
لنكولن	١٤٢٧	٤,٨١٦	»
مجدلين	١٤٥٦	٢٧,٨٤٦	»
براسينوس	١٥٠٩	١٠,٧٨٦	»
كوربس	١٥١٦	١٠,٦١٦	»
كنيس المسيح	١٥٣٢	٢٢,٦١٦	»
الثالوث	١٥٥٤	٤,٨٢١	»
سان جون	١٥٥٥	١٦,٤٩٩	»
يسوع	١٥٧١	١٠,٧٩٥	»
ودهام	١٦١٣	٣,٣٨٩	»
بمبروك	١٦٢٤	٣,٩٢٨	»
ورسستر	١٧١٤	٢,٣٢٣	»
كبل	١٨٦٩	— —	»
هرتفورد	١٨٧٤	— —	»

وفي المدرسة مكتبة عامرة هي ثاني مكاتب بريطانيا اهمية تحتوي مئات الالوف من الكتب المطبوعة وغير المطبوعة · وفيها مرصد فلكي ومعارض للنبات والحيوان والطبيعيات والتاريخ الطبيعي · ولهذه الجامعة حق بارسال مندوبين من اعضائها الى البرلمان الانكليزي وقس على ذلك جامعة كبريدج فانها في مثل ذلك من حيث عدد الكليات ومقدار ريعها

عدد العلوم في جامعة اكسفورد

اما العلوم التي تلقى في الجامعات الكبرى فانها تشمل كل علم من العلوم الحديثة والقديمة تقريباً واليك عدد العلوم التي تعلم في جامعة اكسفورد اليوم :

اللغة الانجلوسكونية	الفلك	القبالة	تاريخ الاجيال الوسطى
« العربية وآدابها	النبات	الجراحة	التاريخ الحديث
« الاشورية وآثارها	الحيوان	التشريح المرضي	الاقتصاد الزراعي
« القلتية	الكيمياء	الدين	آداب اليهود
« الصينية	الجيولوجيا	اللاهوت	الشريعة المدنية
فلسفة اللغة	تشريح القابلة	التفسير	السياسة
آداب اللغة الانكليزية	الميكانيكيات	تفسير التوراة	الفلسفة
اليونانية وادابها	الميترولوجيا	الشعر	الفنون الجميلة
العبرانية «	الهندسة	الاقتصاد السياسي	شريعة الهند
اداب اللغة اللاتينية	الفلسفة الطبيعية	التوراة السبعينية	الشرائع الدولية
اللغة الروسية	الفيسيولوجيا	علم الآثار	الشريعة
« السنسكريتية	مورفولوجيا	تاريخ انكلترا	القضاء
« الزندية وفلسفتها	التشريح البشري	الجغرافيا	المنطق
« الاوردية	الطب الشرعي	التاريخ القديم	الفلسفة الادبية
علم الانسان	الباثولوجيا	تاريخ الهند	الموسيقى

وهذه اكثرها من امهات العلوم وقد يتفرع بعضها الى فرعين فاكثر . ويختلف عدد الاساتذة في الجامعة باختلاف عدد العلوم وفروعها وقد يزيد على مئة استاذ او مئة وخمسين استاذاً وبلغنا ان في مدرسة مونيخ بالمانيا ١٧٢ استاذاً فضلاً عن المدرسين والخطباء

المدارس الجامعة في الشرق

قد علمت ان المدارس الجامعة في التمدن الاوربي الحديث اقيمت على اسس وضعها المسلمون وان علومها نقلت في الاصل من الكتب العربية في الطب والفلسفة والتاريخ والادب في اوائل هذا التمدن اذ افاق اهل الغرب من سباتهم الطويل في الاجيال المظلمة ورقد العرب مكانهم . فلما افقنا من ذلك الرقاد في القرن الماضي كان لهم الفضل في نهوضنا فاخذنا نقلدهم وننسج على منوالهم في اكثر عوامل هذا التمدن ومن جملتها المدارس الكبرى

وليس في الشرق اليوم مدرسة جامعة بالمعنى المراد بها تماماً إذ لا نعرف مدرسة تعلم كل العلوم على اختلاف مواضيعها في الطبيعيات والادبيات والرياضيات واللغات والفقه واللاهوت وغيرها على ما رأيته في علوم جامعة اكسفورد . على ان اقرب مدارسنا الى ذلك المدرسة الكلية السورية في بيروت

والفضل الاول في انشاء الكليات الجامعة في الشرق لتعليم العلوم العالية على النمط الحديث للمرسلين الاميركان . فهم اول من انشأ مدرسة كلية في الشرق منذ نيف وخمسين سنة . واول كلية انشأوها على شاطيء البوسفور قبل كلية بيروت ببضع عشرة سنة وتعرف بكلية روبرت نسبة الى رجل من اغنياء اميركا انفق على بنائها من ماله — وذلك ان جمعية التبشير المركزية في اميركا بعثت جماعة من المبشرين الى الاستانة في اوائل القرن الماضي برئاسة رجل اسمه همان فرأى بعد معاناة التبشير مدة انه لا يفي بالغرض المطلوب فعزم ان يستعين بالتعليم واتفق مرور روبرت المذكور بالاستانة فقص عليه غرضه فوافقه ودفع المال فانشأ المدرسة وسماها باسمه واكثر تلامذتها من الارمن والسرب واليونان وهي اقدم مدرسة كلية في الشرق . ولكنها قاصرة على تعليم العلوم وليس فيها قسم طبي . ويلي كلية روبرت في القدم كلية بيروت وفيها قسم طبي وقسم تجاري . ثم كلية الآباء اليسوعيين في بيروت وكلية علي كده التي انشأها السيد احمد خان ركن النهضة العلمية في الهند . اما هذه فلا يعلم فيها الطب ولا الهندسة ولكن وجودها يدل على نهضة عظيمة هناك و يرجى لها مستقبل مجيد

فالمدرسة الكلية الاميركانية السورية اقدم كلية عربية في الشرق انشئت سنة ١٨٦٦ وخرج اول صف يحمل شهادتها العلمية سنة ١٨٧٠ واول صف يحمل شهادتها الطبية سنة ١٨٧١ وكان عدد تلامذتها سنة تاسيسها ١٦ تلميذاً فما زال يزداد سنة فسنة حتى اصبح الآن نحو ٨٠٠ اي انه زاد خمسين ضعفاً في اربعين سنة . وكانت مؤلفة من بنائين فاصبحت ١٣ بناء في ست دوائر كبرى تعلم اللغات والعلوم والطب والصيدلة والتجارة والآثار الدينية . وهي تنفق على التعليم من ريع اموال جاد بها المحسنون من اغنياء اميركا غير ما يدخلها من رواتب التعليم . فهي اكبر معاهد العلم في بلاد الشرق على الاجمال وفيها مرصد فلكي ومعمل للكيمياء ومستنبت للبكتيريا وسبعة معارض للآثار القديمة والجيولوجيا والمينرولوجيا والنبات والحيوان والجراحة والباثولوجيا والمواد الطبية والميكروسكوب وفيها مكتبة تحتوي ١١,٦٠٠ مجلد اكثرها في اللغة الانكليزية . وقد ذاعت شهرتها في الخافقين فيأتيها الطلبة من اربعة اقطار العالم

اما كلية علي كده فان في انشائها عبرة لنا في ما نحن فيه لما قاساه صاحبها رحمه الله من الجهد في انشائها فضلاً عن العذاب والاضطهاد . و بانها اول كلية كبري انشئت على نفقة الوطنيين في الشرق (راجع الهلال ١ سنة ٧) بدأُوا في تأسيسها سنة ١٨٧٥ وما زالت تنمو الى الآن — وهي اول كلية شرقية اسلامية تعلم فيها اللغات الهندية والفارسية والعربية والانكليزية وتلامذتها زادوا على ٥٠٠ تلميذ وفيها مكتبة نفيسة ولها جريدة اسبوعية تصدر باللغتين الاوردية والانكليزية

الجامعة المصرية

علمنا مما تقدم ما هي المدارس الجامعة وكيف أُنشئت ومتى . بقي علينا النظر في ما نحن فيه من انشاء الجامعة المصرية بالقياس على من تقدمونا في هذا الشان و باعتبار احوالنا الخصوصية . و يتفرع الكلام في ذلك الى المال اللازم لانشائها والعلوم التي تعلم فيها وكيفية التعليم بالنظر الى حاجتنا

المال اللازم لانشائها

اما المال فقد ظهر من قائمة الاكتتاب الاولى التي تقدم ذكرها ومما نعهده في اهل هذا القطر من السخاء والاريحية ان يجتمع في مدة قصيرة مبلغ يكفي للشروع في العمل اذ ليس المراد طبعاً انشاء جامعة مثل جامعة اكسفورد اوكمبردج وانما التعويل على الابتداء بالعمل والتقدم فيه بالتدريج كما قالت اللجنة التحضيرية في منشورها . فنبني للمدرسة بناء للعلوم العالية ونسعى في اثناء التعليم بتدبير الاوقاف العقارية وغير العقارية مما يضمن بقاء المدرسة و تقدمها بتوالي الاعوام . ومعنى ذلك انه اذا لم يجتمع من الاكتتابات الا اربعون او خمسون الف جنيه فذلك لا يمنع من الشروع في العمل ومواصلة السعي في جمع المال وانما يتوقف النجاح على عمدة تلك اللجنة المنوط بهم امرها المالي وعلى سعيهم في سبيلها — فتحت المدرسة الكلية السورية ابوابها للطلبة وليس لها بناء خاص وانما كانت في بيت بالاجرة ولم تنتقل الى مكانها الحالي الاّ في السنة الثالثة من انشائها ولم يكن لها عند انتقالها الا بناءان فقط ثم ما زالت تسعى في توسيع دائرتها بجمع المال حتى اصبحت ابنيتها ١٣ بناء غير ما فيها من المعارض التي ذكرناها

وهكذا فعل السيد احمد خان في انشاء كلية علي كده فانه لم يصبر حتى يجتمع لديه كل المال اللازم لانشائها فتناول ما اجتمع لديه منه وانشأ مدرسة صغيرة فوثق الناس

بمشروعه واقدموا على بذل المال ولم تمض سنتان أخريان حتى انهالت عليه الهبات والاكتتابات فابتنى المدرسة الكبرى وهي سنّة النمو الطبيعي — وانما يشترط الثبات والمواظبة وان يقام المشروع على اسس ثابتة ونظامات معقولة و يعهد بادارتها الى رجال من اهل التعقل والامانة والغيرة والنشاط مثل اعضاء اللجنة التحضيرية — على ان يتفرغوا لهذا العمل . فاذا توفقنا الى ذلك كان المشروع ناجحاً لا محالة ولا يمضي زمن حتى تتعدد ابنية الجامعة المصرية وتطبق شهرتها الخافقين لتوفر الثروة في ايدي الناس و رغبتهم في هذا المشروع — وانما يحتاجون الى من يستدرّهم

عدد العلوم وكيفية التعليم

لما كان القصد الاول من انشاء هذه الجامعة ترقية التعليم فلا بدّ من النظر في ما ينبغي ادخاله من العلوم وهو اهم اجزاء البحث . وعليه فلا يصح فتح ابواب المدرسة الا عن علوم اكثر عدداً وارقى درجة واقرب نفعاً مما تعلمه المدارس المصرية لمن يستحقون الشهادة البكلوريه .

وبعبارة اخرى تبدأ الجامعة المصرية بقسم علمي لتعليم العلوم اللازمة لاحراز شهادة البكلوريا في اوربا كما فعلت المدرسة الكلية السورية بعد اختبارها حاجة البلاد واستعداد ابنائها . واذا كان مع هذا القسم العلمي قسم تجهيزي يعدّ الطلبة للبكلوريا كان ذلك اقرب الى الغرض المطلوب

اما علوم القسم العلمي وهو المراد بالمدرسة الكلية العلمية فيحتاج اختيارها الى روية ونظر ولا بد من لجنة ينتدبها اصحاب المشروع من اهل المعرفة والاختبار في هذا الشأن من رجال الكليات الكبرى في اوربا او من يعلم مثل علمهم من الشرقيين . ونترك البحث في ذلك الى بعد اجتماع المال . ولكننا اردنا الاشارة اليه الآن على سبيل الذكرى ونكتفي بذكر العلوم التي تدرس في القسم العلمي من المدرسة الكلية السورية وفي المدارس الثانوية الاميرية بمصر ومدة التدريس في كل منهما اربع سنوات ينال الطالب في انقضائها شهادة البكلوريا التي تؤهله للدخول في الكليات الفنية بالطب او الحقوق او غيرهما

ونقدم الكلام في العلوم الاعدادية لكل منهما اي علوم المدرسة الابتدائية بمصر والاستعدادية في المدرسة الكلية ثم نقابل بين علوم المدرسة الثانوية الاميرية وعلوم القسم العلمي في الكلية :

المدرسة الابتدائية الاميرية	المدرسة الاستعدادية في الكلية
القرآن والاسلام	تعليم ديني
اللغة العربية	اللغة العربية
الترجمة	الانكليزية
الخط	الفرنساوية
الحساب	الحساب
الهندسة (مبادىء قليلة)	الخط
الانكليزية (او الفرنساوية)	مبادىء الفلسفة الادبية
دروس الاشياء	دروس الاشياء
الجغرافيا والرسم	الجغرافيا
التاريخ (مبادىء قليلة)	التاريخ

المدرسة الثانوية الاميرية	القسم العلمي في الكلية
اللغة العربية	العربية
« الانكليزية او الفرنساوية	الانكليزية
الرياضيات	الرياضيات
الجغرافيا	التاريخ
التاريخ	الفيسيولوجيا
الطبيعيات	الفلسفة الطبيعية
الكيمياء	« الادبية
الرسم	الكيمياء
الترجمة	الحيوان والنبات
التمرين العضلي	المنطق
	الاقتصاد السياسي
	الفلسفة العقلية
	الفلك
	الجيولوجيا
	الرسم والتمرين العضلي

فترى فرقاً بعيداً بين عدد العلوم في المدرستين وكلاهما تمنحان الشهادة البكالورية

وما خلا التفاوت في عدد العلوم فان في طرق التعليم اختلافاً كبيراً لان المدرسة الكلية تربي تلامذتها على العمل والاعتماد على النفس والحرية الشخصية وتعودهم على الاجتماع والاتحاد بما فيها من الجمعيات الادبية والعلمية . ففي هذه المدرسة الآن ثلاث عشرة جمعية ادبية وعلمية وثلاث جرائد بعضها اسبوعية وبعضها تصدر كل اسبوعين ينشئها الطلبة فيكتبون فيها المقالات في الادب والعلم و يتناظرون و يتكاتبون . ولكل جريدة منشئ ومدير ومشتركون ومراسلون من تلامذة المدرسة — كأنهم جعلوا المدرسة عالماً صغيراً يتدربون فيه تحت مناظرة العمدة على مايؤهلهم للعمل في العالم الكبير . واول جريدة ظهرت في الكلية صدرت سنة ١٨٩٥ ثم توالى ظهور الجرائد والمجلات . والجرائد التي صدرت فيها « الحديقة » منذ سبع سنوات و « الحظ » منذ خمس سنوات ثم « حسناء الكلية » واعداد بعض هذه الجرائد لاتزال محفوظة في مكتبة المدرسة مجلدة في كتب على حدة

اما الجمعيات فواحدة منها في اليونانية لابناء هذا اللسان من التلامذة وثلاث في الانكليزية وتسع في العربية وهي منظمة على احسن نظامات الجمعيات لكل منها رئيس وكاتب ومواعيد للاجتماع والخطب والمباحثات

فبمثل هذه الوسائل تحيا اللغة وترسخ ملكتها في اذهان اهلها وليس بمجرد حفظ القواعد وايراد الشواهد فان استظهار علوم اللغة حسن مفيد ولكنه نظري قلما يأتي بثمر ان لم يقترن بالعمل خطابة وانشاء كما يفعلون في كلية بيروت

لغة التعليم — العربية

وهي اللغة التي تلقن بها العلوم والفنون . فالمدارس الاميرية المصرية تعلم اللغات العربية والانكليزية والفرنساوية اما لغة التعليم فيها فالانكليزية او الفرنساوية اي انها تعلم الجغرافيا والتاريخ والرياضيات بكتب انكليزية (او فرنساوية) وانما يقتصر تعليمها اللسان العربي على علوم اللغة والمبادي الطفيفة من بعض العلوم . ولايخفى ما يأول اليه ذلك من ضياع ملكة اللغة العربية . وقد ارتكبت هذا الخطأ ايضاً المدرسة الكلية السورية فانها كانت عند انشائها تعلم العلوم باللغة العربية — ظلت على ذلك نحو خمس عشرة سنة في القسم العلمي ويضعاً وعشرين سنة في القسم الطبي ثم جعلت التعليم باللغة الانكليزية . ولو جادلتهم في ذلك لقالوا انهم انما ارادوا « ان يألف التلامذة لغة من اعظم لغات العصر

و يطلعوا على ما فيها من المؤلفات الكثيرة و يسهل عليهم الوصول الى ما يحدث في العلوم العصرية من الآراء الجديدة او الاختراعات ونحوها » وهو قول سديد ولكن نفعه لا يعدّ شيئاً بالنظر الى ما ينجم عن اغفال اللغة العربية من ضياع ملكتها وذهاب آدابها وتضعضع جامعتها . فالذين يتلقون العلم باللغة الانكليزية ربما كانوا في بادئ الرأي اوسع علماً ممن يتلقونه عن كتب عربية ولكن المطالعة تساوي بينهما اذ يشترط في الذين يتلقون العلم بالعربية ان يتعلموا لغة من لغات العلم الحديث يتساعدون بها على التوسع بالعلوم الحديثة بالمطالعة فلا يمضي زمن قصير حتى يساووا اولئك وتبقى لهم مزية الاقتدار على التأليف في العربية . لان الذين يتلقون العلم بلغة أعجمية قلما يقدم احدهم على التأليف في العربية بل هم لا يستطيعون التعبير عن افكارهم بغير اللغة التي تلقوا العلم فيها . وهذا طبيعي ومشاهد فاننا نعرف غير واحد ممن تلقوا العلم او الطب فى اللغة الانكليزية ومع سعة اطلاعهم على مستحدثات العلوم لو كلفت احدهم ان يكتب مقالة في العربية لاعتذر او كتبها والضعف ظاهر فيها . ولذلك كان المؤلفون بين هذه الطبقة من النوابغ قليلين لعجزهم عن التأليف بلساننا . واللغة الانكليزية في غنى عن مؤلفاتهم

ويؤيد ذلك مراجعة تاريخ آداب اللغة العربية في نهضتنا الاخيرة بمصر والشام فانك تجد اكثر المؤلفين نبغوا في اوائلها اذ كانوا يتلقون العلوم والآداب بكتب عربية فكانوا يتفهمون مواضيعها بلسانهم وينشرونها بين اهلهم وذويهم شفاهاً او يضعون الكتب للتعليم او المطالعة فلم يمض على المدرسة المصرية في اواسط القرن الماضي بضع وعشرون سنة حتى نبغ من تلامذتها وأساتذتها المؤلفون في اهم المواضيع العصرية والطبيعيات والادبيات والرياضيات واشتهر منهم جماعة لا يشقُّ لهم غبار

المؤلفون والمؤلفات في اوائل هذه النهضة

وقد تدرجوا في هذا السبيل تدرجاً طبيعياً فبدأوا بنقل العلوم عن الالسنة الافرنجية واكثر نقلهم عن اللغة الفرنساوية . واشهر النقلة في المواضيع الطبية والطبيعية حنا عنحوري ويوسف فرعون ومحمد الشباسي وابراهيم النبراوي واحمد الرشيدي واحمد قائدوعيسوي النحراوي وعلي هيبة واكثر ما نقلوه في الطب والطبيعيات والتاريخ الطبيعي . فالعنحوري نقل عن الفرنساوية والايطالية كتباً في التشريح البشري والجراحة البشرية والطبيعيات وعلم النبات والباثولوجيا طبعت بين سنة ۱۸۳۳ و ۱۸٤٥ . ويوسف فرعون نقل عن الفرنساوية ثمانية كتب ورسائل في الفنون البيطرية . واحمد الرشيدي نقل علم الولادة

وامراض النساء والاطفال ومداواة العينين والشباسي ترجم التشريح الخاص والنبراوي نقل التشريح والاربطة الجراحية واحمد فائد نقل علم الجيولوجيا وعلي هيبة نقل كتاب الفيسيولوجيا وغيرهم نقل الاقرباذين والزراعة وغيرها

فلما تفهموا ما حوته هذه الكتب من العلوم عمدوا الى التأليف من عند انفسهم فنبغت بينهم طبقة من المؤلفين وظهرت مؤلفات هامة في الطب وغيره من العلوم الحديثة تلق مؤلفوها العلم في العربية ثم توسعوا بمطالعة كتب الافرنج او بالدرس في مدارس أوربا الكبرى نذكر اشهرها وأسماء مؤلفيها وسني طبعها :

في الطبيعيات والكيمياء

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
الآيات البينات في علم النبات	محمود فوزي	١٨٨٨
الظواهر البديعة في علم الطبيعة	« «	١٣٠٨
منافع الحيوانات	« «	١٣٠٦
علم طبقات الارض (الجيولوجيا)	احمد ندى	١٢٨٨
بنية الكرة الارضية	« «	١٢٥٧
حسن الصناعة في علم الزراعة	« «	١٢٩١
علم النبات	« «	١٢٨٣
علم الحيوانات	« «	١٢٨٤
الكيمياء الزراعية	ابو السعود	١٢٩٠
الجواهر البديعة في علم الطبيعة	محمد كامل الكفراوى	١٣٠٥
الكيمياء العمومية ٤ اجزاء	ابراهيم لطفي	١٣٠٣
مبادي الطبيعة	« «	١٣٠٥
علم الحيوانات اللافقرية	« «	١٣٠٣

في الطب

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
الباثولوجيا	محمد شافعي	١٢٥٩
الحصون الصحية	« «	١٣٠٥
التذكرة الطبية	ابراهيم مصطفى	١٨٨١

اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة الطبع
التشريح الخاص	محمود صدقي ومحمد امين	١٣٠٤
المادة الطبية جزءان	علي رياض	١٢٩٧
جراحة الاقسام	محمد الدري	١٣٠٤
امراض النساء	احمد الرشيدي	١٢٦٠
الامراض الجلدية جزءان	« «	١٢٦٢
في علي الادوية والعلاج (٤ اجزاء)	« «	١٢٨٣
امراض الاطفال	« «	١٢٦١
قواعد التحضير	محمد الشبامي	١٢٦٤
الاقرباذين	حسن الرشيدي	١٢٦٥
الطب السيامي (الشرعي)	ابراهيم حسن	١٢٩٣
العمليات الجراحية الكبرى	محمد علي البقلي	١٢٥٩
فن الجراحة (جزءان)	« « «	١٢٨٢
اعمال الجراح (جزءان)	« « «	١٢٦٢
الامراض الجلدية	حسن محمود	١٢٩٢
السياسة الصحية	محمد صفوت	١٣٠٣
علم التشريح	حسن عبد الرحمن	١٢٨٣
فن الولادة	عيسى حمدي	١٢٩٨
الطب الباطني والعلاج	« «	١٣٠٢
صحة الحوامل والاطفال	« «	١٢٩٩
امراض الاطفال	« «	١٣٠٠
التسميع والقرع	« «	١٣٠٤
مختصر فن العلاج	« «	١٣٠١
مختصر الطب الباطني جزءان	« «	١٢٩٨
الطب الباطني والعلاج (٤ اجزاء)	سالم سالم	١٢٩٨
المياه المعدنية	« «	١٣٠٠

اما كتب الادب والتاريخ مما لا يوجد في العربية فقد عمدوا اولاً الى نقلها عن

الفرنساوية والايطاليــة واشهر نقلتها رفاعة بك الطهطاوي ثم الفوا من عنــد انفسهم، ويقال نحو ذلك في سوريا فان اكثر ما ظهر فيها من المؤلفات العربية في الطب والطبيعيات والرياضيات والادب والتاريخ وغيرها انما هو من ثمار التعليم العربي يوم كانت العلوم تلقن في المدرسة الكلية باللغة العربية

وقد احدثت تلك المنقولات والمؤلفات نهضة ادبية في الشرق كله ولكن للأسف اننا لما دبينا وآن فطامنا واخذنا في التاليف من عندانفسنا جاءتنا تلك الصدمة بابطال اللغة العربية من المدارس الكبرى في مصر وسوريا فاوقفتنا ونحن في اوائل الطريق . ولو تركونا سائرين لبلغنا حداً يحسدنا عليــه الآخرون . ولولا بقية من نتاج الطريقة القديمة لقضي على آداب اللغة العربية قضاء تاماً وانحصرت آدابها بالعلوم الدينية حتى هــذه فانها تصير الى الضياع ان لم ينتبه لها الناشئون . ولا سبيل الى احياء اللغة العربية بغير العلم اذ تكثر فيها المؤلفات وتتسع اسباب المطالعة . وهذا لا يتيسر الا اذا كانت العلوم تلقن باللغة العربية

فيجدر بالكلية المصرية متى تأسست ان تجعل اللغة العربية اساس التعليم فيها فتلقن العلوم العالية بكتب تنقل اولاً عن اللغات الأخرى ريثما ينبغ من تلامذتها المؤلفون كما حصل في أول نهضتنا . فاذا فعلت الكلية المصرية ذلك تكون قد اتت عملاً تقاعدت عنه مدارس مصر وكليات الشام ويبقى لها الفضل الاول في استبقاء اللغة العربية واحياء آدابها . وما فتئت مصر قبل هذه النهضة وبعدها اهم المراكز العربية في العالم على الاجمال بل هي المحور الذي تدور حوله الجامعة العربية . ولا معنى لهذه الجامعة بغير اللغة ولا تعدُّ اللغة حيةً الاّ بما تحويه من العلوم والآداب ولا يتأتى ذلك الاّ بكثرة المؤلفات وقلما يستطيع الانسان التاليف في لغة لم يتفهم العلم بها — فاحياء الجامعة العربية متوقف على جعل اللغة العربيــة وسيلة لتدريس العلوم في المــدارس الكبري وأُم هــذه المدارس الكليــة او الجامعة . فاذا اراد اصحاب مشروع الكلية المصرية بقاء الجامعة العربيــة واحياء آداب اللغة العربية فليجعلوا اللغة العربيــة قاعدة التدريس فيها وان يسموها « الكلية العربية » او « الجامعة العربية »

ونختم القول بالمصادقة على ما اشترطهُ صاحب الاقتراح من اعتزال هذه المدرسة العالية عن الاديان وحصر واجباتها بالتعليم والتهذيب — وسنعود الى هــذا الموضوع في فرصة اخرى

باب السؤال والاقتراح

وجود الخالق

القاهرة . اسكندر افندي الخوري

قرأت في الهلال الاول من هذا العام مقالة « الماديين والروحيين او اصل المخلوقات ونهايتها » وتفهمت ما جاء فيها من اقوال كبار الفلاسفة الطبيعيين عن وجود الخالق فلم أجد بين الادلة دليلاً مقنعاً وانما هي ادلة سلبية لا تشفي غليلاً ومسألة وجود الخالق من اهم مايبحث فيه الناس على اختلاف الازمنة والاحوال . وقد طالعت كثيراً من كتبهم في الانكليزية والفرنساوية وقرأت غير كتاب من كتب المعطلين فكنت مع ميلي الفطري للاعتقاد بوجود الله أرى الادلة على وجوده ضعيفة فهل من دليل او ادلة تزيل هذه الريب فان الامر عظيم الاهمية وارجو ان يكون الكلام في ذلك من وجهة طبيعية عقلية

الهلال . من زعم انه يثبت وجود الله بالادلة الطبيعية المحسوسة فقد ارتكب شططاً على ان القول بوجود الخالق قضية مسلمة عند الفئة الكبرى من اهل البحث والفلسفة من المتاخرين والمتقدمين حتى قيل انها بديهية لا تحتاج الى دليل ولكن فئة من الناس اخذوا بظواهر الامور وغرّهم ما عرفوه من مبادىء الطبيعيات فانكروا وجود علة العلل وبنوا انكارهم على الظواهر الطبيعية المحضة فهم لا يسلمون بامر لم تؤيده النواميس الطبيعية وتوضحه البراهين الحسية . ولعل حضرتكم تقولون مثل قولهم فلا نتوقع اقناعكم بالبراهين الطبيعية المحسوسة ولكننا نقول كلمة في هذا السبيل لا تخلو من فائدة

١ — لا علم لنا بغير ما تتصل اليه بحواسنا

من الامور المسلمة اننا لولا حاسة النظر ما علمنا بوجود شيء من المرئيات ولولا السمع ما ادركنا شيئاً من المسموعات . ويقال مثل ذلك في المشمومات والملموسات والمذوقات وبالجملة اننا لولا حواسنا ما علمنا من امر هذا الكون شيئاً والانسان الفاقد الحواس فاقد

التصور ايضاً . اذ ان العقل لا يدرك شيئاً ولا يتصوره الاَّ عن طريق الحواس فاذا فقدها فقد التصور فالاعمى لا يتصور الالوان او الابعاد والاصم لا يتصور الاصوات الموسيقية او غير الموسيقية لان الاصوات وان تكن اموراً وهمية لا شكل لها ولكن لها صوراً وهمية في ذهن الذين يسمعونها ولولا ذلك ما استطاعوا التمييز بين الالحان وطبقات الانغام . وفاقد اللمس لا صورة للنعومة او الخشونة عنده ولا فرق لديه بين الصلب واللين والجامد والسائل . والأخشم لا يميز بين الروائح الكريهة والطيبة ولا يعرف لها صورة في ذهنه و يقال مثل ذلك في الذوق وغيره – فلا علم لنا بغير ما نتصل اليه بحواسنا وفاقد الحواس فاقد التصور

وتختلف هذه الحواس في الناس باختلاف صحة ابدانهم ومدد اعمارهم وتركيب اجسامهم واحوال معيشتهم فاهل البادية ابعد نظراً من اهل المدن وادق سمعاً واصحاب الصنائع اليدوية الطف لمساً من سواهم وقس عليه . ونرى في المدينة الواحدة بل في العائلة الواحدة تفاوتاً كليا في قوة الحواس بين افرادها فان بعضهم يرى الاشباح عن ابعاد لا يتصورها الآخرون فاذا وقف اثنان على مرتفع ينظران الى الافق وقال احدهما اني ارى طيراً على تلك الشجرة او انساناً قادماً من تلك الجهة ورفيقه لا يرى شيئاً من ذلك فهل يتجرأ على تكذيب قوله ؟ لعلمه بتفاوت الناس بقوة النظر وامكان رؤية الواحد مالا يراه الآخر وغاية ما يستطيع قوله اذا سئل انه لا يرى شيئاً . واذا كابر وادعى على رفيقه الكذب ألا نعده مكابراً عنيداً ؟ ومثل ذلك لو اختلف اثنان في سماع صوت فزعم احدهما انه يسمع اطلاق مدفع لم يسمعه الآخر وقس عليه سائر الحواس . و يدخل في تفاوت الحواس استعمال الآلات المكبرة والمقربة كالتلسكوب والميكروسكوب وآلات السمع وغيرها فقد ادركنا بها ما لم يخطر ببال اسلافنا من الاجرام السماوية والحيوانات الميكروسكوبية مما بهرنا وذهل عقولنا .

وطالما قرأنا وسمعنا عن ادراك بعض انواع الحيوان اموراً لا يمكننا تصورها مثل ما نسمعه عن الكلب فانه يميز بين الاشخاص تمييزاً يعجز عنه الانسان فيعرف صاحبه مثلاً ولو مهما اختلف في شكل لباسه وهيئته و ينسب بعضهم ذلك الى حاسة الشم و يقول بعضهم ان الكلب يدرك ذلك بحاسة اخرى ليست فينا . وفي كلا الحالين انهُ موضع تعجب ناتج اما عن حاسة خصوصية في الكلب واما عن ارتقاء حاسة الشم الى ما ليس للانسان . ومن امثال ذلك حاسة معرفة الجهة في النحل فانك اذا اخرجت نحلة من قفيرها

وحبستها في صندوق وذهبت بها الى مكان بعيد ثم اطلقتها فانها تطلب جهة التفبير وتعود اليه من تلقاء نفسها وهذا ما لا يستطيعه الانسان وقس عليه ما تفعله انواع اخر من الحيوان

٢ ــ الادراك متفاوت في الناس

ومثل تفاوت الناس في الحواس تفاوتهم في الادراك ويكون هذا التفاوت بين الاقاليم والقبائل كما يكون بين العائلات ويكون ايضاً بين الافراد من العائلة الواحدة واسبابه كثيرة تعود الى اختلاف الاحوال وتباين انواع المعيشة وقد يظهر في تركيب الدماغ وشكله . فان في القبائل المتوحشة من لا يدركون من الاعداد فوق الخمسة حتى انك لا ترى في لغتهم الفاظاً لتادية ما وراء الاثنين من الاعداد مثل قبيلة من قبائل اوستراليا عندهم لفظ « نتات » للواحد « ونايس » للاثنين فاذا ارادوا التعبير عن الثلاثة جمعوها فقالوا « نايس نتات » او اربعة قالوا « نايس نايس » او خمسة قالوا « نايس نايس نتات » او ستة قالوا « نايس نايس نايس » اما السبعة وما وراءها فيقفون عندها مندهلين وتضيق دونهم سبل التصور فيعبرون عنها بقولهم « كثير » وقس عليه الذين يقصرون عن ادراك بعض البديهيات . وتدرّج في ذلك الى التفاوت بين سكان المدينة الواحدة فانك ترى بينهم اناساً لا يستطيعون ادراك قضية هندسية فلو حاولت إفهامهم مثلاً ان الزوايا الثلاث من مثلث تعدل زاويتين قائمتين وجئت بما لديك من الادلة وبذلت قصارى جهدك في الاقيسة العقلية والبراهين المنطقية لذهبت مساعيك ادراج الرياح مع ان هذه القضية لدى اناس آخرين لا تحتاج الى برهان او هي عندهم بمنزلة القضايا البديهية . وقد يكون بين هؤلاء من يستحيل عليه ادراك قضية من الدرجة الثانية ولو مهما بالغت في ايضاحها لقصر مداركه عن تصورها . و بين الذين يدركون هذا النوع من القضايا من لا يدرك القضايا من الدرجة الثالثة ومن الذين يدركون هذه من لا يدرك ما وراءها حتى تصل الى بعض النوابغ الذين يدركون القضايا السامية ولا يدركها من الناس الاّ نفر قليلون ممن قد بلغت مداركهم اسمى درجات الكمال

ومما يحكى عن مكسويل الرياضي الشهير انهُ وهو يتعلم الهندسة كان يحسب القضايا الهندسية بديهيات لا تحتاج الى برهان ويفهمها بمجرد النظر اليها فيسرد برهانها من تلقاء نفسهِ ومثل ذلك يقال عن الفيلسوف اسحق نيوتن الذائع الصيت وكان ادراكهُ من اسمى ما اتصل اليه البشر فقد وضع من القضايا الرياضية الفلكية ما لم يتصل الناس الى فهمه حتى الآن ويحسبها بعضهم من المستحيلات لعجزهم عن ادراكها او حلها . كل ذلك

يدلك على تفاوت الناس في الادراك

فكما ان الذي لم يرَ الشبح عن بعد وقد رآه رفيقه لا يستطيع تكذيبه كذلك من لم يدرك قضية ادركها غيره لما علمت من تفاوت الناس في الادراك ولولا هذا التفاوت ما انقادت الجماعات الافراد في آرائهم ومذاهبهم وهم لم يدركوا حقيقتها . ولولاه لبطلت الاحزاب وانحلت المذاهب والشيع إذ يستحيل على كل فرد ان يدرك كل قضية والناس كما علمت من تفاوتهم في المدارك والعقول

٣ ... فلا يحق لنا تكذيب الانبياء ومن جرى مجراهم

وقد روى لنا الانبياء ما شاهدوه او سمعوه فوقع لدينا موقع استغراب لخروجه عن حد تصورنا وبعده عما يقع تحت حواسنا فاختلفت الاحزاب من بيننا فقال جماعة سمعنا واطعنا وقال آخرون بل تلك تمويهات لا اصل لها او هي خرافات لا تطابق ماجريات الطبيعة وقالت فئة انها وضعت لاغراض شخصية وقال غيرهم غير ذلك مما لا يقع تحت الحصر . اما الرواية فقد رووها وأكدوا لنا صدق رواياتهم وانهم لم يقولوا غير ما شاهدوه او سمعوه اوأوحي اليهم فلا يحق لنا تكذيبهم بوجه من الوجوه ولا ان نظن بهم سوءًا . إذ قد يكون سبب استغرابنا اقوالهم قصرًا في مدار كنا لتفاوت الناس في المدارك كما قدمنا فربما ادرك هؤلاء ما لم ندركه نحن وغاية ما يمكننا قوله « انتم ادركتم ما لم ندرك » كما قال احد الرفيقين لرفيقه « انت نظرت ولكنني لم انظر » ولا وجهة لنا في اغتشاشهم إذ يظهر لنا من ترجمة حياة كل منهم انهم كانوا يعتقدون ما يقولونه كل الاعتقاد حتى كانوا يعرضون انفسهم لخطر الموت والعذاب تمسكاً برأيهم وانتصارًا لما اعتقدوا صحته . فلو كانوا لا يعتقدون ما يقولونه اعتقادًا حقيقيًا ما تمسكوا به ودافعوا عنه حتى قضى بعضهم اعوامًا طوالاً في امرّ العذاب ورضي الآخر بالقتل صلبًا على الرجوع عن رأيه وعرض الآخر نفسه لمداوة اهله وذوي قرابته وهاجر وطنه في سبيل تأييد اقواله فلا ريب انه كان يعتقد صدق دعوته اعتقادًا متينًا

ومثل ذلك يقال في من جرى مجرى الانبياء من الفلاسفة والحكماء منذ القدم فكم ألقوا بانفسهم في الخطر وذهبوا فريسة السيف والنار دفاعًا عن القول بوجود الخالق العظيم فلا يحق لنا ان نتهمهم بالكذب وهم يعتقدون ما يقولون

قلنا ان الانبياء ومن جرى مجراهم قالوا بوجود الخالق العظيم ولو اختلفوا في روايتهم او تناقضت اقوالهم لسقطت دعواهم ولكنهم متفقون في الجوهر اتفاقًا تامًا . خذ اقوال فلاسفة

المصريين القدماء وفلاسفة اليونان و براهمة الهند واصحاب بوذا وكونفوشيوس وغيرهم وامعن النظر في وصفهم للخالق العظيم فلا ترى فرقاً بينهم فهم مجمعون على ان تلك القوة التي اوجدت هذا الكون (وقد دعاها كل قوم باسم) قوة عظيمة موجودة في كل مكان قادرة على كل شيء لا تدركها الحواس . فاتفاق الانبياء وفئة من الحكماء والفلاسفة في رواية او تقرير حقيقة يرجح صدقها بل يؤيده

٤ — اقرب الآراء الى الصواب ابسطها تفسيراً للحوادث

الحوادث ما نشاهده كل يوم من ماجريات الطبيعة كشروق الشمس وغروبها وهبوب الريح وتساقط الامطار وتركب العناصر وانحلالها وما شا كل ذلك من اعمال الجذب والدفع والتحليل والتركيب والولادة والموت والمرض والصحة الخ . فاننا نشاهد هذه الحوادث كل يوم ونميل بفطرتنا الغريزية الى البحث عن اسبابها فنرتأي رأياً ونطبق الحوادث عليهِ فاذا تطبقت واستطعنا تعليل حدوثها بهِ كان الرأي صواباً او قريباً من الصواب والاَّ فاننا نعمد الى غيره واذا صح تعليل الحوادث برأيين تمسكنا بابسطهما لانهُ اقرب الى الحقيقة والحقيقة ليس ابسط منها

وامثال هذه الآراء كثيرة في العلوم الطبيعية كالرأي الجوهري ودوران الارض وكرويتها وخسوف القمر وكسوف الشمس وغير ذلك . فترى بعض هذه الآراء بسيطاً سهل التعليل كالخسوف والكسوف يفهمها اصغر الطلبة بغير مشقة ويتلوهما بالصعوبة دوران الارض لانهُ اكثر تركيباً ثم الرأي الجوهري

رأى الناس شروق الشمس وغروبها وحركة الفلك واختلاف مواقع الشمس والقمر فحكموا ان ذلك ناجم عن دوران الشمس والفلك برمته وان الارض ثابتة في موضعها وبنوا على هذا الرأي علماً قائماً بنفسهِ واصطنعوا لهُ آلات متعددة ومشى عليه الفلكيون زمناً طويلاً لم يعترضهم فيه شك حتى ظهر بعض الفلاسفة الحديثين فرأى القول بثبوت الارض ودوران الشمس والفلك ينافي كثيراً من الحوادث الطبيعية فارتأى دوران الارض وثبوت الشمس والفلك فاضطهده الناس ثم نظروا في رأيهِ بعين الناقد البصير فرأوه أقرب الى الحقيقة لانهُ ابسط من ذاك ولا يخالف شيئاً من الحوادث الطبيعية فاختاروه على الاول وهم عليهِ حتى يظهر لهم رأي ابسط منهُ واكثر تطبيقاً للحوادث

ورأى العلماء الطبيعيون ان الاجسام سائرة في التركيب والتحليل على نمط واحد فلا تتركب عناصرها بعضها مع بعض الاَّ بنسب معلومة غير قابلة التغيير تعرف بالاوزان الجوهرية

أو التكافؤ . ورأوا بين كثافة العناصر ووزنها النوعي ووزنها الجوهري نسبة واكتشفوا حقائق أخرى ليس هنا محل الكلام عليها فاخذوا يبحثون عن رأي يعللون به تلك الحوادث الكيماوية فذهبوا مذاهب مختلفة انتهت الى ما يعرف بالرأي الجوهري فقالوا ان كل المواد التي تدركها حواسنا من جامدة وسائلة وغازية مؤلفة من اجزاء لا تدركها الحواس اصغرها دعوها جواهر فردة وذهبوا الى ان هذه الجواهر متساوية حجماً ومختلفة وزناً غير قابلة للانقسام او التجزوء او الاحتكاك تتحرك دائماً في سائل لطيف جداً دعوه اثيراً — وقد وضعوا كل ذلك موضع الحقيقة وهم لم يروا ذلك الجوهر ولا ادركوا شيئاً من ابعاده وحركاته وانما اركنوا الى التسليم به لانهم آنسوا فيه تعليلاً للحوادث الطبيعية . فقالوا في سبب تركيب العناصر الكيماوية على نسبة ثابته ان التركيب يحصل بين الجواهر وهي ثابتة الوزن غير قابلة التجزؤ وذهبوا في اسباب الحرارة والنور والكهربائية انها متوقفة على حركة تلك الجواهر فتظهر الحركة بمظهر الحرارة اذا كانت اهتزازية و بمظهر النور اذا كانت خطرانية وبالكهربائية اذا كانت تموجية وقس عليه تعليل سائر الظواهر الطبيعية . وقد ارتاحوا الى هذا الرأي وسلموا بصحته تسليماً يقرب من اليقين وهم مع ذلك لم يدركوا شيئاً من حقيقة تلك الجواهر بحاسة من حواسهم وما زالوا يعتقدون ذلك حتى رأوا من الراديوم ما رأوه وتغير حكمهم في الجواهر على ما بيناه في غير هذا المكان . و يقال مثل ذلك في سائر الآراء الطبيعية . فقصورنا عن ادراك رأي ادراكاً محسوساً لا يمنع من التسليم بصحته

وما يقال في الحوادث الطبيعية يقال في الحوادث العقلية والادبية فان تقسيم القوى العقلية الى الذاكرة والادراك والحكم وغيرها لم يكن الا رأياً ارادوا به تعليل الاعمال العقلية المختلفة وهكذا ايضاً الحوادث الادبية مما يضيق المقام عن استيفائه

٥ — اقرب الآراء الى الحقيقة اتمها تفسيرا للحوادث

فالرأي الذي يفسر لنا حادثتين اقرب الى الصواب من الذي يفسر حادثة واحدة واقرب منه الذي يفسر ثلاث حوادث وهكذا كما تعددت الحوادث المنطوية تحت ذلك الرأي فانه يقرب من الصواب على نسبة تعدد الحوادث التي تفسر به . فاذا ارتأينا رأياً فسرنا به الظواهر الجوية ورأياً آخر عللنا به الظواهر الكيماوية وآخر للظواهر الطبيعية ثم رأينا رأياً تفسر به جميع هذه الحقائق معاً فاننا نحكم بان هذا الرأي اقرب الى الصواب من الآراء السابقة . واذا رأينا رأياً عللنا به جميع هذه الظواهر والظواهر العقلية والادبية تحقق لدينا ان هذا الاخير اقرب الى الحقيقة من الجميع

ولكن كثيرًا من الحوادث الجارية في الطبيعة قد عجز العلم والفلسفة عن تعليلها ٠ اخصها الاعمال الحيوية فالعلماء حتى الآن لم يفهموا كيف وجدت الحياة ولا كيف تولدت الامراض وقد تاهوا في فيافي البحث فلم يهتدوا الى كيفية التراكيب العضوية ٠ فهم يعلمون ان النشاء والسكر والالياف النباتية والصمغ وغيرها مركبة من عناصر متماثلة على نسبة واحدة فيها كلها ولكن مداركهم قصرت عن ادراك سبب اختلاف ظواهر هذه المركبات وقس عليه امثال ذلك في المركبات الحيوية على اشكالها ٠ ولا تسل عن عجز الكيماويين عن استحضار تلك المركبات بما لديهم من الوسائط الكيماوية الحاضرة

هذا فضلاً عما لا يحصيه عدٌ من غوامض الطبيعة ولا سيما اصل الوجود وحدود هذا الكون وكيفية صيرورته الى هذا النظام وما سيصير اليه في مستقبل الايام ٠ فان فلسفتهم قاصرة كل القصور عن ادراك كنه ذلك ولا نظنهم يدركونه في مستقبل الايام

فالقول بوجود الخالق العظيم وبانه موجود في كل مكان وقادر على كل شيء يعلل كل ما ظهر وغمض من علل هذا الكون وهي حقيقة بسيطة تطابق النقل وتوافق احكام العقل ولو قصرت حواسنا عن ادراكها وتقاعدت عقولنا عن تصورها ٠ ومن تأملها بعين البصير يعلم انها ابسط الحقائق واعمها تفسيرًا للحوادث وهي من اقدم ما ذهب اليه الفلاسفة على اختلاف ازمانهم وتفاوت درجات عقولهم

جيش الخلاص

﴿ القاهرة ﴾ مصطفى افندي محمد الحسيني

رأيت في بعض الكتب الافرنجية ذكرًا لجيش يسمونه جيش الخلاص Salvation Army فلم افهم المراد به

﴿ الهلال ﴾ هي طائفة من المبشرين بالديانة المسيحية تشكلت في انكلترا سنة ١٨٦٥ من اجتماع عدة جمعيات دينية وسميت « المرسلين المسيحيين » وجعلت غرضها تبشير الطبقة السفلى من الناس فانتظمت انتظام جيوش الحرب واقامت عليها رئيسًا اسمه المستر بوث سموه جنرالاً يتولى ادارة شؤونها الادارية والمالية وهو يوصي بمن يخلفه عليها ٠ ولها قوانين مدونه وتحته ضباط بدرجات مثل درجات الجيش الحربي

ومن أهم شروطها ان من يطلب الانتظام في سلكها ينذر الانقطاع عن كل رذيلة وان يخدم الطائفة بما في وسعه ولا يشرب مسكرًا . ولا يزال الجنرال بوث قائد هذا الجيش الى الآن وهو كثير السعي في تنشيطه فيزداد عدده وتتسع دائرة عمله كل يوم وقد نشأت له فروع في انحاء انكلترا واقيمت له المراكز الفرعية في نيف وخمسين مدينة كبرى

ومن أهم واجباته اعالة المساكين وتبشير الجهال ولذلك كثيرًا ما يطوف افراده الشوارع جماعات منظمة أو غير منظمة فيقفون في متقاطعات الطرق أو في الحدائق العمومية يبشرون و يعظون وقد اختلط بهم الغوغاء من الرعاع وغيرهم رجالاً ونساء مما لا يستطيع الشرقي احتماله . وقد اتفق لنا مشاهدة فرقة من هذا الجيش طائفة في شوارع لندن سنه ١٨٨٦ واليك ما رأيناه مدونًا في مفكراتنا لتلك الرحلة مما يتعلق بهذا الجيش :

« وفي يوم الاحد ٢٧ منه (يونيو سنة ١٨٨٦) ذهبنا (انا وصديقي جبر افندي ضومط) بعد الظهر الى حديقة رِيجنت regent's Park فسرنا حتى اتينا الحديقة فدخلناها ونحن نخترق جماهير الناس المتزاحمين تحت الاشجار و بين المغارس حتى اذا توسطنا الحديقة زاغت ابصارنا من كثرة الازدحام . و بينما نحن نتأمل في ذلك الجمع العظيم لاح لنا بين الجماهير جماعات متكأكئين كانهم يسمعون خطيبًا أو يشاهدون منظرًا غريبًا فتقدمنا الى جماعة فرأيناهم وقوفًا في شبه دائرة يسمعون رجلاً واقفًا في وسطهم يخطب عليهم بلسانهم في الدين . فاستغربنا ذلك لبعده عن المألوف في بلادنا ثم رأينا مثل هذه « الكنيسة » كثيرًا في ذلك المكان فخيل لنا ان الحديقة معبد كبير . لكننا ما لبثنا أن رأينا جماعات يعربدون ويتماجنون و يتلفظون بما تنفر منه الاسماع حتى الواعظين فقد كان بعضهم سكارى . . . . .

« ولما رجعنا الى المنزل سألنا الناس عن خبر اولئك الواعظين فقيل لنا انهم فرق لجمعيات دينية متنوعة اعظمها جمعية جيش الخلاص يرأسها جنرال تحته ضباط في رتب متفاوتة وتحت الضباط جنود انفار ولكل من اصحاب الرتب علامة في لبسه

تدل على رتبته . ورأينا بعد ذلك فرقة منهم في بعض الشوارع تتقدمهم راية مختصة بهم يتبعها الضابط فالعساكر وفيهم الرجال والنساء والاولاد يعزفون بالآلات وقد تقاطر اليهم الناس من ابناء السبيل يقتفون آثارهم يزاحم بعضهم بعضاً على غير نظام. اما الفرقة فلا تزال سائرة في وسط الضوضاء يتناثر من جوانبها رجال يحملون صناديق مرفوعة على عصي طويلة يمدونها الى النوافذ والكوى او الشرفات يستدرون الناس للعطاء . فمن احب العطاء اسقط ما اراده في شق الصندوق . حتى اذا وصلوا الى بقعة مزدحمة وقفوا وقام بينهم خطيب يدعو الناس الى الخلاص بالايمان بما حضره من الادلة وكان اذا خانته القريحة اتهم الاحساس واذا هجرته الحجة عمد الى سلالم الصوت يقرع بها الآذان قرعاً فكان ينادي ويخور كانما نفخ في الصور ان هيا بنا الى النفور قبل ان نزور القبور . اما الخطيب فلم يكف عن الوعظ حتى رأى الساحة بلقعاً لا يسمع فيه الا صوته ولا يرى حوله الا رجال دولته فعادوا الى الطواف والعصي تتناثر من بينهم يتنقلون بها من نافذة الى شرفة الى باب فاذا لاقوا مزدحماً آخر وقفوا وخطبوا حتى يهرب الناس منهم — ذلك هو دابهم على الخصوص في ايام الآحاد والاعياد يزورون الحدائق والمتنزهات يقيمون الصلاة ويأخذون الزكاة ومن مال الناس ينفقون ...» اه

على ان هذه الغوغاء لا تتفق دائماً ولا هي ترضي القائمين بشؤون الجيش فان هؤلاء شديدو المحافظة على الآداب كثيرو الرغبة في النظام والسكينة يسعون سعياً صادقاً في اعالة الفقراء وتعليمهم وتعزيتهم . وقد افلحت مساعيهم حتى بلغ عدد الفروع الكبرى والصغرى والمحطات التي لهم نحو ٧,٢٤٣ فرعاً ولهم جرائد ومجلات عددها ٦٤ تصدر في ٢٤ لغة يظهر منها ١,٢٠٠,٠٠٠ نسخة كل مرة . وعدد العمال في الفروع المختلفة ١٧,٣٦٨ ونحو ٤٥ منزلاً للاولاد . وقد شهد العارفون ان هذه الجمعية تسعى سعياً حميداً في اعالة المعوزين ومعالجة ذوي الاسقام فيعولون كل ليلة ٢١,٠٠٠ في الملاجئ ولهم ١٨٠ مطعماً دائماً و٦٣ معملاً لتشغيل الفقراء غير ما انشأوه من اماكن التعليم والتربية . وهم يعملون بلا ملل لجمع المال من الاغنياء وانفاقه على

الفقراء ففي السنة الماضية اعالوا ٥,٠٠٠,٠٠٠ عائلة وفرقوا ٧,٠٠٠,٠٠٠ طعام (وقعة) ووجدوا شغلاً لخمسين الف انسان وآووا ٦,٠٠٠ امرأة . ولهم ميزانية تصدر كل عام تبين فيها النفقات والمداخيل

شعرٌ وقائلهُ

(طنطا) خليل افندي ابراهيم

قرأت للمرحوم اديب اسحق تأبيناً قالهُ على قبر المرحوم المعلم بطرس البستاني نشره الهلال في سنته الرابعة وفي آخره هذا البيتان :

نم سعيداً يأمن قضيت فقيداً   بجميل قدَّمتَ بين يديكَ
انت احسنت في الحياة الينا   احسن الله في الممات اليك

واحسبهما من نظمه فقال لي بعض الاصدقاء انهما لشاعر قديم فما هي الحقيقة

(الهلال) هما لمحمد بن سعيد البوصيري صاحب البردة قالها ومعهما بيت ثالث في محمد بن علي احد وزراء الظاهر بيبرس البندقداري توفي سنة ٦٦٨ هـ فرثاه البوصيري بهذه الابيات :

نم هنيئاً محمد بن عليّ   بجميل قدَّمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى   غلبتنا يد المنون عليكا
انت احسنت في الحياة الينا   احسن الله في الممات اليكا

التشاؤم بالعدد ١٣

(الاسكندرية) اسعد افندي سليمان

نرى بعض الافرنج يتشاءمون من العدد ١٣ فلا يجتمعون به على مائدة ولا في جلسة فما اصل هذه العادة

الرسمية المختصة بالخدمة الكنائسية يرتلون التراتيل الروحية ، وكان لاستقبال تلك المطبعة احتفال تحدث الناس به زمناً لغرابته

غرائب تتعلق بالخلفاء

نقلا عن صبح الاعشى

أربع نسوة في الاسلام ولدت كل واحدة منهن خليفتين فاطمة بنت رسول الله (صلعم) ولدت الحسن والحسين وقد بويع لهما بالخلافة وولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان ولدت له الوليد وسليمان وهما خليفتان وساهر بنت فيروز بن يزدجر زوجة الوليد بن عبد الملك ولدت له يزيد وابراهيم فوليا الخلافة والخيزران ولدت المهدي موسى الهادي وهارون الرشيد

امرأة لها اثنا عشر محرماً كل منهم خليفة وهي عاتكة بنت يزيد ابن معاوية يزيد أبوها ومعاوية بن أبي سفيان جدها ومعاوية بن يزيد اخوها وعبد الملك بن مروان زوجها ومروان بن الحكم حموها ويزيد بن عبد الملك ابنها والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها [١] ومثلها من بني العباس زبيدة بنت جعفر ابن المنصور جدّها المنصور وأخو جدّها السفاح وزوجها الرشيد وعمها المهدي وابنها الامين وأبناء زوجها المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل

خليفة سلم عليه بالخلافة عمه وعم أبيه وعم جدّه وهو هارون الرشيد سلم عليه سليمان بن المنصور والعباس بن محمد عم أبيه المهدي وعبد الصمد بن علي عم جدّه أبي جعفر المنصور

خليفة سلم عليه من أهل بيته سبعة كل منهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه احمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وسليمان بن المأمون وعبد الله بن الامين وأبو محمد ابن الرشيد والعباس بن الهادي ومنصور بن المهدي

---

(١) هكذا بالاصل

خليفة قبّل هو وابنه يد خليفة فأجاز ابنه بجائزة ثم قبل المقبلة يده هو وابنه يد المقبل أولاً وهو خليفة فأجاز ابنـه بمثل تلك الجائزة هو المعتصم وقف لابراهيم بن المهدي أيام خلافته ثم نزل المعتصم فقبل يده ثم أدنى منـه ابنه هارون فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين عبدك هارون ابني فأمر له بعشرة آلاف درهم فلما استخلف المعتصم وقف له ابراهيم بن المهدي ثم ترجل في ذلك الموضع بعينه وقبل يده وأدنى منه ابنه هبة الله فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين عبـدك هبة الله ابني فأمر له بعشرة آلاف درهم قال الصولي ولا يعرف مثل ذلك لخليفتين وابنيهما

خليفة جرت أموره كلها على ثمانية وهو المعتصم فهو الثامن من خلفاء بني العباس ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة وعمره ثمان وأربعون سـنة وكان ثامن أولاد الرشيد وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية ايام وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف دينار وثمانية وعشرين وألف درهم وثمانية عشر الف دابة وله ثمان فتوحات وتوفي لثمان بقين من شهر ربيع الاول ومن ثم سمي المثمن

خليفة له عشرة أولاد وعشرة اخوة وعشرة أولاد اخوة هو مروان بن الحكم فأولاده العشرة عبد الملك ومعاوية وعبد العزيز وقس وعمر ومحمد وعبيد الله وعبد الله وأيوب وداود[1] واخوته عبد الواحد وعبد الملك وعبد العزيز وسعيد بنو الحارث ابن الحكم وحرب وعثمان وعمر بنو عبد الرحمن بن الحكم ويوسف وسليمان ويحيى بنو يحيى بن الحكم

ليلة ولد فيها خليفة ومات فيها خليفة وولي فيها خليفة وهي ليلة السبت لاربع بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ولد فيها المأمون ومات فيها الهادي واستخلف فيها الرشيد ولا يعهد مثل ذلك في زمن من الازمان

خليفتان أحـدهما ابن الآخر بين قبريهما بعد كبير وهما الرشيد والمأمون قبر الرشيد بطوس وقبر المأمون بطرسوس

خليفة ركب البريد وهو موسى الهادي مات أبوه المهدي وهو نائبه على جرجان

---

(١) لم يذكر الا أولاد اخوته

فكتب اليه الرشيد بالخبر والبيعة ووجه اليه الخاتم والبردة والقضيب فركب البريد وأتى بغداد بعد ١٣ يوماً من موت المهدي ولا يعرف خليفة ركب البريد غيره

خليفتان اسم كل منهما جعفر قتل كل منهما في يوم الاربعاء وهما المتوكل والمقتدر

خليفة ولي الخلافة ستين سنة متوالية وهو المستنصر بالله الفاطمي خليفة مصر على أن الثعالبي في لطائف المعارف قال استقرت ولاية معاوية بن أبي سفيان أربعين سنة عشرون منها إمارة وعشرون منها خلافة .

خليفة كانت خلافته يوماً أو بعض يوم هو عبد الله بن المعتز بويع بعد خلع المقتدر فلما كان من الغد حاربه غلمان المقتدر وعاونهم العامة فهرب واختفى ثم ظفر به

أربعة اخوة تولوا الخلافة وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام أولاد عبد الملك بن مروان . لم يل الخلافة من أبوه حي سوى أبي بكر الصديق والطائع لله وكلاهما اسمه ابو بكر

لم يل الخلافة من أبواه هاشميان سوى الحسن بن علي من فاطمة ومحمد الامين ابن الرشيد من زبيدة .

(انتهى)

وصف القمر

نقلا عن الجزء الثالث من ديوان الرافعي

اطلَّ علينا والهوى يتعطف ... كما اقبلت فتانة تتأسفُ

وبتُّ اظنُّ البدر في دورانه ... جناح الاماني فوق رأسي يرفرفُ

كأن نهاري نام فالبدر والدجى ... لهُ حلمٌ في نومهِ يتألف

ألست تراها كالخيال تلاشياً ... متى انفتحت عين من الصبح تطرفُ

كأني ارى بين الكواكب نسوة الـ ... عزيز وهذا البدرُ فيهنَّ يوسفُ

كأن النجوم الغر سبحة زاهد ... معلقة في الافق والبدر مصحف

كأنك يا بدر الكواكب بينها ... فتاة مشت بين الازاهر تقطف

كأنك في موج الضياء مليحة ... تراقص في ماء الغدير فيرجفُ

كأنك في شط الحنادس جسمها ... وقد سترت من بعضه «تتنشف»

تمثل فيك الحب والحسن للورى ... فانت بمعنى الحب والحسن توصف

فبينا نُرى في التمّ تدفعنا هوىً | وتمدي غوانيا اذا انت مدنف
كانك كرميٌ الزمان وهـذه الـ | نجوم كراسيٌ صغار تصفف
كانك ستر الغيب أُسدِلَ بيننا | وبين السما فالغيب هيهات يكشف
كأن الليالي صوَّرتها يدُ الهوى | وفيها ضياء البدر وشيٌ وزخرف

***

ولما تعاتبنا اتهمتُ ودادَها | لتكمل لذّات الهوى حين تحلف
وقلت اكتبي لي بالعهود رسالةً | تلطف من شك الهوى وتخفف
فشدت على قلبي وقالت بلوعة | اذا ماالتقينا فالهوى منك اعرف
وان غبت كان البدر مني رسالة | اليك وما فيه من المحو احرف
فقلت بلى ان باعد الدهر بيننا | فهـذا الذي في امرنا يتكلف
يضلّ عذّالي فيبدو لعينهم | اذا راقبوه واقفاً وهو يزحف
فان تبصريه فابسمي للقـائه | أرى من هنا نور الثنايا فاهتف
وان مرَّ في واديك رطباً شعاعه | فقولي اذن اني من الوجد أذرف
وانهو التقى فوق فيك ابتسامة | فذاك سلامٌ من فمي يتلطف
وان جاء يوماً خاشعاً في غمامة | وسرّ نسيمٌ تحته يتأفف
فهاتيك روحي قد اتتك فسلّي | وذاك وداعي حينما كدت أتلف

مطبوعات جديدة

﴿القضاء الاهلي المصري﴾ هو قاموس قضائي يشتمل على اهم القواعد القانونية التي بنت عليها المحاكم المصرية آراءها القضائية في الدعاوي المختلفة مدنياً وجنائياً او هو يحتوي آراء الهيئآت القضائية الاهلية المختلفة في كل مشكلة قضائية منذ انشاء المحاكم الاهلية الى اليوم · الفه رصيفنا ابراهيم افندي الجمال صاحب جريدة الحقوق ورتبه على حروف المعجم ليسهل على المطالع الوقوف على مايريده سريعاً · وذيل كل قاعدة ببيان موجز يتضمن اسم المحكمة التي اصدرت الحكم المأخوذة عنه القاعدة وتاريخه واسماء الخصوم او نمرة القضية · وقد باشر طبع هذا الكتاب واعلن انهُ يصدر في اوائل السنة القادمة وجعل ثمنه جنيهين مصريين ولكنه فتح فيه باباً للاشتراك بماية وستين قرشاً تدفع مقدماً · ونظراً

لما نعهده بجمال افندي من سعة العلم في القضاء ودقة النظر في المواد القانونية وسلامة الذوق في التأليف والترتيب فنرجو ان يكون كتابه عظيم الفائدة للقضاة والمشتغلين في المحاماة

﴿ ديوان الرافعي ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الديوان لناظمه مصطفى افندي الرافعي الشاعر المشهور . وفي هذا الجزء دلالة على ما توقعناه من مستقبل هذا الشاعر الشاب منذ اطلعنا على الجزئين السابقين فانه مطبوع على الشاعرية ويكاد الخيال الشعري يكون ممتزجاً بلحمه ودمه وانما كان يعوزه الوقت لتنضج قريحته فاذا هي تنضج تدريجاً وترتقي في كل جزء عما قبله . والرافعي سيال القريحة سريع الخاطر ومع ذلك فالضعيف في شعره قليل . والجزء الذي نحن في صدده مؤلف من ابواب في التهذيب والحكمة والغزل والنسيب والوصف وغيرها كالاغراض والمقاطيع والتقاريظ . وفي كل منها قصائد رنانة تدلُّ على قريحة وقادة وخيال واسع نشرنا مثالاً منها في مكان آخر من هذا الهلال

﴿ تاريخ الايغومانوس فيلوثاوس ﴾ الف حضرة جرجس افندي فيلوثاوس عوض كتاباً في ترجمة الايغومانوس فيلوثاوس فقيد الامة القبطية ومن كان لهُ من معاصريه علاقة بالاصلاح القبطي أو تاريخ الاصلاح القبطي العصري . وبالحقيقة ان سيرة هذا الرجل عبارة عن تاريخ النهضة القبطية لانهُ دخل في اكثر حوادثها . وحضرة المؤلف من اكثر الناس اختلاطاً به واطلاعاً على احواله فضلاً عن تضلعه بتاريخ الامة القبطية القديم والحديث . فالكتاب الذي نحن في صدده احسن ممثل للنهضة الاصلاحية القبطية وهو يطلب من مطبعة التوفيق وثمن النسخة خمسة قروش واجرة البريد قرش ونصف

﴿ Choice of Choices ﴾ هو كتاب فيه نُخَبٌ من الشعر الانكليزي مما قيل في وصف الفصول والبلاد والمواقع والمناظر جمعه حضرة الاكسرخوس يوحنا حداد من مكتبة شيكاغو . قضى في جمعه ثلاثة اعوام وطبعه طبعاً متقناً جميلاً وزينه بالرسوم والاشكال وقدمه الى المستر روزفلت رئيس جمهورية اميركا تذكاراً للسلم الذي عقده بين روسيا واليابان . وفي آخره جداول احصائية مفيدة

﴿ القواعد المنطقية ﴾ هو مطول في علم المنطق وضعه بالافرنجية حضرة الاب تونجورجي اليسوعي ونقله الى العربية حضرة الخوري جرجس فرج صفير وكيل بطركخانة الموارنة في الاسكندرية وذيله بحواش وشروح وامثلة استخرجها مما طالعه في مطولات هذا الفن من الكتب العربية والافرنجية فجاء ذلك في نحو ٣٥٠ صفحة كبيرة . ويطلب من المطبعة المصرية بالاسكندرية ومن مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان

﴿ اللآلي السنية لعروس الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية ﴾ هو مجموع ما نشر في جريدة العمران عن حوادث البطريركية الانطاكية مع رسوم السادة المطارنة وغبطة البطريرك الجديد وتراجمهم تذكاراً لحوادث انتخاب سنة ١٩٠٦ وقد جعله مؤلفهُ حضرة عبد المسيح بك انطاكي صاحب العمران تقدمة لسيادة السيد اثناسيوس عطا الله مطران حمص وفيه كثير من الابحاث والانتقادات المتعلقة بمصلحة الطائفة الارثوذكسية في سوريا . وهو يطلب من ادارة العمران بمصر وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد غرشان

﴿ المكاتبات الفكرية ﴾ هو كتاب في الانشاء العصري لحضرة علي افندي فكري كاتب اول الكتبخانة الخديوية جمع فيه ما لذَّ وطاب من احاسن كلام الكتّاب وما دار بينه وبين بعض الادباء من المراسلات . وقسمهُ الى ابواب في مكاتبات التواد والتعارف واجوبتها ومكاتبات الاشواق واجوبتها ومكاتبات العتاب والاستعطاف والرجاء والتوصية واجوبة كل منها مما يساعد المراسلين على سهولة الانشاء . والكتاب يطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البريد نصف غرش

﴿ ابو الهول ﴾ هي ثاني جريدة صدرت بهذا الاسم في العربية [1] لمنشئها شكري افندي الخوري الكاتب الخفيف الروح . وقد قيل «اذا قرأت كتاب رجل الأ عرفت مقدار عقله فيه» وعندنا ان الكتاب يدلُّ على اخلاق كاتبه كما يدلُّ على عقله . وقد قرأنا لشكري افندي غير كتاب جدّي في قالب الهزل باللغة العامية اللبنانية فعلمنا ما فطر عليه الرجل من خفة الروح وسلامة الذوق . وقد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان الكتابة بلغة العامة اسهل كثيراً من الكتابة باللغة الفصحى ولكنها اصعب مما يتوهمون . لاننا تعودنا الانشاء باللغة الفصحى واغفلنا لغة العامة في غير الكلام وخصوصاً في مصر والشام . على ان اخواننا في العالم الجديد كثيراً ما يكتبون باللغة العامية وينظمون الشعر العامي (القريض) واكثرهم اشتغالاً بذلك صاحب جريدة ابي الهول التي نحن في صددها فانها تصدر في سانباولو بالبرازيل مرة في الاسبوع وتطرق المواضيع الطلية فتكتبها بلغة عربية بسيطة او لغة لبنانية مهذبة على اسلوب رقيق . وفيها منظومات عامية من القريض والمعنى والقصيد مما تلذ مطالعته وتجزل فائدته لما يتخلله من انتقاد العادات والاخلاق أو يرمي اليه من الاصلاح الادبي او السياسي او الاجتماعي وبدل الاشتراك مائة قرش في البرازيل و٢٥ فرنكا في الخارج وهذا عنوانها :

Mr. Chucri Curi,
Rua do Rozaro, 18, S. Paulo

[1] الأولى صدرت بمصر سنة ١٨٩٣ لصاحبها نجيب الحاج

﴿ فتاة الشرق ﴾ هي مجلة ادبية تاريخية روائية تصدر في القاهرة مرة بالشهر لصاحبتها السيدة لبيبة هاشم بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و ١٣ فرنكاً في الخارج وسنتها عشرة اشهر . واكثر قراء العربية يعرفون اسم السيدة هاشم ولا سيما السيدات لما كانت تنشئه من المقالات الادبية والاجتماعية والتهذيبية في المجلات العربية منذ بضع عشرة سنة فضلاً عن الكتب واسمها يومئذٍ « لبيبة ماضي » على ان اسمها الجديد وما رافقه من المشاغل العائلية لم يمنعها من مزاولة الكتابة عند سنوح الفرصة . ثم رأت في الصحافة العربية فراغاً لمجلة نسائية تبحث في التاريخ والادب فانشأت « فتاة الشرق » التي نحن في صددها والست لبيبة يندر بين سيدات الشرق من تجيد الانشاء العربي مع الضبط والسهولة مثلها فضلاً عن حسن اختيارها المواضيع ولذلك فنحن نرجو للفتاة الشرقية مستقبلاً مجيداً

﴿ النبراس ﴾ هي ثاني صحيفة صدرت بهذا الاسم [1] وهي مجلة علمية ادبية تاريخية فكاهية تصدر بالقاهرة مرة في الشهر لصاحبها احمد افندي شاكر بدل اشتراكها ١٥ غرشاً بمصر وخمسة فرنكات بالخارج

﴿ الكوثر ﴾ هي مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشئها محمد افندي شفيق مدرس بمدرسة والدة عباس باشا الاول تصدر بمصر مرة في الشهر اشتراكها ٢٠ غرشاً بمصر و ٣٠ في الخارج

﴿ الرموز ﴾ هي مجلة اصلاحية تهذيبية تصويرية تصدر في بونس ايرس بارجنتين ثلاث مرات في الشهر لمحررها رشيد افندي الخوري قيمة اشتراكها عشرة ريالات في جمهورية ارجنتين و ٢٥ فرنكاً في الخارج

﴿ المزعج ﴾ هي جريدة سياسية ادبية تصدر في تونس الغرب مرة في الاسبوع لمديرها ومحررها محمد بن عمران بدل اشتراكها عشرة فرنكات في تونس و ١٢ في الخارج

﴿ تونس ﴾ هي مجلة عمومية تصويرية تصدر في تونس مرتين في الشهر لصاحبيها صالح بن محمد وجبرائيل انكيري بدل اشتراكها في تونس عشرة فرنكات و ١٢ في الخارج — فنرجو لهذه الصحف الثبات في الخدمة العامة ونتمنى لها النجاح

﴿ حواء الجديدة ﴾ هي رواية احساسية للتفكه وكتاب ادبي للتأمل تأليف نقولا افندي حداد الكاتب الاجتماعي المعروف . موضوعها فساد الرجل والحاقه عار فساده بالمرأة . وقد وصفنا هذه الرواية وبينا رأينا فيها بكتاب خصوصي كتبناه بايعاز حضرة المؤلف

---

(١) الأولى صدرت بالاسكندرية سنة ١٨٩٥ لصاحبها نجيب جاويش

فنشره مع كتب أخرى في ذيل الرواية · وهاك ماقلناه في خاتمة الكتاب مما يستدعي انتباه كتّابنا لما نحن في حاجة اليه : « ان الرواية فلسفية اخلاقية حسنة التناسق شريفة المغزى تنصر المرأة على الرجل في امور يشعر بها القارئ وتشترك عواطفه مع المرأة لانها مظلومة و ينقم على الرجل لانه ظالم · ولكن هذه العلة عامة في العالم المتمدن وغيره وقد كانت شأن البشرية من اقدم ازمنة التاريخ ولن تزال الى ما شاء الله · واذا كان اصلاحها ممكنًا فاساتذتنا في العلم والفلسفة اولى منا به · فاذا كان مرادك مجرد تصوير هذا الظلم فقد احسنت واجدت واما اذا كان المراد اصلاحه فقد اضعت الكلام عبثًا

« ولا يخفى عليك اننا في حاجة الى اصلاح داخليّ حقيقي في آدابنا الاجتماعية على نحو ما جاء عرضًا في اثناء كتابك ولكنه قليل لا يشفي غليلاً — ان في آداب اللغة فراغًا كبيرًا لكثير من ضروب التأليف ولا سيما الروايات وخصوصًا التهذيبية الاخلاقية · وقد ثبت مما قرأناه لك حتى الآن انك كاتب اخلاقي فاصرف جهدك الى سد هذا الفراغ · اكتب الروايات في انتقاد العادات والاخلاق المضرة في هيئتنا الاجتماعية والتي يرجى اصلاحها · اجعل ابحاثك نقد حالتنا الاجتماعية وما يعتورها من النقص او الفساد فمثل اضراره تمثيلاً واضحًا واستعن بالخيال للتنميق والترغيب

« وبين ظهرانينا عشرات من العادات الاصلية والدخيلة تفتقر الى اصلاح واصلاحها ميسور وقريب وانما نحتاج الى من ينبه اليها تنبيهًا مؤثرًا وليس افضل من الروايات للوصول الى هذه الغاية اما على المراسح او في الكتب لعكوف الناس على مطالعة الروايات كبارًا وصغارًا — فاقترح عليك باسم آداب هذه اللغة ان تؤلف الروايات في تقبيح الرذائل الشائعة كالكذب مثلاً ولا سيما المستتر منه وراء المجاملة مع الحث على اتباع الصدق ونحوه من الفضائل · الف في بيان فظائع المقامرة والمسكر والبورصة وغيرها من الرذائل والمنكرات التي تئن تحت اعبائها · وانت تعلم اننا في عصر الحقائق وقد سبقتنا الامم المتمدنة مسافات بعيدة بتعويلهم على الابحاث الاصلاحية من الوجهة العملية Pratique وقد آن لنا ان نفعل مثل فعلهم »

والرواية تطلب من مكتبة الهلال وثمنها خمسة غروش واجرة البريد غرش

﴿ القبطان بول ﴾ هي رواية غرامية تاريخية ادبية تمثل الشهامة وكرم الخلق وعزة النفس تأليف اسكندر دوماس الروائي الفرنساوي الشهير وقد نقلها الى العربية حضرة حبيب افندي فهمي وطبعت بنفقة المكتبة الشرقية وتطلب منها وثمن النسخة ٨ غروش والبريد غرش

﴿ الغار المظلم ﴾ رواية ادبية غراميـة تاريخية تاليف حضرة ابراهيم افندي محمد وطبعت بنفقة منصور افندي عبـد المتعال وهي عربية الموضوع والموقع تبتدىء بحضرموت وتنتهي بخروج الاندلس من حكم المسلمين وتطلب من طابعها ومن مكتبة الهلال

﴿ البنفسج الابيض ﴾ واهدانا منصور افندي عبـد المتعال ايضاً هـذه الرواية تاليف اميل رشبورغ وقد عربها حضرة حنا افندي صاوه وتطلب من حضرة الطابع

﴿ من الملوم ﴾ هي رواية ادبية غرامية واقعية بين شاب سوري وفتاة افرنسية تاليف حضرة مخائيل افندي زربطاني نزيل مونتريل كندا وقد طبعت طبعاً متقناً في نيويورك وأكد لنا حضرة المؤلف بكتاب خصوصي غير ما قاله في مقدمة الرواية انها واقعية فعلاً فهي اذاً جديرة بالمطالعة

﴿ الحب المكتوم ﴾ هي رواية انكليزية مشهورة في اميركا لمؤلفها بولس فورد واسمها الانكليزي the Story of untold Love فنقلها الى العربية حضرة رصيفنا امين افندي الغريب صاحب جريدة المهاجر التي تصدر في نيويورك ونشرها تباعاً في جريدته ثم طبعها على حدة جرت حوادثها في ختام القرن التاسع عشر سنة ١٩٠٠ وهي مؤلفة بشكل رسائل متوالية جملتها ٢٥ رسالة اذا قرأها المطالع تفهم منها قصة غرامية ادبية لذيذة وهي تطلب من مطبعة المهاجر في نيويورك

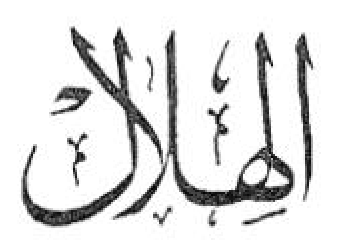
﴿ صبح الاعشى في صناعة الانشا ﴾ هو مطول في الانشاء العربي لابي العباس احمد القلقشندي المتوفى بالقاهرة سنة ٨٢١ هـ وكان من هذا الكتاب في دار الكتب الخديوية اربعة اجزاء من الثالث الى السادس وينقصها الجزآن الاول والثاني فعلمت بوجودها في مكتبة اكسفورد فنقلت صفحاتهما بالفوتوغراف . ولما كملت النسخة اخذت بنشرها في مطبعة بولاق فظهر الجزء الاول في ٥٨٠ صفحة كبيرة . وكان الاصل الذي نقل هذا الجزء عنه سقيم الخط كثير التحريف فكابد مصححاه السيد محمد الببلاوي وكيل الكتبخانة والشيخ احمد الميهي مغيرها العربي مشقة في ضبطه . وهو يحتوي على مقدمة في فضل الكتابة ومدح فضلاء اهلها وذم حمقاهم وفي مدلول الكتابة لغة واصطلاحاً وفي صفات الكتاب وآدابهم وتعريف حقيقة ديوان الانشاء وقوانينه وترتيب احواله وآداب اهله . ويلي ذلك فصول ضافية في ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من الامور العلمية والادبية والتاريخية فضلاً عن اللغة وقواعدها وعلومها والخط وما يتعلق به . ويدخل في ذلك فصول في النحو والصرف والمعاني والبيان والشعر والامثال والانساب وايام العرب وعاداتهم واوابدهم واوصاف الحيوانات على

اختلاف اجناسها والآلات على انواعها والافلاك واقسامها وما يلحق بها واقسام الازمنة وغير ذلك مما يعز العثور عليه الا بمطالعات شاقة . وبعض هذه المواد فقد اصله وضاعت الكتب التي نقل عنها . فنثني على حضرة ناظر الكتبخانة الخديوية لنشر هذا الكتاب خدمة لآداب اللغة العربية . ونحن في انتظار الاجزاء التالية بفارغ الصبر

سعد بك زغلول

وزير المعارف الجديد

علمنا ونحن نخط آخر صفحة من الهلال ان الحكومة عينت سعد بك زغلول ناظراً للمعارف العمومية . وكنا قد عدلنا عن نشر اخبار التعيين ونحوها منذ عدة سنوات . واما هذا التعيين فلم نتمالك عن نشره لعلاقته بالمقالة التي صدَّرنا بها هذا الهلال عن المدرسة الكلية المصرية ولأن سعد بك زغلول مشهور عند الخاص والعام بنزاهته وحرية ضميره واستقلال فكره وبعده عن الزلفى وانه لم يتولَّ منصباً من مناصب الحكومة الا مندوباً اليه رغبة في مصلحة ذلك المنصب وربما قبل التعيين رغم ارادته مراعاة للمنتدبين أو رغبة في خدمة وطنه فضلاً عما عرف به من حب العلم والرغبة في ترقية عقول الشبيبة المصرية وتربية اخلاقهم — يدلك على ذلك اجماع الخاصة على انتخابه رئيساً للجنة التحضيرية التي تشكلت للنظر في مشروع الكلية المصرية . فتعيين سعد بك وزيراً للمعارف المصرية يعدُّ خطوة كبرى في سبيل هذه النهضة . ونحن نتوقع منه التفكير في تعديل طرق التعليم في المدارس المصرية واحياء اللغة العربية بجعلها اساس التعليم فيها لينبغ من ابنائها العلماء والكتاب يبثون روح الهمة في سائر افراد الامة . غير ما نرجوه من تسهيل مشروع الكلية . ولو خيرت الامة المصرية في انتقاء وزير للمعارف توجه آمالها اليه وتضع ثقتها فيه ما اختارت غير هذا الوزير . وكأن ولاة الامور لما عاينوا رغبة الناس في الحكم الدستوري واجماع الجرائد على طلب المجلس النيابي اجابوهم بتسليم زمام المعارف الى من يرقيها ويحسن ادارتها ولسان حالهم يقول للطالبين « ان الامة المصرية في حاجة الى التعليم العالي اكثر من حاجتها الى مجلس نيابي فمتى عمَّ التهذيب والتعليم كان تشكيل هذا المجلس اقرب من حبل الوريد »



الجزء الثالث من السنة الخامسة عشرة

١ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٦ و ١٥ شوال سنة ١٣٢٤

تاريخ التعليم في مصر

من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن

نظرًا لاشتغال الصحف واهتمام الناس بامر السكلية المصرية والبحث في طرق التعليم في المدارس الاميرية وانتقادها رأينا ان نأتي بخلاصة تاريخ التعليم في وادي النيل من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن اذ لا يخلو ذلك من عبرة او فائدة

اولا التعليم قبل الاسلام

١ — العصر الفرعوني

كانت مصر في التاريخ القديم مهد العلم ومنشأ التمدن يأتيها طلاب المعرفة من الامم المعاصرة في فينيقية واليونان والرومان يتلقون العلم فيها ومدارسها يومئذ في الهياكل والمعابد تلقى فيها العلوم سرًا على المختارين شأن التعليم في عهد التمدن القديم . فانه كان محظورًا على العامة لا يناله غير طائفة من الخاصة بعد الاقرار على قبولهم في سلك التلامذة

وكانوا يشترطون في القبول شروطاً تشبه ماتشترطه جمعية الماسون في قبول الطالبين ويتدرجون في تلقين العلوم مثل تدرج هؤلاء في تلقين اسرارهم

واشهر « مدارس » وادي النيل في العصر الفرعوني جمعية كانوا يسمونها جمعية ايزيس السرية ذاع صيتها في اقطار العالم يومئذ واًمها الطالبون من شبان الامم المجاورة لم يكن

يقبل فيها غير الذين تثبت اهليتهم لاحراز تلك الاسرار . واذا اقروا على قبول طالب جربوه تجارب مخيفة اذا جازها بثبات و بسالة لقنوه الاسرار . وقس على ذلك سائر المدارس القديمة في الهياكل الكبرى كهيكل عين شمس والكرنك ولقصر ونحوها

واشتغال المصريين بالعلوم قديم وقد وضعوا بعضها قبل عهد مينا اول ملوكهم اي منذ سبعة آلاف سنة . فلما ازهر تمدنهم في عهد الدولتين القديمة والوسطى درسوا تلك العلوم ووسعوها والفوا الكتب في بعضها ونقشوا كثيرًا منها على ابنيتهم مما لا يزال باقيًا الى الآن . ورصدوا الافلاك وعرفوا حركات الكواكب واتقنوا الهندسة ولا سيما هندسة البناء وآثارهم شاهدة على ذلك . وفاقوا معاصريهم بالميكانيكيات والكيمياء والتعدين ناهيك بالطب والجراحة والصناعة والزراعة والموسيقى غير ما وضعوه من الشرائع والآداب والتعاليم الدينية مما يضيق المكان عنه

فكانت مصر في ذلك العهد موردًا لطلاب المعرفة من اهل التمدن القديم لا سيما اليونان فانهم نشأوا والمصريون في ابان تمدنهم فلجأوا اليهم في اقتباس اسباب التمدن فكان اكثر ما بنوا عليه فلسفتهم وعلمهم مأخوذًا من وادي النيل . ولم ينبغ فيهم فيلسوف او شاعر الا وفد على مصر وتلقن علومها بلسان اهلها « وتخرج في مدارسها » — كذلك فعل فيثاغورس وافلاطون حتى هوميروس وغيره فقد أموا مصر وتتلمذوا لكهنتها وتلقوا الطبيعيات والرياضيات والزراعة والنجوم والطب والموسيقى فيها . غير النابغين من ابنائها في الشرائع والآداب الدينية فان اكثر الهة اليونان القدماء وكثيرًا من عباداتهم منقولة عن مصر ومعظم الطقوس الدينية المتبعة في العالم المتمدن اليوم اصلها من مصر واشهر الاديان الالهية التوحيدية الشائعة في العالم المتمدن اليوم مؤسسة على كتاب لشارع تلقن العلم في مصر

— العصر اليوناني — مدرسة الاسكندرية

اخذ اليونان العلم عن مصر وهم في طفوليتهم فلما شبوا كانت مصر قد شاخت وتضعضعت فعادوا به اليها وقد نما وارتقى وتبدل وتغير بما أضيف اليه من مقتبسات الامم الاخرى في اشور وفينيقية وبما وضعه اليونان من عند انفسهم في اثناء الاجيال المتوالية — نقلوا ذلك كله الى مصر وانشأوا له مدرسة جامعة ذاعت شهرتها في الخافقين ولا يزال صداها يرن في الآذان الى اليوم — نعني مدرسة الاسكندرية

على ان اليونان لم يحملوا علمهم الى الاسكندرية الا مضطرين بطبيعة العمران

سنة الله في خلقه ـ وذلك ان تلك العلوم نضجت في اذهانهم ووضعوا فلسفتهم وآدابهم وعلمهم نحو القرن الرابع قبل الميلاد رغم ما انتابهم في اثناء ذلك من الحروب الاهلية . لكنهم لم يكادوا يتخلصون من تلك الحروب حتى جاءهم الرجل المكدوني العظيم (الاسكندر) فغلبهم على ما في ايديهم ثم حمل بهم على العالم المتمدن في ذلك العهد ففتح مصر وبنى فيها الاسكندرية واكتسح الشام والعراق وفارس الى بلاد الهند . فاصاب العالم بتلك الحروب هزة انتفضت لها اعصابه واختلطت عناصره فالتقى اليوناني بالفينيقي والمصري والفارسي والكلداني والهندي وتحاكت الافكار وتلامست المطامع وتقاطعت المصالح وكان من اول نتائجها : اولاً نشر علوم اليونان وآدابهم وتمدنهم في امم الارض . ثانياً نقل علوم الفرس والكلدان وغيرهم الى بلاد اليونان او مصر . فقد ذكروا ان الاسكندر لما فتح اصطخر عاصمة الفرس اخرب ابنيتها وشوه نقوشها ونسخ ما كان مجموعاً من ذلك في الدواوين والخزائن هناك ونقله الى اللسان اليوناني والقبطي . وبعد فراغه من نسخ حاجته منه احرق ما كان مكتوباً بالفارسية . واخذ ما كان يحتاج اليه من علم النجوم والطب والطبائع وبعث به وبسائر ما اصاب من العلوم والاموال والخزائن والعلماء الى بلاد مصر

ولما مات الاسكندر سنة ٣٢٣ ق م انقسمت مملكته بين قواده فانتقل علماء اليونان من بلادهم للاقامة في مستعمراتهم الجديدة في مصر والشام والعراق فابتنوا المدارس في الاسكندرية وانطاكية وبيروت وغيرها وكان حظ البطالسة في الاسكندرية اوفر من حظوظ سائر الدول اليونانية الشرقية في ترقية شؤون العلم والفلسفة . وكان سوتر اول البطالسة عادلاً محباً للعلم (حكم من سنة ٣٠٦ — ٢٨٥ ق م) فتقاطر اليه العلماء والفلاسفة من بلاد اليونان على اختلاف القبائل والاماكن فاكرم وفادتهم ونشطهم في مواصلة البحث والدرس واطلق لهم الاموال فزادوا احتراماً له ورغبة في العلم

وكان في جملة المقربين اليه خطيب اثيني اسمه ديمتريوس فاليروس اشار عليه بانشاء مكتبة يجمع اليها الكتب من انحاء العالم فاجابه الى ذلك وهي مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي بحثنا عن اسباب حريقها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ . والظاهر ان الكتب التي بعثها الاسكندر من اصطخر وغيرها وضعوها في هذه المكتبة . وديمتريوس هذا هو الذي سماه ابن القفطي « زميرة » وسبب الفرق تصحيف في النسخ . وباشارته ايضاً انشأ سوتر المتحف او النادي (Museum) على شكل مدارس اوربا الجامعة يجتمع فيه العلماء والادباء والفلاسفة للدرس والبحث وهو مدرسة الاسكندرية الشهيرة



فلكي يوناني يرصد الكواكب في المرصد الاسكندري

وكان البطالسة خلفاء سوتر يقتفون اثره في تنشيط العلم واكرام العلماء وخصوصاً بطليموس فيلاذلفوس (من سنة ٢٨٥ — ٢٤٧ ق م) فانه اضاف الى المكتبة مالم يكن فيها من كتب العلم اليونانيـة وغير اليونانية فابتاع كتباً كانت عند ارسطو وجمع كثيراً من مؤلفات اليهود والمصريين القدماء حتى لا ينقص هذه المكتبة علم ولاخبر . وخلفه بطليموس اورجيتس (سنة ٢٤٧ — ٢٢٢ ق م) فاضاف الى المكتبة كثيرًا من كتب الادب والشعر والتمثيل ممـا وجدوه في خزائن اثينا وفرض على كل من يقيم في الاسكندرية او يمرّ بها من رجال العلم ان يقدم للمكتبة نسخة من كل ما يملكه من الكتب . فزهت الاسكندرية بالعلم ونبغ فيها العلماء في كل موضوع حتى فاقت ما تقدمها او عاصرها من مدن العالم القديم . وما زالت رافلة بالعلم والعلماء الى ظهور الاسلام اي عبارة عن نيف وتسعمائة سنة تقسم الى مدتين .الاولى يونانية تبتدىء بولاية سوتر وتنتهي بدخول مصر في حوزة الرومان سنة ٣٠ قبل الميلاد والثانية رومانية تبتدىء من هذه السنة وتنتهي سنة ٦٤٠ م لما فتحها ابن العاص . وكان غرضها في المدة الاولى علمياً ادبياً وغايتها ترقية العلوم اليونانيـة وتوسيع

نطاقها وكانت المرجع العلمي الوحيد في تلك العلوم الى اواخر القرن الثاني للميلاد فاخذت تتقهقر لاسباب كثيرة اهمها فساد الحكومة واعوجاج الاحكام وظهور مدارس اخرى من نوعها في سوريا ورودس وغيرها . فتحولت همم رجال العلم الى بلاد العدل والحرية . فلما دخلت الاسكندرية في حوزة الرومان اتسعت شهرتها باتساع دولتهم ولكن رغبة رجال العلم تحولت عنها الى رومية . واتفق ظهور الديانة المسيحية واشتغال ذوي القرائح في اثباتها او نفيها . ونظراً لتوسط الاسكندرية وقربها من ميدان الجدال اتخذت مدرستها خطة فلسفية دينية — فلمدرسة الاسكندرية بهذا الاعتبار عصران الاول يوناني علميّ ادبي والثاني روماني فلسفي ديني

واكثر النابغين من العلماء والفلاسفة في عصر البطالسة انما كانوا من تلامذة هذه المدرسة او اساتذتها . فمن مشاهير الرياضيين واصحاب النجوم اقليدس وارخميدس وابولونيوس وهيبارخيوس وكان في الاسكندرية مرصد لرصد الافلاك واستخراج الازياج وما زال مرصدها وحيداً في العالم الى ظهور الاسلام . واشتهر من علماء الجغرافية اراتستين وبطليموس القلوذي . واما الطب فقد كان له فيها شأن كبير واشتهر من اطبائها هيروفيلوس واراسستراتس ولكل منهما رأي في الطب عرف باسمه واجتمع حوله حزب كبير ثم ظهر جالينوس وغيره من مشاهير الاطباء والفلاسفة . واختصت هذه المدرسة بترقية الطب على الخصوص ولا سيما التشريح وعلم الكيمياء وظلت مركز التدريس في الشرق الى اول القرن الاول للهجرة اذ نقله الخليفة عمر بن عبد العزيز الى مدرسة انطاكية فمدرسة حران وغيرها

ثانياً — التعليم بعد الاسلام

بينا في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي ان القرآن اساس العلوم الاسلامية فتعليمه اساس التعليم الاسلامي واول دروس القرآن قراءته فاول المعلمين في الاسلام النبي علّمه الصحابة وهم علّموه الناس مع ما ترتب عليه او تفرّع عنه من العلوم . ولهذا السبب كانت مدارس المسلمين في جوامعهم كما كانت مدارس النصارى في اديرتهم وكنائسهم وكانوا يسمون التلامذة المجتمعين حول استاذ يتلقون علماً من العلوم « حلقة » . وتفرعت العلوم بتوالي الاعوام واتسعت دوائرها حتى اصبح للعلم الواحد عدة حلقات والغالب ان تنسب الحلقة الى استاذها فيقولون مثلاً حلقة ابي اسحق الشيرازي في جامع المنصور او نحو ذلك .

وكانوا يجعلون في كل جامع خزانة كتب للمطالعة او الاستنساخ

على ان التعليم لم يكن خاصاً بالمساجد فكثيرًا ما كانوا ينشئون حلقات التدريس في المارستانات او الربط او المنازل او غيرها . وكان الاغنياء اذا ارادوا تعليم اولادهم احضروا المعلمين الى منازلهم كذلك كان يفعل الخلفاء والامراء ولا يزال اهل الوجاهة يفعلون ذلك الى اليوم

وكانت مصر في القرن الأول للهجرة ولاية من الولايات المملكة الاسلامية تابعة لمدينة او دمشق أو بغداد فكان التعليم فيها ثانويًا ودخل القرن الرابع للهجرة وليس في عاصمتها الا جامعان جامع عمرو وجامع ابن طولون تلقى فيهما العلوم الاسلامية على مذهب اهل السنة لانها كانت تابعة للدولة العباسية . فلما تغلب الفاطميون على مصر في اواسط ذلك القرن وانتقلوا اليها بنوا مدينة القاهرة وأنشاوا فيها مسجدًا يعلمون فيه مذهبهم « الشيعة » وللازهر تاريخ طويل هاك خلاصته :

١ — الازهر ومدرسته

بنى الازهر القائد جوهر فاتح مصر للخلفاء الفاطميين في أواسط القرن الرابع للهجرة وكان الغرض الاول من بنائه اقامة الشعائر الدينية وتأييد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين في الدولة الاسلامية من ذلك العهد[1] وكانت هذه الشيعة قد قاست الامرين تحت سلطة العباسيين من قتل ونفي فلما تأتى لها ان تغلبها على مصر جعلتها عاصمة دولتها وانشأت القاهرة معقلاً لجندها والجامع الازهر لتأييد مذهبها لان العامة لا تحكم بمثل الدين . وكان المصريون يومئذ على مذهب الامام الشافعي لان هذا الامام قضى أخريات ايامه بمصر ومات فيها وقبره مشهور في ضواحي القاهرة . وكان الفاطميون يعترفون بهذا المذهب أيضاً واما العباسيون فكانوا على مذهب ابي حنيفة . فتوافق الفاطميون والمصريون في المذهب فهان على الفاتحين تأييد سلطانهم وتوسيع دائرة نفوذهم فقربوا الفقهاء والعلماء واستقدموهم من سائر اقطار العالم الاسلامي واجروا عليهم الارزاق وفرقوا فيهم الاموال . وكانت اكثر مجالسهم تعقد في الازهر على عادة الفقهاء في ذلك العهد فتزاحمت فيه الاقدام وكانوا كلما ضاق بهم وسعوه بابنية ينشئونها بجانبه ويوسعون دوره حتى اصبحت سعته الآن نحو ١٢,٠٠٠ متر مربع وكانت اقل من نصف ذلك . وتضاعفت اساطينه مرارًا

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٧٩ ج ٤

وكان عددها يوم بني ٧٦ اسطوانة فاصبحت ٣٧٥ اسطوانة متفرقة في اجزائه . وصارت أبوابه تسعة

وكانت اعطية الخلفاء للفقهاء في اول الامر على غير قياس او ميقات فلما افضت الخلافة الى العزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين سنة ٣٦٥ ه امر وزيره يعقوب بن كلس ان يرتب للفقهاء ارزاقاً معينة وان يبنى لهم منازل يقيمون فيها بجانب الجامع . وكانوا ياتون المسجد في بادىء الرأي لصلاة الجمعة وقراءة الفقه على رأي الشيعة والوعظ والمباحثة فتدرجوا من القراءة الى التعليم حتى اصبح الجامع مدرسة كبرى اكثر دخلها مما وقفه لها الخلفاء والامراء ويقدر دخله السنوي اليوم بعشرين الف جنيه

٢ — علوم الازهر

ظل الازهر مدرسة شيعية طول خلافة الفاطميين (نحو مئتي سنة) حتى غلبهم صلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٥٦٧ ه وكان سني المذهب وليس له بدٌّ من مبايعة خليفة يثبته في منصبه فبايع الخليفة العباسي في بغداد وخطب له في الجامع الازهر . وكان صلاح الدين على مذهب الامام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير من طرق التعليم وقبل الناس سلطته على اهون سبيل . على انه لم يرَ له مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب ابي حنيفة ورأى بحكمته وسداد رأيه ان يكتسب ولاء سائر المسلمين فاجاز تعليم المذاهب الاربعة كل مذهب يحضره اهله . فآل ذلك الى اتساع شهرة هذه المدرسة وتقاطر اليها الطلاب من اربعة اقطار المسكونة . ولم يبقَ التعليم قاصراً فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة ولكنه تناول شيئاً من الرياضيات والنجوم وبعض العلوم الطبيعية

وما زال ذلك شأنها في ايام السلاطين الايوبيين ومماليكهم حتى جاء السلطان سليم العثماني وفتح مصر في اوائل القرن العاشر للهجرة ثم استبد الامراء المماليك في الحكومة فاشتغل الناس عن العلم . وكان العنصر العربي قد ضعف شأنه في سائر المملكة الاسلامية الاَّ في مصر لان مدرسة الازهر كانت اكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية حية بتعليم العلوم الدينية واللسانية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم واهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات

على ان فضل الازهر في احياء اللغة العربية لم يكن قاصراً على نشرها في الديار المصرية او ما جاورها من البلاد العربية لكنه شمل سائر البلاد الاسلامية فقد كانوا يفدون على مدرسته من بلاد الترك والمغرب والشركس واليمن وزنجبار والهند وافغانستان وغيرها . وقد رغب الناس فيه لانهُ كان يعلم الطلبة مجاناً ويقوم بنفقاتهم من الطعام واللباس والمأوى

فضلاً عن امتيازه بمهارة الاساتذة . فكان اعظم العلماء المسلمين في الاجيال الاسلامية الوسطى انما ينبغون من مدرسة الازهر . وكان للمتخرج من هذه المدرسة مزية وفضل على المتخرجين من سائر المدارس الاسلامية

وما زالت علوم الازهر قاصرة على الدين واللغة الى الوثبة الثانية من هذه النهضة بعد الحوادث العرابية اذ اهتم العقلاء من ولاة الامور بادخال بعض العلوم الحديثة ونحوها مما لا غنى عنه في مجاراة تيار التمدن في هذا العصر . ولكنهم خافوا ان يفاجئوا الناس بهذا الاصلاح لما رسخ في اذهانهم من آثار العصور المظلمة من تقبيح العلوم الطبيعية وما يبنى عليها واتهام اصحابها بالكفر . فرأت الحكومة ان تمهد ذلك بفتوى من كبار الفقهاء فاستفتت المرحومين الشيخ محمد الانبابي شيخ جامع الازهر والشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف » فاجاب الشيخ الانبابي جواباً مؤرخاً في اول الحجة سنة ١٣٠٥ هـ خلاصته جواز تعليم تلك العلوم مع بيان النفع من تعلمها وصادق الشيخ البنا على هذه الفتوى بتاريخ ٧ منه

ثم نهض المرحوم الشيخ محمد عبده لاصلاح الازهر في هذا السبيل كما هو مشهور . ومع هذا وذاك لم يدخل من هذه العلوم الا بعضها ومن عهد غير بعيد . واليك جدول العلوم التي تعلم في الازهر الآن وهي تقسم الى وسائل ومقاصد . اما الوسائل فهي :

النحو	مصطلح الحديث
الصرف	الحساب
المعاني	الجبر
البيان	العروض
البديع	القافية
المنطق	

والمقاصد يراد بها العلوم التي يرجى الوصول اليها بعد التمكن من الوسائل وهي :

علم الكلام	اصول الفقه
علم الاخلاق الدينية	تفسير القرآن
الفقه على المذاهب الاربعة	الحديث

كل هذه العلوم كانت تعلم في الازهر قبل هذه النهضة فاضافوا اليها العلوم الآتية

صناعة الانشاء	الجغرافيا
اللغة متناً وأدباً	علوم عقلية
مبادىء الهندسة	الخط

ولو راجعت اسماء الكتب التي تعلم هذه العلوم بها لرأيت اكثرها قديماً يحتاج الى تعديل حتى يوافق روح العصر

على ان ما بذله المرحوم الشيخ محمد عبده في سبيل ترقية الازهر وان لم يأت بالثمر المطلوب فانه قد نبّه اذهان الطلبة لمطالعة كتب التاريخ والطبيعيات وغيرها من العلوم الحديثة . فالعقلاء منهم يطالعون تلك العلوم بانفسهم أو يقرأونها على اهلها . ونشأ في تلامذة الازهر حرية البحث وحب الاطلاع والتمييز بين النافع وغير النافع من العلوم . فكأن الشيخ رحمه الله هذب نفوسهم ورقى اخلاقهم وعلمهم كيف يتعلمون ريثما يتم هذا الاصلاح رسمياً في قوانين هذه المدرسة

٣ — طلبة الازهر ورواقاته

وتلامذة الازهر الآن يزيدون على عشرة آلاف تلميذ يقسمون الى فرق باعتبار المواطن وتقيم كل فرقة بمسكن مؤلف من غرف يعبرون عنه بالرواق . والاروقة في الازهر ٢٧ رواقاً منها ١١ لاهل القطر المصري تقسم باعتبار البلاد أو المذاهب على هذه الصورة :

(١)	رواق الصعايدة	يسكنه اهل الصعيد
(٢)	« البحيرة	
(٣)	« الفيومية	
(٤)	« الطيبرسية	كان يسكنه بعض اهل مديرية الغربية
(٥)	« الاقبغاوية	يسكنه اهل الغربية والمنوفية
(٦)	« الحنفية	« الاحناف من اهل مصر
(٧)	« الفشنية	« الفشن
(٨)	« ابن معمر	« من لم يكن له جهة مخصوصة
(٩)	« الشراقوة	لاهل الشرقية
(١١)	« الحنابلة	« الحنابلة من اهل مصر
(١١)	« العباسي	هو مؤلف من عدة اروقة

وما بقي من الاروقة يقيم فيها الطلبة الوافدون على القطر المصري من الخارج ويعرف كل منها باسم اصحابه وهي :

(١)	رواق الحرمين الشريفين	لاهل الحجاز
(٢)	« دكارنة دارفور	« دارفور من السودان
(٣)	« الشوام	« الشام
(٤)	« جاوى	« جاوى وما جاورها
(٥)	« السليمانية	« لاهل افغانستان
(٦)	« المغاربة	« المغرب
(٧)	« السنارية	« سنار بالسودان
(٨)	« الاتراك	الاتراك
(٩)	« الدكارنة البرنوانية	لاهل بورنو في السودان
(١٠)	« الجبرت	الاحباش المسلمين
(١١)	« اليمن	لاهل اليمن وحضرموت
(١٢)	« الاكراد	للاكراد
(١٣)	« الهنود	لاهل الهند
(١٤)	« البغدادية	« العراق
(١٥)	« دكارنة صليح	« صليح بالسودان
(١٦)	« البرابرة	« النوبة

وتختلف هذه الاروقة سعة باختلاف اهلها على ان اكبرها رواق الاتراك ورواق الشوام ورواق المغاربة والصعايدة • واكثر الطلبة على مذهب الامام الشافعي • ويؤخذ من خطاب تلاه مصطفى بك بيرم في مؤتمر اللغات الشرقية المنعقد في همبورغ سنة ١٩٠٢ عن مدرسة الازهر ان عدد الطلبة فيها لذلك العام بلغ ١٠,٤٠٣ تلامذة ينقسمون على المذاهب كما يأتي :

٤,٥٦٩	شافعية
٢,٩٥١	حنفية
٢,٦٥٤	مالكية
٢٩	حنابلة

واكثر هؤلاء الطلبة من المصريين لان الغرباء لا يزيدون على $\frac{1}{17}$ من مجموعهم على هذه الكيفية :

عدد	
٩,٧٥٨	الطلبة المصريون
٢٦٤	« الشوام
١٢٠	« المغاربة
١٠٤	« الاتراك
٥٧	« السودانيون على الاجمال
٤٥	« البرابرة
٩	« الأكراد
٧	« الحجازيون
٧	« الجاويون
٦	« الاحباش
٥	« الافغانيون
٣	« الهنود
٢	« البغداديون
١٠,٤٠٣	المجموع

ويقسم التعليم في الازهر الى ثلاث درجات ابتدائية وثانوية وانتهائية كما يستدل من الشهادات التي ينالها الطلبة وهي ثلاث : الاولى شهادة المعافاة ينالها من اقام في الازهر ثلاث سنوات وقدم الامتحان اللازم . والثانية الشهادة الاهلية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ثماني سنوات على الاقل ويقدم الامتحان وهي الشهادة الاصلية التي كانوا يعطونها قبل ادخال النظام الجديد والغرض منها ايجاد أئمة للجوامع وخطباء لهم اطلاع على احكام الدين ويجوز تعيين اصحاب هذه الشهادة في وظائف الامامة والخطابة والوعظ في المساجد لتعليم العامة وليس لهم حق التدريس في الازهر . والثالثة شهادة العالمية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ١٢ سنة ويجوز لحاملها التعليم في الازهر

ومع كثرة طلبة الازهر لا ينال شهاداته في العلم الا نفر قليلون لان اكثر الطلبة

يخرجون منه قبل اوان الامتحانات ولا يتقدم للامتحان غالباً الا الراغبون في خدمة الحكومة بالقضاء الشرعي او التدريس . على ان عدد المتقدمين للامتحان يزداد كل عام

والمدرسون في الازهر ثلاث درجات عددهم جميعاً ٢٥٥ مدرساً ولكل درجة علوم يدرسونها . ويقسم المدرسون بالنظر الى المذاهب على هذه الصورة :

١٠٠ من الشافعية

٧٧ « المالكية

٧٦ « الحنفية

٢ « الحنابلة

وكان مشائخ الازهر يتصرفون في شؤونه من تلقاء انفسهم الى عهد غير بعيد فشكلت الحكومة سنة ١٣١٢ هـ مجلساً سمته مجلس ادارة الازهر مؤلفاً من خمسة اعضاء تنتخبهم من كبار العلماء ويكون شيخ الازهر رئيساً عليهم عند الاجتماع للمداولة . ولهذا المجلس النظر في ادارة شؤون الازهر علمياً وادبياً ومالياً . وفي الازهر مكتبة فيها ٢٠,٠٠٠ مجلد

ثالثاً النهضة الحديثة

ان مؤسس هذه النهضة محمد علي باشا الكبير وقد سيق الى ذلك باسباب طبيعية اجتماعية اقتضتها احواله السياسية على ما نبينه :

١ — المدرسة الحربية

تولى محمد علي ولاية مصر سنة ١٨٠٥ م وصادق الباب العالي على ولايته وظل مع ذلك خائفاً من المماليك لئلا تسنح لهم فرصة يثبون بها عليه كما كانوا يفعلون مع سواه من قبل فسبقهم وفتك بهم بقلعة القاهرة سنة ١٨١١ وقبض اموالهم واملاكهم واباح نساءهم وبيوتهم كما هو مشهور . وكان في جملة ما قبضه من اموالهم عدد كبير من صغار المماليك الشراكسة فانتقى اكبرهم سناً جعلهم في جملة الجند المولج بحراسته في قصره واستبقى صغارهم في القلعة يتربون فيها على جاري العادة في تربية الغلمان المماليك عند الامراء في ذلك العهد استعداداً للخدمة العسكرية او غيرها . فكانوا يحفظونهم القرآن ويعلمونهم الخط واللغة التركية والرياضة البدنية والحركات العسكرية وركوب الخيل

وكان محمد علي كبير المطامع لا يقنع بالولاية فحدثته نفسه يوماً بتوسيع دائرة سلطانه وعلم ان ذلك لا يتأتى له الا بجند منظم فعزم سنة ١٨١٦ ان يؤلف جنداً على النظام المتبع

في اوربا . فلاقى من جنده الالباني مقاومة شديدة لان ذلك النظام يذهب باهميتهم ويضعف نفوذهم . فرأى ان ينفذ مشروعه بعيداً عنهم فانتخب اكبر اولئك المماليك وارسلهم الى الصعيد يتعلمون النظام العسكري الحديث على اساتذة من الافرنج . وعلم ان هؤلاء التلامذة لا يلبثون ان يصيروا جنداً فتفرغ اماكنهم في تلك المدرسة فانشأ في قصر العيني بمصر القديمة سنة ١٨٢٥ مدرسة اعدادية سماها المدرسة التجهيزية الحربية ادخل فيها نحو ٥٠٠ غلام بعضهم من صغار المماليك والبعض الآخر من ابناء الاتراك والاكراد والالبانيين والارمن واليونان وغيرهم ممن كانوا في خدمته وليس فيهم وطني واحد . فكانوا يعلمونهم القرآن والنحو وآداب اللغة التركية والفارسية والعربية واما لغة التعليم فهي التركية . ونظراً لانهم ينوون ادخالهم المدرسة الحربية فكانوا يعلمونهم مبادىء الحساب والهندسة والجبر والرسم واللغة الايطالية لان اكثر اساتذة المدرسة الحربية كانوا يومئذ من الايطاليان

واستبطأ محمد علي ثمار هذه المدرسة لرغبته في سرعة تنظيم الجند فاوفد جماعة من اولئك المماليك الى ليفورن وميلان وفلورنسا ورومية لدرس الحركات العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها من الفنون الحربية — اشار عليه بذلك الاساتذة الايطاليان . ثم ارسل غلماناً آخرين الى انكلترا لدرس الميكانيكيات وسلك الابحر ونواميس السائلات . ولما تحقق فوزه بتنظيم الجند احس بحاجته الى مدرسة طبية تخرج الاطباء لمعالجة الجند فانشأها سنة ١٨٢٥ واختار تلامذتها من الوطنيين ابناء الارياف أو تلامذة الازهر خلافاً للمدرستين التجهيزية والحربية

وتعجيلاً لثمار سعيه في اعداد الجند المنظم واطبائه أوفد سنة ١٨٢٦ اربعين من تلامذة المدرستين التجهيزية والطبية الى فرنسا لاتقان الفنون الحربية والطب والادارة الملكية والعسكرية وغير ذلك مما يحتاج اليه في ادارة حكومته ويفتقر فيه الى استخدام الافرنج لاقتصار الوطنيين الى ذلك الحين على درس العلوم الازهرية وهي يومئذ قاصرة على العلوم الدينية واللسانية كما تقدم . وارسل ارساليات أخرى فأفلحت ونبغ منها جماعة من العلماء والاطباء اشتهروا في تاريخ مصر الحديث وتولى بعضهم المناصب التي كان يتولاها الافرنج

هذه اول خطوة خطاها محمد علي في سبيل هذه النهضة وغرضه في الاصل عسكري سياسي مرجعه الى تربية ضباط وصف ضابطان يحسنون الفنون العسكرية على النظام

الحديث وتخريج الاطباء يعالجون الجنود ويديرون المستشفيات العسكرية في الحرب وتدريب آخرين على ادارة سائر الشؤون العسكرية . وكان من أقوى رغائبه ان يجعل مصالح الدولة وسائر اعمالها في ايدي ابنائها ويستغني عن الافرنج — ويدلك على شدة رغبته في ذلك انه لما عادت ارسالية الاربعين سنة ١٨٣٤ وقد اتموا دروسهم استقبلهم استقبالاً خصوصياً اقترح فيه على كلٍّ منهم ان يترجم كتاباً في الفن الذي تعلمه وسلم اليهم الكتب اللازمة باللغة الفرنساوية وامرهم ان يقيموا في القلعة حتى يفرغوا من العمل . فمكثوا هناك ثلاثة اشهر ولم يخرجوا حتى اتموا الترجمات فامر محمد علي بطبعها في مطبعة بولاق وكان قد انشأها منذ بضع عشرة سنة فطبعوها وفرقوها في أساتذة المدارس وتلامذتها

٢ — ديوان المدارس

ورأى محمد علي جنده يزداد يوماً عن يوم بما أعوزه من التجنيد لحروبه في المورة والشام مع قلة الضباط المدربين ولم يعد يستطيع الحصول على ما يكفيه من الشبان الشراكسة لما يحتاج اليه من الضباط ولا هو واثق بابناء المولدين من الاوروبيين ونحوهم ففكر في توسيع دائرة التعليم للاستعانة على التجنيد بتلامذة المدارس . وكانت المدارس لا تزال تابعة للعسكرية فاغتنم رجوع جماعة من طلبة احدى الارساليات من أوربا سنة ١٨٣٦ وانشأ مجلساً خاصاً بالمدارس سماه ديوان المدارس برئاسة مختار بك أحد الطلبة القادمين من اوربا وهاك اسماء اعضاء ذلك المجلس :

كلوت بك
كياني بك
ارتين بك (والد يعقوب باشا ارتين)
هكيكيان بك
وارين بك
رفاعه بك
بيومي افندي
لامبر
هامون
دوزول (سكرتير)

فترى ان بعض هؤلاء الاعضاء من ابناء المصريين والارمن ممن تخرجوا في

مدرسة باريس والبعض الآخر من الفرنساويين فلا غرو اذا ساروا في التعليم على طرق فرنساوية ونشطوا اللغة الفرنساوية . وكان من جملة ما حملوه معهم من اوربا او تولد فيهم بعد الاطلاع على تواريخ الامم ان ينشئوا في مصر دولة اسلامية عربية تقابل الدولة الاسلامية التركية وكانت الحرب قائمة بينهما في الشام وما وراءها

فلما تألف ديوان المدارس وتحقق اعضاؤه حاجة الجيش الى ضباط لم يروا مندوحة عن الاستعانة بالوطنيين فاستأذنوا محمد علي في الاكثار من المصريين في المدارس وكانوا الى ذلك الحين لم يدخلوا منهم الاَّ عدداً قليلاً فاذن لهم . فانشأوا مدارس ابتدائية وثانوية في انحاء القطر المصري على نمط المدارس الفرنساوية وهذه العلوم التي كانوا يعلمونها فيها :

القرآن	مبادىء الحساب
الخط	« التاريخ
اللغة العربية	« الجغرافيا
« التركية	الرسم
« الفرنساوية	

ونظراً لتغلب العنصر العربي في هذه المدارس جعلوا التعليم كله في اللغة العربية واستقدموا لها الاساتذة في بادىء الرأي من تلامذة الازهر لتعليم القرآن واللغة واستعانوا بالمتقاعدين من ضباط الجيش القديم المتخرجين في اوربا لتعليم مبادىء العلوم . ثم نشأت طائفة من الاساتذة المبرزين في العلم — على ان روح الازهر ظلت سائدة عليها كلها مدة طويلة

ولم تمض بضع سنوات حتى اصبحت المدارس التابعة للديوان المذكور سبعين مدرسة منها ١٦ مدرسة كبرى وهي :

مدرسة الموسيقى العسكرية	تأسست	سنة	١٨٢٤
المدرسة الحربية في قصر العيني	»	»	١٨٢٥
مدرسة الطب والصيدلة	»	»	١٨٢٧
« الكيمياء العملية	»	»	١٨٢٩
« المشاة	»	»	١٨٣١
« الفرسان	»		١٨٣١

مدرسة الطبجية	تأسست	سنة	١٨٣١
» البحرية	»	»	١٨٣١
» طب الحيوان	»	»	١٨٣١
» التعدين	»	»	١٨٣٤
» الهندسة	»	»	١٨٣٤
» الزراعة	»	»	١٨٣٧
» الولادة	»	»	١٨٣٧
» الادارة الملكية والحسابات	»	»	١٨٣٧
» الالسن والترجمة	»	»	١٨٣٧
» الصنائع والفنون	»	»	١٨٣٩



رفاعة بك اول ناظر لمدرسة الالسن

وبلغ عدد التلامذة في المدارس كلها نحو ٩٠٠٠ تلميذ تنفق الحكومة على تعليمهم ولبسهم وطعامهم وسكنهم . والسبب في مكابدتها الانفاق عليهم أن معظمهم في الاصل من غلمان المماليك فهم ملك الحكومة وهي بالطبع مكلفة باعالتهم فلما استكثرت الحكومة من التلامذة الوطنيين عاملتهم تلك المعاملة فجعلت تعليمهم مجاناً . ولم يكن لها بدٌّ من ذلك لانهم كانوا يدخلون تلك المدارس رغم ارادتهم وهم يكرهون التعليم فيها كما كانوا يكرهون الجندية . وظل ذلك الاعتناء بالتعليم بمصر الى آخر ايام محمد علي سنة ١٨٤٨

٣ ـ المدرسة المصرية في باريس

ولما افضت ولاية مصر الى ابنه ابراهيم توقع الناس تغييراً في التعليم لانه كان قد اعدّ اصلاحاً مهماً على أثر رحلته في اوربا . ولكن الاجل عاجله قبل مباشرة العمل . وكان ديوان المدارس قد نظر منذ تأسيسه سنة ١٨٣٦ في التعليم العالي وقرر عجز مصر عن القيام به لسببين : الاول خلوها من اساتذة قادرين على تدريس العلوم العالية والثاني خلو اللغة العربية من الكتب اللازمة لهذه العلوم ـ وهي العقبة التي ستعترض اللجنة التحضيرية للمدرسة الكلية المصرية متى اقرّت على تعليم العلوم باللغة العربية — ولهذين السببين قررت الحكومة الاستمرار على ارسال التلامذة الى اوربا للتخرج بالعلوم العالية . ولكنها اصبحت لا ترسل غير النجباء المتخرجين من المدارس الكبرى . ولم يكن بدٌّ للتلامذة المشار اليهم من معرفة لغة البلاد التي سيتمون علمهم في مدرستها فانشأوا لهذه الغاية مدرسة مصرية في باريس يديرها رجل مصري اسمه اسطفان بك معه وكيل ارمني اسمه خليل افندي جراكيان . واما الاساتذة فعينتهم نظارة الحربية الفرنساوية من ضباط جندها

فارسلت الحكومة المصرية الى هذه المدرسة نحو اربعين طالباً فيهم جماعة من امراء العائلة الخديوية وفي جملتهم البرنسان حليم وحسين ابنا محمد علي والبرنسان احمد واسماعيل (الخديوي) ابنا ابراهيم . واتفق ان ابراهيم باشا مرّ بتلك المدرسة في اثناء سياحته باوربا ومعه سكرتيره نوبار باشا فاعجب بنجاحها من حيث التعليم ولكنه انتقد تقصيرها في التربية لان التلامذة كانوا يرسلون اليها وهم في حدود الشباب فارتأى ان يأتوها وهم صغار بين الثامنة والتاسعة من العمر ليتعلموا ويتثقفوا معاً . وعزم انه حالما يرجع الى مصر يأمر رجاله جميعاً بارسال اولادهم الى هذه المدرسة وهم احداث . ولكن المنية عاجلته والثورة الفرنساوية آلت الى اقفال المدرسة سنة ١٨٤٨ ثم امر اسماعيل باشا بعد عودته من اوربا سنة ١٨٦٧ باعادتها وارسل اليها نحو اربعين تلميذاً لكنها اقفلت سنة ١٨٧٠ بسبب الحرب بين فرنسا وبروسيا . ولم تعد الحكومة المصرية الى مثل هذا المشروع . على انها ما زالت ترسل التلامذة لاتمام علومهم في مدارس فرنسا وغيرها ولا سيما على عهد الخديوي السابق فانه ارسل نجليه الاميرين عباس (الخديوي الحالي) ومحمد علي الى احدى مدارس سويسرا سنة ١٨٨٤ ثم انتقلا الى فينا فاقتدى الناس باميرهم وساروا في ذلك على رأي ابراهيم باشا

اما التعليم بمصر على العموم فاصابه بعد وفاة ابراهيم وولاية عباس الاول صدمة قوية

ارجعته القهقرى . لأن هذا الامير اقفل المدارس كلها الا واحدة سماها المدرسة المفروزة لتخريج الضباط البرية والبحرية — حتى مدرسة الطب فانه استبدلها بمدرسة بسيطة لاخراج الاطباء للجيش فقط . وكان يختار من تلامذة هاتين المدرستين جماعة يرسلهم الى اوربا لاتمام دروسهم كما كان يفعل جده محمد علي

وجاء بعده سعيد باشا ولم يكن اكثر رغبة من سلفه في التعليم وكان مع ذلك متقلباً بنشيء المدرسة ثم يأمر باقفالها ثم يفتحها و يقفلها على ما يبدو له او تمس الحاجة اليه او تبعث الحالة عليه . وكان عباس الأول لما اقفل المدارس استبقى ديوانها فاجهز سعيد باشا على ما بقي وحل ذلك الديوان وما زال محلولاً حتى اعاده اسماعيل



الدكتور كلوت بك مؤسس مدرسة الطب المصرية

فترى مما تقدم ان الغرض الاصلي الذي كان يقصده محمد علي باشا من التعليم انما هو اخراج رجال يقودون الجند ويديرون شؤونه وموظفين يتولون ادارة الحكومة وحساباتها • ثم اتسعت الغاية وشملت ترقية شؤون البلاد بالعلم والصناعة بما انشأه من المدارس والمعامل وغيرها • فلما افضت الامور الى عباس باشا الاول وسعيد باشا تعطلت المدارس والمعامل فيجدر بنا ان نقتطع ايام هذين الامرين (من سنة ١٨٤٨ — ١٨٦٣) من تاريخ هذه النهضة • وما زالت المدارس معطلة الى ولاية اسماعيل

٤ — توسيع التعليم في ايام اسماعيل

تولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ وليس في مصر الا مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ومدرسة حربية ومدرسة طبية صيدلية وكانت هذه المدارس في حالة يرثى لها من الاختلال والتضعضع فامر بتنظيمها وعهد بذلك الى ادهم باشا وكان قد تولى ديوان المدارس بعد مختار بك سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٤٩ ففوض اليه احياء التعليم مهما كلفه احياؤه • فانشأ في ناحية العباسية مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ومدرسة حربية للفرسان والمشاة ومدرسة هندسية ومدرسة للطب • واستقدم للمدرسة الحربية مديراً واساتذة من اوربا وعهد بالمدارس الاخرى الى اساتذة من الوطنيين المتخرجين في فرنسا • ولو امعنت النظر في الاحوال السياسية التي كانت محيطة باسماعيل لرأيته أنشأ هذه المدارس لمثل الغرض الذي انشأها له جدهُ محمد علي منذ اربعين سنة • لان عنايته الكبرى كانت متجهة على الخصوص الى المدارس الحربية والى ما يهيء رجالاً يخدمون حكومته • واقتدى بجده ايضاً في ارسال الشبان الى اوربا لاتمام علومهم

وسهل اسماعيل قدوم الاجانب الى مصر ورغبهم فيها فانشأوا المدارس على ما يلائم اغراضهم ولكنها عادت بالنفع على الشبيبة المصرية • وكثيراً ما كانت الحكومة تنشط هذه المدارس بالرواتب السنوية • وحدث في ايام اسماعيل نهضة ادبية بمن وفد على مصر من رجال الادب من كل الطوائف وانشئت الصحف وتألفت الجمعيات • فرأى الحال ماسة الى زيادة العناية في التعليم فأنشأ نظارة المعارف العمومية وعهد اليها بتنظيم المدارس على نمط جديد • فالحقوا المدرسة الحربية بنظارة الحربية وسموا ما بقي من المدارس « المدارس الملكية » تحت نظارة المعارف العمومية وقسموها الى ثلاث طبقات باعتبار درجة التعليم : ابتدائية وثانوية وعليا وأنشأوا مدارس لم تكن من قبل كمدرسة الادارة ثم صارت مدرسة الحقوق ومدرسة دار العلوم ومدرسة الصنائع والفنون في بولاق

ومدرسة المعلمين واعادوا مدرسة الالسن لتخريج شبان يتولون الترجمة والتحرير في الدواوين . اما التعليم العالي فظل محصوراً في المدرسة التجهيزية



علي باشا مبارك وزير المعارف المصرية

ولم يمض عشر سنوات من حكم اسماعيل حتى كمل نظام هذه المدارس وعنيت الحكومة بانشاء الكتاتيب في سائر انحاء القطر فبلغ عددها بضعة آلاف وزاد عدد التلامذة على مئة الف وفي جملتها مدارس للبنات . غير ما أنشأه الاجانب من المدارس الخصوصية واكثرها لجماعة المرسلين من الطوائف النصرانية

تلك كانت حال المعارف لما اقيل اسماعيل وتولى مصر المغفور له الخديوي السابق سنة ١٨٧٩ وظلت تلك النهضة سائرة رغم ما اعترضها من الحوادث العرابية وان كانت هذه الحوادث قد غيرت خطتها بتغيير جهة سياستها فاخذ العنصر الانكليزي بعد الاحتلال

يتغلب على سائر العناصر الاجنبية · وقد رأيت كيف تعاقب النفوذ الاجنبي على المعارف المصرية منذ تأسيسها الى الآن فقد كان النفوذ الغالب في اول انشائها للايطاليان ثم صار للفرنساويين وهو الآن للانكليز · وكان التعليم اولاً باللغة التركية ثم صار مشتركاً بينها وبين الايطالية ثم صار باللغة العربية بالاشتراك مع الفرنساوية وهو الآن باللغة الانكليزية

اما من حيث التعليم بالنظر الى النهضة العربية فقد بلغ ارقى حالاته في اوائل حكم المغفور له الخديوي السابق مع افتقاره يومئذ الى اصلاح وتعديل — كما يظهر ذلك من تقرير اللورد دفرين الذي كتبهُ عن مصر سنة ١٨٨٣ على اثر الحوادث العرابية فقد جاء في كلامه عن المعارف العمومية ما ترجمته :

« فالمدارس الموجودة الآن في الديار المصرية تنقسم الى ثلاثة انواع

« اولاً الجامع الازهر وهو يشتمل على ثمانية آلاف من الطلبة يقراون على ثلاثمائة استاذ تقريباً علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية

« ثانياً المدارس التي انشأها الاجانب في مصر ومرسلوهم وعددها ١٥٢ مدرسة تشتمل على ١٢,٢٤٧ طالباً منهم ٦,٤١٩ او ٥٢ في المائة من المصريين وتستولي بعض هذه المدارس على اعانة مالية من خزينة الحكومة

« ثالثاً مدارس الحكومة وهي تنقسم الى اربع درجات كما يأتي :

« (١) المدارس الابتدائية وعددها ٥,٣٧٠ وتشتمل على ١٣٧,٥٥٣ طالباً وذلك عبارة عن واحد من اربعين من عدد سكان القطر · وهذه المدارس مبنية في جميع مدن القطر وقراه تعلم فيها القراءة واستظهار القرآن ويعلم في البعض منها شيء من الحساب والخط

« (٢) المدارس الثانوية وعددها ٢٧ مدرسة وتشتمل على ٤,٦٦٤ طالباً ومن هذه المدارس واحدة في القاهرة نفقاتها في ميزانية نظارة المعارف وعدد الطلبة فيها ٦٤٨ طالباً وهي انموذج سائر ما انشيء من المدارس وما في النية انشاؤه في المدن والبنادر · ومدة التعليم فيها اربع سنين اذا انقضت اعتبر الطالب انه نال البغية من التمكن في قراءة القرآن والكتابة العربية والحساب وفي السنة الاخيرة يتلقى مبادىء التاريخ والجغرافية ومبادىء لغة اجنبية من اللغات الفرنسوية والانكليزية والالمانية حسب اختياره ويتعلم الخط الاوربي ايضاً · وتؤخذ الطلبة للمدرسة التجهيزية من تلك المدرسة · ثم تؤخذ الطلبة لمدارس الصنائع والفنون من المدرسة التجهيزية · واما بقية المدارس الثانوية فنفقاتها من ايرادات بعض اطيان في الوادي ومن نظارة الاوقاف والهبات الخصوصية

« (٣) المدرسة التجهيزية بالقاهرة وهي تشتمل على ٢٩٢ طالباً وتؤخذ منها الطلبة لمدارس الصنائع والفنون ويمكث الطلبة في هاته المدرسة اربع سنين يتلقون لغة اجنبية واللغة العربية والرياضيات والطبيعة والكيميا والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافية والخط العربي والافرنجي والتصوير وقد جعل في ست من المدارس الابتدائية فرقة لتلقي فيها علوم المدرسة التجهيزية مدة سنتين

« (٤) مدارس الفنون والمهن العلمية وهي :

« (ا) مدرسة الطب وفيها ١٧٦ طالباً ويتبعها مدرسة الصيدلة وطلبتها سبعة ومدرسة القوابل وطلبتها ٢٦ (مديرها فرنسوي)

« (ب) مدرسة الهندسة وطلبتها ٥٠

« (ج) مدرسة المساحة وطلبتها ٣٩

« (د) مدرسة العمليات وطلبتها ٥١ (مديرها فرنسوي)

« (هـ) مدرسة الادارة وطلبتها ٣٧ » »

« (و) مدرسة المعلمين وطلبتها ٦٠ » »

« (ز) مدرسة الصناعة وهي تابعة لمدرسة العمليات وطلبتها ٧٩ يؤخذون من طلبة المدارس الابتدائية الذين لم يظهر فيهم الاستعداد لتلقي الدروس العالية

« (ح) مدرسة العميان والخرس وطلبتها ٧٥ من الذكور والاناث

« (ط) مدرسة البنات وقد كان للبنات في ما مضى مدرستان احداهما لبنات الاعيان والاخرى لبنات سائر العائلات وقد جعلت هاتان المدرستان مدرسة واحدة وهي تشتمل على ٣٠٠ طالبة

« (ي) المدرسة الحربية في القاهرة (مديرها فرنسوي)

« (ك) المدرسة البحرية في الاسكندرية » (انتهى)

وظل التعليم في هذه المدارس مجاناً الى سنة ١٨٧٤ فارادت الحكومة ان تجري على سنة سائر الامم فتفرض على التعليم جعلاً لان السبب الذي بعث محمد علي على جعله مجاناً قد انقضى بانقضاء عصر الرق وبعد ان كان تلامذة المدارس عند انشائها من غلمان المماليك اصبحوا من ابناء الاحرار وفيهم الوجهاء واهل الثروة • ففرضت الحكومة المصرية على التعليم اجرة طفيفة ولم يتم لها ما ارادته من هذا القبيل الا من عهد قريب اذ أصبح التعليم كله مأجوراً • وسنتكلم عن حال المدارس اليوم في فرصة أخرى

الهند وسكانها

١ - تاريخ الهند القديم وسكانها الاولون

كانت الهند مهد الحضارة وحلبة لسباق اجيال البشر ومقرًّا للعلم والحكمة فكأن تاريخها موجز تاريخ البشرية . وقد وطئت الهند اقدام الفاتحين من كل الامم تقريباً الاَّ الروس وهم يهددونها كل حين ولا نعلم ما يصير اليه امرها وامرهم

واول من سكن بلاد الهند على ما يتبين من الآثار اهل العصر الحجري القديم وقد خلَّفوا ادوات غير متقنة من الصوان والعقيق وجدت مدفونة مع بقايا الافيال وخيول البحر البائدة . وجاء بعد هؤلاء اهل العصر الظرّي ولم يكونوا يعرفون شيئاً عن المعادن ثم عقبهم قبائل اخرى قبل زمن التاريخ بقليل ومن آثارهم دوائر من الحجر الخشن وانصاب من الحجارة وقبور وجدوا فيها ادوات من الحديد واواني من الخزف وحلى من النحاس والذهب ونقبوا في بعضها عن نقود رومانية ولم يخلّف هؤلاء الاقوام من الآثار غير ما ذكر فيستحيل تعيين جنسهم

وفي اول فجر التاريخ نزل الآريون الهند من الشمال الغربي فحاربوا السكان الاصليين وكانوا يترفعون عنهم لما آنسوه من التفضيلهم في الجمال وحسن اللون فسموا الاصليين عبيداً لكن كثرة هؤلاء منعت الغزاة من اجتياحهم واستئصالهم فاختلط الفريقان ويقدَّر ان نحو خمسة اسداس سكان الهند خلاسيون من هذين الجيلين

وكان الآريون الغزاة اقوياء البنيـة اذكياء العقول أرقى من الهنود الاصليين فكانوا يقتنون المواشي ويزرعون الحبوب ويطبخون اطعمتهم ويخيطون اثوابهم وكانوا يستعملون اواني المعدن وهم اقارب سكان اوربا كما يتضح من المماثلة العظيمة بين لغتهم السنسكريتية ولغات هذه القارَّة

واخذ الآريون ينتشرون في الهند على تمادي الزمان فامتدوا الى البنجاب وسفح جبال حملايا ووادي الغنج ولهم كتاب اشعار يسمونهُ « فيدا » يتضمن وصف رحلاتهم وانتقالهم منذ احتلالهم الهند حتى وصولهم الى وادي الغنج . وفي القرن الثاني قبـل المسيح نزلوا في جنوبيّ البلاد

ولم يكونوا في تلك العصور يفرّقون بينهم في المراتب فكان رب كل بيت كاهنهُ وزعيم القبيلة كاهنها وكان الزواج بينهم مقدساً والنساء مكرمات ولم يعلم انهـم احرقوا الارامل

على قبور ازواجهن وكانوا يعبدون آلهة تمثل قوى الطبيعة ومظاهرها كاله السماء واله البحار واله النار واله الانواء وكانوا يحرقون موتاهم لكي يسرعوا في فصل النفس الخالدة عن الجسد والاعتقاد بخلود النفس قديم بينهم

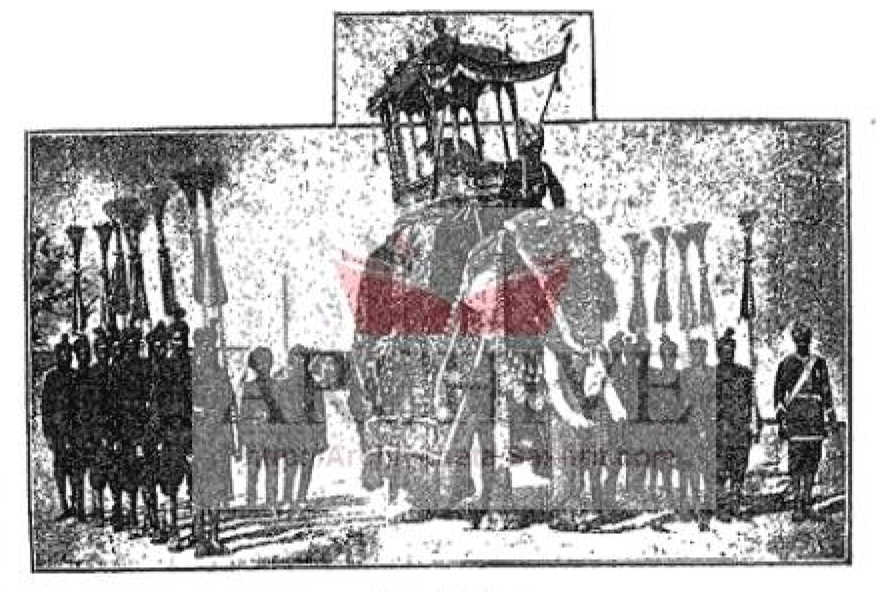


الهنود يحرقون موتاهم

ويتبين من مجموعة اشعارهم المشار اليها (الفيدا) انهم كانوا يتعاطون الزراعة والتجارة والحدادة والصياغة والنحاسة على ان معظم ثروتهم كانت في المواشي يشربون البانها ويأكلون لحومها ويقدمونها ضحايا للآلهة . وتألف من قبائلهم مدناً عامرة وممالك لها ملوك وامراء وكهنة انقسموا من ذلك العهد الى طبقات

وذلك ان الكهنة كانوا يتولون تقديم الذبائح والضحايا للآلهة فاصابوا حظاً كبيراً ومقاماً رفيعاً ثم قوي نفوذ الابطال والشجعان فتميزوا عن الفلاحين واشتد النزاع بينهم وبين الكهنة (البراهمة) في اي الطبقتين ارفع مقاماً فكان الظفر لهؤلاء وهم علماء الهند وقادة الافكار فيها فبثوا آراءهم في الشعب فتلقاها بقبول . ومن افضل الادلة على مناسبة ديانتهم لحالة الشعب في الهند ثباتها ثلاثة آلاف سنة

وسنَّ الكهنة الشرائع والقوانين ودونوهـا نحو القرن الخامس قبل الميلاد وفيها يحضون البراهمة على متابعة الدرس والعلم ويوجبون على الناس احترام المتعلمين من الكهنة ووضعوا انواع العقاب والحقوق والواجبات وكيفية الحكم في القضايا المدنية وكيفية تمييز الطبقات فلم يؤذن لاحد ابناء الطبقة الواحدة بمخالطة أو مؤاكلة رجلاً من طبقة دونه كأن يكون كاهناً فيؤاكل فلاحاً . وهكذا جرى القوم زمناً على ان استبداد البراهمة اشتدفضاق الناس بهم ذرعاً واخيراً وجدوا لهم منفذاً من ربقتهم في الديانة البوذية واليك البيان



احتفال الهنود بالفيل

ان واضع هذا المذهب ابن احد ملوكهم ولد سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وفي التاسعة والعشرين اعتزل في البراري والقفار وبقي هناك سبع سنوات قائماً بالتقشفات والصلوات ولما اكمل مدة احتجابه فرج وهو يرى في طهارة القلب وقمع النجاسة والحسد والبغض والبرّ الذاتي افضل الطرق للخلاص فتسمى بوذه اي المستنير واخذ يطوف البلاد لينشر تعاليمه ولما كان القوم غير راضين عن مذهب البراهمة وكان بوذه وقوراً مهيباً حسن الصوت اجتذب اليه جمهوراً غفيراً من الانصار والاشياع وفتح باب الرهبنة للنساء من الارامل ومنكودات الحظ . وبالايجاز فانهُ ظلَّ يجاهد في مذهبه حتى توفي سنة ٤٨١ ق . م والهه اتباعه وثلث البشر اليوم يدينون بمذهبه

وفي القرن الرابع قبل المسيح دخل الاسكندر المكدوني بلاد الهند غازياً فاخترق

البنجاب وأسس فيها مدائن كثيرة ثم قفل راجعاً قبل ان يبلغ وادي الغنج لكنه عهد بالحكومة في البلاد التي افتتحها الى رجال من خواصه

وأثار السلوقيون خلفاء الاسكندر في سوريا الحروب على الهند فلم يفلحوا في فتحها ولكنهم فرضوا على بعض ملوكها الجزية وفي القرن الثاني قبل المسيح دخل المنغول والسكيثيون الى الهند ففتحوا البنجاب على ان قدمهم لم ترسخ في البلاد لكره الآريين والهنود الاصليين لهم فكان من ذلك ان هؤلاء اغتنموا فرصة الشقاق والتحزبات وانشأوا لهم ممالك وامارات كان الآريون قد استولوا عليها وفي سنة ٧١١ م تغلبت جيوش العرب الامويين على السند ثم طردهم الهنود منها سنة ٧٥٠

ولما تولى السلطان محمود الغزنوي امور خراسان وافغانستان سنة ٩٩٧ م هاجم الهند فاخترقها وتسلط على البنجاب وفي القرن الثاني عشر خلع علاء الدين السلطان واستولى على ملكه وخلفه ابن اخيه السلطان الغوري فملك البلاد من نهر الهند الى نهر برهمبوترا واستولى قائده على سلطنة دهلي · وتعاقب الملوك المسلمون من الافغان على الهند الى أواخر القرن الثالث عشر وفيه جاء تيمورلنك غازياً فاكتسح البلاد لكنه لم يطل المكث فيها · وفي سنة ١٥٢٥ غزا بابر شاه الهند وأسس السلطنة المغولية التي ظلت سائدة الى سنة ١٨٥٧ ومن خلفائه حفيده اكبر شاه وهو من مشاهيرهم وشاه جهان حفيد اكبر شاه بنى مدينة دهلي الحديثة وشاد في اكرا صرحاً فخماً اسمه تاج محال صنعه مدفناً لزوجته لانه كان يحبها حباً شديداً · ومما صنعه أيضاً العرش الشهير على شكل الطاووس قيل انه أنفق عليه نحو ستة ملايين جنيه · ويضيق بنا المقام عن تعداد جميع سلاطين تلك الدولة وأفعالهم وغزواتهم وحروبهم

٢ ــ تاريخها الحديث بعد دخول الاوربيين اليها

دخل الاوربيون الهند بطريق البحر وكانوا يسمعون بوفرة غناها وثروتها وما فيها من المعادن والحجارة الكريمة فتاقت نفوسهم لدخولها · واول من طرقها منهم فاسكو دي غاما البرتوغالي · وكان الرحالة الشهير ابن بطوطة قد سبقه الى تلك البلاد في القرن الرابع عشر واقام في دهلي ثماني سنوات · على ان رحلات هذا الرحالة الشهير لم تطبع حتى القرن التاسع عشر · ولما عاد دي غاما الى بلاده طمع البرتوغاليون بغنى الهند فبعثوا اليها حملة غايتها الاولى التبشير فاذا لم يفلحوا فالسيف ــ فاقامت هذه الحملة المصانع في كاليكوت وكوشين ثم استولوا على جاوى وملقا وامتدت تجارتهم الى سيام وجزر الطيوب وظلت تجارة

الهند في ايدي البورتغاليين طول القرن السادس عشر وكان زعماؤهم فيها يتقربون الى امراء الهند لكن تهوسهم بالدين حملهم على ارتكاب كثير من الفظائع والمنكرات

وفي اوائل القرن السابع عشر اقتدى الهولانديون بالبورتغاليين واجلوهم عن جميع الهند ما خلا جاوى على ان الهولانديين لم يطيلوا المكث في الهند لما نشأ في قلوب الانكليز من حب الاتجار في تلك الاقطار وما عاينوه من ارباح الهولانديين الفاحشة في تجارة الطيوب والبهارات . ففي سنة ١٦٠٠ اباحت الملكة اليصابات للشركة الهندية الشرقية الاتجار في تلك البلاد فصادفوا مقاومة من البورتغاليين والهولانديين لكن الانكليز لم يبالوا بهم فاسسوا مصنعاً كبيرًا في سورات ومنها انتقلوا الى بومباي ثم نالوا الرخصة بالاتجار في ولاية البنغال بعد طرد البورتغاليين منها . وتوفق اطباؤهم لشفاء السلطان شاه جهان من مرض ألمّ به فنالت الشركة حظوة في عينيه ومنحها امتيازات جمة واخذ نفوذ الانكليز ينتشر من مدينة الى مدينة ومن مقاطعة الى مقاطعة . وفي اواخر القرن السابع عشر نشبت الحرب بين امراء الهند فتعطلت متاجر الانكليز بسببها وقبض المسلمون في بعض الاقاليم على المعامل واخربوها وقتلوا الصناع

فلم ترَ الشركة بدًّا من بسط حمايتها على بعض اصقاع الهند وتنظيم الجنود صيانة لحقوقها فكان من ذلك ان شب النزاع بينها وبين تجار الشركة الفرنسوية في الهند التي تاسست سنة ١٦٠٤ وكانت الشركتان في غاية الوئام والاتفاق قبل ذلك ولما ثارت الحرب بين الامتين في اوربا سنة ١٧٤٥ طار شرارها الى الهند فكاد الفرنسويون يطردون الانكليز منها ولكن معاهدة اكس لاشابل سنة ١٧٤٨ اعادت المياه الى مجاريها . ثم قام القائد الانكليزي الشهير كليف فاغار على الفرنسويين والهنود واشتد به ساعد الانكليز فقهر الانكليز الفرنسويين فخرجوا من الهند ولم يبق لهم الاَّ بوندبشري

وثابر الانكليز على نشر نفوذهم في الهند وامتدت صولتهم فيها وضخم سلطانهم حتى كانت الفتنة الشهيرة سنة ١٨٥٧ فاوقع الهنود بهم في مواطن كثيرة وثبت الانكليز في بعض المدن كلكتا وغيرها ثبات الابطال وقاوموا ألوف الثائرين ونقم عليهم بعض جنودهم من الوطنيين فشاركوا العصاة وانحاز الى الانكليز جنود السيخ ومدراس و بومباي لكنهم عادوا فانتصروا وعاقبوا من خانهم من الامراء والملوك عقاباً شديداً وارغموا غيرهم على الاعتراف بسلطتهم وخضعت لهيبتهم البلاد . وتبين لحكومة انكلترا ان الشركة لم تعد تستطيع ادارة احكام الهند فاستلمت مقاليدها ونودي بالملكة فيكتوريا امبراطورة

عليها واصبح الحاكم الانكليزي العام شبه ملك · وزارها البرنس اوف وايلس سنة ١٨٧٥ (هو الملك ادوارد الحالي) فلقي كل حفاوة وإكرام · وحكومة الهند الآن اثنتا عشرة ولاية كبيرة يحكمها الانكليز مباشرة ومئة وخمسون مملكة وامارة يحكمها امراؤها وملوكها تحت سيطرة مراقبين انكليز وعدد الخاضعين لحكمهم فيها مئتان وخمسون مليونًا او يزيدون

وقد احسن الانكليز ادارة شؤون الهند فقلت الامراض والمجاعات فيها وابطلوا كثيرًا من عادات اهلها البربرية الفظيعة وحسنوا الري تحسينًا ظاهرًا على ان اتساع البلاد وكثرة سكانها واختلاف اجناسهم تجعل التقدم بطيئًا وتغلّ ايدي الحكومة عن القيام بالاصلاح العاجل

٣ — اصناف السكان وعاداتهم

سكان الهند اجيال متفرقة من البشر وقد قسمهم احد العلماء الآن الى غير الآريين والآريين والخلاسيين والمسلمين

فالقبائل غير الآرية نازلة جنوبي نهر الغنج وهي تنقسم الى قسمين الدرافيديين والكولاريين وفي ولاية مدراس في الجنوب قوم من هذه القبائل يشبهون الاوستراليين في ألوانهم وتقاطيعهم فهم ثخان الشفاه قصار القامات جعاد الشعور يضفرونها ضفيرة واحدة في مؤخر الرأس ويحددون ثناياهم ويعيشون من التقاط الفواكه والنباتات التي تنمو في الغابات ويستبدلونها بالرز والتبغ · والناير وهم سكان الجنوب الغربي من الهند ومن عاداتهم ان ورثاء الرجل اولاد اخته لا أولاده وعلة ذلك السفاح فانه شائع بينهم شيوعًا عظيمًا حتى يقال ان الاب لا يعرف ابنه ولا يعرف الولد والده وهم شديدو السمرة يحسنون العلم والحساب وقد استخدموا في وظائف الحكومة

وفي الاقاليم الوسطى قبائل الجوند وهم كثار وعظام الخد فيهم بارزة وانافهم مفطسة عريضة وشفاههم ثخينة وشعورهم طويلة خشنة ولحاهم خفيفة أو معدومة ولونهم اسود فهم اشبه شيء بالزنوج وهم يكثرون من السكر والتدخين واكثرهم في خدمة الاوربيين النازلين في تلك الاصقاع · ومن عاداتهم في الزواج ان يتزوج الواحد ابنة عمه ويكثر ان تفر البنت مع من تهوى انما يحق لابن عمها استرجاعها · وهم لا يتزوجون الا بعد البلوغ وفي بعض الاماكن يخدم الخطيب بيت خطيبته الى أجل مسمى

وهنا قبائل التودا والكوروميا والباداجا والكونا والكند وهم اهل باس ونشاط ولونهم اسمر يضرب الى حمرة النحاس

وتدل هيئتهم على النباهة والعزم والفهم وهم يعشقون الحرية والاستقلال وقع منهم أسيرٌ في يد الانكليز اثناء الحرب فاقتلع لسانه ومات وآخر انقطع عنه الاكل فمات جوعاً وكان من عاداتهم تقديم الضحايا البشرية لآلهتهم فحظر الانكليز عليهم ذلك

ومن اشهر قبائلهم السنتل في البنغال وهم اشبه بالاريين منهم بالزنوج اشداء البنية وعددهم نحو مليونين وهم في الغالب زراع يحبون الضيافة . وتحيتهم تقوم برفع اليدين الى الجبين بتأنٍ ثم بسطهما نحو المحيي حتى تلصق الكف الواحدة بالاخرى . وهم مشهورون بالصدق يحبون الملاهي والاعياد والصيد وديانتهم مبنية على التقرب من الآلهة الشريرة فلا يعرفون شيئاً عن الالوهية

ومنهم البهيل في غربي الهند ومن غرائب عاداتهم ان الامراء منهم عند جلوسهم على العرش يدعون احد الناس فيختم باصبعه الملوثة بالدم على جبين الامير

وقد بقي منهم قبائل أخرى متفرقة لا محل لذكرها هنا

٤ — سكان سيلان

دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٥ وأقاموا فيها طول القرن السادس عشر يتجرون ويبنون المصانع لكنهم عاملوا السكان بالفظاظة فطردهم الهولانديون وازروا في التجارة لكن الانكليز طردوهم واستولوا على سيلان سنة ١٧٩٦ الا جزءا في الداخلية اخذوه في اوائل القرن التاسع عشر والجزيرة تقرب من ايرلاندا في الاتساع وسكانها اربعة ملايين

وسكان سيلان من الهنود يتكلمون البنجالية وفيهم لفيف من القبائل الاخرى كالملقيين وبينهم كثيرون من سلالة العرب ومذهب هؤلاء الاسلام أما البنجاليون فبوذيون يحافظون على الديانة البوذية دون بدعة فيها والزراعة شائعة في البلاد على النمط القديم ويكثر فيها الشاي والارز وكانوا يزرعون البن لكن زراعته تأخرت بسبب ضربة اصابته

وفي القرن السادس عشر دخلها دعاة المذهب الكاثوليكي فتنصر عدد غفير من الاهالي ويقال ان الكاثوليك فيها يبلغون ٢٢٠,٠٠٠

وفي سيلان قبيلة في غاية الانحطاط العقلي قيل انهم لا يستطيعون جمع اثنين واثنين وليس لهم آلهة ولا معبودات ويكفنون موتاهم بالجلود . ومن غريب اطوارهم انهم لا يعرفون الكذب والسرقة والضرب ولا يفقهون معنى هذه الالفاظ ويتخذون زوجة واحدة ويحللون تزوج الاخت والابنة وهم محبون لنسائهم واولادهم وليس لهم لغة مكتوبة والفاظهم قليلة جداً (لا تكاد تفي بالايضاح عن افكارهم على قلتها) (خ ث)

الشعر المنثور

الشعر لغة القلوب لا بل هو الوحي تهبطه الطبيعة على ابنائها بل هو مظهر من مظاهر الجمال معبرًا عنه بالكلام كما يعبر البعض عنه بالالوان وغيرهم بالحفر وغيرهم بالاصوات

والجمال صفة من صفات الخالق تكمل فيه وحده تظهر في الطبيعة و بالشرائع و بالنفوس في صور تقرب وتبعد على نسبة قربها و بعـدها من الجمال الاسمى الذي قلنا انه لا يكمل الاَّ به وحده جلَّ وعـلا · فاصحاب الفنون الجميلة الخمسة وهي البناء والحفر والتصوير والموسيقى والادب المعبر عنه عند الافرنج بكلمة ليترا تشر لهم غاية واحـدة هي التعبير عن الجمال وانما يختلفون بالمواد التي يستعملونها — والشعر احد فنون الادب ومادته الكلام

وصف هيجو الشعر ونسبته للبيت او الوزن في البحر قال « هو كالعسل والبيت كبيت الشمع » فاذا جردنا العسل من بيت الشمع الذي يحتاطه فهل يبطل ان يكون عسلاً — والجواب كلاَّ — وسنبين ذلك بطريق العقل والقياس

قال الانسان الاول الشعر وهو لم يزل في طور الهمجية لم يلطف التمدن اخلاقه بعد ولا ذهب بخشونة تصوره وسماجة تعبيره كما نرى ذلك في القبائل الهمجية الآن · والجمال يتطلب لطف التصور والاسلوب ولطيف الكلام وسهله لتتم الموافقة بينه وبين الطريقة التي يعبر بها عنه · رأى الانسان الاول الجمال باديًا في الطبيعة : في الانهار والتلال والجبال والاودية والبحار وفي اخضرار النبات وتلون الازهار ونور الشمس وشعاع النجوم وفي الشفق والعاصفة واضطرابها والبرق ولمعانه والصاعقة وصوتها وفي خرير الماء وانسيابه بين الاعشاب وفي زقزقة العصافير وحفيف اوراق الغاب وعبير الازهار — ورآه في الانسان : في المرأة الاولى وفي حاجة القلب للحب وفي تعزية الزوجة والارتباط المقـدس ولعب الصغار ومحبة البنين — رآه في الشرائع : في نظام السيارات ونظام الفصول وتعاقب الايام وسواد الليل وضوء النهار — ونظر لذلك كله فقال السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه · رأى الجمال فسرَّت به نفسه واحب ان يعبر عما شعر به وهو حينئذٍ في طور الطفولية لم يكن مضى عليه زمن طويل من تقليده الاصوات الطبيعية وتقسيمها الى مقاطع وعمله منها الكلمات للتعبير عن حاجاته · تأثر و بلغ منه التأثر كل مبلغ فعبر عن ذلك الجمال بتعبيرات خشنة لطفها بطريقة اتخذها بين الكلام والغناء دعوناها شعرًا

وقد اختار هذه الطريقة منقادًا بغريزته لانه وجدها فضـلاً عن لطف اسلوبها اسهل

لاستظهارها غيباً — والاستظهار يسهل اذا كان الكلام مقفى موزوناً كما يظهر ذلك في اشعار العامة وامثالهم واقوالهم المأثورة

وقد وجدنا الشعر يأتي على مقاطع موزونة فحسبنا ذلك ضرورياً له . ولكن الشاعر الاول استعمله ليلطف من خشونته وخشونة لفظه ويسهل حفظه واستظهاره . قاله وهو لا يميز بين الشعر والموسيقى بل كانا عنده كالشيء الواحد . ويظهر ذلك جلياً في بداءة الدراما عند اليونان حيث كانوا يتفننون به ويظهر ايضاً في الشعر الموسيقي المدعو « ليريك » حيث كان يصحب تلاوته قرع الطبل او ضرب الاقدام على الارض عند كل نبرة

وذلك الشعر على ما به من خشونة التعبير وسذاجة الالفاظ جاء مطابقاً للحقيقة خالياً من التصنع بعيداً عن التقليد فاعجب الذين جاؤوا بعدئذ وزعموا ان حسنه ناشئ عن الوزن وان الوزن ضروري له . ثم سنّوا للاوزان شرائع دعوها ابحراً وقالوا ان الشعر لا يخرج عن تلك الاوزان وما خرج لا يحسب شعراً بل نثراً

ثم ارتقى فن الادب فتفنن الانسان بطرق الوزن وغيّر عدد المقاطع ولكنه لم يخرج نفسه من التقيد بالوزن دائماً وبالقافية احياناً — كما يظهر في شعر العرب والذين اخذوا عنهم . والقافية ضرب من الموسيقى اذ يشابه الصوت الذي يأتي آخر البيت الصوت الذي قبله

ورغم ذلك التقييد ظهر بين القدماء نوابغ أبدعوا وتوصلوا الى أعلى ما يمكن لفكر بشري ان يصل اليه — فكانوا جبابرة عظاماً في افكارهم وتصوراتهم وتعبيراتهم — تقيدوا بالوزن ولكنهم استعبدوه فعاد القيد لهم حلية يتحلون بها . وظهر من اولئك النوابغ الشعراء الاولون في كل امة ولسان — فمنهم هوميروس صاحب الالياذة عند اليونان وفيرجيل وهوراس عند اللاتين وراسين وموليير عند الافرنسيس وشكسبير وملتون عند الانكليز ودانتي عند الايتاليان وسرفانتز عند الاسبان واصحاب المعلقات عند العرب وغيرهم

غير ان جبابرة العقول مثل جبابرة الاجسام لا يوجدون في كل آن . والذين جاؤوا بعد اولئك النوابغ لم يستطيعوا ادراك مرتبتهم بل تأخروا عنهم درجات واصبح همهم الكلام وتنسيقه والعبارات وتزيينها بقطع النظر عن المعاني وصار المعنى الواحد عندهم يتكيف بهيئات مختلفة كما يشهد بذلك ابن خلدون حيث يقول في مقدمته « ان الشعر هو في الالفاظ لا في المعاني » وان الكلام انما يحسن او يسوء بحسب الصورة التي يأتي بها . وأورد لذلك شاهداً ماء البحر فقال انه يغترف باواني الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف

الماء ٠٠٠٠ واصبح الشعر بين اولئك المستشعرين «كلاماً موزوناً» خالياً مما يمكننا ان ندعوه شعراً ٠ والشعر هو غير الكلام وانواع المجاز هو ما وراء الكلام ٠هو ما يحرك العواطف ويسلط العقل على القلب — هو ترديد نغمات صادرة عن اوتار القلب كما حركتها يد القدر هو الحقيقة اللابسة اثواب الكناية وانواع المجاز والكلام مطلقاً ٠ هو العقل البشري في اسمى مظاهره ٠ هو اقتراب الانسان من الله — هو ادراك النابغة ذلك السر وتصوير كل ذلك بصور تتناسب في الجمال

وقولنا هذا لا يوجب على كل شاعر ان يكون نابغة فان الناس كلهم شعراء ان ادركوا ولو قليلاً من ذلك الجمال وانما النابغة يفوقهم بالتعبير واختيار الصور ٠ ويرى فوق ما يرون ويعبر عن افكارهم بما هم لا يعرفون كيف عنه يعبرون

وقد قلنا قبلاً ان الشعر والموسيقى كانا عند الشاعر الاول شيئاً واحداً ٠ ثم ترقى الانسان ففصلهما الى فنين مختلفين ٠ ابقى شيئاً من الموسيقى في الشعر وهو الوزن والقافية وابقى شيئاً من الشعر في الموسيقى وهو الكلام او الغناء ٠ ثم احسَّ بتلك القيود فاخذ يتركها شيئاً فشيئاً ويفصل الواحد عن الآخر بالتدريج ٠ ففي الشعر اخذ المتاخرون في اغفال الوزن والقافية فنتج ما ندعوه الشعر المنثور

والشعر المنثور ليس ابن اليوم بل هو يرجع قرناً او قرنين قبل الآن — فهذا لامارتين وهو من اشعر شعراء الفرنسيس كتب كثيراً في المنظوم وابدع وكتب ايضاً كتاباته النثرية وهي وان لم تكن شعرية تماماً الا انها خطوة الى الامام نحو الشعر النثري — ومثله شاتو بريان كاتب افرنسي آخر نبغ في اوائل القرن التاسع عشر وجان جاك روسو — وقام واشنطون ارفنغ بين الاميركان فكتب كتابه «الشذرات» وهو على نسق كتابة شاتو بريان ٠ وغير هؤلاء من الكتاب والمؤلفين ٠ وبقي الناس بين مستحسن لهذه الطريقة — طريقة تقدم الشعر نحو النثر — وبين مستاء منها الى ان ظهر هيجو ٠ فابدع بالشعر المنظوم وغير في اوزانه وتفنن بالتقفية واتقنها حتى عده بعضهم اعظم شعراء قومه الا انه في آخر ايامه عاد فعدل عن ذلك الى الشعر النثري لانه وجد بعد الاختبار الطويل ان الوزن على وسعه في اللغات الاوربية يعيق الشاعر عن بسط افكاره كلها ويؤخره عن الوصول لغايته ويربطه بهيئة التعبير فلا يعود يمكنه اطلاق الفكر الذي يتطلبه الجمال والشعر .

على ان فصل الشعر والموسيقى لفنين مختلفين وفصل الشعر عن الوزن والقافية وردّ هذين الاخيرين للاصل المختصين به انما هو تقدم واضح يتبع الشريعة العامة شريعة ارتقاء

الانواع بواسطة التفرع والاختصاص

خذ لذلك مثلاً الاسماك واجناس الضفادع المعروفة بالامفيبيا . فان هذين النوعين يرجعان الى اصل واحد أحط منهما كليهما يعرف عند علماء الحيوان باسم « جانود » — Ganoid — فالجانود له خاصتان خاصة الاسماك وخاصة الضفادع لابل الاثنان يجتمعان به ويصير حيوانًا واحدا . فعند ترقيه انقسم الجانود الى حيوانين مختلفين تمام الاختلاف هما كما قلنا الاسماك والامفيبيا . وهذه الشريعة عامة كل شيء ونراها ظاهرة ايضاً في العلوم والفنون . فالحساب والعلوم الطبيعية مثلاً بقيت قرونًا برمتها تدرس مع الفلسفة حتى اذا ارتقت العقول فصلت بين هذه العلوم واخذت تدرس كل بمفرده فظهرت اثار الارتقاء بها

ونرى هذه الشريعة ايضاً في الشعر والموسيقى فان لهما غاية واحدة هي التعبير عن الجمال. واصل واحد هو التأثر الذي يحصل في المراكز الدماغية . فانه عند ما تعرض الصور الجميلة على العين والاذن او غيرهما من الحواس ينتقل ذلك الشعور على الاعصاب الى المراكز الدماغيــة ومن هناك ينتقل تأثيرها فيظهر خفيفاً او شديداً حسب تلك الصور . والتأثر اذا اشتد احدث اهتزازًا في الصوت ثم يشتد فيظهر تأثيره بالجسم كله كما ترى ذلك في حالة الغضب الشديد او الخوف او الاعجاب . وفضلاً عن ذلك كله نرى ان الموسيقى والشعر لهما ذات الواسطة للتعبير عن الشعور هو ذلك الصوت . الا انه عند ترقي التعبــير نشأ فرعان مختلفان تمام الاختلاف احدهما الاصوات مطلقاً والاخر الكلام . والشعر النثري هو تتمة ذلك الفصل بين الموسيقى والكلام

ورب معترض يقول اذا فصلنا الشعر عن الوزن والقافية فما الفارق بينه وبين النثر والجواب ان الفروق تبقى كما هي . فالشعر كما بينا قائم بالافكار التي تعبر عن الجمال واستعمال الصور المناسبة لذلك الجمال من مجاز وتشبيه . وهو قائم بتهييج القريحة لدرجة يرى بها الشاعر التناسب بين الاشياء واضحًا جليًا فيترك الوصل والعلاقات البسيطة في الكلام فيصبح كلامه كثير الدلالة وان قلّ . وهو في كل مظاهره يضرب على اوتار القلب ويميل نحو النفس البشرية . والناثر بخلاف ذلك على خطّ مستقيم . فهو وان طلب الجمال وتهييج لا يزال يرمي نحو العقل ويتحدى المنطق اراد ام لم يرد

ولا يجب ان يؤخذ من كلامنا هذا اننا نحرم استعمال الموسيقى (الوزن والقافية) في التعبير عن المعاني الشعرية للشعر فقد تفعل المطرقتان . ما لا تفعله المطرقة الواحدة .

ولكن المطرقة الواحدة قد تاتي بنتيجة احسن مما تاتيه المطرقتان اذا كانت يد تحسن استعمالها . وسوف تأتي تلك اليد وسوف يقوم جبابرة في الشعر المنثور فيبدعون كما ابدع نوابغ الشعراء قديماً . فان العقول قد استيقظت لهذه الحقائق واخذ الفكر يبحث . والفكر البشري كما قال لامارتين هو كالقدر يغيرُ الاشياء ويكيف صورها على هيئته — والله يهدي من يشاء

(بيروت) توفيق الياس الجليل

باب السؤال والاقتراح

استحضار الارواح

✵ الاسكندرية ✵ سليم افندي سعيد

قضيت هذا الصيف في اوربا ومن المدائن التي زرتها مدينة باريز جئتها للتمتع بما حوته من المشاهد الجميلة في الشوارع وعلى المراسح . ولم يدهشني شيء مما شاهدته فيها كما ادهشني رجل يزعمون انه يستحضر الارواح لمن شاء وانا لا اصدق اقتدار البشر على ذلك ولكن بعض الاصدقاء الحّ عليَّ فصحبته الى ملعب تستحضر فيه الارواح . ومع ماسبق الى ذهني من تكذيب تلك الدعوى فقد خرجت من المكان وانا مضعضع من الدهشة والاستغراب لاني شاهدت روح والدي شهادة عين . وكنت قد انكرت على صاحبي استحضار الارواح وقلت انها شعوذة فقال جربه بنفسك فطلبت اليهِ ان يريني روح والدي المتوفى منذ عشرة اعوام فسألني عن مكان وفاته وادخلني غرفة مظلمة واراني شبحاً كأنهُ وجد من العدم لان الغرفة كانت خالية فاقشعر بدني وخلت والدي بنفسه نهض من ضريحه وقد التف برداء ابيض وعلى وجهه شحوب كما رأيتهُ في اواخر مرضه . فخرجت من القاعة لا اقول مقتنعاً بل مستغرباً لاني لا ازال انكر استطاعة البشر استحضار الارواح . وقد عولت من ذلك الحين ان استفتي الهلال لعله يوضح لنا الاساليب التي يستولي بها اولئك المشعوذون

على اعتقاد الناس وثقتهم — والاَّ فهل هم يستحضرون الارواح حقيقة ؟

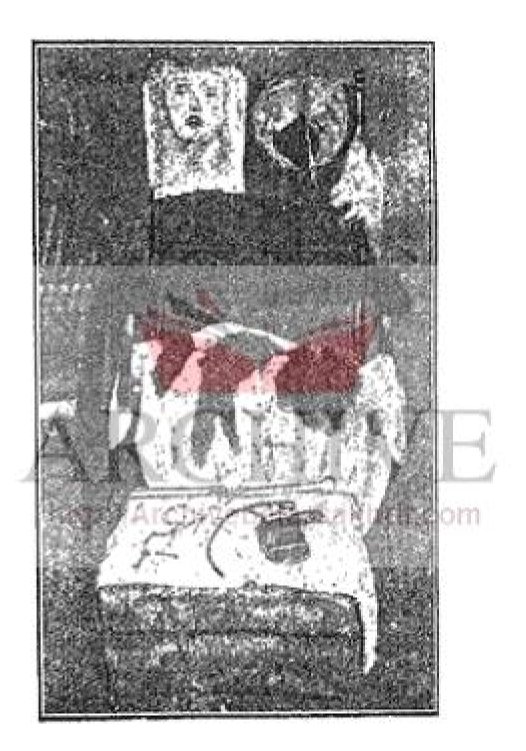
﴿ الهلال ﴾ كل ما يظهر من اعمال مستحضري الارواح انما هو من قبيل الشعوذة ُ وقد سبق لنا كلام من هذا القبيل في اهلة السنين الماضية · وقلنا غير مرة ان الذين يدعون استحضار الارواح يوهمون الناس انهم يرونهم ارواح اسلافهم باستحضارات او حيل متى كشفت للانسان استغرب انخداعه ُ بها · ولا غرابة في جواز ذلك عليكم فقد خدع قبلكم جماعة من كبار العلماء ولا يزال عامة الافرنج وكثيرون من خاصتهم يعتقدون صحة هذه الدعوى حتى الآن والعلماء واهل النقد لا ينفكون عن كشف سر تلك الحيل



(ش ١) روح ٌ استحضرها شارلس الدريد وصوروها بالفوتوغراف

وآخر ما قرأناه من هذا القبيل ان مشعوذاً اسمه شارلس الدريد قضى عدة اعوام في انكلترا يجول من بلد الى آخر يستحضر ارواح الاموات واشخاصهم والناس يستغربون قدرته فاستولى على عقول العامة حتى اعتقدوا صدق دعوته واصبح موضوع احاديثهم · وكانت اقامته اكثرها في نوتنهام وشهد ملعبه ُ غير واحد من اهل النقد فلم يستطيعوا كشف حيلته · وحجة بعضهم بان ما يريه للناس من الاشباح انما هو خيالات او اظلال يتوهم المعتقد اذا رآها

انهُ يرى شخصاً حقيقياً — والمؤمن بالمعجزات يتوهم انهُ يرى شيئاً وان لم يكن بين يديه شبح ولا ظل · فدفع الدريد دعواهم هذه بانهُ استحضر الارواح مجسمة نقل المنتقدون صورها بالفوتوغراف فازداد البسطاء اعتقاداً بهِ وتحقق العلماء شعوذتهُ وان كانوا لم يكشفوا سرَّها مع انهم فحصوا الغرفة التي كان الرجل يجري فيها الالاعيب فحصاً جيداً حتى المقاعد والكراسي وغيرها



(ش ٢) كرسي شارل الدريد وما فيها من الادوات

فظلَّ الرجل يزداد شهرة ويزداد به الناس اعتقاداً بما فطر عليه من الدهاء واغتنام الفرص فكان يهيج عواطف الحاضرين من الشبان الذين يعتقدون صدقه بخفته ورقة اسلوبه ثم يريهم ما يطلبون رؤيته من ارواح الآباء والاجداد · فالذي يرى اختلافاً بين ما يراه من سحنة جده وما يعرفه عنه من قبل ينتحل لذلك الاختلاف سبباً من عند نفسه او ربما كذب عينيه ولا يكذب صاحب الارواح · وكان هذا اذا طلب اليه احدٌ ان يريه روح ابيه مثلاً اجلسه في قاعة واضعف ضوءها حتى يقرب من الظلام ويصبر بضع دقائق والسكوت تام · ثم يبدو للناس ضوء صغير يتحرك فوق خزانة استتر فيها المستحضر وراء

حجاب . ثم يزاح الحجاب عن رأسٍ شاحب اللون في قاع الخزانة ثم يبدو الجسم كاملاً فيرى الحاضرون شبحاً حقيقياً يعرفه الطالب . وقد يكون المطلوب رجلاً شهيراً يعرفه كثيرون كما اتفق لشارل المذكور فانه احضر للناس روح الجنرال مكدونلد وغيره من كبار الرجال

واتفق بعد حين لاثنين من مريدي صاحبنا وكانا يلازمانه ويخدمانه اعجاباً به انهما ارتابا بصدق دعوته ولحظا شيئاً من خداعه فعزما على كشف حيلته فوجدا السر كله في الكرسي الذي كان يجلس عليه هو او الروح التي يستحضرها . وذلك ان ظهرها عبارة عن صندوق فيه ادوات كثيرة من الثياب والشعر والاوجه المستعارة ومعها مقص وابرة واسلاك وغير ذلك مما يستعان به في اصطناع الاثواب وتكييف اشكالها على ما يلائم الحال مما يبدو لصاحب الارواح انه يشبه الشخص المطلوب باعتبار العصر الذي كان فيه . ولما علم هذان بسر الامر كشفاه للناس واعترف الدجال بخداعه وصوروا الكرسي وعليها الادوات التي كانت فيها كما ترى في الشكل الثاني — وفي ذلك حجة دامغة على بطلان دعوى اولئك المشعوذين

كيف اكتسى الانسان

(القاهرة) محمد افندي ابو السعود بالسكة الحديدية

قرأت في الهلال الاول من هذه السنة كلامكم عن كيفية توصل الانسان الى اصطناع طعامه فشوقني ذلك الى معرفة السبيل الذي توصل به الى اصطناع كسائه فهل لكم ان ان تفيدونا عن ذلك

(الهلال) وجد الانسان عارياً رقيق البشرة يتأثر لعوامل الحرّ والبرد وكان في اقدم اطواره لا يعرف شيئاً من صناعة الحياكة ولا يستطيع القبض على الحيوان ليسلخ جلده ويكتسي به فالغالب انه لما شعر باحتياجه الى الكساء عمد الى مما تصل يده اليه من مواد الارض واقرب تلك المواد التراب فلعله جبل شيئاً من التراب بالماء ومسح به جلده ولا غرابة في ذلك فان بعض القبائل المتوحشة اليوم لا تعرف من انواع الكساء الا الطين تمزجه ببعض المواد الملوّنة او بالشحم وتكتسي به جلودها فان سكان جزائر الاندامان يستخدمون هذا الكساء للوقاية من الحر ولسع البعوض (الناموس) وبعضهم يتفنن في ثوبه

هذا فيزينه بخطوط طولية او عرضية يصطنعها (خياطهم) بجر اصابعه على الطين قبل ان يجف • واغرب من ذلك ان بعضهم اذا كسا وجهه طيناً صبغ نصفه باللون الاحمر والنصف الآخر باللون الاخضر وجعل بين اللونين خطاً طولياً يمتد على صدره الى اسفل بطنه • ومن آثار هذه العادة عند اسلافنا الاقدمين الوشم فانه يدل على ميل الانسان الى تغطية جسمه اما للكساء او للزينة وبعض القبائل تتخذ الوشم وحده كساء وفي بعض الكهوف باوربا حفر" استدلوا على انها كانت اجراناً يدقون بها المغرة وهي ضرب من الطين يمزجونه بالمواد الملونة • وقد يقال انهم انما يريدون بذلك مجرد الزينة ولكن الحقيقة انه يغنيهم عن الكساء • والوشم منتشر الآن في سائر اقطار الدنيا والناس بين مكتف منه برسم على زنده او خط على خده او علامة على صدره وبين متخذ الوشم لباساً فيرسم على جلده الخطوط والزوايا والاشكال والصور على طرق شتى



الوشم للزينة في اميركا

ويلي هذا الكساء الترابي الذي تخلف الوشم عنه كساء من النبات • وابسط انواع ذلك الكساء ان يقطع الرجل غصناً باوراقه فيغطي به عورته او يستظل به او اذا عثر على شجرة كبيرة الاوراق كالموز او ما شاكله اتخذ ورقة او بضع اوراق يخاطها بعضها ببعض بمسك نباتي او شدها بعضها الى بعض برباط من قشور الاغصان الدقيقة • ولنا في

حكاية آدم مثال على ذلك

وبعض القبائل المتوحشة الآن يتخذون قشور الشجر كساء وفي البرازيل شجرة يقال لها (شجرة القميص) يتخذ منها بعض البرازيليين كساء كالقميص وكيفية ذلك انهم يقطعون من جزع تلك الشجرة او من بعض اغصانها الغليظة قطعة طولها اربع اقدام او خمس يجردون قشرها قطعة واحدة على شكل اسطوانة فيبلونها ويطرقونها حتى تلين وتتسع ثم يجعلون بها ثقبين على الجانبين العلويين لادخال الذراعين بهما • فاذا كان الثوب قصيراً لا يغطي الجسم كله جعلوه كساء سفلياً فيشدونه عند الخصر كما يفعلون بالتنورة (الجونيلا)

ومما يدل على ان ذلك الكساء النباتي كان مستخدماً عند اسلافنا الاقدمين ان التقاليد الدينية المدونة في شرائع مانو بالهند وهي كتب قديمة العهد تفرض على البرهمي اذا شاخ وأحب الاعتزال لقضاء بقية حياته في العبادة والتنسك ان يتخذ لباساً من الجلد أو قشر الشجر • وفي اقصى الشرق جزيرة يقال لها جزيرة برونيو واقعة بين بحر الصين وبحر جاوى اهلها يقلدون التمدن الافرنجي فيلبسون الاقمشة الافرنجية أما اذا فقدوا عزيزاً فعلامة الحداد عندهم العدول عن الاقمشة المنسوجة الى قشور الاشجار

على ان بعض الامم قد تفننت بهذا النوع من الكساء حتى جعلته قسماً من صناعتها وتجارتها فان في بولونيسيا معامل يقال لها معامل تابا يعالجون فيها قشر نوع من التوت يسمونه توت الورق وذلك ان نساءهم يطرقن القشر بنبابيت مخددة حتى يلين فيشبه بقوامه وشكله اللباد ثم يزينه ببعض الاصباغ الملونة • ومما حكي عن هؤلاء الاقوام أنهم رأوا الورق وكانوا لا يعرفونه فظنوه صنفاً من التابا فخاطوا منه اردية ولكنهم ما لبثوا ان عرفوا خطأهم لما أمطرت سماؤهم وابتلت ثيابهم فاذا هي تتساقط مهرئة قطعاً قطعاً • وفي بعض جهات الهند والسودان يحيكون أوارق النبات نسيجاً يتخذون منه بعض أنواع اللباس ولكن في مدراس جماعات يخلعون ثيابهم في يوم من أيام السنة معين ويستترون بالاغصان ولا ريب ان هذه العوائد تشف عن عادات اسلافنا الاقدمين في الارتداء بالاغصان او القشور

ثم ما لبث الانسان ان اخترع بعض الادوات الحادة وتغلب على الحيوان فافترسه وتناول لحمه طعاماً واتخذ جلده كساء • والارتداء بالجلود اسهل تناولاً وادفع للغوائل واقوى على الاحتمال ولذلك فانه شاع كثيراً في الامم القديمة وخصوصاً بين الذين لم

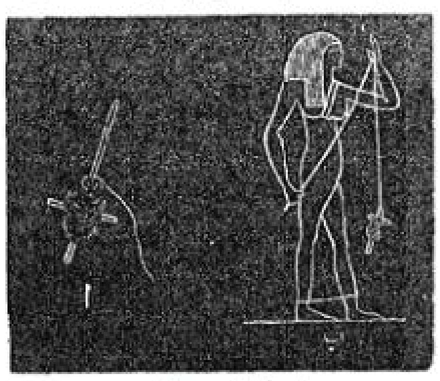
تظللهم الحضارة كاهل اثيوبيا واواسط افريقيا فانهم كانوا يأتزرون بالجلود حتى بعد اكتشاف النسج فان القماش المنسوج لم يكن يلبسه الا كبارهم وبقيت الجلود لباساً للعامة

وانتقل الانسان خطوة هامة في اتقان كسائه باختراع الحياكة ثم الخياطة . ولا نعلم مخترع هاتين الصناعتين واهم منهما اصطناع الخيوط او الغزل ومخترعها خدم الانسانية في حينه اكثر مما خدمها مكتشف البخار او مخترع التلغراف ومع ذلك فقد ضاع اسمه في ثنايا الزمان . وللحياكة دوران احدهما قبل اصطناع الخيطان والثاني بعده وكانت الحياكة قبل الخيطان قاصرة على اصطناع الحصر او بعض الابسطة من اوراق الشجر المستطيلة كسعف النخل يحيكونها طولاً وعرضاً كما يصنع اهل السودان الآن الابسطة ونوعاً من القبعات وكما يحيك المصريون والسوريون القفف (المقاطف) . ولسعف النخل في انحاء السودان فوائد لا تقدر فقد رأيناهم يصنعون منها ابسطة يفرشون بها الارض ويحيكون منها آنية كالصواني والقصع وانواعاً كثيرة من العراقيات والقبعات و يبنون بها الجدران والسقوف والخيام ويجدلون الياف النخيل حبالاً يحملون بها الاثقال . ويحيكون بها الاكياس لحمل التبن وغيره . و يصطنع بعض اهل الخرطوم من سعف النخل اقداحاً وفناجين بغاية الدقة والضبط والجمال لا يخرقها الماء ويحيكون من تلك الاوراق انواعاً من الاحذية والاجربة وغير ذلك مما يقوم عندهم مقام كثير من الانسجة عندنا

والتوصل الى الحياكة سهل ربما توفق اليه الانسان صدفة او اتخذه تقليداً لبعض انواع الحيوان كالعنكبوت او بعض الطيور التي تبني الاعشاش . اما اتخاذ تلك المنسوجات كساء فبديهي لا يحتاج الى تفكير فهي لا تزال قائمة مقام الاقمشة حتى الآن

اما صناعة الغزل او اصطناع الخيطان فهي اهم خطوة في تاريخ الكساء والتوصل اليها معقول بالنظر الى مبدأها فلو نظرت الى خيط بالميكروسكوب لرأيته مؤلفاً من الياف دقيقة ملتفة بعضها على بعض بالبرم والفتل ولو عكست فتلها لانحل الخيط الى اليافه الشعرية الدقيقة . ومثل هذا الخيط مثل الحبال التي تصنع من ورق النخيل او اليافه (السلبة) فهذه الحبال تظهر للعين المجردة مؤلفة من الياف ملتفة بعضها على بعض وهكذا في بعض انواع الحبال المصنوعة من الياف النبات او اوراق الشجر الدقيقة فاننا لا نحتاج في اصطناعها الى اكثر من ان نضم بعضاً منها ونفتلها بين كفينا ازواجاً فاذا انتهينا الى الطرف الآخر اعدنا الفتل بعد ان نضم الزوجين معاً كما يفعل صناع الاحذية في اصطناع خيطانهم الخصوصية قبل تشميعها . فاول من اخترع الخيطان اصطنعها من الشعر او الصوف فتلاً بين كفيه

كما قدمنا ولكننا لا نزال في حاجة الى اختراع ذي شأن في صناعة الغزل وهو المغزل فهو على بساطة تركيبه وسهولة الحصول عليه يفضل في اهميته الآلة البخارية التي لم يتم اختراعها الا في عشرات من الاعوام . ولا نعرف مخترع المغزل ولكننا نعرف انه قديم جداً



المغزل المصري القديم

اما المواد المغزولة فاقدمها الشعر والصوف لاننا لا نحتاج في الحصول عليهما الا الى الجز ويليهما الحرير فقد وجد منسوجاً قبل الميلاد باجيال ولكن القنب (الكتان) اقدم منه لانه نقل من مصر الى صور في القرن السادس قبل الميلاد وكان يصطنع في مصر قبل ذلك باجيال متطاولة لا نعرف حدها . ويليهما القطن ووطنه الهند وقد ذكره هيرودوتس في رحلته بالقرن الخامس قبل الميلاد . وهناك مواد كثيرة يحيكون بها الاقمشة الآن غير التي ذكرناها ولكن هذه اشهرها

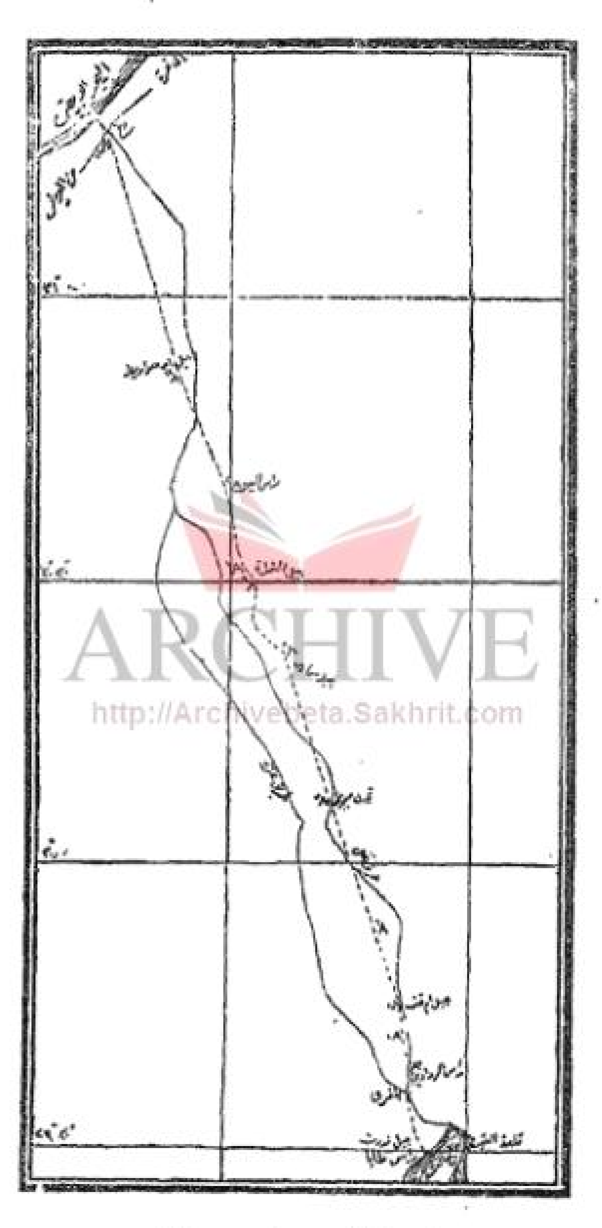
وامامنا درجة اخرى لا بد لنا من تخطيها حتى نصل الى اصطناع الانسجة وهي الحياكة والحياكة في الحقيقة لا تختلف عن صناعة الحصر والفرق بينهما متوقف على المواد المؤلف النسيج منها فبين ان تكون المواد ذات قوام يمكن نسجها باليد بلا شد او ربط كالقش وسعف النخل والحلفاء او ان تكون لينة لا قوام لها كالخيطان الدقيقة فهذه لا يمكن نسجها الا بمدها وشدها من اطرافها حتى يمكن ادخال اللحمة فيها على مثال الانوال التي يستخدمها الحاكة في سائر اقطار العالم والحياكة تكاد تكون عامة عند الامم من متمدنين وغير متمدنين

ولما حاك الانسان الانسجة اتخذها كساء بدلاً من ورق الشجر وقشور الجلد على سبيل الالتحاف حتى توفق الى اختراع الخياطة فاصطنع الالبسة المختلفة واهم مخترعات الخياطة « الابرة » والابرة على دقتها وقلة نفقاتها وبساطة صنعها تضاهي المغزل في اهميته بالنظر الى صناعة اللباس فانها اساس الخياطة وبها تشد قطع الثوب بعضها الى بعض . والغرض

من استخدام الابرة قديمٌ فالانسان كان يشد قطع اثوابه بعضها الى بعض قبل زمن الحياكة بل وقبل التردي بالجلود لانهُ لما اتخذ ورق الشجر او قشره كساء كان يضطر في كثير من الاحوال الى شد بعض اجزاء ذلك الثوب بالبعض الآخر ولا غنى له في ذلك عن الابرة او الخيط او ما يقوم مقامها · واستخدم بدل الابرة الشوك او الحسك يشد به قطع الثوب غرزاً بسيطاً بلا خيط او ربما ثقب حافتي الجزئين المراد خياطتهما من الثوب بشوكة من عظم وادخل في الثقبين قدة من جلد أو قطعة من معاء جاف يشد طرفيها بعقدة وهي ادنى درجات الخياطة · وهكذا يفعل الفوجيون الآن فانهم يثقبون الجلود بعظمة محددة و يدخلون في الثقب خيطاً يربطون طرفيه احدهما بالآخر · فالشوكة او الحسكة او العظمة اقدم انواع الابر ولعل الانسان قضى ازمنة متطاولة يخيط اثوابه بهذه الابرة فيثقب القماش او الجلد بها ثم يخرجها ويبعث الخيط او ما يقوم مقامه في ذلك الثقب كما يفعل صناع الاحذية اليوم فانهم يثقبون الجلد بالمخرز ثم يدخلون الخيطان في الخرز ويشدونها

ولكن الانسان ما لبث ان اهتدى الى اختراع الابرة ذات الثقب التي يدخل الخيط في ثقبها فاذا غرزت في الثوب خرجت من الجانب الآخر والخيط يجرورائها وهي الطريقة المشهورة في الخياطة في سائر اقطار العالم والظاهر انها قديمة العهد كثيراً ولان اختراعها سهل لبساطتها وشدة احتياج الانسان اليها · على ان الانسان قضى اعصراً متوالية يخيط اثوابه بالابر من العظم والحسك حتى اهتدى الى معالجة المعادن فاصطنع الابر اولاً من البرنز وفي المتاحف الآثارية في اوربا امثلة من الابر عثروا عليها في اطلال بعض المدن القديمة · ثم اصطنعوا الابر من الحديد وغيره وما زالوا يتفننون في صنعها واتقانها حتى بلغت ما نعلمه عنها · فلما خرج اهل اوربا من الاجيال المظلمة ونهضوا لاحياء العلم والصناعة كان في جملة اختراعاتهم الصناعية آلة الخياطة (الماكنة) والفضل في هذا الاختراع العظيم للانكليز فانهم هم الذين وضعوا اساسه واقدم آلة صنعت لهذه الغاية صنعها رجل انكليزي يقال لهُ شارلس وسيتال سنة ١٧٥٥ ثم اخترع توماس سانت آلة لخياطة الاحذية سنة ١٧٩٠ واول ظهور هذه الآلات في اميركا سنة ١٨١٨ وفي فرنسا سنة ١٨٣٤ على ان الفضل في اتقانها راجع الى الاميركان فان اول آلة متقنة صنعها رجل اميركاني اسمهُ الياس هاو في ماساشوست سنة ١٨٤١ وقد ادخلت طريقته هذه الى انكلترا على يد رجل اسمه توماس سنة ١٨٤٦ ولا يزال هذا النوع من آلات الخياطة يعرف باسمهِ وتفننوا فيه كثيراً

الحدود بين مصر والشام



خريطة الحدود بين مصر والشام

وقع خلاف بين مصر والباب العالي بشأن الحد الاداري لمصر من جهة الشام وبعد مداولات طويلة واخذ ورد اتفقتا على تعيين لجنة ينتدبها الباب العالي واخرى تنتدبها مصر

واللجنة المصرية مؤلفة من سعادة ابراهيم فتحي باشا وروجراوين بك عضوين ونعوم بك شقير سكرتيرًا فقضت اللجنتان في جهات العقبة بضعة اشهر في الدرس والمداولة واخيرًا اتفقتا على الحدود باتفاقية رسمية مؤرخة في ١٨ سبتمبر الماضي كتبت باللغة التركية وهذه ترجمتها الرسمية الى اللغة العربية :

اتفاقية الحدود لجزيرة سينا

هذه هي الاتفاقية التي وقع عليها وتبودلت في رفح في ١٣ شعبان المعظم سنة ١٣٢٤ الموافق ١٨ ايلول سنة ١٣٢٢ الموافق اول اكتوبر سنة ١٩٠٦ بين مندوبي الدولة العلية ومندوبي الخديوية الجليلة المصرية بشأن تعيين خط فاصل اداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سينا.

بما انه قد عهد الى كل من الميرالاي اركان حرب احمد مظفر بك والبكباشي اركان حرب محمد فهمي بك بصفتهما مندوبي الدولة العلية والى كل من امير اللواء ابراهيم فتحي باشا والميرالاي روجر كرميل رويرت اوين بك بصفتهما مندوبي الخديوية الجليلة المصرية بتعيين خط فاصل اداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سينا قد اتفق الفريقان باسم الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية على ما يأتي : —

المادة الاولى — يبدأ الخط الفاصل الاداري كما هو مبين بالخريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية من نقطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتد الى قمة جبل فورت مارًا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات الآتية — من جبل فورت الى نقطة لا تتجاوز مائتي متر الى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها الى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعامود المقام من نقطة على مائتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طريق غزة الى العقبة بطريق نخل الى العقبة) ومن نقطة التلاقي المذكورة الى التلة التي الى الشرق من مكان ماء يعرف بثميلة الردادي والمطلة على الثميلة (بحيث تبقى الثميلة غربي الخط) — ومن هناك — الى قمة رأس الردادي المدلول عليها بالخريطة المذكورة اعلاه بـ A ٣ ومن هناك الى رأس جبل الصفرة المدلول عليه بـ A ٤ — ومن هناك الى رأس القمة الشرقية لجبل ام قف المدلول عليها بـ A ٥ ومن هناك الى نقطة مدلول عليها بـ A ٧ الى الشمال من ثميلة سويلمه ومنها الى نقطة مدلول عليها بـ A ٨ الى غرب الشمال الغربي من جبل سماوى — ومن هناك

الى قمة التلة التي الى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي مابين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل) — ومن هناك الى A ٩ — ومنها الى A ١٠ غربي جبل المقراة — ومن هناك الى رأس العين المدلول عليه بـ A ١١ — ومن هناك الى نقطة على جبل ام حواويط مدلول عليها بـ A ١٢ ومن هناك الى منتصف المسافة بين عامودين قائمين تحت شجرة على مسافة ثلثمائة وتسعين متراً الى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليه بـ A ١٣ ومن هناك الى نقطة على التلال الرملية في اتجاه مائتين وثمانين درجة (٢٨٠) من الشمال المغناطيسي (اعني ٨٠ درجة الى الغرب) وعلى مسافة اربعمائة وعشرين متراً في خط مستقيم من العامودين المذكورين — ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيماً باتجاه ثلثمائة واربعة وثلاثين درجة (٣٣٤) من الشمال المغناطيسي (اعني ٢٦ درجة الى الغرب) الى شاطيء البحر الابيض المتوسط ماراً بتلة خرائب على ساحل البحر الاحمر

المادة الثانية — قد دل على الخط الفاصل المذكور بالمادة الاولى بخط اسود متقطع في نسختي الخريطة المرفوقه بهذه الاتفاقية والتي يوقع عليها الفريقان ويتبادلاها بنفس الوقت الذي يوقعان فيه على الاتفاقية ويتبادلاها

المادة الثالثة — تقام اعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التي على ساحل البحر الابيض المتوسط الى النقط التي على ساحل خليج العقبة بحيث ان كل عامود منها يمكن رؤيته من العامود الذي يليه وذلك بحضور مندوبي الفريقين

المادة الرابعة — يحافظ على اعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية

المادة الخامسة — اذا اقتضى في المستقبل تجديد هذه الاعمدة او الزيادة عليها فكل من الطرفين يرسل مندوباً وتطبق مواقع العمد التي تزاد على الخط المدلول عليه في الخريطة

المادة السادسة . — جميع القبائل القاطنة في كلا الجانبين لها حق الانتفاع بالمياه حسب سابق عاداتها اي ان القديم يبقى على قدمه فيما يتعلق بذلك وتعطي التأمينات اللازمة بهذا الشأن الى العربان والعشائر وكذلك العساكر الشاهانية وافراد الاهالي والجندرمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل

المادة السابعة — لا يؤذن للعساكر الشاهانية والجندرمة بالمرور الى غربي الخط الفاصل وهم مسلحون

المادة الثامنة — تبقى اهالي وعربان الجهتين على ما كانت عليه قبلاً من حيث ملكية المياه والحقول والاراضي في الجهتين كما هو متعارف بينهم

المندوبون من قبل الدولة العلية		المندوبون من قبل الخديوية المصرية	
امير الاي اركان حرب	مظفر	امير اللواء	ابراهيم فتحي
بكباشي اركان حرب	فهمي	امير آلاي	اوين

هذه الترجمة طبق الاصل المحرر باللسان التركي

قول اغاسي اركان حرب اسعد

كاتب تركي نظارة الحربية يوسف سامح

فوائد علمية

وجاءنا من جندي افندي عوض بمخزينة السكة الحديدية بمصر

كنت اطالع احدى المجلات الانكليزية العلمية فعثرت على شذرات مفيدة فآثرت تعريبها للهلال وهي :

١ — اطالة العمر

اشار السير هرمان ويبر احد اطباء انكلترا في خطاب ألقاه في كلية الاطباء الملكية بلندن باتباع النصائح الآتية لاطالة الحياة وهي

اولاً — الاعتدال في المآكل والمشرب والملاذ الطبيعية

ثانياً — تنقية الهواء داخل البيت وخارجه

ثالثاً — ممارسة الرياضة البدنية يوميا مهما كانت حالة الطقس والمشي والتصعيد في الاماكن العالية

رابعاً — النوم باكرًا والقيام باكرًا وجعل مدة النوم من ست ساعات الى سبع

قالت المجلة التي نقلنا عنها ملخص هذا الخطاب النفيس «ويستثنى من ذلك الاشخاص الذين يضطرون الى النوم ثماني ساعات او اكثر مراعاة لسنهم وصحتهم»

خامساً — الاستحمام يومياً اذا تيسر ذلك بالماء البارد او السخن او بالسخن ويليه البارد

سادساً — الاجتهاد في وسائط السرور للنفس وتفريج القلب

سابعاً — استخدام قوة العقل العظيمة في ضبط الاهواء والمخاوف الشديدة

عجائب المخلوقات

اطول الرجال واقصرهم



(ش ١) اطول رجل في العالم

اطول رجل في العالم اليوم لويس ولكنس وهو انكليزي الاصل وقد ولد في سانبول مينسوتا بالولايات المتحدة سنة ١٨٧٤ فهو الآن في الثانية والثلاثين من عمره . والعادة في طوال القامة ان يكونوا نحاف البدن لانحصار قوة النمو في طولهم دون عرضهم . واما ويلكنس هذا فانه غريب النمو طولاً وعرضاً . فقد بلغ ارتفاعه ثمانية اقدام وقيراطين اي ٩٨ قيراطاً ومعدل طول الرجل لا يزيد على ستة اقدام . ومحيط صدر ويلكنس ٦٦ قيراطاً (نحو متر و ٦٥ سنتيمترًا) ومحيط فخذه $\frac{1}{2}$ ٣٤ قيراط . ووزنه نحو ٣٦٤ رطلاً مصرياً . وطول

باعه مثل طول قامته تماماً ويدل ذلك على تناسب اعضائه اي انها مع كبرها غير الاعتيادي فانها متناسبة . وطول كفه ١٢ قيراطاً وعرضها خمسة قراريط . والرجل المعتدل القامة يلبس قفازًا حجمه سبعة قراريط وقفاز ويلكنس ١٤ قيراطاً . قطر اصبعه الوسطى قيراط ونصف قيراط ومحيطه ٤ ½ قيراط محيط جمجمته ٢٧ قيراطاً اي نحو ٧٥ سنتيمترًا وطول حذائه ٢٥ قيراطاً

وهو صحيح البدن قوي العضل وفيه ذكاء وتعقل يعرف الفرنساوية والانكليزية والالمانية ويحسن السباحة ويحب الرياضة البدنية وله غية في جمع طوابع البريد والنقود القديمة . وحيثما مشى استلفت انتباه الناس ومشى الاولاد في اثره اعجاباً بكبر جثته . ولذلك فهو قلما يسير ماشياً في الاسواق فرارًا من تجمهر الناس حوله او التفاتهم اليه

ومن غريب احواله انه يتكلف ضعفي ما يتكلفه سائر الناس على لوازم الحياة فهو يدفع ثمن الثوب ضعفي ما يدفع سواه وكذلك في اثمان الاحذية وفي اجور المركبات والاسرة في الفنادق وفي اثمان الاطعمة وفي كل شيء تقريباً

ولكي يتضح طول قامته صوروه بجانب رجل من اوساط الناس طولاً وسمناً . فاذا هو يتطاول بذراعه وقبعته ولا يدرك قبعة المستر ويلكنس كما ترى في الشكل الاول

اقصر رجل في العالم

واقصر رجل تام الخلقة متناسب الاعضاء شاب اصله من بادية بورما في الهند اسمه سنغ هيبو هو الآن في الثالثة والعشرين من عمره ولم يزد طوله على ٣٤ قيراطاً اي نحو ثلث لويس ولكنس المتقدم ذكره . ولهذا القزم تاريخ غريب من طفوليته الى شبابه كتبه بقلمه وتحدث به عن نفسه ومما قاله :

« لا اذكر من طفوليتي الا اني كنت ادرج في بستان استطال زرعه وكساه الغرس في بلاد لم اعد اراها من ذلك الحين ولا اعرف احدًا من اهلها . وعرفت من مصادر اخرى انها قرية في بادية بورما من بلاد الهند وكان والداي معتدلي القامة مثل سائر الناس وما زلت مقيماً في حجرهما الى العاشرة من عمري بين اتراب سود البشرة نقضي النهار ونحن نتلاهى بالرمل او التراب نبني به قصورًا وكان بناؤها لذيذًا شهياً ولو انها في الهواء . وفي ختام السنة العاشرة لم يكن طولي يزيد على قدمين فمرّ بنا رجل ابيض البشرة ألماني الجنس فلما رأى قصر قامتي وصغر جسمي احب ان يتبناني فتقدم الى والدي بذلك ولم ينفك حتى اقنعه فدفعني اليه فأخذني وجعلني ابناً له . واما انا فكنت ادعوه عمي وهو قبطان بحري لم يكن

يدخر وسعاً في سبيل راحتي فعلقت به وكنا لانفترق ليلاً ولانهاراً وكانت معيشتنا في الاسفار البحرية — لاانسى اول مرة وقع نظري على ابنية العالم المتمدن الضخمة وما يتخللها من حركات المركبات والسكك الحديدية والترامواي



(ش ٢) اقصر رجل في العالم

« قضيت السنتين الاوليين في رفقة عمي في الهند نسيت في اثنائها لغة ابويَّ وتعلمت لغة عمي الالمانية . ثم سافرنا من الهند الى اوربا وارادوا هناك ان يعرضوني على المراسح في المدن الكبرى واخذت من ذلك الحين اتعود الاختلاط بالناس . وكنت اذا طال مقامي في بلد تعلمت لغة اهله فاحسنت الفرنساوية والانكليزية والالمانية وعرفت أُلوفاً من الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ولغاتهم من الرجال والنساء . قضيت ما مرَّ من عمري وانا لا اعرف حزناً او غضباً وانا اشعر حتى الآن بانشراح صدري وانبساط نفسي واحس بالسرور متمكناً في اعماق قلبي . واتفق لي في اثناء اسفاري امور كثيرة تلذُّ تلاوتها و يشتهى سمعها . من ذلك اني كنت في نيس بالعام الماضي وعرفت فيها ممثلة شهيرة كنت اتردد اليها واستأنس

بها فاتفق انها احتفلت احتفالاً عمومياً لمريديها واصدقائها فعزمت ان اقدم لها باقة من الازهار على جاري العادة في مثل هذه الحال فاحضرت باقة كبيرة في سلة (سبَتْ اوجئت الى المرسح من بعض جوانبه وانا احملها بين يديَّ وقد اختفى رأسي وراءها فلم يرَ الناس الا سلة الازهار تمشي وحدها لانها كانت اكبر مني ولا تسل عن بغتة تلك المغنية وضحك الحاضرين

« واتفق لي مرَّة في برلين بالمرسح الذي كنت اعرض فيه انهم كانوا يمثلون رواية رجل وامرأته والمرأة تتهم زوجها بحب سواها تختم احد الفصول بغضب المرأة بعد ان تحققت خيانة زوجها ولما آن رفع الستارة للفصل التالي توهم المولج برفعها ان التمثيل انقضى وجاء دوري فرفع الستارة واسرع اليَّ وعنفني لتأخري عن الظهور فهرعت جهد طاقتي وكانت المرأة قد ظهرت على المرسح وحدها واخذت في تمثيل دورها وهو عبارة عن مخاطبة نفسها بما اتاه زوجها من المنكرات فاخذت في توبيخه الى ان قالت « وما الذي تعتذر به ؟ انك لن تجد عذراً على فعلتك . قد عافتك نفسي ونبذك قلبي فاحتقرتك وكرهتك وصرت صغيراً في عينيَّ » فوصلتُ المرسح وانا ألهث من التعب وهي تقول هذه العبارة فضج الناس من هذا الاتفاق وعلا تصفيقهم وضحكهم » اه

حكم فلسفية

من كتاب الاخلاق والسير لابن حزم

لا شيء اضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه . واما مقرب اعدائه فذلك قاتل نفسه

اجهد في ان تستعين في امورك بمن يريد منها لنفسه مثل ما تريد لنفسك ولا تستعن فيها بمن حظه من غيرك كحظه منك

لا تجب عن كلام نقل اليك عن قائل توقن انه قاله فان من نقل اليك كذباً رجع من عندك بحق

ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على غير دينك من استخف بحرمات الله تعالى فلا تأمنه على شيء مما تشفق عليه

استعمل سوء الظن حيث تقدر على توفيته حقه في التحفظ والتأهب واستعمل حسن حسن حيث لا طاقة بك على التحفظ فتربح راحة النفس

ابلغ في ذمك من مدحك بما ليس فيك لانه نبه على نقصك . وابلغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك لانه نبه على فضلك ولقد انتصر لك من نفسه بذلك واستهدافه الى الانكار واللائمة

صحة العائلة

السموم ومضاداتها [١]

« السم » عبارة عن مادة اذا تجرعها المرء كانت حياته تحت خطر . ويختلف فعل السموم باختلاف مادتها . وهي تقسم الى جملة انواع تبعاً لفاعليتها في الجسم . أما نحن فنقسمها هنا الى قسمين فقط وهما : السموم المهيجة والسموم المخدرة

« فالسموم المهيجة » تحدث التهاباً وتتلف انسجة الجسم حيثما لامسته . وهي اما « حوامض » كزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) أو روح الملح (الحامض الهيدروكلوريك) وهذان يلونان الفم والشفاه بلون اسود . وأما ماء الفضة (الحامض النتريك) وهو يلون البشرة بلون أصفر . أو الحامض الخليك او الحامض الفينيك او الحامض الاوكساليك والاخيران يصبغان البشرة بلون أبيض . واما « قلويات » كالبوتاسا أو الصودا الكاوية أو القلي او الجير الخ . فهذه المواد الكيماوية الحريفة تكوي ما تمسه من الاعضاء البشرية وتهريه فانها تبقع الشفتين وتكوي داخل الفم والحلق والبلعوم (المرىء) والمعدة وتأكله وهذا النوع من السموم يسبب ألماً مبرحاً فيشعر المسموم بها باحتراق في فمه وحلقه وباوجاع لا تطاق في معدته واحشائه وتجيش نفسه وبتقيأ ما في جوفه وقد يخرج مع القيء دم او قطع من الغشاء المبطن للمعدة

اما « السموم المخدرة » فتسبب همودًا وخمولاً او فقدان الشعور او هذياناً . فكل من المورفين واللودنم والافيون يؤدي الى نوم ثقيل والاستركنين يصحبه نوبات تشنجية . والبلادونا والبنج يسببان تهيجاً عقلياً وهذياناً . والكحول يسبب السكر كما هو معلوم

وفي أحوال التسمم كافة يجدر بك ان تستدعي اقرب طبيب لمعالجتها وان تعلمه قبل مجيئه بجميع الاعراض والظروف ليأتي معه بالادوات والعقاقير . واما في اثناء ذلك فبادر حالاً الى استعمال ما بوسعك لاستخراج المواد السامة من المعدة « بالمقيئات » متى كانت من « السموم المخدرة » باعطاء المصاب كأساً من الماء الدافىء مذاباً فيه قدر ملعقة كبيرة

---

(١) نقلا عن كتاب مرشد الراغبين واسعاف المصابين الطبعة الثانية

من الخردل او ملح الطعام الاعتياددي . واذا عثرت على نبيذ عرق الذهب او شرابه (قد يقتنيها بعض العائلات دواماً كدواء منزلي) فناوله قدر ملعقة كبيرة او اثنتين منه ممزوجاً بماء دافئ . وهو خير المقيئات . اما اذا جاشت نفس المصاب من تلقاء ذاتها فيمكنك ان تساعده على التقيوء باعطائه مقداراً وافراً من الماء السخن على قدر ما يحتمل من الحرارة واذا كنت قريباً من اجزاخانة فاستحضر منها قدر عشرين قمحة من سلفات الزنك او سلفات النحاس في جرعة من الماء الدافئ واسقه اياها و بندران يخيب هذا المقيء في فعله . اما اذا اتفق لك ان تكون في مكان بعيد عن المنازل والاسواق حيث يتعذر عليك الحصول على خردل او ملح او غيرهما من المقيئات فادخل اصبعك او ريشة طير في فم المصاب ودغدغ بها حلقه الى ان يتقيا

واذا تغلب النوم على المصاب فابذل جهدك في ابقائه متيقظاً وذلك بصب الماء البارد على رأسه ووجهه و باعطائه قهوة ثقيلة ليشرب و بتمشيته في الغرفة ذهاباً واياباً . واذا فقد شعوره فاجتهد في ايقاظه بان ترش الماء البارد على وجهه وصدره او ان تلطمه بنشفة مبللة بماء بارد . واذا خشيت من انقطاع تنفسه فاستعمل له « التنفس الاصطناعي »

اما طرق معالجة « السموم المهيجة » كزيت الزاج والبوتاسا الكاوية الخ فتختلف عما سبق ذكره بشأن السموم المخدرة . فلا ينبغي مطلقاً ان تستعمل مقيئاً بل غاية ما تعمله من الاسعاف هي ان تلطف بقدر استطاعتك فعل السم على الحلق والمعدة وذلك باعطاء المصاب جرعات من المشروبات المسكنة كماء الشعير او اللبن او الدقيق المذاب بالماء او بياض البيض او زيت اللوز او زيت بزر الكتان او زيت الخروع او زيت الزيتون الخ . ولا تنسَ عن ان تضاد فعل « التسمم بالحوامض » بمادة قلوية كالمغنيسيا او الصودا او البوتاسا او الطباشير او الجير او بياض الجدران او رغوة الصابون مذابة في مقدار كبير من الماء . وان تقاوم فعل «التسمم بالقلويات» بالخل او عصير الليمون او البرتقال او البيض النيء او زيت الزيتون او اللبن او الاراروط او ماء الشعير او احد الحوامض الآتية مخففاً بماء كثير وهي : الخليك او الترتريك او الهيدروكلوريك او الكبريتيك . وقد تفعل السموم المهيجة احياناً على سقف الحلق او مدخل القصبة فينشأ عنها غصة او بحة او سعال او عسر تنفس او اختناق ففي مثل هذه الاحوال ينبغي ان تضع قطعاً من الاسفنج او الفلانلا مغمسة في ماء حار حول العنق

ومن الصواب في مسائل التسمم ان تحافظ عند الامكان على القيء . وكذلك على

الزجاجات والاوعية التي تشتبه بوجود السم فيها لاطلاع الطبيب عليها لدى حضوره · ولا يصعب عليك ان تميز نوع « السم المهيج » عن « السم المخدر » ولو عجز المصاب عن اخبارك الحقيقة وذلك من البقع الكاوية التي تشاهدها على ثيابه او ذقنه أو شفتيه ومن الاحتراق الذي يشعر به في فمه و بلعومه ومن الآلام المزعجة التي تعتريه في معدته واحشائه ومن تجشؤه وتقيؤه دماً او قطعاً من الانسجة الداخلية الى غير ذلك مما لا يحدث في نوع السم المخدر · وهاك بيان بعض السموم الاكثر شيوعاً في هذه البلاد وطرق معالجتها :

السم	العلاج
(١) الافيون (٢) اللودنم (٣) المورفين	مقيىء في الحال · وضع لزقة خردل على القلب وقفا العنق والساقين شرب فنجان قهوة ثقيلة كل ربع ساعة · الامتناع عن النوم
(٤) الزرنيخ (سم الفار) (٥) السليماني (الزئبق)	مقيىء في الحال · شرب مقادير وافرة من اللبن أو المغنيسيا أوزلال البيض مخفف بالماء
(٦) الكلوروفورم (٧) البنج	حمام بارد · دلك الجسم · تنفس اصطناعي
(٨) الاستركنين (٩) جوز القيء	مقيىء في الحال · استنشاق الكلوروفورم · شرب مقدار كبير من مسحوق الفحم مع الماء (اذا امكن البلع)
(١٠) نترات الفضة (حجر جهنم)	مقيىء (من ملح الطعام) · شرب اللبن او زلال البيض النيء
(١١) النشادر (امونيا) (١٢) البوتاسا الكاوية	شرب الخل او عصير الليمون · شرب زيت الزيتون
(١٣) الحوامض	اذابة ٨ دراهم مغنيسيا مكلسة في ١٥٠ درهما ماء وشرب فنجان منه كل دقيقتين او ثلاث
(١٤) الغازات السامة	استنشاق الهواء النقي وروح النشادر · التنفس الاصطناعي · حمام بارد
(١٥) المشروبات الروحية	مقيىء في الحال · سكب ماء بارد على الرأس · تدفئة الجسم التنفس الاصطناعي

(١٦) الدخان (التبغ) (١٧) التنباك } مقيئ . شرب قهوة ثقيلة او مشروب روحي . استنشاق روح النشادر . وضع زجاجات الماء الحار حول الجسم . التنفس الاصطناعي

(١٨) الفصفور رؤوس عيدان الكبريت } مقيئ (من سلفات النحاس) . شرب مسهل ملحي (لا زيتي على الاطلاق)

(١٩) صدأ الاوعية النحاس } شرب مقادير وافرة من اللبن وزلال البيض ثم منقوع الشاي القوي

(٢٠) طعام فاسد او منتن — مقيئ . شرب مسهل زيتي

شروط النجاح في التجارة

عرضت مجلة كاسل الانكليزية على قرائها هذه المسألة « اذا تعاطى الانسان عملاً فما هي الوسائل التي تكفل نجاحه فيه » فجاءتها اجوبة عديدة منها ما يأتي :

قال السير هرمن مكيلم : اساس النجاح الاشتغال الكثير والانفاق القليل

وقال اندرو كرنجي المثري الشهير: اول اسباب النجاح الامانة فانها تكسب ثقة الناس ثم العمل والاجتهاد ومن كان اميناً لا خوف عليه

وقال السير توماس ليبتن : ان الوسائل اللازمة للنجاح كثيرة لكنني ارى اهمها ثلاثة (١) الاعتدال (٢) لين الطباع وسعة الصدر (٣) المحافظة على الوقت وضبط المواعد . فهذه الشروط لا غنى عنها لطالب النجاح في كل حال

وقال المستر وليم هويتلي : سرّ النجاح في التجارة ينحصر في كلمتين وهما (١) كن اميناً فان ما قد تكتسبه بالغش احياناً لا يلبث ان يعود عليك وبالاً (٢) كن مقتصداً

وقال مستر ستورس فراي : من اهم اسباب النجاح عندي الثبات

وقال المستر جماج : اسباب النجاح الصبر والتفاني في العمل والنشاط وفوقها جميعاً الامانة ولا اعتقد بما يسمونه حظاً او توفيقاً وان كنت اعتبر اغتنام الفرص من شروط النجاح

وقال المستر لينس : اول شروط النجاح العمل باجتهاد وهمة ثم جمع القوى في مركز واحد واخيراً اغتنام الفرص واستخدامها بتعقل وحكمة . فان الفرص تعرض لكل انسان وانما يختلف الناس في اقتدارهم على اغتنامها والانتفاع بها

الجيد فيه ٦٥ في المئة من الغذاء الصحيح يسهل هضمه وتمثيله وفيه جانب كبير من المواد المكونة للانسجة والمولدة للحرارة ولكن هذه المنافع تضيع أو ربما انقلبت الى ضرر اذا لم يحسن المضغ جيداً فاذا شئت ان تستفيد من غذاء الجبن فامضغه جيداً

مطبوعات جديدة

﴿فتاة مصر﴾ هي رواية فكاهية تهذيبية اجتماعية عمرانية لرصيفنا الدكتور يعقوب صروف منشيء المقتطف — وكفى بذلك تعريفاً لها . لان الرواية عصرية مؤسسة على فلسفة العمران وفيها ابحاث مالية واجتماعية مع انتقاد البورصة ونحوها من المضاربات . وبحث ضاف عن اسباب الحرب الاخيرة بين الروس واليابان والدكتور صروف مشهور بدقة بحثه وسعة اطلاعه . وقد سبك ذلك في قالب قصصي مشوق ونشرت هذه الرواية ملحقة بمجلة المقتطف ثم طبعت على حدة ونفدت طبعتها الاولى فعني حضرة اسحق افندي صروف شقيق المؤلف باعادة طبعها على نفقته وصدرها بمقالة الاستاذ جبر افندي ضومط في وصف فتاة مصر وانتقادها فالرواية جمعت بين اللذة والفائدة فنحث الادباء على مطالعتها ونرغب الى رصيفنا الباحث المدقق ان يتحفنا بامثالها لان آداب اللغة العربية في حاجة اليها ولا سيما بما يضمنها من اثمار درسه الطويل في المواضيع الفلسفية الاجتماعية . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان

﴿مرشد الراغبين في اسعاف المصابين﴾ اذا كانت الكتب تقدر قيمتها باعتبار الفائدة الحقيقية التي ينالها القراء منها فمؤلفات يوسف افندي بشتلي صاحب هذا الكتاب من اجدرها بالثناء لانها ترمي اما الى تهذيب النفوس او الى وقاية الابدان وكلاهما ضروري . والكتاب الذي نحن في صدده قرظناه من عهد غير بعيد وانما نذكر الآن ظهور طبعته الثانية ويدل ذلك على مالاقاه من الاقبال والرواج لافتقار الناس الى مثله فانه يعلمهم اذا اصابهم ضرر من كسر او صدع او نزف او اغماء او تسمم او نحوها من العوارض الفجائية كيف يتلافونها بالعلاج الموقت ريثما يداركهم الطبيب . وفي مكان آخر من هذا الهلال مثال منه في « السموم ومضاداتها » والكتاب كله على هذا النمط من السهولة والوضوح ويقسم الى سبعة فصول في تشريح جسد الانسان ووصايا اولية واللفائف والاربطة والجروح ونزف الدم وتكسر العظام وخلعها والآفات والعوارض الفجائية واخيراً في نقل الجريح او المريض فهو

ضروري لكل انسان ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش

﴿ جناية اوربا على نفسها والعالم ﴾ هو كتاب صحي عصري ادبي اجتماعي لحضرة احمد افندي فهمي وضعه في قالب قصصي تلذ مطالعتهُ وتجزل فائدتهُ ولا سيما للنساء اللواتي تفانين في التبرج وغالين في اتباع الازياء ولو آلت الى الضرر في ابدانهن وخصوصاً المشد الذي يقبض على الخصور بيد من حديد فيعيق التنفس ويلبك المعدة ويقبض الصدر. وقد مثل المؤلف عواقب هذه الآلة احسن تمثيل فيجدر بالسيدات الاطلاع على هذه الرواية لعلها تسمعهن ما تصامن عن سماع مثله في كتب الطب او من مشورة الاطباء . وهو يطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة ٨ غروش والبوسطة غرشان

﴿ المذكرة المصرية لسنة ١٩٠٧ ﴾ هي كتاب مرتبة صفحاته على ايام السنة كل صفحة ليوم من ايامها وفي رأس الصفحة تاريخ اليوم وتحتها فراغ لتدوين ما يراد حفظه او تذكاره وفي آخر الكتاب صفحات لتدوين بعض الملاحظات العمومية والكتاب مجلد تجليداً متقناً يقرب حجمه من حجم الهلال وورقه صقيل نظيف متين وثمن النسخة ١٠ غروش واجرة البوسطة غرشان

﴿ ديوان تذكار راغب وصبري ﴾ هو من دواوين حضرة رشيد افندي مصوبع ولعلهُ رابعها ولهذا الشاعر ولع في الشعر ونظمه حتى اشتغل به عن سائر المرافق وله مزية يندر مثلها في شعراء اليوم فانهُ يطبع شعره في كتب يبيعها الجزء بعد الجزء . وفي الديوان الذي بين يدينا قصائد ضافية في الوصف والمدح والرثاء منها قصيدة في وصف وردة مقطوفة قال فيها :

قد زال عن خدَّيك ورد صباكِ	من ذا الذي بيد الغرام جناكِ
قد كنت قبلاً بالعفاف مصونة	فنضا غرامك عنك ستر حياكِ
واذا نسينا ذكر من احببته	وافت تذكرنا به شفتاكِ
كنا نؤمل ان تزيدي في النوى	حسناً فتربو صبوة بيهاكِ
فاضعت ما نرجو بخدَّك شاحب	وقوامك العسال مثل سواكِ
لسنا نحب الغصن غير موشح	بحلى وانت لقد اضعت حلاكِ

وقال من قصيدة يمدح بها سعادة اسماعيل باشا صبري :

سلامٌ على صبري الذي معَ انهُ	له منزلٌ يعنو لهُ منزل البدر
تواضع حتى قد دنا لمكانتي	وتهتُ به حتى وصلتُ به قدري
تمازج قدري مع معظَّم قدرهِ	كما يمزج الماء الزلال مع الخمر

فصار وضيعاً بي وصرت مبجلاً به فكلانا ذو اتضاع وذو كبر

والديوان كله على هذا النمط وهو يباع في مكتبة الهلال

※ الكونت ديمونتو كريستو ※ هي رواية شهيرة طبعت في العربية منذ عدة اعوام فنفدت طبعتها فاعادت طبعها ادارة جريدة لبنان في بعبدا والرواية اشهر من ان توصف وهي تطلب من ادارة جريدة لبنان ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ستة غروش واجرة البريد غرشان

※ هذا كتاب الفرقان ※ هو كتاب من مؤلفات سماحة السيد ابي الهدى الصيادي الرفاعي بسط فيه ترجمة حاله من ولادته من قصبة خان شيخون في اليوم وفصل نسبه الى زمن الهجرة وذكر ما ألفه ونظمه وكيف تدرج الى المناصب العالية مما يتشوق الناس الى معرفته في نحو مئة صفحة بقطع الهلال

※ مفكرة لسان الحال ※ صدرت هذه المفكرة لسنة ١٩٠٧ وهي صغيرة الحجم جزيلة الفائدة تحمل بالجيب مجلدة تجليداً حسناً ومذهبة الحواشي وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة بتجليد بسيط غرشان ونصف وبتجليد مذهب اربعة غروش

※ رواية اواخر الليل ※ هي رواية ادبية غرامية معربة عن الافرنسية بقلم حضرة ريكاردو افندي حبيب صليبا وهي كثيرة التشويق للمطالعة يسافر رجالها الى سيبيريا و يعانون الاهوال وفي حوادثها عبرة وموعظة وفائدة ولذة وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان والبريد نصف غرش

※ كتاب الاخلاق والسير في مداواة النفوس ※ هو كتاب فلسفي للامام ابي محمد ابن حزم الاندلسي القرطبي الفيلسوف المشهور المتوفى سنة ٤٥٦ هـ وقد عني بطبعه وضبط كلماته الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري وفي مكان آخر من هذا الهلال امثلة من تلك الفلسفة الحكمية فنحث الادباء على مطالعة هذا الكتاب وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان والبريد نصف غرش

※ الجواهر الحامدية في الطريقة الشاذلية ※ وهو يشتمل على ما كتبه او نظمه الامام ابو حامد السيد سلامه افندى حسن الراضي شيخ مشايخ الطريقة الشاذلية الحامدية وقد عني بطبعه حضرة علي افندي سلاّم صاحب جريدة الاثر ومحررها احد اصحاب هذه الطريقة وهو يطلب من حضرته وثمن النسخة غرشان

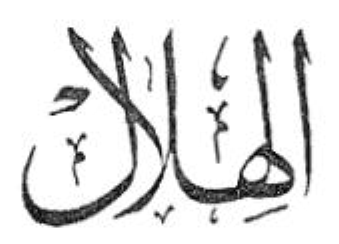
※ اللآلىء الماسونية ※ هي رواية ماسونية يراد بها تمثيل فضائل الماسونيين وما

عليه من الغيرة والمروءة تأليف حضرة نقولا افندي سابا صاحب الجريدة الماسونية بالاسكندرية وهي تطلب من حضرته

﴿ رواية روكامبول ﴾ لا نعرف رواية نقلت الى العربية ونالت من اقبال القراء واعجابهم مثل ما نالته رواية روكامبول التي نقلها من الفرنساوية الى العربية رصيفنا طانيوس افندي عبده محرر جريدة الشرق . فقد صدر من هذه الرواية ١٧ جزءا بعضها نفدت نسخه فاعيد طبعه والطلب يتواتر . وقد اطلعنا على بعض اجزائها فلم نستغرب هذا الاقبال لما امتازت به هذه الرواية من الغرائب المشوقة فالقارىء يطالعها وقلبه يخفق حذراً او نقمة او توقعاً لمصيبة . ولما رأى حضرة المعرب هذا الاقبال العظيم عمد الى نشر رواية «ام روكامبول» وهي سلسلة اخرى تدخل في عدة اجزاء ظهر منها الى الآن جزءان وستصدر الاجزاء التالية تباعاً وتمتاز هذه السلسلة عن سابقتها انها مزينة بالرسوم الجميلة . وعبارة الرواية متينة رشيقة بما اشتهر به زميلنا طانيوس افندي من سلامة الذوق وسهولة العبارة والكتاب يطلب بالاسكندرية من ادارة جريدة الشرق وبالقاهرة من مكتبة الهلال

﴿ كلمة شاعر في وصف خطب نادر ﴾ هي قصيدة تاريخية من قبيل الملاحم نظمها امين افندي خير الله نزيل نيويورك في وصف زلزال سان فرنسيسكو الذي جرى في ١٨ ابريل من هذا العام وصدَّرها بمقدمة موجزة في الشعر القصصي وقال انه اراد ان يحتذي هوميروس فيه ثم قابل بين هذه الحادثة وموضوع الالياذة وابان انه اختار الوزن الذي اختاره البستاني صاحب الالياذة العربية لنظم النشيد السادس عشر وسماه المربع . قوامه قافية ثابتة ترد في كل بيت رابع وقافية متغيرة تكون للابيات الثلاثة التي سبقته . وقسم خير الله افندي قصيدته الى ٢١٠ مربعات او ٨٤٠ بيتاً وعلق على كل مربع شرحاً وجيزاً فوصف الزلزال احسن وصف من اوله الى آخره وما اصاب الناس به وما اتاه اهل الاريحية من اغاثة المنكوبين الى آخر ما هنالك . ويتخلل ذلك ابيات في اسباب الزلازل ووصف المدينة ولولا ضيق المقام لنشرنا كثيراً منها وانما نكتفي بمربع على سبيل المثال وهو المربع ١١١ في الكلام عن اعمال الجند في انقاذ الناس :

على غمرات الردى هجموا   وطود اللهيب قد اقتحموا
وكانت سلامة من وجدوه   هنالك كل الذي غنموا
واذ انقذوا انفس العالمين   صفوفاً صفوفاً قد انتظموا
ومن قائد الجيش كان صدو   ر قرار بدفع عوادي البلا



الجزء الرابع من السنة الخامسة عشرة

١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٧ و ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٤



ابو العلاء المعري

الشاعر الفيلسوف

ولد سنة ٣٦٣ هـ وتوفي سنة ٤٤٩ هـ

١ — ترجمة حاله

معرَّة النعمان بلدة صغيرة بالشام من اعمال حمص بين حلب حماه ذكروا انها تنسب الى النعمان بن بشير الانصاري المتوفى سنة ٦٥ للهجرة وكان النعمان عاملاً على حمص ومرَّ بالمعرة فمات له ولد فيها فدفنه هناك فنسبت اليه واما «المعرة» فاختلف جغرافيو العرب في اصل مؤادها والاغلب انها سريانية الاصل ومعناها «المغارة» وهي قديمة فتحها المسلمون في جملة الشام في صدر الاسلام . وما زالت في ايديهم حتى فتحها الافرنج سنة ٤٩٢ هـ ثم استرجعها المسلمون سنة ٥٢٩ هـ على يد عماد الدين زنكي . وقد ذكرها ابن حوقل وابن بطوطه ونبغ من المعرة جماعة من رجال الادب والشعر اشهرهم ابو العلاء الشاعر الفيلسوف الشهير وهو احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي نسبة الى تنوخ احدى ثلاث قبائل

كانت تعرف قديماً بنصارى العرب وهي بهراء وتنوخ وتغلب . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ ه وكان ابوه من اهل الادب وتولى جدهُ القضاء فيها . وكانت امه ايضاً من عائلة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب واميرها يومئذ سعد الدولة ابو المعالي

ولم يتم ابو العلاء الثالثة من عمره حتى اصابه الجدري فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناها بياض . فكفَّ بصره وهو طفل وكان يقول لا اعرف من الالوان الا الاحمر لأني أُلبست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر . لقنهُ ابوه النحو واللغة في حداثته ثم قرأ على جماعة من اهل بلده وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب . ولما ادرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم اناساً يقرأُون له كتبها واشعار العرب واخبارهم . وكان قوي الحافظة الى ما يفوق التصديق ويروون عنه حكايات هي اقرب الى الخرافات منها الى الحقائق يؤخذ من مجملها انه كان يحفظ ما يسمعه مها طال وان لم يفهم معناه . كأن يسمع رجلاً يتكلم بالفارسية او الرومية او العبرية فيحفظ الالفاظ ويعيدها وهو لا يفقه معناها . وقد ساعدته هذه الموهبة على استيعاب الفاظ اللغة واشعارها واخبارها فملك ناصية الكلام وسهل عليه النظم والنثر

على انه كان مطبوعاً على الشعر فنظمهُ وهو لم يتم الحادية عشرة من عمره . وكان مغرماً بمطالعة المتنبي وهو الذي حبب اليه النظم . ولم يمنعه العمى من مباراة ارباب القرائح في ما اشتغلوا بهِ حتى في العابهم فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لا يرى في العمى نقصاً . بل هو كان يقول «أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر». وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون ديناراً في العام ينفق نصفها على من يخدمه

وكان طلاب العلم في ذلك العهد يسعون في تحصيله بالرحلة الى الآفاق وكانت بغداد في ايام المعري ام المدائن ومقرّ العلماء وقد وصفها هو بقوله «وجدت العلم ببغداد اكثر من الحصى عند جمرة العقبة وارخص من الصيحاني بالجابرة وامكن من الماء بخضارة واقرب من الجريد باليمامة» فرحل اليها وقيل انه انما جاءها ليتظلم من معارضة حصلت له في رزقه . على انه قبل الرحيل الى بغداد تفقد دور الكتب في الشام واشهرها يومئذ مكتبة طرابلس كان فيها من كتب العلم والادب والفلسفة والطبيعيات وغيرها نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ مجلد ذهبت في اول القرن السادس للهجرة فريسة النهب في اثناء الحروب الصليبية — غير ما كان من دور الكتب في حلب واللاذقية وغيرها فشخص الى طرابلس اقتبس ما شاء من

كتبها الفلسفية فوافق ذلك ما فطر عليه من البحث عن الاسباب والعلل فرغب في الاطلاع على علوم القدماء . وكان اهل الذمة اكثر الناس اشتغالاً بها ومن طلبها من المسلمين يغلب عليه التستر فراراً من تهمة الكفر [1] فكان ابو العلاء يأخذ الفلسفة ممن يلقاهم من النصارى ولا سيما الرهبان واشهر من لقيه منهم راهب في دير باللاذقية . فظهرت آثار الفلسفة في اشعاره واقواله من ذلك الحين

اما بغداد فرحل اليها سنة ٣٩٨ هـ وهو في الخامسة والثلاثين من عمره وشهرته قد سبقته اليها . وكانت والدته لا تزال في قيد الحياة فاحبت منعه عن المسير فوعدها بالعودة اليها سريعاً . فلما وصل بغداد أنزله أهلها على الرحب والسعة وهي يومئذ في حوزة آل بويه وقد تولاها منهم بهاء الدولة بن عضد الدولة من سنة ٣٧٩ هـ وقامت الفتن بين الاتراك والديلم . على أن ذلك لا دخل له في ما يلتمسه أبو العلاء وهو انما يطلب دور الكتب واشهرها يومئذ « بيت الحكمة » الذي أنشأه الرشيد منذ قرن وبعض القرن ومكتبة جديدة أنشأها بهاء الدولة المتقدم ذكره في محلة بين السورين سنة ٣٨١ هـ وكانت مجمع الادباء والعلماء . ولم يطل مقام ابي العلاء في بغداد هذه المرة فبرحها ولم يرتو فعاد اليها في السنة التالية فاقام فيها سنة وبضعة اشهر والبغداديون فرحون به يختلفون اليه يستفتونه او يباحثونه أو يسمعون حديثه او يقرأون عليه . واطلع في اثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود فضلاً عن اليونان ولقي في بغداد جماعة من كبار رجال التاريخ . وعاصر ابن سينا والشريفين الرضي والمرتضى والخطيب المؤرخ البغدادي والجرجاني واضع البيان والفيروزابادي صاحب القاموس وابن سيده صاحب المخصص وابا منصور الثعالبي صاحب فقه اللغة وغيرهم من اساطين العلم

وكأنه لما نضج عقله وامعن النظر في الوجود من الوجهة الفلسفية رأى الدنيا كما هي فزهد بها وعزم على الاعتزال ليتسنى له التأمل واعمال الفكرة . فرحل عن بغداد في آخر القرن الرابع فشق ذلك على البغداديين والحوا عليه بالبقاء بينهم ورغبه بعضهم بالمال فابى الا الرحيل . واليك قوله في ذلك من رسالة كتبها الى خاله ابي القاسم بعد وصوله الى المعرة قال « لما آنسوا (البغداديون) تشميري للرحيل واحسوا بتأهبي للظعن . اظهروا كسوف بال وقالوا من جميل كل مقال . وتلفعوا من الاسف ببرد قشيب . وذرفت عيون أشباح شيب . فلا الله الا الله اي نابتة . ليست لها راعية . لا مخلوفاغية . من

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٧٧ ج ٣

سائفة • ولا أعدم الخرقاء ثلة • ولا الثقال سائقة • ولا السمجة قانية • وامروني لرغبتهم في قربي منهم بامور • تنهى عنها القناعة • وتكف دونها العادة

أماويّ لا يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر »

فبرح بغداد في ٢٤ رمضان سنة ٤٠٠ هـ واهل الادب يخرجون في الطرق لاستقباله واكرامه • وسلك طريق الموصل وميافارقين فآمد والرقة الى المعرة • فوصلها واذا أمه قدماتت فشق ذلك عليه وزاده رغبة في العزلة ولزم منزله وسمى نفسه « رهين المحبسين » وأخذ بالتأليف والنظم وتدوين افكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب • وانقطع عن اكل اللحوم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم • اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود فذهب مذهبهم فيه رفقاً بالحيوان وتجافياً عن ايلامه ولزم الصوم الدائم

قضى ابو العلاء في هذه العزلة بضعاً واربعين سنة واكله العدس وحلاوته التين وهو يؤلف وينظم والناس يتوافدون اليه ليسمعوا أقواله واخباره او يكاتبونه في استفهام او استفتاء ويأخذون عنه العلم مجاناً • وبين الذين راسلوه أو قدموا اليه جماعة من العلماء والوزراء واهل الاقدار • وتخرج عليه غير واحد من فطاحل العلماء اشهرهم ابو زكريا التبريزي • حتى توفاه الله في المعرة سنة ٤٤٩ هـ عن ٨٦ عاماً بعلة لم تمهله ثلاثة ايام • وكان الاحتفال بمأتمه بالغاً حد الاعجاز وظل قبره مزاراً أعواماً متطاولة • فتقسم حياته العملية بهذا الاعتبار الى مدتين الاولى قضاها في الرحلة والثانية في العزلة

٢ ــ علمه وشعره وكتبه

وكان معدوداً من اقطاب العلم ومتقدمي الادب والكتابة والشعر • اما اشعاره فاشهر من ان تذكر وقد جمعها في عدة كتب اشهرها اللزوميات او لزوم مالا يلزم وهو ديوان كبير طبع في بمباي سنة ١٣٠٣ هـ ثم في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو تسعمائة صفحة صدرها بمقدمة في الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادي يدل على رسوخ قدمه في اللغة وعلو كعبه في الشعر • وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط التي تعجز سواه اهمها التزام حرفين في القافية • وقد نظم هذا الديوان في اثناء عزلته وضمنه كثيراً من آرائه في الوجود والخليقة والنفس والدين وغير ذلك مما رفع منزلته عند اصحاب الفلسفة حتى قال بعضهم ان ابا العلاء وجد قبل عصره باجيال • وتمتاز اشعاره واقواله في اثناء عزلته بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من اسباب

السعادة لعل سببها اختلال عمل الهضم بتوالي الصوم والاقتصار على نوع واحد من الاطعمة

اما ما نظمه من الشعر في المدة الاولى قبل العزلة فقد جمع اكثره في ديوان سقط الزند وقد طبع بمصر غير مرة وعليه شرح ويليه ديوان اسمه ضوء السقط يقتصر على ما نظمه في الدرع وقد طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ ويظهر انه لما اعرق بالشيخوخة أمسك عن النظم · واكثر اشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف والتدين ونحوه ويندر فيه المدح او التشبيب · وقد عني امين افندي ريحاني بنقل بعض رباعيات ابي العلاء الى شعر انكليزي كما فعل الانكليز برباعيات الخيام الشاعر الفارسي · ويمتاز شاعرنا عن معظم شعراء عصره انه لم يتكسب بشعره وانما كان يقوله عفو القريحة للتعبير عن احساسه او لغرض في نفسه

واما في الادب فله رسائل كثيرة لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس توخى فيها العبارة العالية والكلام الغريب على نحو ما يفعلون في انشاء المقامات فهي لا تقرأ بلا شرح وتفسير · ولكن اكثرها ضاع وقد جمع ما وصل الينا منها في كتاب طبع ببيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطاً بالحركات يعرف برسائل ابي العلاء المعري في ٢٤٠ صفحة · وعني بطبع هذه الرسائل ايضاً وضبطها الاستاذ مرجليوث المستشرق الشهير مع ترجمة انكليزية وعلق عليها شروحاً تاريخية وادبية مفيدة وصدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف

وفي رسائل ابي العلاء ضرب من الشعر المنثور على سبيل الوصف يحسن تحديه لولا ما فيه من الالفاظ الغريبة · فمن امثلة ذلك قوله في وصف بعض انواع الهوام وما تلاقيه من العذاب في اطوار الحياة :

« وما تمهل اقدار الله حمامة · كانت تفرع من الايكة سنامة[١] · فعودها اخضر نضير والزمن لها لا يضير · المرتع منها دان · والمشرب قريب الملتمس لا يشق طلبه على المدان · فهي في غب الرجع · تسجع افانين السجع · كانها قينة شرب · ركبت العود لسوى الضرب · فهي تصرف عنهم هموماً · وتجيد رملاً او مزموماً[٢] · فيظنها الجاهل باكية · وليست لعيشة شاكية · وانما ذلك طرب وجذل · ما غري[٣] بها العذل · فبينا هي ذات عشية لا يضمر قلبها اوجالا[٤] · تصدح فوق غصنها ارتجالا · اتيح لها من الصقور · شاك[٥] المخالب ليس بوقور · فمزق منها حيزوماً[٦] · ولاقت الداهية ازوماً[٧] · وترك الجوزل[٨]

(١) غصناً (٢) لحنان موسيقيان (٣) لحق (٤) مخاوف (٥) له مخلب ذو شوك
(٦) صدرا (٧) ملازمة له (٨) فرخ الحمام

موتماً . يبكيها أُصلاً وعتماً »

وقال في وصف جرادة « وما نجت من سطوات الزمن عرادة [١] . لما فيا جن من الارض مرادة . تقع عليها في الصرع . وكأن عينها مسمار الدرع . تسرّ في ترجل النهار فتطير . وتساه متى ضربها دجن [٢] مطير . فباتت ليلة في زرع لبائس قليل النشب والضرع . ومعها رجل [٣] من جراد . قد التف بعضه ببعض في الابراد . فبكر فقير واليوم اشنب [٤] . ومعه دجوب او مقنب [٥] . فجعلها فيه . وليس ان فعل بسفيه وغنظها [٦] في ماء تيار . لا غنظ جرادة العيار . وكانت من قوت عيال . قد حرموا حسن ايال »

وقال يصف النحل « وما تخلص من حبالة الدهر . جارسة نحل بالضهر [٧] . في جبل صعب مرتقاه . لو اتقى الحتف وزراً لاتقاه . تسرح في كلاء وسحاء . وترجع مع ارتفاع الضحاء . فلها في المسكن خبي . ما جاد بمثله الجبي . يجعل في الكاس الرائقة صفاء . سبية من ضرب تحسب شفاء . أشب [٨] لجينها ذو حشيف . ما كان على النعم بشسيف . معه مسائب واخراص [٩] . وسغب على المكسب حراص . من هذيل بن مدركة او فهم . يبتكر بفؤاد شهم . افوقل مع الوقل . حتى اذا عاد بشخص مستقل . هبط عليها بين خيطة وسب . فعل معدم للاري محب . فعمد لها بالايام [١٠] . فهربت من كرب لا هيام . فلقيها صغير من الطير . فعد اكلها من الخير »

ومن قوله في وصف الحية « وما تصرف جنادع المكايد عن ارقم . سكن في صفاة . وظفر ببعد الوفاة . يخرج اذا صاف من الوجار . ويصرف الوسن عن الجار . لا يفرق من جدب راب . اذا سغب اكل التراب . عنده الابؤس في الغوير . وكأنّ عليه درع قيس بن زهير . ينفخ وان لم يزع . نفخاً يكاد منه الشجر يصرع . فبينما هو في شمس ربيع . يتشرق على رأس الربيع . جلب له الزمن ما هراه . فسبق له راع ما رداه . فرضّ بالجندل راسه . وكفى هوام الارض مراسه . وهل تخلد عجوز امّ ضل . لا تزال ابداً في الظل . قد صغرت من الكبر انها الصماء الغبر . كانت توصف بظلم . ويذعر بها الراقي في الحلم . فتجاوزت عنها الغير . حتى فنيت هرماً . ولم تذق تبلاً مغرماً » .

وقال نحو ذلك في وصف النسر والفيل والبعير والنمل والضفدع والغزال والفرس والضبع

(١) جرادة انثى (٢) سحاب (٣) قطعة عظيمة (٤) بارد (٥) وعاء يوضع فيه الصيد (٦) القاها (٧) قلة من صخر في اعلى الجبل (٨) قدر
(٩) وعاء للعسل وعود يخرج به العسل (١٠) الدخان ليخرجها من الخلية

والذئب والاسد والنعامة - غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها وكلها على هذا النمط

وعثروا لهُ على رسالة كبيرة تسمى « رسالة الغفران » لم تدخل في هذه الرسائل ولم تطبع بعد ولكن منها نسخاً خطية في بعض مكاتب اوربا الكبرى وفي المكتبة الخديوية . وهي فلسفية خيالية على شكل الرواية لغتها مثل لغة سائر رسائله صفحاتها نحو ٢٠٠ صفحة يتضمن قسمها الاول محادثات خيالية بين الشيخ علي بن منصور (بطل الرواية) وبعض شعراء الجاهلية الذين غفرت لهم سيئاتهم ودخلوا الجنة فيسأل كلاً منهم عما ساعده على نيل الغفران فيجيب انه ناله بشعر قاله او عمل عمله فيتخلل ذلك نخبة اشعار الجاهلية وكثير من احوالهم . والقسم الثاني يبحث في الزنادقة والدهريين وسنعود اليها ونأتي بامثلة منها

ومن مؤلفاته الادبية الكبرى كتاب لم يبق غير اسمه نعني كتاب « الايك والغصون » ويعرف ايضاً باسم « الهمزة والردف » يبحث في الادب واخبار العرب يقارب مئة جزء يظهر انه فقد منذ عدة قرون لان صاحب كشف الظنون لم يذكره وانما ذكره ابن خلكان والذهبي واطنبا في اهميته فقالا « حكي من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف فقال « لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد » وذكروا لهُ كتاباً زعموا انه عارض بهِ القرآن وسماه الفصول والغايات رتبه على حروف المعجم

وعني ابو العلاء بشرح كتب هامة او اختصارها في الشعر وغيره . فقد شرح المتنبي شرحاً سماه « اللامع العزيزي » او « لامع العزيز » واختصر ديوان ابي تمام وشرحه وسماه « ذكرى حبيب » واختصر ديوان البحتري وسماه « عبث الوليد » واختصر ديوان المتنبي وسماه « معجز احمد » وتكلم على غريب هؤلاء الشعراء ومعانيها وما اخذهم من غيرهم وما اخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في اماكن خطأهم ومن لطيف ما يروى عنهُ انه لما بلغ الى شرح بيت المتنبي :

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من به صممُ

قال « كأنما نظر المتنبي اليَّ بلحظ الغيب » ولهُ شرح السيرافي . وعثروا له في مكتبة الاسكوريال على نسخة من كتاب اسمه « ملقى السبيل في الوعظ والزهد » ومما ذكروه من مؤلفاته غير ما تقدم مع تقديرها بالكراريس والكراسة على تقديرهم اربع ورقات الكتب الآتية :

كتاب	اقليد الغايات في اللغة	عشر كراريس
«	مختلف الفصول	٤٠٠ كراسة
«	تاج الحرة في عظات النساء	٤٠٠ «
«	الخطب في ثلاثة اجزاء	٦٥ «
«	رسيل الراموز	٣٠ «
«	زجر النابح	٤٠ «
«	بحر الزجر	٢٠ «
«	حماسة الراح في ذم الخمر	١٠ «
«	مواعظ	٥ «
«	فقه الواعظ	٠٠ «
«	الحلي والحلى	٢٠ «
«	سجع الحمائم	٣٠ «
«	جامع الاوزان والقوافي	٦٠ «
«	رسالة الصاهل والشاحج على لسان فرس وبغل	٤٠ «
«	القائف على معنى كليلة ودمنة مع تفسيره	٦٠ «
«	السجع السلطاني	٨٠ «
«	سجع الفقيه	٣٠ «
«	« المضطرين ورسالة المعونة وكتاب تعليق الخلس	٠٠ «
«	كتاب الرياش	٤٠ «
«	الحقير النافع في النحو	٥ «

وكتاب الزهد او كتاب استغفر واستغفري منظوم في نحو عشرة آلاف بيت ورسالة القيامة وكتاب مناقب علي وكتاب العصفورين وكتاب السجعات العشر وكتاب عون الجمل وكتاب شرح سيبويه وكتاب الاماني وغيرها وجملة ذلك ٥٥ مؤلفاً في نحو ٤٫٢٢٠ كراسة

ذكر ذلك القفطي وزاد عليها الصفدي ١٧ مؤلفاً . وقال القفطي ان معظم هذه الكتب ضاع في اثناء الحروب الصليبية لان الصليبيين فتحوا المعرة واقاموا فيها كما تقدم . واما ما بقي من مؤلفات ابي العلاء فلا يخرج عما ذكرناه

وكان ابو العلاء مشاركاً في كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم

والمنطق والتاريخ وان لم يؤلف في واحد منها تأليفاً مستقلاً فانهُ ضمن امثلة منها في رسائله او اشعاره ٠ فبين رسائله المطبوعة رسالة بعث بها الى خاله ابي القاسم بن سبيكة يعزيه فيها باخيه ابي بكر تدخل في ٥٦ صفحة معظمها في التاريخ القديم ولا سيما ملوك حمير فقد ذكرهم واحداً بعد واحد مع اشهر ما كان في ايامهم من الاحداث الى ظهور الاسلام ٠ وذكر ملوك غسان والحيرة وملوك فارس وفرسان العرب وشجعانها ونحو ذلك كانها كتاب تاريخي قائم بنفسه

وترى معرفته علم النجوم والانواء ظاهرة من خلال اقواله نظماً او نثراً ولا سيما في رسالته المعروفة برسالة المنيح ٠ وله بين اللزوميات قصيدة بائية ذكر فيها الابراج على اسلوب شعري في معرض الاستدلال على قدرة الخالق (صفحة ٩٨ ج ١) سيأتي بعضها ٠ ومما ذكر في رسائله من الابراج او النجوم العيوق والفرقدان والعقربان والمشتري والذراع والرامح والبطين والسماك وسهيل والشعريان والمقرب وذات العرش والدبران والحمل والثريا وغيرها ٠ وكذلك المنطق فقد كان عارفاً باقسامه وشروطه كما يتضح من طريقة جداله في ابحاثه وقد جاء ذكر المنطق والاشارة الى كتبه في بعض رسائله

اما الفلسفة فانها اظهر علوم الاقدمين عليه ولعلها اكثر ظهوراً في شعره مما في نثره وبعض قصائده يبحث في النفس وبعضها في مصير الوجود ونحو ذلك وسنأتي على امثلة منها

٣ — منزلته

قد رأيت ما كان من احتفاء البغداديين به اثناء اقامته بينهم ثم ما كان من اسفهم على خروجه وما بذلوه من الاموال في سبيل استبقائه وما لاقاه من الحفاوة في طريقه ٠ فلما اعتزل ولزم منزله اصبح الناس اكثر رغبة فيه وزاده التحجب شهرة ورفعة فكاتبه الامراء في الوفود اليهم فابى وكان بعضهم يوسط الناس في استقدامه او استثمار قريحته بان يؤلف لهم كتاباً في موضوع كذا وكذا وهو لا يهمه الاَّ ما تتوق اليه نفسه ويشعر به وجدانه فقد كتب اليه صدقة بن يوسف الفلاحي يستدنيه الى الامير عزيز الدولة احد امراء منجوتكين عامل الفاطميين على حلب منذ سنة ٤٠٧ هـ فكاتبه ان يقدم اليه و يقيم في قصره فاعتذر بالشيخوخة وقلة البضاعة و بالغ برسالته في التواضع والتصاغر ٠ وكتب اليه محمد بن سنان باشارة امير الامراء يلتمس منه اختصار كليلة ودمنة وغيره فاجابه بمثل ذلك الاعتذار ووصف ذهاب اسنانه من الشيخوخة فقال « الآن علت السن ٠ وضعف الجسم ٠ وتقارب الخطو ٠

وساء الخلق . وعطلت رحي لم تكن تجمجع . ولكن تهمس . كنت اقصر طحنها على نفسي . والقوى به دون غيري . ولم يكن لها ضمان . ولكن فجع بها الزمان . ولم يبق الا ان يخلو مكانها العامر . فيصبح كانه المحل الدامر . فاما المنفعة بها فقد انقضت وانقرضت . ثم تشبه في الظعن اخواتها فصار لفظي من اجل ذلك مشيناً . وجعلت سين الكلمة شيناً . فلم يفهم عني سامعٌ ما اقول . فاذا قلت العسل مشيُ الذئب . ظن اني اقول العشل بالشين المعجمة . ولا أعلم ان في كلامهم هذه الكلمة . وانما هذه الرحي واترابها في التتابع الى الرحلة كما انشد ابو زيد سعيد بن اوس

يا ربة العير رديه لوجهتـه لا تظعني فتهيجي الحيَّ للظعن

« فان وقع يوماً من الدهر اليه شيءٌ مما امليه فوجد فيه السينات شينات . فليعلم ان ذلك لما ذكرت . وان الذي كتب سمع ولم يفهم . »

ومن لطيف ما يروونه من حج الناس اليه للاستفتاء او الاستشهاد قبل اعتزاله حكاية ابي نصر المازني وقدومه عليه بالشام اذ انشده المازني بعض شعره فقال له « انت اشعر من بالشام » ثم جاءه وهو في العراق بعد اعوام وانشده من شعره فلم يزد على قوله « ومن في العراق » وقد ذكرنا هذه الحكاية مبسوطة في الهلال الاول من هذه السنة

ومما يدلُّ على جلالة قدره ان صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرَّة وقد عصي عليه اهلها فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمجانيق فلما احسَّ اهلها بالغلب سعوا الى ابي العلاء وسالوه ان يخرج و يشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فاكرمهُ صالح واحترمه ثم قال « الك حاجة » قال « الامير اطال الله بقاءه كالسيف القاطع لانَ مسّهُ وخشن حدهُ وكالنهار المبالغ قاظ وسطه وطاب برده خذ العفو ومر بالمعروف واعرض عن الجاهلين » فقال له صالح « قد وهبتها لك »

٤ — اخلاقه ومناقبه

قد علمت انه عمي على اثر الجدري وهو طفل فظلت آثار هذا الداء ظاهرة في وجهه الى آخر ايامه وكان قد نحل جسمه وذهبت اسنانهُ فبرزت عظامهُ . وذكر عبد الله بن الوليد الايادي انه دخل مع عمه على ابي العلاء يزوره في شيخوخته فرآه قاعداً على سجادة لبد قال « فدعا لي ومسح على رأسي وكنت صبياً وكاني انظر اليه الساعة والى عينيه احداهما بارزة والاخرى غائرة جدًا وهو مجدر الوجه نحيف الجسم »

وكان ابو العلاء عصبيَّ المزاج حاد الذهن سريع الخاطر قوي الحافظة . وغلبت عليه

السويداء في الشطر الاخير من عمره فاصبح لا يرى من الدنيا الا مصائبها واحزانها وساء ظنه بالحياة واهلها حتى اختار العزلة . وربما ساعد على ظهور المزاج السوداوي فيه اختلال هضمه كما تقدم فاصبح راغباً عن الدنيا ولا سيما بعد رجوعه من بغداد واعتزاله في منزله وكان يزداد رغبة في الانفراد كل يوم . وفي منظومه ومنثوره ادلة كثيرة على رغبته في الوحدة والبعد عن الجلساء كقوله :

توحَّد فانَّ الله ربك واحدٌ ولا ترغبن في عشرة الرؤساء
يقلُّ الاذى والعيب في ساحة الفتى وان هو اكدى قلة الجلساء
فانَّ لعصريهم نهار وحندس وجنسي رجال منهم ونساء

وقوله من قصيدة أُخرى :

يقول لك انعم مصبحاً متوددٌ اليك وخير منه اغلب اصبحُ
رجوت بقرب من خليلك مربحا وبعدك منهُ في الحقيقة اربح
اذا انت لم تهرب من الانس فاعترف بطلس تعاوى او ثعالب أضبح
ومارس بحسن الصبر بلواك ان هم اتوا بقبيح فالذي جئت اقبح .

وكان من اسباب زهده سوء ظنه بالناس واضطراره للمداجاة في استرضائهم كقوله :

من عاش غير مداجٍ من يعاشرهُ اساء عشرة اصحاب واخدان
كم صاحبٍ يتمنى لو نعيتُ له وان تشكيت راعاني وفدّاني

وقوله :

يحسن مرآى لبني آدمٍ وكلهم في الذوق لا يعذبُ
ما فيهمُ برٌّ ولا ناسكٌ الاّ الى نفعٍ له يجذبُ
افضلُ من افضلهم صخرةٌ لا تظلم الناس ولا تكذبُ

على ان مجلسه لم يكن يخلو من الوفود والجلاَّس يفدون عليهِ من اقاصي البلاد فلا يسعه الا قبولهم

ومن هذا القبيل تعففه في الطعام والشراب فقد كان شديد التحريم للخمر ينظر الى ذلك غالباً من وجه اجتماعي كقوله :

واما الخمر فهي تزيل عقلاً فتجت بهِ مغالق مبهماتِ
ولو ناجتك اقداح الندامى عدت عن حملها متندمات
تذيع السرَّ من حرٍ وعبدٍ وتعرب عن كنائز معجمات

وينفض الفها الراحات حتى ... تعود من النفائس معدمات
وزينت القبيح فباشرته ... نفوس كن عنه تحرمات
ويشربها فيقلبها غوي ... لقد شام الخفي من الشمات
ويرفع شربها لغطاً بجهل ... كأسراب وردن مسدمات

وقوله:

كم سيد جعلته الراح من خرف ... وكان كالهضب من ثهلان او أقر
والراح تجعل مرّ العيش عندهم ... حلواً وقد ذكرتهم اول المقر
تخالسوا لذة منها معجلة ... ولم يبالوا بما يلقون من سقر
واغنت الشرب الا من جبيل نهى ... من يفتقر منه يوجد شر مفتقر

وكان يرى تركها ولو لم تكن محرمة كقوله:

ايأتي نبي يجعل الخمر طلقة ... فتحمل ثقلاً من همومي واحزاني
وهيهات لو حلت لما كنت شارباً ... مخففة في الحلم كفة ميزاني

ومن رغب عن الدنيا وزخرفها قلّت حاجته الى المصانعة او المداجاة وهان عليه ان يكون حرّ الضمير مستقل الفكر ولا سيما اذا نظر في الناس نظر الفيلسوف فهو لا يرى بينهم تفاضلاً الا بالعقول · فلم يكن ابو العلاء يبالي ان يقول ما يخطر له ولو ساء اميراً او وجيهاً وله رسائل وقصائد انب بها اناساً يتهالك غيره من الشعراء في استرضائهم ومن ذلك قوله من قصيدة:

وأردتموني ان اكون مدلساً ... هيهات غيري آثر التدليسا

ولذلك فانه كان يكره الحلف كاذباً او صادقاً ويقول:

ولا تقولن اذا ما جئت مخزية ... قول الغواة على هذا مضى السلف
لا تحلفن على صدق ولا كذب ... فما يفيدك الا المأثم الحلف
لولا حذاري ان الله يسألني ... عما فعلت لقلّت عندي الكلف

ولم يكن استقلال فكره حادثاً بعد زهده بل كان ذلك طبيعياً فيه · ذكروا انه لما كان في بغداد دخل يوماً مجلس الشريف المرتضي فعثر بانسان فقال له من هذا الكلب فقال الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً

ولم يكن زهده عن صغر في نفسه فقد كان كبير النفس فخوراً بما عنده وانما اراد العزلة صيانة لعرضه وتجنباً لاسباب الزلفى تدل على ذلك قصيدته الفخرية التي يقول منها:

ألا في سبيل المجد ما انا فاعلُ عفافٌ واقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
اعندي وقد مارست كل خفية يصدق واشٍ او يخيب سائلُ
تعدُّ ذنوبي عند قوم كثيرةً ولا ذنب لي الا العلى والفضائلُ
كأني اذا طلت الزمان واهله رجعت وعندي الانام طوائل
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم باخفاء شمسٍ ضوءها متكامل
يهمُّ الليالي بعض ما انا مضمرٌ ويثقل رضوى دون ما انا حامل
واني وان كنتُ الاخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الاوائل
واغدو ولو ان الصباح صوارمٌ واسري ولو ان الظلام جحافل
واني جوادٌ لم يحلَّ لجامهُ ونصلٌ يمانٍ اغفلته الصياقل
فان كان في لبس الفتى شرفٌ لهُ فما السيف الا غمده والحمائل
ولي منطق لم يرض لي كنه منزلي على انني بين السماكين نازل
لدى موطنٍ يشتاقهُ كل سيدٍ ويقصر عن ادراكه المتناول
ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن اني جاهل
فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقصٌ ووا اسفا كم يظهر النقص فاضل
وكيف تنام الطير في وكناتها وقد نصبت للفرقدين الحبائل
ينافس يومي فيَّ امسي تشرُّفاً وتحسد اسحاري علي الاصائل
وطال اعترافي بالزمان وصرفه فلست ابالي من تغولُ الغوائل
فلو بان عنقي ما تأسف منكبي ولو مات زندي مابكته الانامل
اذا وصف الطائيَّ بالبخل مادرٌ وعيرَ قساً بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس انتِ ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زرْ ان الحياة ذميمةٌ ويانفس جدي ان دهرك هازل

٥ — آراؤه وفلسفته

كان اعتقاده في النفس انها روح لطيفة تخرج من الجسد عند الموت كما هو رأي الاكثرين ولكنه لم يكن يخفي استغرابه اموراً لا يسهل على العقل تصورها وفي ذلك يقول:

والروح شيءٌ لطيفٌ ليس يدركه عقلٌ ويسكن من جسم الفتى حرجا
سبحان ربك هل يبقى الرشاد لهُ وهل يحس بما يلقى اذا خرجا

أوذاك نورٌ لاجسادٍ يحسّنها كما تبيّنت تحت الليلة السرجا
قالت معاشر يبقى عند جثته وقال ناس اذا لاقى الردى عرّجا
وليس في الانس من نفس اذا قبضت ساف الذين لديها طيبها الارجا
واسعد الناس بالدنيا اخو زهد نافى بنيها ونادوا اذ مضى درجا

وقوله :

سرٌ قديمٌ وامرٌ غير متضح فهل على كشفنا للحق اسعادُ
سيران ضدان من روح ومن جسدٍ هذا هبوطٌ وهذا فيهِ اصعادُ

وكان حائرًا في امر النفس ونيلها العذاب بعد الموت كقوله :

وقد زعموا هذي النفوس بواقياً تشكل في اجسامها وتهذب
وتنقل منها فالسعيد مكرم بما هو لاق والشقي معذب
وما كنت في ايام عيشك منصفاً ولكن معنى في حبالك تجذب
ولو كان يبقى الحس في شخص ميت لأليت ان الموت في الموت اعذب

ويقال على الاجمال انهُ كان مترددًا في احكامه على هذا الوجود من قبيل الفلاسفة الذين يقال لهم « لاادرية » اي انهم اذا سئلوا عن هذا الوجود اعترفوا انهم لا يدرون مصيره ولا يدركون كنهه ومما يدل على ذلك من اشعاره قوله :

لا كانت الدنيا فليس يسرّني اني خليفتها ولا محمودها
وجهلت امري غير اني سالك طرقاً وختمها عادها وثمودها
زعموا بان الهضب سوف يذيبه قدرٌ ويحدث للبحار جمودها
وتشاجروا في قبة الفلك التي ما زال يعظم في النفوس عمودها
فيقول ناسٌ سوف يدركها الردى ويبين قوم لا يجوز همودها
اتدال يوماً فضةٌ من فضه فيصير مثل سبيكة جلمودها
ان فرقت شهب الثريا نكبةٌ فلجدوة المريخ حق خمودها
واذا سيوف الهند ادركها البلى فمن العجائب ان تدوم غمودها

ويظهر انهُ كان يعتقد خلود المادة وان الفضاء لا نهاية له بدليل قوله :

ولو طار جبريلٌ بقية عمره عن الدهر ما اسطاع الخروج من الدهرِ
وقد زعموا الافلاك يدركها البلى فان كان حقاً فالنجاسة كالطهر
واما الذي لا ريب فيهِ لعاقل فغدر الليالي بالظلامية الزهر

وان صح ان النيرات محسة ... فماذا نكرتم من وداد ومن صهر
لعل سهيلاً وهو فحل كواكب ... تزوج بنتاً للسماك على مهر
يقولون تأتي فوقنا مثل ما اتى ... بنو الارض في حال السرار او الجهر
فياليت شعري هل تراع من الردى ... وتركع نسكاً بالعشاء وبالظهر

وكان ينكر زعم القائلين بالتقمص كقوله :

يقولون ان الجسم ينقل روحه ... الى غيره حتى يهذبها النقلُ
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة ... اذا لم يؤيد ما اتوك به العقلُ
وليس جسوم كالنخيل وان سما ... بها الفرع الأمثل ما نبت البقل
فعش وادعاً وارفق بنفسك طالباً ... فان حسام الهند ينهكه الصقل

ومن هذا القبيل قصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها :

غير مجدٍ بملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شادي

٦ — رأيه في الزواج

توفي ابو العلاء ولم يتزوج وكان يقبح الزواج ويعدُّ تخليف الاولاد جناية حتى قالوا انه لما دنا أجله اوصى ان يكتب على قبره :

هذا جناه ابي عليَّ ... وما جنيت على أحد

فهو على رأي الحكماء الذين يقولون ان اخراج الولد من عالم الغيب الى هذا الوجود جناية لانه يتعرض للآفات والنوائب والذنب للذي اخرجه وبذلك يقول :

يشقى الوليد ويشقى والداه به ... وفاز من لم يولّد عقله ولدُ

وقوله :

كوني الثريا او حضار او ال ... جوزاء او كالشمس لا تلدُ
فلذلك اشرف من مؤتثة ... نجلت فضاق بنسلها البلدُ

على انه كان يطعن في الزواج من حيث ما يقتضيه من المشقة وما تطلبه النساء من الحلي ونحوه كقوله :

وان تعط الاناث فاي بؤس ... تبين في وجوه مقسماتِ
يردن بعولة ويردن حلياً ... ويلقين الخطوب ملوماتِ
ولسن بدافعات يوم حرب ... ولا في غارة متغشمات
ودفن والحوادث فاجعات ... لاحداهن احدى المكرمات

وقد يفقدن ازواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيمات

ولكنه يشير على الآباء بتزويج بناتهم دون ابنائهم كقوله :

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها وخوّف ابنك من نسل وتزويج

ما اليسر كالعدم في الاحكام بل شحطت حال المياسير عن حال المحاويج

وهو انما يريد زواجهن رغبة في اعالتهن لقصر ايديهن عن اسباب التعيش وينهاهن عن الولد فيقول :

قد ساءها العقم لاضمت ولا ولدت وذاك خيرٌ لها لو اعطيت رشدا

ومن هذا القبيل قوله :

ولدتِ يا ام طفلاً شبَّ في عنت فليت كشحك عن ذاك الجنين بُقِر

لتستريحا فكم عانى اذى قرسٍ عند الشتاء فلاقى وغرة فصقُر

وقوله :

خصاؤك خير من زواجك حرة فكيف اذا اصبحت زوجاً لمومس

وانّ كتاب المهر فيا التمسته نظير كتاب الشاعر المتلمس

فلا تشهدن فيه الشهود والقه اليهم وعد كالعائر المتشمس

وقوله :

عروسك افعى فخف قربها وخف من سليلك فهو الحنش

وربما اجاز الزواج على ان لا يعقب لان الاولاد حمل ثقيل كقوله :

خير النساء اللواتي لا يلدن لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعا

واكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دفعا

اضاع داريك من دنيا وآخرة لا الحي اغنى ولا في هالك شفعا

وكم سليل رجاه للجمال أب فكان خزياً باعلى هضبة رفعا

على ان رأيه في المرأة على الاجمال يشبه رأي اهل ذلك العصر . وكان لا يرى تعليمها العلوم وانما اشار بتدريبها على اشغال البيت وفي ذلك يقول :

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءه

فصلاة الفتاة بالحمد والاخ لاص تجزي عن يونس وبراءه

تهتك الستر بالجلوس امام الـ ـستر ان غنت القيان وراءه

٧ — الرفق بالحيوان

قد علمت مما تقدم ان ابا العلاء قضى النصف الاخير من عمره لم يذق فيه لحماً وظن بعضهم انه فعل ذلك عن فقر وهو انما فعله عن احساس راق لم يدركه المتمدنون الاّ من عهد قريب نعني اعتبار احساس الحيوان والشعور معه حتى شكلوا الجمعيات للرفق به كما هو مشهور • اما ابو العلاء فقد احسَّ بذلك وذهب اليه منذ تسعة قرون وحرم على نفسه اكل اللحم مبالغة في الرفق بالحيوان وذلك ظاهر من قوله :

فلا تأكلنْ ما اخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا بيض امات أرادت صريحة لاطفالها دون الغواني الصرائح
ولا تفجعنَّ الطير وهي غوافلٌ بما وضعت فالظلم شرُّ القبائح
ودع عسل النحل الذي بكرت له كواسب من ازهار نبت فوائح
فما احرزتهُ كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح

وابلغ من ذلك قوله :

تسريح كفي برغوثاً ظفرت به ابرُّ من درهم تعطيه محتاجا
لافرق بين الآسك الجون اطلقه وجون كندة امسى يعقد التاجا
كلاهما يتوقى والحياة له حبيبة ويروم العيش مهتاجا

وقد عثر الاستاذ مرجليوث على مراسلة جرت بين ابي العلاء ورجل من خاصة ذلك العصر اسمه هبة الله بن موسى بشأن ترك اكل اللحم فنشرها في المجلة الاسيوية الانكليزية مع ترجمتها • ومما جاء في كلام ابي العلاء من الحجة في تقبيح اكل اللحم رفقاً بالحيوان قوله ملخصاً :

« وقد علم ان الحيوان له احساس يقع به الالم ولم يزل من ينسب الى الدين يرغب في هجران اللحوم لانها لايوصل اليها الاّ بايلام حيوان يفرُّ منه في كل أوان • وان الضائنة تكون في محل القوم وهي حامل فاذا وضعت وبلغ ولدها شهراً او نحوه اعتبطوه فاكلوه ورغبوا في اللبن وباتت أمه غائبة لو تقدر سعت اليه باغية وقد تردد في كلام العرب مايلحق الوحشية من الوجد والناقة اذا وجدت الفصيل • وقد ذكر الانبياء ان الباري جلت عظمته رؤوف رحيم فاذا رأف ببني آدم وجب ان يراف بغيرهم من اصناف الحيوان الذي يجد الالم بادنى شيء • وقد علم ان الوحش الراتعة يبكر اليها الفارس فيطعن العير او الاتان ولاي حال استوجبت هذا وهي لم تشرب من الماء بذنوب ولم تجز ما يكتب

من الذنوب . فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلاف الاقوال وبلغ الثمانين عاماً سال ربه انعاماً ورزقه صوم الدهر فلم يفطر في السنة ولا الشهر الا في العيدين وصبر على توالي الجديدين وظن اقتناعه بالنبات يثبت له جميل العافية »

واستانف الكلام في رسالة اخرى الى ما يلحق الحيوان من الالم فقال « ولا ينكر احد ان الحيوان البحري لا يخرج من الماء الاَّ وهو كاره واذا سئل المعقول عن ذلك لم يقبح ترك اكله وان كان حلالاً لان المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق . ومشهور ان الأُم اذا ذبح ولدها وجدت عليه وجداً عظيماً وسهرت لذلك الليالي وقد اخذ لحمه وتوفر على اصحاب امه ما كان يرضع من لبنها . فاي ذنب لمن تحرَّج عن ذبح السليل ولم يرغب في استعمال اللبن ولا زعم انه محرم وانما تركه اجتهاداً في التعبد ورحمة للمذبوح رغبة ان يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والارض . واذا قيل ان الله سبحانه يساوي بين عباده في الاقسام فاي شيء اسلفته الذبائح من الخطأ حتى يمنع حظها من الرأفة والرفق . ولما كانت النحل تحارب عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد في ان تردَّ من اراده فلا غرو ان أُعرض عن استعماله رغبة في ان تجعل النحل كغيرها مما يكره ذبح الاكيل واخذ ما كان يعيش لتشربه النساء كي تبدن وغيرها من بني آدم الخ »

وكلامه في ذلك طويل نكتفي منه بما تقدم

٨ — اعتقاده في الدين

اتَّهم بعضهم ابا العلاء بالكفر كما كانوا يتهمون كل حرّ الضمير مستقل الفكر . ولاسيما اذا كان ممن يقرأون الفلسفة او غيرها من العلوم العقلية التي كانوا يعبرون عنها بعلوم القدماء . فاصحاب الفلسفة كانوا في عهد التمدن الاسلامي متهمين بالكفر . ومن اقوالهم مثلاً « كان فلان سامحه الله يتهم بدينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه » بدأُوا بذلك من اول ادخال الفلسفة الى اللغة العربية حتى سموا المامون الذي ساعد على نقلها « امير الكافرين » على انهم كانوا في ايام المامون يقولون ذلك سرًّا وما زالوا الى ايام المتوكل في اواسط القرن الثالث للهجرة فجاهروا باضطهاد اهل الفلسفة واصبح مريدوها يتجنبون الظهور بها او ينكرونها فالفوا الجمعيات السرية للنظر فيها وعلى هذا المبدأ تشكلت جمعية اخوان الصفا في اواسط القرن الرابع للهجرة

فابو العلاء لم يشتغل بالفلسفة من حيث هي علم ولا اَلَّف فيها ولكنهُ كان فيلسوفاً يبحث في علل الاشياء ويسأل عن اسبابها ويحاول تطبيق الدين على احكام العقل ثم هو لا

يبالي ان يقول ما يخطر له بلا حذر لانه حر الضمير مستقل الفكر كما تقدم . ويغلب في من يحاول تطبيق الدين على احكام العقل ان يعجزه الدليل فيقع في حيرة . فكان ابو العلاء ربما نظم حيرته في بيت او بيتين فاتخذها اعداؤه حجة عليه واغفلوا مئات من الايات الدالة على صدق تدينه ومتانة اعتقاده بوجود الخالق ووحدانيته وبالعقاب والثواب كقوله :

والله حق وابن آدم جاهل ... من شأنه التفريط والتكذيب

وقوله : لا ريب ان الله حق فلتعد ... باللوم انفسكم على مرتابها

وقوله : الله لا ريب فيه وهو محتجب ... باد وكل الى طبع له جذبا

وقوله : وقدرة الله حق ليس يعجزها ... حشر لخلق ولا بعث لاموات

فاعجب لعلوية الاجرام صامتة ... فيما يقال ومنها ذات اصوات

وقوله : مولاك مولاك الذي ما له ... ند وخاب الكافر الجاحد

وقوله : اذكر إلهك ان هببت من الكرى ... واذا هممت لهجعة ورقاد

واحذر مجيئك في الحساب بزائف ... فالله ربك انقد النقاد

تغشي جهنم دمعة من تائب ... فتبوخ وهي شديدة الايقاد

ولم يكن اعتقاده بالله اقتداء او تسليماً ولكنه اعتقد به بعد اعمال الفكرة ولذلك تراه يبرهن على اثبات وجوده وقدرته كقوله :

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تحشر الاجساد قلت اليكما

ان صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولي فالخسار عليكما

طهرت ثوبي للصلاة وقبله ... طهر فأين الطهر من جسديكما

وذكرت ربي في الضمائر مؤنساً ... خلدي بذاك فأوحشا خلديكما

وبكرت في البردين ابغي رحمة ... منه ولا ترعان في برديكما

ان لم تعد بيدي منافع بالذي ... آتي فهل من عائد بيديكما

برد التقي وان تهلل نسجه ... خير بعلم الله من برديكما

وقوله : عجبي للطبيب يلحد في الخا ... لق من بعد درسه التشريحا

ولقد علم المنجم ما يو ... جب للدين ان يكون صريحا

من نجوم نارية ونجوم ... ناسبت تربة وماء وريحا

وكان يعتقد بالنبوات ويجادل منكريها كقوله .

قالت معاشر لم يبعث إلهكم ... الى البرية عيساها ولا موسى

وانما جعلوا للقوم مأ كلةً ... وصيروا لجميع الناس ناموسا
ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا ... حتى يعود حليف الغي مرموسا

ولكنهُ كان اذا اعمل فكرتهُ عجز عن ادراك حقيقة الوجود كما يعجز كل مفكر من قبل ومن بعد فلم يكن يبالي ان يصرح بعجزهِ كقوله :

اما الاله فأمرٌ لست مدركه ... فاحذر لجيلك فوق الارض اسخاطا

وكان نظره في الدين نظر الناقد لا يأخذ الكلام على ظواهره بل كان يؤوله حتى يطابق العقل على قدر الامكان فمن قوله في العقاب بالآخرة :

عاقبةُ الميتِ محمودةٌ ... اذا كفى الله اليم العقاب
ليس عذاب الله من خانهُ ... كالقطع للايدي وضرب الرقاب
لكنهُ متصلٌ فاحتقب ... ماشئت لا بوضع كوضع الحقاب
ونارهُ لا تشبه النارَ في ... افنائها ما اطعمت من ثقاب
كم عمل اهملهُ عاملٌ ... يحفظه خالقنا بارتقاب

وعنده حقيقة الدين ان يعمل الانسان خيرًا لا ان يكثر من الصلاة والصوم ثم يرتكب الدنايا كقوله :

الدين هجر الفتى اللذات عن يسرٍ ... في صحة واقتدار منهُ ما عمرا
والحلمُ صبرُ أخي عزٍ لظالمهِ ... حتى يقول أناس ذلٌ او قمرا

وقوله :

ان صمت عن مأكل العادي ومشربه ... فلا تحاول على الاعراضِ افطارا
وانْ أطيب من مسكٍ ومن قطرٍ ... ان لا تطور لدار السوء اقطارا

وقوله :

الدين انصافك الاقوام كلهمُ ... واي دينٍ لآبي الحق ان وجبا
والمرء يعييه قود النفس مصحبةً ... للخير وهو يقود العسكر اللجبا

وقوله :

ما الخير صومٌ يذوب الصائمون له ... ولا صلاةٌ ولا صوفٌ على الجسدِ
وانما هو ترك الشر مطرحاً ... ونفضك الصدر من غل ومن حسدِ
مادامت الوحش والانعام خائفةً ... فرْساً فما صح امر النسك للاسدِ

ولذلك فقد كان يكره التظاهر بالتقوى و يطعن في من يتظاهر طعناً قبيحاً وا كثر

هؤلاء من الفقهاء والقراء ونحوهم من المرتزقين بالدين ومن ذلك قوله :

وليس عندهمُ دين ولا نسكٌ فلا تغرّك ايدٍ تحمل السبحا
وكم شيوخٍ غدوا بيضاً مفارقهم يسبّحون وباتوا في الخنى سبحا
لو تعقل الارض ودت انها صفرت منهم فلم ير فيها ناظرٌ شبحا

وقوله :

عاشوا كما عاش آباءٌ لهم سلفوا وأورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون من غيٍ لمن سجدوا
والعدمُ أروحُ مما فيه عالمهم وهو التكلف ان هبوا وان هجدوا

وقوله :

فلا يغرنك من قرائنا زُمَرٌ يتلون في الظلم الفرقان والزمرا
يقامرون بما أوتوه من حكم وصاحب الظلم مقمور اذا قمرا
يبدي التدين مختالاً ضمائره غير الجميل اذا ما جسمه ضمرا
يشدو مزامير داود ويفصله في النسك نافخ مزمار له زمرا

وقد ينتقد بعض الشرائع لما اصابها من التبديل بتوالي الاعوام ويطلب الرجوع الى الاصل وهو مع ذلك ينظر في الدين على اجماله قال :

دعا موسى فزال وقام عيسى وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجيء دين غير هذا وأودى الناس بين غد وامس
ومن لي ان يعود الدين غضاً فينفع من تنسك بعد خمس

وهو يرى الشرائع تقليداً قد اخذ بعضها من بعض كقوله :

ومتى ركبت الى الديانة غالطاً فكر على حسن الضمير دسائس
والعقل يعجب والشرائع كلها خبرٌ يقلد لم يقسه قائس

فهو لم يكن ديناً كما كان يريد رؤساء الدين على ان يسلم بلا تروٍ او اعمال فكرة فلما استعمل فكرته وقع في حيرة ظهرت في بعض اقواله فاتخذها بعضهم سبيلاً للطعن عليه واشهر من فعل ذلك ابو الفداء المؤرخ المشهور فانه ذكر ابا العلاء في حوادث سنة ٤٤٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها وقال « انه كان يظهر الكفر ويزعم ان لقوله باطناً » ثم سرد الابيات التي تؤذن بفساد عقيدته وهي قوله :

عجبت لكسرى واشياعه وغسل الوجوه ببول البقر

وقول النصارى اله يضام ويظلم حياً .ولا ينتصر
وقول اليهود اله يحبُّ رسيس الدماء وريح القتر
وقوم اتوا من اقاصي البلاد لرمي الجمار ولثم الحجر
فوا عجباً من مقالاتهم أيعمي عن الحق كل البشر

وقوله :

زعموا انني سابعث حياً بعد طول المقام في الارماس
واجوز الجنان ارتع فيها بين حور وولدة اكياس
أي شيءٍ اصاب عقلك يامسكين حتى رميت بالوسواس

وقوله :

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت ويهود حطرى والمجوس مضلله
قسم الورى قسمين هذا عاقلٌ لا دين فيه ودينٌ لا عقل له

وقد روى له الذهبي ابياتاً من هذا القبيل جمعها من قصيدة في لزومياته وهي قوله :

قران المشتري زحلاً يرجى لايقاظ النواظر من كراها
تقضى الناس جيلاً بعد جيل وخلفت النجوم كما تراها
تقدم صاحب التوراة موسى واوقع بالخسار من اقتراها
فقال رجاله وحي اتاه فقال الآخرون بل افتراها
وما حجي الى احجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذراها
اذا رجع الحكيم الى حجاه تهاون بالشرائع وازدراها

وترى بعض هذه الاقوال مناقضاً لما قدمناه من صدق اعتقاده بالخالق وقدرته بالعقاب والثواب فربما قالها ثم تاب عنها لان المفكر في الدين ليطبقهُ على احكام العقل كالساري في الليلة الظلماء لا ينجو من الزلل فاذا انتبه استغفر · وفي اشعار ابي العلاء اشارة الى شيء من ذلك كقوله وكأنه اجاب به رجلاً هدده بالعذاب لمثل هذه الاقوال :

أأخشى عذاب الله والله عادلٌ وقد عشت عيش المستضام المعذب

يشير الى عيش الزهد والتقشف والى صدق تدينه وان ظهر منه مايخالف ذلك احياناً
وسنعود الى الكلام عن رسالة الغفران

المدرسة الكلية المصرية

هل هي سابقة لأوانها

١ — خلاصة اعمال اللجنة التحضيرية

كنا اول القائلين بافتقار هذه الديار الى مدرسة كلية مصرية واكثر الناس سروراً بالنهضة الاخيرة لانشائها . وقد بسطنا رأينا في اماكن كثيرة آخرها في الهلال الثاني من هذا العام ففصلنا الكلام عن الكليات على الاجمال ولاسيما الشرقية وخصوصاً في مصر فبينا حاجتها الى هذه المدرسة ومهدنا القول في الاساس الذي نرجو ان تبنى عليه من حيث طرق التعليم واتينا بتاريخ التعليم في القطر المصري من اول عهد التاريخ الى الآن . وكان يجدر بنا الوقوف عند هذا الحد ريثما يتم الاكتتاب ويجتمع المال الكافي للشروع بالعمل ثم نستأنف الخوض في هذا الموضوع ولكننا رأينا فتوراً في الاكتتاب لم نكن نتوقعه ثم حصل تبديل في اللجنة التحضيرية في جلستها المنعقدة في آخر نوفمبر الماضي فاستعفى رئيسها سعد باشا زغلول لاشتغاله بنظارة المعارف العمومية وانتخب قاسم بك امين مكانه وهو نعم الخلف لان ثقة الناس به لا تقل عن ثقتهم بسلفه

واستأنفت اللجنة السعي في استنهاض الهمم للقيام بهذا العمل ولكن جاء في خطبة الرئيس الجديد كلام عن رأي الحكومة بهذا المشروع لا يحسن السكوت عنه فقد قال « انها تستحسن مبدأنا ولكنها ترى هذا المشروع سابقاً لاوانه » وبما ان خطبة حضرته تتضمن خلاصة تاريخ اعمال اللجنة منذ انشائها وآراء اصحاب المشروع رأينا ان ننشر خلاصتها لتحفظ في بطون التاريخ . فقد قال بعد ان بين تعذر انتخاب الرئيس العام في هذه الجلسة وطلب تأجيله الى فرصة أخرى ما نصه :

« وقد عنّ لنا في هذه الاثناء ان نطلب من الحكومة مساعدتنا فبدأنا بان التمسنا من مولانا الخديوي المعظم ان يقبل وضع الجامعة تحت رعايته وان يمد لها يد المساعدة فاظهر جنابه العالي ارتياحه لعملنا . وكذلك تقابلت شخصياً عدة مرات مع عطوفة رئيس مجلس النظار وتكلم غيري مع جناب اللورد كرومر والذي يمكنني ان اصرح به هنا عن نتيجة هذه المساعي هو ان الحكومة تنظر الى عملنا بعين الرضا وتستحسن مبدأنا ولكنها ترى ان هذا المشروع العظيم سابق اوانه . ولا يتوهمن متوهم ان هذا من الحكومة

حجة للاحجام عن المساعدة لان الاسباب التي أبديتها في هذا الشأن جديرة بالنظر والاعتبار فاذا اردنا ان ننصفها ينبغي علينا ان نلاحظ ان كثيراً من المشروعات العظيمة قد لهج بها الناس وهبت دفعة واحدة ثم انطفأت وانعدمت . ذلك لان كل عمل عام يحتاج لعناية وصبر ومواظبة وتضحية شيء من الوقت والمال وغير ذلك مما لم يتعود عليه المصريون فهي تخشى ان انشاء الجامعة يكون حظه كحظ غيره وتعتقد ان مشروعاً كبيراً كمشروعنا لم يأت الوقت المناسب لان تقوم به الامة بنفسها . لهذا لا اظنني اكون مخطئاً أن قلت انها ان رأت منا الاستمرار في العمل والبدء في التنفيذ فهي لا تضن بمساعدتنا بالمقدار الذي يوصل مشروعنا الى الكمال المطلوب ولا يمكنني ان اتصور مطلقاً ان حكومتنا تنظر بعين الكراهة الى عمل تبرأ من كل فكرة سياسية وتجرد عن كل غاية غير خدمة العلم وحده

« والآن لم يبق الا ان ادعوكم الى بذل الجهد في جمع الاكتتابات وتشكيل لجان متعددة لهذا الغرض في جميع انحاء القطر واعتقدوا ان نجاح مشروعنا هو في يدنا لا في يد غيرنا وان تنفيذه متوقف على ارادتنا نحن فاذا صادف عزيمة قوية فلا شيء يحول بيننا وبينه » اه

ثم بحثت اللجنة في شؤون مختلفة وحدثت تبرعات جديدة مجموعها ٣,٤٠١ جنيه اهمها ما يأتي :

جنيه مصري	
١,٠٠٠	بطريركخانة الاقباط الارثوذكس
١,٠٠٠	مصطفى بك خليل
٥٠٠	الخواجه بسطوروس وكيل قنصل المانيا باسيوط
٢٥٠	حسن بك عيد مرة ثانية
١٠٠	محمد افندي اسعد من تجار القاهرة
١٠٠	مصطفى بك صبحي عبد الله
١٠٠	محمد بك ابو النصر من تجار الاسكندرية
١٠٠	صاحب المؤيد

فاضيف ما جمع من هذه الجلسة الى ما كان قد جمع قبلاً وهو ٧,٤٣٥ جنيهاً فبلغ المجموع ١٠,٨٣٦ جنيهاً . هذا كل ما جمع من الاكتتابات الى تلك الجلسة وقد قبض ووضع تحت امر اللجنة والهمة مبذولة في تعيين اللجان لجمع الاكتتابات في الارياف

فلنبحث الآن في هل سعينا في انشاء مدرسة كلية مصرية سابق لاوانه ولا يتضح الكلام بشأنه ان لم نقسم الموضوع الى اقسام — فننظر اولاً في الجهة التي تريد الحكومة اننا لم نستعد لها او ترى اننا نطلبها قبل اوانها فنقول :

٢ — هل البلاد في حاجة الى مدرسة كلية

لا يختلف اثنان في ان الحاجة ماسة الى ذلك وليس افتقار البلاد الى هذه المدرسة قريب العهد بل هو قديم يتصل بعهد محمد علي يدلك عليه ان الحكومة المصرية ما فتئت من اول هذه النهضة وهي تستعين باوربا في تهذيب ابنائها وتخريجهم في العلوم العالية والفنون العلمية بدأت بذلك من اوائل حكم محمد علي فاخذت ترسل الارساليات الى اوربا وما زالت تفعل ذلك الى عهد غير بعيد وتنفق فيه الاموال الطائلة كما يظهر من الجدول الآتي وفيه عدد التلامذة ومقدار ما انفقته الحكومة عليهم من سنة ١٨١٣ الى ١٨٨٨

في ايام	عدد التلامذة	من سنة الى سنة	النفقات بالجنيهات
محمد علي	٣١٩	١٨١٣ — ١٨٤٩	٢٢٣,٢٣٣
ابراهيم باشا لم يحكم الا ٣ اشهر			
عباس باشا	١٩	١٨٥٠ — ١٨٥٣	٤٩,٦٧٥
سعيد باشا	١٤	١٨٥٤ — ١٨٦٢	٦٩,٠٨٣
اسماعيل باشا	١٧٢	١٨٦٣ — ١٨٧٩	١٦٣,٠٥٧
توفيق باشا	٤٢	١٨٧٩ — ١٨٨٨	٥١,٦٦١
الجملة	٥٦٦		٥٥٦,٧٠٩

فالمجموع ٥٦٦ تلميذاً انفقت عليهم ٥٥٦,٧٠٩ جنيهات فيلحق التلميذ نحو الف جنيه وقد استخدمت من هؤلاء التلامذة ٣٣٠ شاباً في الجيش براً وبحراً وفي الصنائع والطب والصيدلة والباقون انتظموا في الخدم الادارية او القضائية او الشرعية او التعليمية ونحوها

وقد تقدم في غير هذا المكان انها كانت في بادىء الرأي ترسل من تيسر ارساله من اتباعها او ارقائها الذين لا يخالفون امرها لان الناس كانوا يومئذ يتهيبون من الاسفار ونحوها وقد عثرنا على قائمة اسماء الارسالية الاولى التي ارسلها محمد علي في اوائل حكمه وهي مؤلفة من ٤٠ شاباً من امم شتى واكثرهم قد تجاوزوا سن المدرسة ورجع منهم ثلاثة قبل

اتمام الدروس . واما الباقون فهذا جدول باسم كل منهم ومولده وعمره والمهنة التي تعلمها :

الاسم	المولد	السن	العلم الذي يدرسه
مهردار عبدي افندي	الاستانة	٢٩	الادارة الملكية
ارتين افندي (ارمني)	«	٣٢	«
سليم افندي	كرجي	١٩	«
محمد خسرو	«	٢١	«
دويتدار مصطفى افندي	قوالة	٢٤	الادارة العسكرية
راشد افندي	عباسية	٢٥	«
احمد افندي	قوالة	٢٤	«
سليمان افندي	شركسي	١٨	«
حسن افندي	...	٢٧	البحرية
محمود افندي	شركسي	٢١	«
محمود شنان افندي	«	٢٠	«
اسطفان افندي (ارمني)	سباهت	٢٢	السياسة
خسرو افندي «	الاستانة	١٨	«
مصطفى محرمجي	القاهرة	١٧	الهيدروليك
محمد بيومي	«	١٧	«
الشيخ احمد العطار	«	٢٧	الميكانيكيات
مظهر افندي (تركي)	«	١٧	العسكرية
سليمان البحيري	«	١٨	«
علي افندي (كرجي)	...	١٨	«
عمر افندي (شركسي)	...	٢٠	الطبيعية
سليمان لاز افندي	طرابزون	٢٥	«
امين افندي	الاستانة	..	التعدين والاسلحة
احمد حسن حنفي	القاهرة	١٨	« «
حسن الورداني	«	١٧	الطبع والحفر

الاسم	المولد	السن	العلم الذي يدرسه
محمد اسعد	القاهرة	١٥	الطبع والحفر
عمر الكومي	«	١٨	الكيمياء
احمد يوسف	«	٢٠	«
احمد شعبان	«	١٧	«
يوسف العياضي	«	١٨	«
علي هيبه	«	١٨	الطب والجراحة
الشيخ محمد الدشطوطي	«	٢٣	« «
يوسف افندي (ارمني)	...	٢٣	الزراعة
خليل محمود	القاهرة	٢	«
علي حسين	«	١٨	التاريخ الطبيعي
احمد النجدلي	«	١٦	« «
احمد افندي	اليونان	١٨	« «
الشيخ رفاعه الطهطاوي	طهطا	٢٤	الترجمة

وقس على ذلك سائر الارساليات . فقد كان ينبغي للحكومة ان تسعى في الاستغناء عن هذه الارساليات من ذلك العهد بانشاء المدارس العالية . وقد حاولت ذلك غير مرة ولكن اختلاف اغراض الولاة وتقلب احوال السياسة وقفت في سبيل نجاحها . فكانت الحكومة ربما انشأت مدرسة اليوم واقفلتها غداً على ما يتراءى للحاكم وهو مستبد ليس فوق يده يد . ويؤخذ من احصاء وضعه آرتين باشا عن المدارس التي انشئت بمصر من عهد محمد علي الى سنة ١٨٨٧ ان عدد ما انشئ منها بلغ ١٣٢ مدرسة منها ٣٩ مدرسة عالية او فنية او تجهيزية لم يبق منها الى تلك السنة الا تسع . واكثر ما بقي اقفل بعد انقضاء سنة او بضع سنوات على انشائه . واما المدارس الابتدائية فقد بلغ عدد ما انشئ منها ٩٣ مدرسة مشتتة في انحاء القطر

على ان ما اقفل منها انما اقفل في عصر الاستبداد اذ كانت تنشأ المدارس على الغالب لغرض تقتضيه مطامع الحكام اما الآن وقد اصبحت الحكومة تهتم بمصالح العامة فلو انشئت هذه المدارس لثبتت واتت بالفوائد الجمة . ولكن الحكومة وجهت عنايتها على الخصوص لانشاء الكتاتيب الصغيرة في الارياف فزاد عدد ما انشئ منها على خمسة آلاف كتاب

بعضها للحكومة والبعض الآخر تحت مراقبتها وعدد تلامذتها جميعاً نحو ١٥٠,٠٠٠ وعدد المعلمين ٦,٢٩٥ معلماً وهي آخذة في الزيادة · ولعل الحكومة تعتقد احتياج البلاد الى مدارس ابتدائية اكثر من حاجتها الى مدارس عالية وقد بينا في غير هذا المكان انها اكثر افتقاراً للمدارس العاليـة واتينا بالشواهد المؤيدة لذلك · ثم هي ضيقت سبيل التعليم العالي بابطال التعليم المجاني وحصر التعليم ضمن دائرة ضيقة وجعلته لا يعلم الا بالانكليزية او الفرنساوية · وقد رأيت في الهلال الثاني من هذه السنة ان علوم المـدارس الثانوية المصرية التي تمنح الحكومة عليها شهادة البكالوريا تضاهي علوم المـدرسة الاستعدادية الاميركانية في بيروت وبينها وبين علوم القسم العلمي في الكلية بون شاسع

فيظهر من ذلك ان الحكومة تعتقد فعلاً ان البلاد غير مستعدة لمدرسة عالية · واذا اعتقدت ذلك فلا نظنها تقدر تعتقد استغناء البلاد عن العلوم العالية بدليل ما تقدم من عناية الولاة من عهد محمد علي بارسال الارساليات الى اوربا وانفاق الاموال الطائلة على تعليمهم · ولما اقفلت الحكومة هـذا الباب عدل الناس الى ارسال اولادهم لتلقي العلوم العالية على نفقاتهم في اوربا وسوريا — فان في المدرسة الكلية ببيروت نحو ١٥٠ تلميذاً مصرياً اكثرهم تكبد مشاق الغربة لتلقي العلوم العالية هناك · ولا يخفى عليك رغبة المصري عن الاسفار وتهيبه من مشاقها · فاذا كان هذا عدد طلبة العلم العالي في الغربة فكيف لو كانت المدرسة بمصر؟ لا ريب انه يكون اضعاف ذلك · غير من قد يؤم الكلية المصرية من سائر انحاء العالم لانها ام المدائن العربية بالعلم والادب والصحافة فلماذا لا تكون امهن بالمدارس ايضاً ؟

٣ — هل نقدر على انشاء مدرسة كلية

قد ثبت مما قدمناه ان مصر في حاجة الى مدرسة كلية فهل هي تستطيع انشاءها ؟ — ان انشاء هذه المدرسة يحتاج الى امرين اساسيين اولهما « المـال » وثانيهما « الرجال » والمـال اقربهما منالاً لتوفر الثروة بين ايدي الناس وسخاء اهل هـذا القطر في سبيل المشروعات النافعة · وقد اختلف الناس في تقدير المـال اللازم لهذا المشروع فقدره بعضهم بمئة الف جنيه وآخرون قدروه بضعفي هـذا المبلغ وغيرهم باربعة اضعافه — والسبب في هـذا التفاوت التباس المراد بالمدرسة الجامعة على الاكثرين بين ان تكون مؤلفة من عدة كليات مثل جامعات اوربا او من كلية واحدة او ما بين ذلك · اما الرأي الاول فان اكبر تقدير قدروه لا يكفي للشروع به فضلاً عن انه مخالف لناموس النمو

والارتقاء . وعندنا ان الرأي الثاني اولى بالاعتبار اذ يكفينا اليوم ان ننشي كلية واحدة تقابل القسم العلمي في المدرسة الكلية السورية لتعليم العلوم العالية وتربية الطلبة التربية التي نشعر اننا في افتقار اليها

فانشاء هذه الكلية يمكن الشروع به حالما يجتمع للجنة اربعون الف جنيه فتبتاع الارض اللازمة وتأخذ في البناء وهي تسعى في جمع الباقي . و يصير استدرار الاموال حينئذ سهلاً اذ يرى الناس بدء الغرس ويتحققون خروج المشروع الى حيز الفعل . ومتى تيسر اتمام الكلية العلمية هذه وجاءها الاساتذة ودخلها التلامذة ووافقت المرغوب وتكون اللجنة مستمرة في جمع المال فيهون عليها الشروع بكلية أخرى طبية اوتجارية او قضائية او غير ذلك على ما يلائم الاحوال . فالمال اللازم للشروع بالعمل قريب المنال

اما « الرجال » فاذا لم يكن بين يدينا اكفاء لادارة هذه المدرسة وتعليم العلوم العالية فيها فلماذا لانستقدم اساتذة من اوربا كما فعل محمد علي وغيره من مؤسسي هذه النهضة ؟

واذا تعسر ايجاد اساتذة يلقون الدروس باللغة العربية فلا بدَّ من الاستعانة بمعاونين من ابناء هذا اللسان يعرفون العلم الذي يطلب منهم نقله الى العربية كما كانوا يفعلون في تعليم بعض علوم الطب بالقصر العيني في ايام محمد علي فلا يمضي بضع سنوات حتى تؤلَّف كتب العلم باللغة العربية وينبغ العملة من ابناء هذه الكلية . فان اساتذة المدرسة الكلية السورية كانوا في اول انشائها ينقلون الكتب الى العربية او يؤلفونها في ساعات الفراغ والتلامذة ينقلونها خطًّا ويتعلمونها . وقد تخرج من هذه المدرسة عدة صفوف قبل ان تطبع تلك الكتب في العربية . ثم نبغ من التلامذة مؤلفون في اكثر فروع العلم وصارت مؤلفاتهم تعلم في المدرسة الكلية نفسها . ولو لم تعدل هذه الكلية عن هذه الحسنة وتجعل التعليم باللغة الانكليزية لكانت حالنا غير ما هي

فنحن قادرون على انشاء الكلية — واذا كانت الحكومة تعتقد تقصيرنا عن ذلك فما اجدرها ان تمدَّ لنا يد المساعدة وهي تنشط كل مشروع خيري ولا نظنها ترى خيرًا من هذا المشروع بل هو أولى بالمساعدة والتنشيط من مشروعات كثيرة تنفق فيها الحكومة مئات الالوف من الجنيهات لخدمة الزراعة او الصحة العمومية فتهذيب الامة وترقية احساس ابنائها لايقلُّ اهمية عن ذلك ان لم يكن اهم منها . واذا ارادت الحكومة ان نصبر عن انشاء هذه المدرسة حتى تتوفر لدينا هذه الوسائل (المال والرجال) فانها تطلب بقاءنا على هذه الحال الى ما شاء الله ما دام التعليم في مدارسنا كما هو

واذا كنا في حاجة الى مدرسة كلية مصرية ونحن قادرون على انشائها فلماذا يقال « انها سابقة اوانها » الا اذا قيل « ان الحكومة تخشى من عواقب ارتقاء العقول وتهذيب النفوس بالعلوم العالية فيثقل النير الاجنبي فيؤول ذلك الى اقلاق راحة الدولة المحتلة » وهذا ما نجل عميد هذه الدولة عنه ولا سيما بعد ان ردَّ في تقريره للعام الماضي على الذين يتوهمون ذلك وأتى بكلام للورد مكولي قاله في مجلس النواب الانكليزي بهذا الصدد منذ ٧٢ سنة اجاب به الذين اتهموا انكلترا مثل هذه التهمة في الهند فقال « هل نبقي اهالي الهند جهلاء لكي يبقوا خاضعين لنا » ثم اجاب عن هذا السؤال بالنفي والازدراء قائلاً . « ان الحكومات كالافراد قد تشتري وجودها بثمن فاحش والسياسة التي مؤداها ان يقتل الانسان نفسه لكي يحيا هي غاية في الخرق والسخافة سواء كانت في الافراد او في الحكومات» وعقب اللورد كرومر على ذلك بقوله « ولا ازيد شيئاً على ما قاله اللورد مكولي ردًّا على الذين يتهموننا هذه التهم التي تكذبها وقائع الحال في مصر وفي كل بلاد تخفق عليها الراية البريطانية او يعلو فيها النفوذ البريطاني »

وخلاصة القول اننا في افتقار الى التعليم العالي ولا يعجزنا انشاء مدرسة عالية . واذا كانت الحكومة ترى عدم استعدادنا لهذا المشروع لاعتقادها عجزنا بوجه من الوجوه ولم تمد لنا يد المساعدة فينبغي لنا الثبات حتى نبرهن لها اننا صرنا من الامم الحية

الشعر الوصفي

واقعة مكدن

من ملحمة نظمها فارس افندي الخوري نزيل دمشق في وقائع الحرب الروسية اليابانية اخترنا منها وصف هذه المعركة قال :

ودارت للمنون رحى طحون	لها الاجساد قد صارت طحينا
وطبق كلَّ ناحيةٍ دخانٌ	كثيفٌ أسودٌ يعمي العيونا
وصوتُ القذف أوقر كل أذن	فان سمعتهُ تحسبهُ طنينا
فليس بمبصرٍ احدٌ اخاهُ	ولا هو سامعٌ منهُ الأنينا
فصار الحزن من دكٍّ سهولاً	وصار السهل من جثث حزونا
لو انقشع الدخانُ بدت امورٌ	تردُّ المردَ شيباً منحنينا
جيوش كيفما العين استدارت	تراهم يظهرون ويختفونا

كأن الارض بالابطال حبلى تُدفّعهم حيارى صارخينا
فلا حجرٌ تراه العين الا يحجب خلفهُ منهم جنينا
كأن حجارها الصمُّ استحالت رجالاً بالحديد مسربلينا
فلا وادٍ بتلك الارض الا ويخرج من معاطفه كمينا
كأن عقولهم ذهبت شعاعاً فليس لهم بهم ما يرهبونا
فكل فتىً غدا اسداً هصوراً وموطيء رجله اضحى عرينا
كأن الله عن امرٍ تخلى واعطى الحكم ابليس اللعينا
ملائكة السلام خلت واضحى شياطين الشرور مشمرينا
كأن رذائل القتل استحالت فضائل فاعلوها يفخرونا
كأن قذائف النيران رسلٌ اتت توحي التهوّر والجنونا
تجيء من السماء بمعجزاتٍ تؤيد ما ادعتهُ فيؤمنونا
فما صعقات موسى فوق هذا الا هزيم يضعضع الجبل المتينا
على ورعٍ تجسّ آل عيسى كأن النار نار جبال سينا
كأن الهم فيها تجلى اذا ما استقبلوها يسجدونا
ومنفجر الكرات يخطّ متناً وتشرح انصل السيف المتونا
ترى كرةً تفجر من حشاها وتبعث مع شظاياها المنونا
فكم أيدٍ بها بترت وسوق بها كسرت وكم بقرت بطونا
وكم من اضلعٍ سحقت وعنقٍ بها دقت وكم شقت جبينا
احال الرعب لون البيض حتى غدوا بخصومهم متلبسينا
فيومٌ ينقضي ويجيء يوم أمرٌ يسيلُ من نكدٍ شؤونا
فلا زار الكري جفناً كليلاً ولا زارت سيوفهم الجفونا
مئات الساقطين غدت ألوفاً ألوف الواقفين غدت مئينا
تبيد كتيبةٌ وتحلُّ أُخرى وقواد الكتائب حائرونا
ترى رأساً بلا جسم وجسماً بلا رأس يفيض دماً معينا
هناك فتىً يئنُّ ولا سميعٌ ويجأر ان يعان ولا معينا
وذلك بالعناصر مستعينٌ وغير مفيده ان يستعينا
فأين بنوهُ لو نظروا أباهم وقد نسي الاقارب والبنينا

ألا ويلمه لو ابصرته ... تفيض جراحه دمه السخينا
تراه تنوشه الشفرات ضرباً ... بلا برّ فتلقبه طعينا
فاما طلقة خرقت فؤاداً ... واما ضربة قطعت وتينا
على مدر الثرى امسى جديلاً ... وفي جوف الطيور غدا دفينا

باب السؤال والاقتراح

الملتزمون والالتزام

(قمرونه) عطيه افندي محمد الصريري

يقال مثلاً فلان الفلاني ملتزم الجهة الفلانية وله اطيان عشورية خراجها يقل عن خراج الاطيان الخراجية فما هي وظيفة الملتزم ومايقابلها الآن من وظائف الحكومة

الهلال ✻ ليس الالتزام من وظائف الحكومة ولكن الحكومة لجأت اليه اذ اعيتها الحيلة في تحصيل خراج الارضين لما انتاب البلاد من الاختلال في اثناء حكومة الامراء المماليك واحتاج هؤلاء الى المال فعمدوا في استعجال قبض الخراج الى تضمينه للناس من اصحاب الاموال بالمزايدة فمن رسا عليه الضمان عجل مال سنة او اكثر للحكومة وتولى تحصيل الخراج بنفسه من الفلاحين . فربما ضمن مال بلد او عدة بلاد لسنة او عدة سنين وكانوا يسمون هذا الضمان التزاماً ويسمون صاحبه ملتزماً . على ان التزام الارضين على هذه الصورة ليس خاصاً بمصر ولا هو من بدع العصور الاسلامية ولكنه كان شائعاً عند اليونان والرومان والقرطاجنيين في احوال كثيرة . اما في الاسلام فكثيراً ما كان الخلفاء يضمنون مال الولاية لواليها اي ان يجعلوا على الولاية مالاً معيناً يدفعه عاملها وهو يتولى تحصيل الخراج فما زاد على ما دفعه كان ربحاً له . اما تضمين الخراج لاصحاب الاموال من غير رجال الدولة فحدث في ايام الامراء المماليك . وكان الالتزام يقرر بالمزايدة او بالاتفاق على الثمن بين الروزنامة بالنيابة عن الحكومة واصحاب الاموال . فاذا رسا المزاد على احدهم اعطته الحكومة

عقد تلزيم كانوا يسمونه تقسيطاً ويرجع الامر باعطائه الى شيخ البلد كبير امراء المماليك يومئذٍ . فاذا تم العقد دفع الملتزم تعجيلاً واصبح همه استرجاعه باقرب وقت مع فائدته وهذه الفائدة يقررها هو بنفسه لا قيد عليه فيها ولا شرط

وكانت الحكومة مكلفة بمساعدة الملتزم في تحصيل الضرائب بالرجال . على انها كثيراً ما كانت تمسك عن مساعدته لاختلال داخليتها ولا سيما في القرنين السابع عشر والثامن عشر فاصبح الملتزمون يستخدمون ما يتراءى لهم من الوسائل من عند انفسهم والحكومة لا تعارض اجراءاتهم كانهم حكومة قائمة بنفسها . وكثيراً ما كانوا يرتكبون القسوة في معاملة الفلاحين ولا ملجأ لهؤلاء وليس من يسمع شكواهم . فغاية ما كان يبلغ اليه جهدهم التوسل الى الله ان يبدل هذا الملتزم الظالم بملتزم آخر وقلما ينفعهم البدل

وتنوع الالتزام بتنوع الاعوام حتى اصبح في اول القرن الماضي يعطى على مدى العمر بحيث ان القرى التي التزم خراجها انسان لا تعود الى الحكومة الا بعد وفاته . على ان بعض الملتزمين تمكنوا بمال دفعوه الى الخزينة ان يبقى الالتزام ارثاً في ذراريهم . وكانت الحكومة تساعد الملتزم على القيام بما يحتاج اليه في ايواء المسافرين وصيانة الجوامع والمدارس والحمامات والقيام ببعض نفقاتها ببقاع من الارض تعطيه اياها معفاة من الضرائب يحرثها الفلاح سخرة وهي تعرف بالاواسي . وما زال الالتزام جارياً بمصر الى اوائل القرن الماضي فلما افضت الحكومة الى محمد علي اصبح اكثر الملتزمين من المماليك وربما عزم على ابطال الالتزام ولم يتوفق اليه فلما فتك بالمماليك في قلعة القاهرة سنة ١٨١١ قبض على املاكهم سواء كانت بالالتزام او غيره . على انه لم يبطل الالتزام الا بعد ان ارتاح من القلاقل الخارجية

اما الفرق بين الاطيان الخراجية او العشورية فلا يختص بالالتزام ولا علاقة له به وانما سببه ان الاطيان في المملكة الاسلامية كلها خراجية لانها كانت لاهل البلاد الاصليين فلما دخلوا في حوزة المسلمين اصبحوا من اهل الذمة وتركت الاطيان لهم على ان يؤدوا خراجها الا بعض ما دخل منها في حوزة المسلمين كالاقطاعات ونحوها . ومن جملة ذلك ما حدث في اوائل حكومة محمد علي اذ مسح اطيان القطر المصري سنه ١٨١٣ واستبعد منها بقاعاً غير مزروعة وفرق بعض الاطيان المزروعة في بعض خاصته بلا مال يقومون بادائه وكان بعض هذه الانعامات ملكاً مطلقاً للمنعم عليه يرثها اعقابه بعده او ملكاً موقتاً في اثناء حياته فاذا مات اصبحت للحكومة ولكنها في كل حال معفاة من الضريبة وما زالت

كذلك الى سنة ١٨٥٤ فوضعت الحكومة عليها ضريبة توازي عشر غلتها وتؤخذ من الغلة عينها فاطلق على تلك البقاع اسم الاراضي العشورية او العشرية

زيت البترول

(جامايكا) شحاده افندي خليل مالك

كيف يتولد زيت البترول (الكاز) في جوف الارض ومن اين يأتي وكيف اكتشفوه

✻ الهلال ✻ البترول لفظ يوناني معناه « الزيت الحجري » ويتولد في باطن الارض بتاثير الحرارة والضغط على المواد الآلية المدفونة في جوفها من ادهار قديمة كما يتولد الفحم الحجري من غابات متكاثفة الاغراس نمت في طفولية الارض ثم غمرتها الاتربة وتحولت بتوالي الاحقاب الى فحم . وبمثل ذلك تحول هذه المواد وامثالها الى اسفلت او حمر او زيت البترول وهي من اصل واحد وانما تختلف ظواهرها وخواصها باختلاف ما تحملته من الحرارة او الضغط او احوال اخرى . ويمكن تقسيم المواد التي تتحول اليها المدفونات الآلية (العضوية) في جوف الارض باختلاف التغير الذي يلحقها الى اربعة اشكال وهي (١) النفط (٢) البترول (٣) القطران (٤) الاسفلت او الحمر او القار . فالنفط انقاها وامرعها تبخرًا واشتعالاً ويوجد في الارض سائلاً نقيًا يتغير بتعرضه للهواء . والبترول يوجد في الطبيعة ممزوجًا بمواد اخرى تختلف مقاديرها باختلاف الاماكن وتفصل عنه بالتقطير على درجات مختلفة في عملية يطول شرحها

وكان البترول ورفاقه معروفة عند القدماء فقد ذكر هيرودوتس منجمًا في زنتي كان مشهورًا في عصره . وقدعرف البترول هنودسنيكا منذقرون وكانوا يعالجون به الروماتزم وكان الجراحون يستخدمونه لمضادة الفساد . واشتهر منجم للقار او الحمر في « هيت » على الفرات واسم هذه البلدة في الاصل « ايعي » ونسبت الى القار الذي وجد فيها فعرفت عند اهل ما بين النهرين بلغتهم الكلدانية او السريانية « ايهي دقيرا » نسبة الى القار او القير وهو اسمها في التلمود واما اسمها « هيت » فاذا لم يكن منحوتًا من هذه الجملة فلعله بقية لفظ « ايتو » في اللغة البابلية القديمة ومعناها « القار » وفي كل حال فان منجم القار او الحمر كان معروفًا في هيت قبل الاسلام . وقد ذكر بلينيوس وديوسكوريدس زيتًا كان مستعملاً للانارة في صقلية (سيسيليا) يعرف بالزيت الصقلي وذكروا مناجم للبترول في الصين من اقدم ازمنة التاريخ

فسل ابن عمرو حين رام رماحهم ... ارأى رماح الزنج ثم طوالا
فجموا زياداً بابنه وتنازلوا ... لما دعوا لنزال ثم نزالا
ومربطين خيولهم بفنائهم ... وربطت حولك شبهاً وسخالا
كان ابن ندبة فيكمو من نجلنا ... وخفافُ المتحمل الاثقالا
وابنا زبيبة عنتر وهراسة ... ما ان نرى فيكم لهم امثالا
وسل ابن جيفر حين رام بلادنا ... فرأى بغزونه عليه خبالا
وسليكُ الليث المزبر اذا عدا ... والقرم عباس علوك فعالا
هذا ابن خازم ابن عجلى منهمو ... غلب القبائل نجدة ونوالا
ابناء كل نجيبة لنجيبة ... اسد تربب عندها الاشبالا
فلنحن انجب من كليب خؤولة ... ولأنت ألأم منهمو اخوالا
وبنو الحباب مطاعن ومطاعم ... عند الشتاء اذا تهبُّ شمالا



الوقاية من العدوى

من القواعد المقررة في الطب الحديث ان الامراض المعدية انما تنتقل عدواها بانتقال مكروبها من المريض الى الصحيح . والغالب ان يكون الانتقال من طريق الفم الى المعدة او الرئتين او بامتصاص الغشاء المخاطي . ويندر ان يتصل المكروب بالدم رأساً من جرح او سحج او نحوهما . ولا تنتقل العدوى دائماً من المريض الى الصحيح رأساً فان الميكروبات المرضية قد يتوالى انتقالها مراراً قبل ان تصيب مقتلاً من جسم فيه استعداد لذلك المرض . فميكروب السل مثلاً قد ينتقل من فم المسلول الى بعض ملازميه فلا يصاب هذا بالداء اما لانه لم يجعل للميكروب سبيلاً الى فيه او لانه غير مستعد لقبوله . ولكنه قد يكون وسيلة لنقل الميكروب الى رجل آخر فيه استعداد له . ولو عرفت ناقل العدوى لتجنبت ملامسته ولكنك تسلم على من تلقاه من اصدقائك ومعارفك مصافحة وهم اصحاء ولا سبيل الى التمييز بين ناقل العدوى وغير ناقلها

ولو انحصر نقل العدوى بواسطة الاصدقاء لهان ولكن اكثر انتقاله عن طرق اخرى قلما ينتبه لها الناس لشيوعها على ما يتداولونه من الادوات في معاملاتهم اليومية . واكثر الادوات تداولاً بين ايدي الناس اكثرها تأثيراً في نقل العدوى . كالنقود مثلاً فانها لا تصل الى يدك الاّ بعد ان تمرّ على عدة اناس وفيهم المريض والقذر وبعضهم يضع النقود في فيه يستعين بذلك على فرزها او عدها واكثر من يفعل ذلك صغار الباعة في الشوارع وهم من اقذر البشر . فهل تأمن العدوى من احدى تلك الايدي ؟

وقس على النقود غيرها من الادوات الكثيرة الانتقال . وفي مصر اليوم سبيل للعدوى خطر لا بد من التنبيه اليه — ذلك ان عمال الترامواي الذين يتولون بيع التذاكر (الكومسارية) لا يدفع اليك احدهم التذكرة قبل ان يبل اصبعه بريقه ليستفردها به فلا تصل التذكرة الى يدك الاّ وعليها شيء من ريق حضرته ! . فاذا اتفق وجود كومساري واحد مصاب بالسل أو غيره من الامراض المعدية التي لا تمنع اصحابها عن الانتقال ومعاطاة الاشغال فانه ينقل عدواه الى عشرات بل مئات من الناس . فاذا وجد في بعضهم استعداد له اصيبوا به . واعتبر ذلك في منطقي الاحذية الذين تعودوا الاستعانة بريقهم في تنظيفها فاذا كان في بعضهم مرض التصق مكروبه بالحذاء . وقد يمس الانسان حذاءه بانامله مراراً فينتقل المكروب الى يده

واسباب العدوى على هذه الصورة كثيرة يضيق المكان عن استيفائها وانما الغرض التنبيه اليها لتجنب الوقوع فيها — ولو اراد الانسان ان يتجنب ملامسة من يخشى انتقال العدوى على يده لاعتزل في منزله وتوقف عن كل حركة وامسك عن لمس كل شيء فلا يسلّم على صديق ولا يقبض نقوداً من احد ولا يجلس في مركبة من مركبات الاجرة لئلاَّ يكون قد جلس فيها مريض او لمستها يد قذرة . وخوف العدوي على هذه الصورة شرٌّ من العدوى — فما هي الوسيلة المثلى لتجنب العدوى بدون هذه الوساوس ؟

الوسيلة بسيطة لا تعجز احداً — وهي تنحصر فيما يأتي :

اولاً : لما كانت العدوى تنتقل غالباً عن طريق الفم كما تقدم . فاحذر ان تضع انامللك في فيك . وامسك نفسك عن التلاهي بشاربيك ولا سيما اذا كنت ممن يستعينون في اصلاح شكلهما وهندامهما باللعاب

ثانياً : اغسل يديك قبل الطعام او قبل اي عمل يقتضي الملامسة بين يديك وشفتيك

ثالثاً : لما كان وصول الميكروب الى المعدة او الرئة لا يكفي وحده لحدوث العدوى

وانما يقتضي ان يكون الجسم مستعداً للمرض اما بالارث او بضعف حيوي طارىء من التعب الشديد او السهر الطويل او ادمان المسكر او فساد التغذية او اختلال طرق المعيشة او غيرها من الاسباب الضعفية — فلابدَّ من استدراك ذلك بترتيب المعيشة والاعتدال في كل شيء والتعفف وملاحظة احوال الهضم وتدارك ما يطرأ على الصحة من الانحراف ولو كان بسيطاً فانه اذا اهمل صار مرضاً عضالاً اذ يضعف الجسم و يعدُّه لقبول الامراض المعدية

حفظ صحة الفم

للدكتور شميل

ماء الفم او الريق مزيج من لعاب ومخاط ودمع · فاللعاب تفرزه الغدد اللعابية وتصبهُ في الفم بفتحات نافذة الى تجويفه والمخاط قسم منهُ تفرزه الاجربة المخاطية الموجودة في جدران الفم والقسم الآخر يأْتيه من الانف عن طريق الخيشوم و يفرزه الغشاء المخاطي المغطي لباطن الانف · والدمع تفرزه الغدتان الانفيتان ويتحدر في القناتين الانفيتين الى الانف حيث يمتزج بالمخاط الذي فيه و يسيل معه الى الفم

وفائدة ماء الفم ان يندي المسالك التي يمر الطعام منها الى المعدة وان يسهل حركات اللسان ومن ثمَّ التكلم · واللعاب لهُ ما عدا ذلك فائدة اخرى في المضغ والهضم وهو قلويٌّ في الاصحاء الذين شهوتهم للطعام شديدة وهضمهم جيد

ففي المضغ يسغ الطعام بمائه واملاحه ويطريه ويزيد ميوعة المطبوخ منهُ ويحلّ المواد الجامدة كالسكر والصمغ والجلاتين ويحوّل المواد النشائية بما فيهِ من الدياستاز او البتيالين الى دكسترين وسكر العنب ولهذا السبب كان افرازه يزيد في وقت الطعام وفي حين تنبه شهوة الاكل من مجرد النظر الى الطعام ولا سيما الحامض منه · وقد حسب بعضهم مقدار اللعاب المفرز في اربع وعشرين ساعة خمسمائة غرام · وهذا المقدار غير ثابت ويختلف بحسب نوع الطعام ويزيد اذا كان الطعام صلباً · وقد يكثر جداً في اصحاب المزاج اللمفاوي والعصبي بحيث يضطرون لرمي جانب عظيم منهُ بالتفل والبصاق · والغالب ان زيادته تحدث عن بعض العادات كالتدخين والمضغ (مضغ التبغ والصمغ المعروف بالعلك او اللاذن) وقد تبلغ هذه الزيادة حداً يضعف البدن معهُ ويهزل

ورمي اللعاب بالتفل والبصاق مضرٌ في كل الاحوال واذا لم يكن افرازهُ زائداً عن المعتاد سبب عسر الهضم كما يرى في فالج العضلات المبوّقة فان اللعاب في هذه العلة يسيل من الفم الى الخارج ولا يبلغ الى المعدة كما في الصحة واللعاب ضروري للهضم

وباطن الفم شديد قوة الامتصاص جداً . فان النبيذ اذا بقي في الفم ينعش وان لم يبلع وربما احدث الخمار ايضاً والمركبات الزئبقية ومادة التبغ الزيتية وسائر السموم المعدنية والنباتية والحيوانية تمتص فيه بسرعة . ولذلك كان نيكوتين التبغ السام جداً يؤثر في المدخنين وان لم يدخلوا الدخان الى الرئة وكثيراً ما انتقل الزهري من مريض الى صحيح بقبلة او كوبة او سيجارة او ملعقة وما اشبه . وذكر بعضهم ان اسكربوط اللثة انتقل في ثلاثين جندياً لانهم جميعهم كانوا يشربون من كوبة واحدة ولم يشفوا الا بحصر كل واحد منهم عن الآخر . وماء الفم يؤثر في الاسنان تأثيراً مضراً اذا لم يعتنَ بتنظيفها جيداً لانه سبب الطرطير الذي يتكون عليها و يتلفها في غالب الاحيان . والاسنان تعرف صحتها من موقعها وانتظامها وشكلها ولونها وبنائها

فالاسنان الصحيحة صفان علوي راكز في سنخ الفك العلوي وسفلي راكز في سنخ الفك السفلي كل صف مؤلف من ست عشرة سناً في الغالب مصفوفة على شكل قوس . منها عشر الى الوراء خمس من كل جانب تعرف بالاضراس ويتلوها الى الامام اثنتان سن في كل جانب تعرفان بالنابين . والى امامها اربع راسخة في طرف القوس المتصل تعرف بالقواطع . والقوس العلوي اكبر من السفلي وراكب عليه بحيث تتقابل الاضراس في القسم الخلفي . واما في القسم المقدم فالقواطع العليا والنابان مطبقة على القواطع السفلى والنابين الداخلة خلفها

والاسنان المنتظمة اطرافها السائبة على مساحة واحدة اي ان طول كل سن منها طول الاخرى ما خلا الانياب التي قد تبرز قليلاً

والاسنان الجيدة شبه ممتلئة واقرب الى القصر من الطول شديدة ومغطاة من اطرافها السائبة بميناصلبة سميكة . والاسنان الرديئة طويلة نحيفة رخوة يتلفها المبرد بسهولة ومبناها رقيقة والقواطع من اطرافها حادة رقيقة اشبه بالسكين والانياب مستطيلة مستدقة والاضراس اتاجها يفضي وتتأثر جداً من العوامل الطبيعية والكيماوية

ولون الاسنان دليل على شدتها وضعفها وتابع لحالة البدن فاما ان يكون الى الصفرة او الى البياض الناصع او الرمادي او الزرقة فالتي لونها الى الصفرة عاجها كثيف صلب

وثقيل وتكون في الاشداء الصفراو بين والدمو بين · والتي لونهـا ابيض لبني او الى الزرقة اقل من تلك صلابة وتتلف بسرعة وتنقل تأثيرات البرد والحر والحوامض وسائر ما يصفع الى لب السن بسهولة وتحدث ألماً · والتي الى الزرقة ترى في المسلولين واللون الازرق دليل على وقوع التلف في عاج السن · وتكثر الاملاح العضوية في الاسنان الشديدة الضارب لونها الى الصفرة التي قلما تتأثر وتكثر المادة الحيوانية في الاسنان الضعيفة التي تتأثر جداً

التليباتي او الشعور عن بعد

والتنويم المغنطيسي

يفتخر اهل هذا العصر بما اكتشفوه من الحقائق الطبيعية واستطلعوه من اسرار الكون ولكنَّ ما يجهلونه لا يزال اكثر كثيراً مما يعلمونه بل هم لا يعرفون شيئاً · وغاية ما يبلغ اليه الانسان من العلم بعد الدرس الطويل والبحث الدقيق واعمال الفكرة وامعان النظر انه لا يعرف شيئاً من حقائق الامور وانما هو يرى بعض ظواهرها واعراضها و يتعلل بما يفرضه لها من الاسباب تعللاً لا يغني فتيلاً ولا يشفي غليلاً · ومن زعم انه يعرف الحقيقة فهو حديث في سوق العلم لا يزال قليل البضاعة · ومن اكثر الحقائق غموضاً العقل او النفس او الروح فاننا نرى اعمالها العجيبة فنعلل بعضها تعليلاً يقبله العقل و يغلق علينا بتعليل الباقي فنفرض لها الفروض ونتخيل الاسباب ونقدّر لها القواعد والنواميس ونسميها باسماء مختلفة كالهبنوتزم والمسمرزم والتليباتي وقراءة الافكار ونحو ذلك · فنحسبنا اكشفنا غامضاً او اصبنا غرضاً ثم لا نلبث ان نرجع كما كنا · ولكن الانسان مفطور على التماس الاسباب لا يرتاح الاَّ بتعليل ما يقع عليه نظره تعليلاً يقبله عقله — على اننا اذا انكرنا ما اكتشفه العلماء من نواميس العقل او النفس فقد ظلمناهم وان كان اكتشافهم لا يزال مفتقراً الى التحري والتعديل

جاء القطر المصري منذ سنة وبعض السنة رجل فرنساوي اسمه لافونتين ومعه امرأته وعرضا في مراسح القاهرة اعمالاً من قبيل كشف المخبأ او استطلاع الغيب بهرت الناس على اختلاف طبقاتهم و كثر حديث القوم بشأنهما بين معجب بما اوتياه من القوى الغريبة ومنتقد ينسب اليهما الشعوذة والخفة ومعتدل يحاول تعليل ذلك بالتنويم المغنطيسي اوقراءة الافكار

وجاءنا بعضهم يومئذٍ يسألنا رأينا فعمدنا الى مشاهدة ذلك قبلاً فذهبنا لحضور تلك الاعمال في مرسح الازبكية ذات ليلة ومعنا صديقان من صفوة الادباء واهل النقد وكان المرسح غاصاً بالمتفرجين على اختلاف طبقاتهم وفيهم الوجهاء والعلماء والبسطاء فشاهدنا من الموسيو لافونتين وامرأته فوق ما سمعناه مما يدهش العقل وجربنا الرجل بنفسنا فلم يخب ظننا واحببنا ان نختلي به لتجارب خصوصية فلم تسنح لنا الفرصة . وقد فصلنا ما رأيناه في هلال السنة الماضية صفحة ٥٤٨ وذهبنا في تعليله الى انه من قبيل التنويم المغنطيسي اي ان الرجل ينوم المرأة حتى تصبح طوع ارادته كأنها عضوٌ من اعضائه فيأمرها ان تفعل كذا وكذا عن بعدٍ وهو لا يبدي حراكاً فتفعل ما يريده . وقد تكون مغمضة العينين لا ترى شيئاً فتعمل اعمالاً يعجز عنها الناقد البصير وقد صح تعليل ذلك بالتنويم المغنطيسي

على اننا اطلعنا في العدد الاخير من مجلة المجلات الانكليزية فرأينا لصاحبها المستر ستيد مقالة ضافية في رجل دنماركي اسمه زانسيك وامرأته فعلا في لندن مثل فعل لافونتين بمصر . ويظهر مما نقرأه للمستر ستيد في مجلته انه يؤمن بالارواح و يعتقد بما ينسبونه اليها من الانتقال والاشراف على اعمال البشر في اثناء الحياة وله في هذا الموضوع فصول طويلة . فلما علم بما اتاه الموسيو زانسيك وامرأته من كشف المعميات وقراءة الافكار لم يكتف بمشاهدة ذلك مع جماهير المتفرجين في مرسح الحمراء (الهمبرا) بل دعاهما الى منزله غير مرة وامتحن اعمالها كما يشاء ثم عمد الى تعليلها وهاك خلاصة ذلك قال :

« ان المستر زانسيك وامرأته دنماركيا الاصل وهما في نحو الاربعين من العمر وقد قضيا حداثتهما معاً في قرية واحدة كأنهما في بيت واحد . ثم انتقلا الى الولايات المتحدة الاميركية واشتغلا في معمل واحد كان هو كاتباً فيه وهي مربية لاولاد صاحبه ثم تزوجا منذ ١٩ سنة . واكتشفا بعد طول العشرة توافقاً عجيباً بين عقليهما واشتراكاً في الاحساس والادراك لدرجة غريبة — فلم يكن هو يفكر في امر ويهمّ ان يكاشفها به الا كشفته هي قبل ان يشير اليه . وتحققا ذلك بالتجربة مراراً فاذا تصور هو اللون الاحمر رأت هي كل شيء حولها احمر حتى الجو . واذا وجه فكره الى الاخضر رأت كل شيء اخضر وهكذا في سائر الالوان . واذا تخيل صورة انسان او منظر او شكل هندسي تخيلت تلك الصورة في ذهنها او رسمتها على الورق كأنها تراها رأي العين

« فلما تحققا وجود تلك القوة فيهما عمدا الى الاتجار بها واستثمارها فاخذا يطوفان البلاد و يعرضان اعمالها على الناس لا يبديان رأياً ولا يلتمسان تعليلاً . فكان الناس يعجبون بما

يشاهدونه من غرائب اعمالها و يبذلون المال في الاختلاف اليهما . فقضيا اربع سنوات على مراسح اميركا ثم شخصا الى سائر العالم حتى اتيا لندن وعرضا اعمالها في مرسح الحمراء (قال المستر ستيد) فذهبت لمشاهدتها مع اصدقاء تهمهم الظواهر العقلية وغرائبها . فكان اول ما شاهدناه بعد رفع الستر ان مدام زانسيك دخلت المرسح ووقفت بجانب لوح منصوب و بيدها قطعة من الطباشير وليس على المرسح شيء آخر غير ستارة تنصله عما وراءه ثم اقبل زوجها على الحضور يختلط بهم و يطلب الى من شاء ان يخبره سرًّا عن ضمير يضمره سواء كان ارقاماً او رسماً او كلمة او غير ذلك . فلا يلبث ان يطلع الرجل على الضمير وهو في بعض اطراف المرسح حتى ترسمه امرأته بالطباشير على اللوح حرفياً بدون تردد ولا خطأ الاَّ ما يقع احياناً بين الارقام المتشابهة الصورة مثل 8 و 3 او 9 و 6 مما قد يلتبس على الناسخ من كتاب بين يديه . او تصف المطلوب وصفاً شفاهياً والرجل يتنقل بين صفوف الجالسين على الكراسي او في الالواج ويسال كلاًّ منهم عما يريد ان يضمره حتى جاء دورنا . وكان مع احد رفاقي دفتر حوالات بنك (تشيك) اذا اراد التحويل بمبلغ ذكره في مكانه وذكر اسم المحول لامره . فاستخرج صاحبي ورقة من ذلك الدفتر اراها للمستر زانسيك سرًّا فسألها عما بيده فقالت « حوالة » قال « كم قيمتها » قالت « لم تذكر فيها القيمة »

« قضينا تلك الليلة في مثل هذه الغرائب وبعد بضعة ايام ذهبت لزيارتهما واستأذنتهما في تجربة خصوصية على ما أراه من التدقيق في الاحتياط . فاذنا فادخلت المرأة بلوحها وطباشيرها مع احد اصدقائي الى غرفة واقفلت الباب عليهما وبقيت انا والمستر زانسيك في قاعة الاستقبال واقفلنا بابها علينا وكان بينها وبين تلك الغرفة دهليز ومعي في القاعة صديق آخر فاوعزت اليه ان يكتب عدداً مؤلفاً من ثمانية ارقام فكتبه على لوح ودفعه الى زانسيك فأخذ يحدق نظره في الارقام وهي تتلوها هناك وتكتبها على لوحها . وجربنا تجارب أخرى في جملتها اننا رسمنا على لوحنا دائرة فوقها مثلث فرسمت هي مثلها على لوحها . فاخذت اللوح ورسمت عليه طيراً فصاحت هي قائلة « وكيف استطيع رسم الطير ؟ »

« ولئلا يخامر القراء شك في صحة ما ذكرته لانه جرى في منزلهما دعوتهما للغداء عندي . وصلتهما دعوتي في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر فجاءا بعد ساعتين . وبعد الغداء دخلنا قاعة الجلوس وهي منقسمة شطرين بستر كثيف فاجلسنا مدام زانسيك في احد الشطرين ونحن في الشطر الآخر واخذنا نطرح عليها الاسئلة وهي تجيب عليها بدقة مما يطول شرحه . وفي جملة ذلك اني استخرجت من جيبي ورقة بنك نوط قديمة جداً

وقد ذهبت الوانها ودفعتها الى المستر زانسيك فصاح في امراته «ما تلك بيدي» فاجابت «بنك نوط» قال «ما هو تاريخها» قالت «٣ يونيو سنة ١٨٨٥» فقال «وكم نمرتها» فاجابت «اني ارى ٥و٩و٨و٤و٤» ثم اطلت علينا من وراء الستر وارتنا هذه الارقام ٤٤,٨٩٥ مكتوبة على لوحها . وهو عدد ورقة البنك تماماً . وقس على ذلك» انتهى كلام المستر ستيد ملخصاً

هذا ما رواه صاحب مجلة المجلات الانكليزية عما شاهده بنفسه وهو يشبه ما شاهدناه هنا من الموسيو لافونتين وقد عللناه بالتنويم المغنطيسي وهو عللّه بالشعور عن بعد (التليباتي) اي ان بين الموسيو زانسيك وامرأته اشتراكاً في الاحساس فتنتقل الافكار بينهما كما تنتقل الرسائل البرقية بالتلغراف بلا سلك باعتبار ما بين عقليهما من التوافق في الوضع كما يشترط ان يكون بين الآلات التي يراد المخابرة بها بالتلغراف المذكور بحيث ينحصر التفاهم بينهما ولا تلتقفهُ آلة اخرى . ولذلك فلا يتيسر حدوث مثل هذا الاشتراك في الاحساس بين شخصين الا نادراً

والمستر ستيد شديد الاعتقاد في التليباتي وانها قوة او حاسة مستقرة في الابدان مثل سائر الحواس وقد اشتغل في اثبات ذلك منذ اعوام . وهو يقول انه استطاع حتى الآن ان يثبت ظهور هذه الحاسة في الناس وهم في حال الذهول او الغيبوبة . فان الذاهل قد يغيب رشده واذا خاطبته اجابك وربما حادثته طويلاً كما تحادث رجلاً صاحياً واعياً ثم اذا ايقظته لا يذكر شيئاً مما دار بينك وبينه . ويشبه ذلك ما عرفناه في بعضهم من المحادثة في اثناء الرقاد فاذا سألته وهو نائم عما يبالغ في كتمانه بحال اليقظة اجابك عنه حرفياً فاذا افاق لا يعلم انه باح به . فيرى المستر ستيد ان الانسان في هذه الحال من الذهول او الغيبوبة تظهر فيه قوة التليباتي ظهوراً واضحاً . وقال انه كثيراً ما استخدم هذه الحالة لاستطلاع الافكار او نقل الاحساس . وفي جملة ذلك انه اطلع على اسرار كثيرين باستكتابهم وهم في تلك الحالة . فيرى بالقياس على ذلك ان في الناس استعداداً للاشتراك في الاحساس يظهر قوياً او ضعيفاً باختلاف امزجتهم وتوافق افكارهم في اصل وضعها فاذا توافقت في اثنين اتيا بالمعجزات كما رايت في ما تقدم عن لافونتين وزانسيك

على ان اعمالهما لا تصح نسبتها الى التليباتي الا اذا امكن وقوعها عن ابعاد كبيرة اذ يشترط في التليباتي ان ينتقل فكر الواحد او احساسه الى صاحبه مهما بعدت المسافة بينهما . والعلماء انما قالوا بالتليباتي لتعليل ما يظهر احياناً من اشتراك الاحساس على آلاف من الاميال .

كأن يشعر الرجل وهو مقيم في القاهرة بمصاب اصاب اخاه او ولده في اوربا او اميركا فتنقبض نفسه ويأخذ في البكاء بغير سبب يعلمه ثم لا يلبث ان يعلم بعد ايام ان احد احبائه اصيب في ذلك اليوم بمصيبة تستدعي البكاء فاحس بالمصيبة وبكى وهو لا يعلم السبب . فمثل هذه الحوادث ينسبون حدوثها الى التليباتي ولم يظهر من اعمال لافونتين وزانسيك انهما استطاعا شيئاً من ذلك . فتعليل اعمالها بالتنويم المغنطيسي اقرب الى الصواب مما بالتليباتي والحكم في الحالين لا يعد قاطعاً لغموض كثير من القرائن التي لم يستطيعوا تعليلها حتى الآن

على ان اندرو ماكونل احد مكاتبي المجلة التي نحن في صددها باميركا بعث اليها بمقالة ضافية بشأن التليباتي صدرها بكلام عن وجود هذه القوة في الحيوانات وانهم انما يتفاهمون بها . وان كل ما يزعمه مستطلعو الخبايا اذا افلحوا انما يرجع سببه اليها . ثم عمد ماكونل الى تعليلها في كلام طويل خلاصته ان كل ما يبدو من الاعمال الحيوية في الناس يولد كهربائية . فالطعام يولد كهربائية بالعمل الكيماوي الذي يحدث في الاطعمة اثناء الهضم والتمثيل وكذلك التنفس فانه يولد كهربائية بالكيمياء لما يحدث من تبادل العناصر في الرئة وقس على ذلك سائر الاعمال الحيوية . فالحياة بجملتها عمل كهربائي واستدل على ذلك ان الناس يستخدمون القوة الكهربائية المولدة في البطارية لتحريك الآلات وهكذا في الاحياء فان تلك القوة تستخدم في الحركة العضلية والاعمال العقلية . فهو يرى راي فيسيولوجي اسباني اسمه الدكتور كايل ذهب سنة ١٨٨٩ الى ان الدماغ مؤلف من حويصلات مستقلة يمتد من كل حويصلة منها ليفتان او عدة الياف دقيقة لا تختلط بالياف الحويصلات الاخرى ولكنها تنتهي بالالياف العضلية . فاذا اراد الانسان ان يحرك يده مثلاً انتقل ذلك الفكر من كل حويصلة الى العضل وحركته . ويقوى المجرى او يضعف على مقدار القوة المطلوبة . فعنده ان هذا الفكر مجرى كهربائي بدليل انك لو ارسلت مجرى كهربائياً من بطارية اعتيادية الى الدماغ لأثر على العصب والعضل مثل تأثير الفكر . وعليه فالدماغ عنده عبارة عن بطارية كهربائية يشبه بطارية ماركوني فكما استطاع هذا ان ينقل المجرى الكهربائي بين بطاريتين او آلتين بدون اسلاك فالدماغ ينقل كهربائيته الى دماغ آخر على نفس هذه الكيفية . وهو رأي مبني على الخيال لا بد لنا من الصبر حتى تمحصه الايام فاما يثبت واما ينقض

الطب والاطباء سنة ٢٠٠٥

كتب الدكتور جاتيه بوازير مقالة طبية خيالية مثل بها الطب بعد مئة عام على اسلوب روائي أدخل فيه كثيراً من الاحوال الاجتماعية التي يظن الناس يصلون اليها في ذلك العصر قال :

افاق الشاب ايكاربون نجل مخترع المناطيد المجنحة التي نالت السبق بسرعتها سنة ١٩٩٥ ذات يوم في غرفته الفاخرة بالطابق العشرين بشارع بوا . فاحس بانحراف في صحته رغم ما تمتع به قبل الرقاد من الانغام الفونوغرافية المجلبة للنوم الهادىء فقضى معظم الليل ساهراً من الارق ومن تشنج في معدته وألم في رأسه فقال في نفسه « ان ذلك لا يحتمل ولا بدَّ لي من استشارة الاطباء ولا يعقل ان يعجز هؤلاء عن شفاء شاب عاش في الرغد وله ثروة طائلة في البنك » وغمز الجرس فحضر خادمه باسرع من لمح البصر مع انه يقيم في الطبقة الاولى من ذلك البناء ولكنه اسرع بركوب الرافعة العجيبة وحال وصوله قدم لمولاه الفطور من حبوب بزلو الكيماوية فلم يخفف شيئاً من آلامه فلم ير بدًّا من الذهاب الى دار الاطباء في الشارع الخامس عشر بالقرب من منزله فوصلها بمنطاده في بضع ثوان . وقد ازعجه الالم اذ لم يتعود الوقوع في المرض لانه كان قد تعاطى الحقن المصلية الواقية من الامراض العضالة كالحصبة والدفتيريا والشهقة وغيرها مما كان يصيب الاطفال في الاعصر الغابرة فهذه اول مرة طرق بها دار الاطباء . وهي قائمة على شكل مستدير حول حديقة كبيرة . ويحدق بالدار بستان كبير وقد انشئت للطب والجراحة معاً

دخل ايكاربون قاعة الانتظار واعلن قيم الدار انها اول زيارة له ووقع على تحويل بالاجرة المعينة . فادخلوه حجرة صغيرة نزعوا فيها ثيابه واجلسوه على كرسي يدور بآلات خصوصية نقلوه به الى معمل التحليل . فساله الكيماوي هناك هل يقدر ان يفرغ المثانة لفحص البول فاجاب كلاَّ . فضرب على ظهر الكرسي فتحول الى فراش توسد الشاب عليه وتدلت من السقف اداة من الخشب قليلة التحديب نزلت على اسفل بطنه وضغطت عليه ضغطاً لطيفاً يكفي لاخراج البول فانصب رأساً في وعاء التحليل . ولم تمض دقيقتان حتى سقط الى يمين المريض صحيفة فيها تحليل البول مدققاً ودخلت الصحيفة في علبة معدة لهذا الغرض معلقة بجانب الكرسي . واجروا مثل هذه العملية ايضاً لتحليل المبرزات بسرعة عجيبة بآلات معدة لذلك . واخيراً فتحوا فاه وادخلوا في معدته آلة استخرجوا ما فيها وسالوه فوقعت صحيفة تحليله في علبة معلقة بيسار الكرسي

ثم انتصب ظهر الكرسي فوقف ايكاريون واذا هو امام آلة التصوير باشعة رنتجن فصورته واضيفت صورته الى سائر صحف التحليل والفحص. ثم عاد الكرسي الى شكله الاول وانتقل به ايكاريون الى آلة لفحص العيون (أفتالمسكوب) لقياس قوة البصر ثم الى آلة لفحص الآذان لقياس قوة السمع وآلة لفحص الانف لامتحان الشم واخيرًا آلة لفحص الجلد لمعرفة مقدار حساسته . وانتهى كلٌّ من هذه الفحوص بتقرير مدون في صحيفة تقع في احدى العلبتين . ولاحظ المريض ان كلاًّ من اولئك الفاحصين يمتاز بشيء خاص في بدنه يناسب العمل الذي انيط به . ففاحص العيون كانت عيناه كبيرتين جاحظتين وفاحص الاذان أذناه كبيرتان وفاحص الانف له انف كأنه البوق الكبير . وكانت لجنة دار الاطباء قد انتخبت هؤلاء وفيهم هذه الخصائص لاعتقادها ان العضو اذا كبر حجمه قوي على العمل المتعلق به

وظن ايكاريون انهم فرغوا من فحصه لكنه ما لبث ان عاد الى مثله فجعلوا ينقلونه على كرسيه من آلة الى اخرى هذه لقياس شكل رأسه وتلك لتقدير محيط عنقه او صدره او بطنه واخرى قاسوا بها قامته واخرى امتحنوا بها قوته العضلية واخرى وزنوا بها ثقله او كثافة شعره واخرى عدوا بها انفاسه ثم جاءه طبيب كبير الاذنين عد نبضه وتسمع على ضربات قلبه . على ان هذا الفحص كله لم يستغرق الا بضع دقائق . ولم يزعج المريض مطلقًا وكل امتحان كانت تسقط صحيفته في احدى العلبتين

ولما رأى ايكاريون كرسيه يسير نحو الباب سأل احدهم « مالي ارى الصحف يتساقط بعضها في العلبة اليمنى وبعضها في اليسرى » فاجابه « ان احداها تقع اليها الصحف التي تكون نتيجة التحليل فيها صحية فتحفظ في اماكن معدة لحفظها بحيث يمكن الانتفاع بها اذا اصابك مرض جديد . واما الصحف الحاوية الاحوال المرضية فترسل الى الطبيب المركزي الذي ستصل اليه قريبًا وهو يحكم بها على ماهية مرضك و يصف لك الدواء »

ثم فتح الباب وانتقل الكرسي الى دكة حلزونية الشكل حملت ايكاريون الى قاعة بمرسح متسع قد اضيء بالنور الشديد الا القاعة فقد كانت شديدة الظلام وفيها عدة مجالس (لوجات) في كلٍّ منها مريض تحت الفحص الطبي يستحيل على رفيقه ان يراه لشدة الظلام ولكنهم يرون من يجيء اليهم من الخارج . وحمل ايكاريون اخيرًا الى غرفة في وسطها رجل رأسه هائل الحجم لم يكد يفحصه حتى قال له « انك تشكو من انحراف بسيط نتج عن اكثارك من الحبوب الغذائية . وقد كان للناس قديمًا امعاء طولها عدة امتار فلم يكن عليهم

بأس من الطعام الكثير . ولكن الاكتشافات الحديثة التي اتاها متشنكوف وتحداها الاطباء قصرت القناة المضمية كثيراً فاذا زاد مقدار الطعام عاد بالضرر على الأكل . والآن فان معدتك قد انهكها العمل ويقتضي ابدالها وهذا سهل علينا فقل لنا اي نوع من انواع الاطعمة انت عازم على الاغتذاء به في المستقبل . أتفضل ان تعيش على الحبوب من خلاصة اللحوم او من خلاصة البقول أو من كليهما ؟ لكي نبدل معدتك بمعدة حيوان يغتذي بالطعام الذي اخترته . ما رأيك ؟ ان السكين حاضرة والعملية بسيطة جداً »

فاستمهله ايكاريون ريثما ينظر في الامر وقد وجد بعد اعمال الفكرة ان اهل الزمن القديم كانوا اسعد حالاً من أهل زمنه !



تصوير الانغام

او الايدوفون

اصطنعت مسز وطس هيوز آلة ترسم اشكالاً هندسية ورسوماً جميلة بحركة الانغام الموسيقية . وهي عبارة عن اسطوانة بشكل القمع على فوهتها الواسعة رق من الكاوتشوك مشدود كما تشدّ رقوق الجلد على آلات النقر . وأنبوب كالناي او الفلوت ينفخ فيه الموسيقي ويصل اسفله بقاع الاسطوانة من الطرف الضيق

فاذا أركزت الاسطوانة كما تراها في الشكل وطرفها الواسع المشدود عليه الرق نحوَ الاعلى ووضعت على الرق حبوباً متساوية الحجم كالعدس او الارز او نحوهما ونفخت في الانبوب نفخاً موسيقياً اهتزّ الرق وتحركت فوقه الحبوب وترجرجت فيتغير وضعها حسب الاصوات وقوتها والمسافات بينها على صور هندسية تختلف اشكالها باختلاف الانغام فيكون لكل نغم شكل خاص به وقد سموا هذه الآلة ايدوفون

غرقت عندها فانا وفيها اربعمائة الف ليرة انكليزية من الذهب . والبارجة « سان بدرو » الاسبانية التي غرقت في خليج كومانا في فنزويلا وفيها ٤٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية والباخرة لوقاريا » التي غرقت على مقربة من رأس ساننا إلينا وتحمل ٣٥٠,٠٠٠ ليرة انكليزية ذهباً . والباخرة « سقارة » التي غرقت بقرب جزيرة هواميلين على شاطىء شيلي وتحمل ٣٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية من الذهب . والباخرة الانكليزية التي غرقت في خليج شيزاباكي وتحمل ١٠٠,٠٠٠ ليرة انكليزية من الذهب . والبارجة الانكليزية « سقرن » التي غرقت بقرب جزيرة ترك وتحمل ١٠٠ الف ليرة انكليزية ذهباً والباخرة الانكليزية « مدغسكر » وغرقت عند رأس بورت فيليب وفيها ٢٠٠ الف ليرة انكليزية من السبائك المعدنية

مطبوعات جديدة

حياتنا التناسلية

الطبعة الثانية

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى منذ اربع سنوات ولم تمض بضعة اشهر حتى نفدت معظم نسخه ونفد ما بقي منذ عامين والناس يلحون في طلبه فتقدمنا الى مؤلفه الدكتور سعيد ابو جمره في اعادة طبعه فاعاد فيه نظره ونقحه وزاد فيه فصولاً جديدة اتماماً للفائدة . وقد صدرت الطبعة الثانية في نحو ٢٥٠ صفحة مزينة بالرسوم والاشكال . وهو كتاب صحي سري يقرأه الناس في خلواتهم ويستفيدون منه فوائد لا يمكن الوصول اليها من طريق آخر لان الخجل يمنعهم من التصريح بها للاطباء . فضلاً عما يرتكبه الناس من الخطأ في احوالهم الزوجية ونحوها مما يضر بهم وباولادهم ولا يظهر ضرره الا بعد فوات الفرصة . فهذا الكتاب يرشدهم الى ملافاة هذه الاخطار قبل وقوعها وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢ غرشاً والبريد غرشان

﴿ النهضة الشرقية ﴾ ما اجمل اهل الوجاهة والثروة اذ انخرطوا في سلك الادباء وذلك كثير في اوربا واميركا ولكنه نادر بيننا لا يزيد عدد اصحابه على عدد اصابع اليد الواحدة ومن ذلك العدد القليل سعادتلو عطا بك حسني صهر العائلة الفخيمة الخديوية . فانه من المشتغلين بالادب الراغبين في الانشاء وله رسائل في التاريخ والاجتماع نشرت في

اهم الجرائد اليومية · و بين يدينا الآن كتابهُ في النهضة الشرقية ويشتمل على اقوال وافكار مع نظرة اجماليـة في الاستانة العلية · وفي جملة ذلك فصول في هذه النهضة على اختلاف وجهاتها ولا سيا من حيث السياسة وعلاقتها بالدولة العثمانية · وابحاث في وصف الاستانة واحيائها ومساجدها ومكاتبها وجيوشها وشوارعها ودوائر الحكومة فيها والبوسفور وقلاعه وكلام عن الدردنيل وبيره واثينا وغيرها · وقد عني بجمع هـذه الآثار ونشرها حضرة عبد المسيح بك الانطاكي صاحب العمران — فنثني على سعادة المؤلف ونرجو ان يواصل العمل بامثال هذه الخدمة

تاريخ اداب الفرس Literary Hist. of Persia صدر هذا الكتاب باللغة الانكليزية لصاحبه الاستاذ ادوارد برون المستشرق الشهير في جامعة كمبريدج · وهو مطول في تاريخ اداب الفرس واشعارهم وعلومهم من اقدم ازمنتهم الى اليوم وقد صدر جزوءهُ الأول منـذ بضعة اعوام ويبحث في تاريخ تلك الآداب من اقدم ازمنة التاريخ الى اول عصر الفردوسي هوميروس الفرس · و بين يدينا الجزء الثاني منهُ وهو يبحث في آدابهم من عصر الفردوسي الى زمن السعدي · وفيه تفصيل وافٍ وبحث دقيق لم يتوفق الى مثله احد من قبـل لسعة اطلاع المؤلف في اللغة الفارسية وآدابها وسائر اللغات الشرقية فضلاً عن اللغات الافرنجية · فتمكن بذلك من الاحاطة بالموضوع من كل اطرافه · وصفحات الجزء الثاني وحدهُ ٥٨٥ صفحة قطع وسط · وفي ذيل الكتاب فهرس ابجـدي دقيق لما ورد في الجزئين من الاعلام والمواضيع فنحث قراء اللغـة الانكليزية على مطالعة هذا الكتاب النفيس وهو يطلب من مكتبة :

T. Fisher Unwin, Adelphi Terrace, London

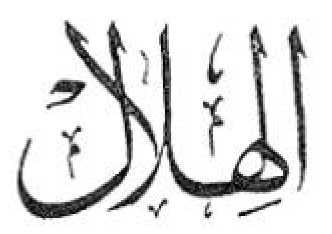
مسامرات الشعب لايدّخر خليل بك صادق صاحب مسامرات الشعب وسعاً في اتقان مجلته هذه والزيادة في تحسينها معنىً ومبنى فيختار احسن القصص موضوعاً والطفها اسلوباً و يوعز بترجمتها الى العربية ثم ينشرها اجزاء متتابعة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق متين · ومما احدثهُ من التحسين في سنتها الثالثة انهُ عمد الى رواية من خيرة الروايات الفرنساوية تدخل في عدة اجزاء فعهد بنقلها الى نقولا افندي رزق الله الكاتب الشاعر المعروف فسبكها في قالب عربي سهل صحيح وسماها « الطفل المفقود » · وهي تصدر تباعاً جزءاً كل نصف شهر وقد صـدر منها الى الآن اربعة اجزاء ولا يسع القارىء اذا اخذ بمطالعة هـذه الرواية ان يتركها قبل الاتيان على آخرها · ويشفق مع ذلك ان يصل الى

آخر صفحة منها حرصاً على ما يلقاه في خلالها من الفوائد التاريخية والحكم الادبية · وبدل اشتراك مسامرات الشعب ٣٠ غرشاً في العام بمصر والسودان ونصف جنيه بالخارج يصدر منها في العام عشرون عدداً صفحات كل منها نحو ٢٠٠ صفحة فنحث الادباء على الاشتراك فيها

﴿ موريس او الابن الغريب ﴾ رواية عصرية حدثت بين الترانسفال و بلاد الانكليز نقلها من الانكليزية حضرة كامل افندي بطرس بحسابات السكة الحديدية بعبارة عربية يندر مثلها صحة وبلاغة في ما ينقله ادباؤنا من المؤلفات الافرنجيــة · وقد جعلها هدية الى صديقه محمد افندي امام العبد الشاعر العصري المشهور · و يسرنا التفات كتابنا الى ترقية الانشاء في ما يقرأه العامة كالروايات ونحوها وانما يسوؤنا انهم لا يزالون يغفلون اسم المؤلف الذي يترجمون روايته كما فعل مترجم رواية موريس التي نحن في صددها · وقد اخذنا عليهم ذلك غير مرة فنعيد قولنا ان المترجم مطالب شرعاً وعرفاً ان يذكر اسم المؤلف الذي نقل عنه كما يذكر اسم كتابه · والقارىء اذا طالع رواية فكأنه يخاطب مؤلفها فلماذا يريد ادباؤنا ان يحرموا القراء من معرفة اسماء مخاطبيهم ؟

﴿ وقائع الحرب ﴾ هي اربع قصائد نظمها حضرة فارس افندي الخوري نزيل دمشق الشام في تاريخ حرب الروس واليابان التي نشبت في ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ وانقضت في ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ وقد عني بنشر هذه القصائد الدكتور حسين حيدر في كتاب على حدة وهي من قبيل الملاحم في وصف الوقائع والحروب على مثال الياذة هوميروس فاجاد حضرة الناظم في وصف الوقائع واستخدم الخيال في تمثيل اهوال الحرب وضمنها كثيراً من الحكم الفلسفية ووصف العواطف البشرية في اسلوب سهل وقد نشرنا مثالاً منها في مكان آخر من هذا الهلال

﴿ الدرر ﴾ هو منتخبات ما جادت به قريحة المرحوم اديب اسحق احد اركان الانشاء في نهضتنا الادبية الصحافيــة نظماً ونثراً · وقد طبعت للمرة الاولى في الاسكندرية سنة ١٨٨٦ وعني باختيارها وجمعها جرجس افندي مخائيل نحاس محرر جريدة المحروسة يومئذ بنفقته ونفقة خليل افنــدي النقاش · فتهافت الادباء على اقتنائها لما حوته من اساليب الانشاء العصري في المواضيع السياسية والادبية والاجتماعية والتهذيبية والشعرية ونفدت نسخها من عهد بعيد · فتصدى بعضهم لاعادة طبعها وجاءنا الجزء الاول من الطبعة الجديدة وهو يحتوي على اشعار اديب ورسائله وخطبه ورواية اندروماك ويظهر لنا من تصفحه ان ناشر هذه الطبعة قد زاد فيها ونقحها فنحث الادباء على اقتناء هذا الكتاب فانه من خيرة ما يحسن تحديه من الاساليب الانشائية



الجزء الخامس من السنة الخامسة عشرة

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ و ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٤



حجة اللغة العربية وامام الانشاء

ولد سنة ١٨٤٧ وتوفي سنة ١٩٠٦ م

تمهيد

تاريخ اللغة

اللغة كالامة تقع وتنهض وتثقف وتنمو وتتقلب على احوال العسر واليسر كما يتقلب الناطقون بها . ولو اتيح لنا الرجوع الى احوال هذا اللسان في العصر الجاهلي القديم لرأينا انه تقلب على احوال شتى واختلفت احواله باختلاف العصور مما يعسر تحقيقهُ فنكتفي بما بلغنا من احواله مما ادركه التاريخ في اواخر زمن الجاهلية . فقد علمنا انه نهض في القرنين الاول والثاني قبل الاسلام نهضة حسنة بمن نبغ من اهله في الشعر والادب والخطابة . ثم نهض نهضته الكبرى بالاسلام وانتشار القرآن بما ترتب على حفظه وضبطه وتفسيره

من العلوم الاسلامية واللسانية والادبية فنمت اللغة بذلك نموًّا كبيرًا ودخلها كثير من المفردات وتعددت فيها المصطلحات فاكتسبت الفاظها معاني جديدة ونبغ من ابنائها الشعراء والادباء والنحاة واللغويون والحفاظ والمفسرون وغيرهم . ثم نهضت نهضة ثالثة في العصر العباسي بما اقتضته طبيعة العمران من ترجمة كتب العلم والفلسفة والطب من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية فدخل اللغة العربية الفاظ اعجمية وتولد فيها مصطلحات جديدة والفت بها الكتب في مواضيع كثيرة . وطالت نهضتها هذه واتسعت ابحاثها وتقلبت على احوال كثيرة ثم اخذت بالتقهقر بعد ذهاب دولة العرب وما زالت في الانحطاط حتى نهضت نهضتها الاخيرة في اول القرن الماضي على ما فصلناه في كتابنا « تاريخ اللغة العربية »

اللغة العربية والنصرانية

كانت آداب اللغة العربية مباحة في الجاهلية بين العرب على اختلاف اديانهم ونزعاتهم فنبغ الشعراء والخطباء والادباء من النصارى واليهود واهل الاوثان على السواء بل كانت غالبة في اهل الكتاب ولاسيما النصارى لسهولة احتكاكهم بالروم وهم اقرب الامم المتمدنة الى جزيرة العرب في ذلك العهد . فكان اقدر العرب على قراءة الكتب واكتساب العلم النصارى واليهود فنبغ منهم الشعراء والخطباء واكثر شعراء الجاهلية منهم . فلما جاء الاسلام والقرآن عربيٌّ نهضت اللغة واكثر المشتغلين بها من المسلمين العرب والموالي لتعزز ذلك على اهل الذمة في صدر الاسلام لبعدها عن مألوفهم او لانكارها عليهم لما يقتضيه درسها من معرفة آي القرآن وقد اشترط النصارى على انفسهم في عهد عمر ان لا يعلموه لاولادهم . — ذكر المبرد ان ابا عثمان المازني جاءه يهودي وسأله ان يقرئه كتاب سيبويه و بذل له مائة دينار فامتنع ابو عثمان من ذلك — قال المبرد فقلت له « سبحان الله تردُّ مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد » فقال « نعم يا ابا العباس اعلم ان كتاب سيبويه يشتمل على ثلثمائة آية من كتاب الله ولا أرى ان امكن منها ذمياً » — وزد على ذلك انصراف اهل الذمة في العصر العباسي الى العلوم الطبيعية والفلسفية نقلاً او تاليفاً حتى كان اكثر مؤلفي هذه العلوم ونقلتها منهم وقد بينا ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي (ج ٣) فلا عجب اذا لم ينبغ في علوم اللغة وآدابها احد من النصارى او اليهود في ابان ذلك التمدن

فلما تدحدر التمدن الاسلامي وتقهقرت آداب اللغة العربية كان اهلها شركاء في الانحطاط . على ان المسلمين كانوا ارسخ قدماً في ملكة اللغة للسبب الذي قدمناه من علاقة

ذلك بالقرآن وسائر العلوم الاسلامية واللسانية · اما النصارى العرب فزادهم انحطاط الدول الاسلامية بعداً عن ملكة اللغة بطبيعة المدنية ولذلك قلما نبغ منهم كاتب عربي او مؤلف بالآداب العربية في القرون الاسلامية الوسطى · على انهم كانوا في اثناء النهضة العباسية وما بعدها يؤلفون الكتب العربية في الطب او الفلسفة وفيها بلاغة وسلاسة مجاراة لتيار النهضة العامة — وان لم يشتغلوا بعلوم اللسان نفسها · فاصبحوا في عصر الانحطاط اذا كتبوا بالعربية جاؤوا بالركيك الضعيف حتى اصبح اهل هذا اللسان يستعيذون من نحو النصارى كما يستعيذون من سكر المسلمين وغناء اليهود وجرى ذلك على السنتهم مجرى الامثال · ولو اطلعت على ما الفه النصارى في تلك القرون لرأيت عجباً من الركاكة والتعقيد واكثر ما الفوه في الطقوس الدينية او الصلوات · حتى في اوائل هذه النهضة ولا سيما في ما نقلوه عن بعض الالسنة الافرنجية فانك ترى العجمة غالبة فيه فضلاً عن ضعف العبارة و بعدها عن الاسلوب العربي حتى لقد تؤثر وانت عربي ان تطالعها في اللسان الذي نقلت عنه فيسهل عليك فهمها اكثر مما لو طالعتها في الترجمة العربية

النهضة الاخيرة

ما زالت هذه حال اللغة وآدابها الى اوائل القرن الماضي فنهضت نهضتها الاخيرة وقد بدأت بمصر في ولاية المغفور له محمد علي باشا كما هو مشهور · ولمصر فضل خاص بحفظ اداب هذه اللغة في القرن الوسطي بالجامع الازهر · فكان المسلمون في سائر العالم الاسلامي لا مرجع لهم في درسها غير هذه المدرسة الكبرى · ولم يكن للنصارى حظ من ذلك لانحصار التعليم في المسجد وهم لا يدخلونه — الا من رغب في ذلك على سبيل الاستثناء فيتظاهر بالاسلام ليسهل عليه حضور الدروس · فللجامع الازهر الفضل الاكبر في حفظ اللغة العربية والآداب الاسلامية في اثناء القرون الاسلامية الوسطى اذ استعان بها اهل هذا الجيل في نهضتهم الاخيرة · مثل فضل الكنائس باوربا في حفظ الآداب النصرانية باثناء قرونها المظلمة حتى اذا افاقوا من غفلتهم بعد انقضاء الحروب الصليبية كانت اساس ما أرادوه من انشاء التمدن الحديث

وكان مسلمو الشام يؤمّون وادي النيل لتلقي العلم بالازهر واشهر علمائها وأئمتها وفقهائها من تلامذته · اما النصارى فمن احب التوسع في آداب اللغة قرأها على بعض المسلمين او اقتبسها من الكتب · على ان اهم مدارس النصارى كانت في الاديرة ونحوها وقد نبغ من مسيحيي الشام في اوائل القرن الماضي جماعة من الكتاب والشعراء والف بعضهم معجماً

وبعضهم نظم ديوانًا والف آخرون الكتب في مواضيع مختلفة والمسلمون يعدونها ضعيفة الانشاء والمسيحيون لا ينكرون ذلك

وتوالت الارساليات الدينية الاجنبية الى بيروت في اواسط القرن الماضي للتعليم والتبشير واهمها الارسالية الاميركانية · وكان المرسلون الاميركان في بادىء الرأي يصرفون عنايتهم في مدارسهم لتعليم اللغة الانكليزية · ثم رأوا همتهم لا تاتي بالثمر المطلوب الاَّ اذا علموا اللغة العربية وآدابها فلم يكن لهم بدٌّ من استخدام الاساتذة المسلمين المتخرجين في الازهر او من قرأ عليهم من نصارى لبنان اذا تيسر لهم ذلك · فكانوا يقاسون عذابًا أليمًا في التفتيش عن معلمين للغة العربية وكانوا يلجأُون غالبًا الى الاديار لان العلم كان محصورًا فيها كمدرسة دير المخلص ومدرسة عين ورقة



الشيخ ناصيف اليازجي

ولما انشأُوا المطبعة الاميركانية واصطنعوا الحروف العربية لطبع التوراة وغيرها ازدادت حاجتهم الى معلمين ومنقحين ومترجمين ومبشرين فاستخدموا غير واحد من نصارى بيروت او لبنان · واتفق في اثناء ذلك خروج ابراهيم باشا من سوريا ومعه الامير بشير الشهابي سنة ١٨٤٠ وعقب ذلك نزاع بين الدروز والمسيحيين آل الى نزوح بعض نصارى لبنان الى بيروت وفي جملتهم الشيخ ناصيف اليازجي وآل اليازجي بيت وجيه في غربي لبنان كان الحكام اذا كاتبوا احدهم خاطبوه بقولهم « حضرة عزيزنا »

وكان الشيخ ناصيف كاتباً شاعراً في معية الامير بشير الشهابي وجاء بيروت فراراً من الدروز واخبرنا الذين عاصروه انه ظل عدة سنين يخاف الاقامة في الجبل . فلما جاء بيروت اغتنم المرسلون الاميركان قدومه وجعلوه معلماً في مدارسهم ومصححاً في مطبعتهم فزاده ذلك رغبة في اداب اللغة العربية ولا سيما الشعر فنظم القصائد والف الكتب لتعليم هذا اللسان في مدارس الاميركان وغيرها من المدارس التي انشئت على اثر المهاجرات المتوالية وخصوصاً مهاجرة ١٨٦٠ بعد حوادثها المشهورة و تسعت شهرة اليازجي بين الادباء وراسله الشعراء من الشام ومصر والعراق وغيرها والناس يعجبون من تصديه للغة العربية و يتهمونه بالضعف لنصرانيته واتخذ ذلك بعضهم سبيلاً للطعن في شعره وادبه فلم يقف ذلك في طريقه وخلّف من الآثار الكتابية نثراً وشعراً ما خلد ذكره وقد توفي سنة ١٨٧١ ولا تزال كتبه تعلم حتى الآن في مدارس كثيرة [1] وطبقت شهرته الخافقين . ورغب نصارى الشام على اثر ذلك درس اللغة العربية وآدابها ونبغ منهم المنشئون والشعراء والعلماء وخدموا هذه النهضة خدمة حسنة . ومرَّ بهم زمن كانوا فيه اساتذة الانشاء الصحافي في العالم العربي



الشيخ خليل اليازجي

(١) راجع ترجمته في كتابنا تراجم مشاهير الشرق ج ٢

خلف الشيخ ناصيف ستة ابناء ذكور اشهرهم اثنان المرحوم الشيخ خليل المتوفى سنة ١٨٨٩ وكان شاعراً بليغاً وقد ترجمناه في الجزء الثاني من مشاهير الشرق . ثم فقدنا بالامس الشيخ ابراهيم وهو ابعدهم شهرة واعلاهم كعباً

الشيخ ابرهيم

ترجمة حاله

ولد رحمه الله في ٢ اذار سنة ١٨٤٧ في بيروت ونشأ فيها وتلقى مبادىء العلم عن ابيه اليازجي الكبير ولا سيما اصول اللغة وقواعدها . على ان اكثر ما اكتسبه من العلوم واللغات انما قرأه على نفسه واكتسبه بجدّه وذكائه . وقد ورث الخيال الشعري عن ابيه فنظم الشعر وهو صبيٌّ وزاول النظم في شبابه . فلما قارب الكهولة عدل عنه الى الاشتغال بسواه الا ما قد ينظمه لحادث او باعث . وكانت قد اشتهرت منزلته في جودة النظم فتقاضى اليه الادباء يستفتونه او يستشيرونه او يحكمونه في قصيدة او مسألة . ولم يكن مجلسه يخلو من بحث ادبي او شعري فتحدق به حلقة من ادباء بيروت ولبنان وكلهم آذان تسمع ما يتلوه عليهم او يصدر حكمه فيه من شعر او نثر . غير ما كان يرد عليه في هذا الشأن من رسائل الشعراء وغيرهم مما كاد يستغرق وقته ويشغله عن سواه فصمم على ترك الشعر وتفرغ لدرس اللغة وآدابها وعلومها . فعكف على المطالعة فدرس الفقه الحنفي على الشيخ محيي الدين اليافي احد مشاهير أئمة بيروت

وكانت الصحافة البيروتية في اوائل نهضتها ومن جرائدها يومئذ « النجاح » فعهد اليه بتحريرها سنة ١٨٧٢ فظهر اقتداره على الانشاء العصري مما لم يعهد الناس مثله في المرحوم ابيه . فضلاً عن تمكنه من قواعد اللغة ومعاني الفاظها . وكان المرسلون الاميركان لما ارادوا نقل التوراة الى اللسان العربي في أواسط القرن الماضي استعانوا في تنقيح مسوداتها وضبط عبارتها من حيث اللغة والاعراب بالمرحومين الشيخ ناصيف والمعلم بطرس البستاني ثم بالشيخ يوسف الاسير . ولكنهم التزموا الترجمة الحرفية ولم يبيحوا للمصححين التصرف بالاسلوب فجاءت عبارة ترجمتهم ضعيفة . ثم عمد الآباء اليسوعيون الى ترجمة الكتاب المقدس ترجمة كاثوليكية فاستعانوا بالشيخ ابراهيم وفوضوا اليه تنقيح العبارة من حيث الانشاء فضلاً عن الضبط النحوي واللغوي . فقضى في ذلك وفي تصحيح كتب أخرى تسع سنين وقد درس اللغة العبرانية على نفسه لتطبيق عبارة التعريب على الاصل

فجاءت ترجمة اليسوعيين اصح ترجمات التوراة العربية لغة وافصحها عبارة واجزلها اسلوباً • ويصدق ذلك على الخصوص في العهد القديم اما العهد الجديد فقد اخبرنا رحمه الله انهم لم يطلقوا يده في تنقيحه كما يشاء • وكان في اثناء ذلك وبعده يعلم المعاني والبيان وآداب اللغة في المدرسة البطريركية فتخرج عليه جماعة من اذكياء الشبان اشتهر بعضهم بالصحافة وبعضهم بالتجارة او الادارة • وتمم بعض ما تركه والده غير كامل من المؤلفات او الشروح واشهرها ديوان المتنبي • وكان والده قد علق على بعض ابيات المتنبي شرحاً موجزاً فعكف هو على اتمامه سنة ١٨٨٢ فاتمه في اربع سنوات شرحاً وطبعاً • وهو مشهور بضبطه وبما ألحقه به من النقد الشعري

وكانت الصحافة السورية قد نمت وظهرت مجلة الجنان ثم مجلة المقتطف وتحدث الناس بهما وبما استفادوه منهما فاحب الشيخ الرجوع الى الصحافة العلمية وكان الدكتور بوسط الجراح الشهير قد انشأ في بيروت مجلة طبية سماها « الطبيب » فاتحد الشيخ مع صديقيه المرحوم الدكتور بشارة زلزل والدكتور خليل سعاده نزيل القاهرة واصدروا الطبيب معاً سنة ١٨٨٤ نشر فيه الشيخ فضلاً عما كان يكتبه زميلاه من المقالات الطبية والعلمية مقالات لغوية وادبية انشأها من الطبقة الاولى • وحجب الطبيب عن قرائه في السنة التالية • ثم استأنف اصداره الدكتور اسكندر بك البارودي ولا يزال يصدر في بيروت حتى الآن

ترك الشيخ تحرير الطبيب ونفسه تتطلب الشهرة الصحافية • ورأى الآداب العربية والصحافة قد تحولتا الى مصر بما اطلق فيها من حرية الاقلام والاقوال فعزم على المجيء اليها لانشاء مطبعة ومجلة علمية • واتفق على ذلك مع الدكتور زلزل شريكه في الطبيب فبرح الشيخ مدينة بيروت سنة ١٨٩٤ وعرج ببلاد الافرنج اعدّ بها بعض ما يقتضيه مشروعهم من الآلات ونحوها • ثم جاء القاهرة وأنشأ مع زميله المشار اليه مطبعة البيان واصدرا مجلة البيان سنة ١٨٩٧ ثم حجباها بعد سنة وافترقا • واستقل الشيخ بانشاء « الضياء » سنة ١٨٩٨ وهي مجلة علمية ادبية صحية صناعية اشتهرت بمتانة انشائها وفصاحة عبارتها وبلاغة اسلوبها كما سنبينه • وما زالت تصدر حتى حال الاجل دون اصدارها بعد انقضاء عامها الثامن • وكان رحمه قد أصيب بداء الروماتزم في اواخر الصيف الماضي بعد تحرير آخر اعدادها فلما استبطأ الشفاء اعلن توقيفها ريثما يبل من الداء وما علم انه الداء الأخير • ففاضت روحه في المطرية بعد ظهر ٢٨ دسمبر الماضي سنة ١٩٠٦ وهو في الستين من عمره ولم

يتزوج • ولم يبق من بيت اليازجي بعده الا الشيخ حبيب ابن اخيه الشيخ خليل • فاحتفل اصدقاؤهُ ومريدوه بدفنه في اليوم التالي احتفالاً يليق بمنزلته • فحملوا جثته بقطار خاص من المطرية الى القاهرة • ومشى في جنازته من المحطة جمهورٌ كبير من خاصة الادباء والوجهاء واوصوا ان يرجئوا التأبين الى يوم آخر يعين في وقت آخر على ان يكتفى ساعة الدفن بتابين يقوله صديقنا البستاني • فتلا خطاباً قليل الالفاظ كثير المعاني بين به عظم المصيبة بذهاب الشيخ اليازجي بقية ذلك البيت الكريم • وابنهُ على الضريح ايضاً نظماً ونثراً خليل افندي المطران وقسطاكي بك حمصي ورشيد افندي مصوبع • ويشتغل الفضلاء في اعداد الحفلات لتابينه اولها حفلة عقدها لهذا الغرض محفل اللطائف بمصر في ١٨ يناير الماضي وحفلة اقامها محفل المحبة بالاسكندرية في ٢٢ منه وحفلة سيعقدها اصدقاء الشيخ بمصر لم يعين وقتها بعد وربما عقدوا حفلات اخرى في سوريا وغيرها

وقد شاركنا في هـذا المصاب سائر ارباب الاقلام والشعراء من اخواننا المصريين فرثوا الشيخ وأبنوه وعددوا مآثرهُ واسفوا على فقده جزاهم الله خيراً • على ان الشعور بهـذه الفاجعة شمل سائر طبقات الامـة حتى سمو الامير حفظهُ الله فلما بلغه نعي الفقيد امر مستشرفاني سموه ان يكتب الى الشيخ حبيب كتاب تعزية هذا نصهُ :

جناب الفاضل الشيخ حبيب اليازجي

لما علم الجناب الخديوي العالي بعظيم رزء اللغة العربية وآدابها لانتقال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي من هـذه الدار الفانية الى الدار الباقية اظهر مزيد اسفه على انقضاء تلك الحياة الطيبة الحافلة بجلائل الخدم للعلوم العربيـة في القطرين مصر والشام وامرني سموه الفخيم ان ابلغ جنابكم وسائر اعضاء الاسرة اليازجية تعزيته السامية واني اشترك مع قراء العربية في تقديم واجب التعزية الى حضراتكم

مستشرفاني الخديوي

احمد زكي

والفقيد رحمه الله حائز على الوسام العثماني من جلالة السلطان وعلى نوط العلوم والفنون من جلالة ملك اسوج ونروج وانتدبته كلٌّ من الجمعية الفلكية في باريس وفي انفرس والجمعية الفلكية الجوية في السلفادور ان ينتظم في عضويتها

اخلاقه وصفاته

كان ربع القامة نحيف البنيـة عصبي المزاج حاد البصر ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضر الذهن لطيف المحاضرة حلو المفاكهة لا يملُّ مجلسهُ يطرب للنكتة الادبية ويضحك

لها · وكان مع ذلك شديد الحرص على كرامته لا يحتمل مسها في جدٍّ او هزل تلميحاً ولا تصريحاً · وكان سريع الانتباه لما يتخلل احاديث المجالس من الاشارات الادبية · وكان متعففاً بطعامهِ وشرابهِ ولولا ذلك ما صبر على معاناة صناعة القلم بضعة واربعين عاماً مع نحافة بنيتهِ · وقضى اعوامهُ الاخيرة يقتصر في عشائهِ على كأس من اللبن خوف التثقيل على معدته · وانما العمدة في الغذاء على اكلة الغداء ولم يكن نهماً · واما في الصباح فيتناول طعاماً خفيفاً ويعكف على العمل فاذا تعدى الظهر شرب قهوته ودخن شيشتهُ ونام · ثم ينهض ويقضي بقية النهار في الراحة او في عمل لا يتعبهُ ويخرج لترويح النفس في بعض الاندية يلاعب بعض معارفه بالنرد على سبيل التسلية او يقضي ذلك الوقت بالمباسطة والمفاكهة · فاذا آن العشاء عاد الى منزلهِ فتناول اللبن واستأنف العمل وكان مولعاً بتدخين الشيشة في اثناء الكتابة كما كان والده مولعاً بالقهوة وتدخين التبغ في ذلك الحين

وكان عفيف النفس كثير الاباء ظاهر الانفة الى حدّ الترفع ولا سيما في ما يتعلق بالارتزاق يعدُّ مجاملة الناس في سبيل الكسب تملقاً وكلما قلَّ ماله زادت انفته وعظم اباؤه وكثيرًا ما اراد اصدقاؤه اقناعهُ ان سنَّة الارتزاق تقضي بمجاملة الناس والتقرب من كبارهم بالحسنى · فربما اطاع ناصحه برهة ثم يعرض له خاطرٌ فيعود الى الاباء · ولولا ذلك لعاش في سعة وراحة ولكن القناعة كانت من اكبر اسباب سعادته

على انه كان يشتغل بالقلم التماساً لتلك اللذة التي كثيرًا ما اغوت اصحاب القرائح واستنزفت قواهم فعاشوا فقراء وماتوا اعلاء · ولو اراد الشيخ مجرد الارتزاق لكان لهُ مما فطر عليه من دقة الصناعة اليدوية خير سبيل · بل لم يكن يعدم منصباً في بعض مصالح الحكومة وقد ندب ان يكون قائم مقام على مدينة زحلة من لبنان سنة ١٨٨٢ فلم يقبل

ومن ابائه وكرم اخلاقه انه كان صادقاً في معاملته على اختلاف وجوهها لا يخلف ولا يخلف اميناً في ما ينقلهُ او يقتبسهُ من الآراء او الاقوال ينسب الفضل الى صاحبهِ · وكان عكس ذلك في ما يفعلهُ هو مع الآخرين من تصحيح مقالة او تنقيح عبارة فانهُ كان شديد الانكار لذلك ولكن ديباجته كانت تنمُّ عليهِ لظهور اسلوبهِ من خلال السطور

وكان برًّا بابيهِ وقد خدم اسمهُ وزاد في شهرته بما اتمهُ من آثاره او شرحه من كتبه فانفق في سبيل ذلك جانباً كبيرا من وقته واتم شرح المتنبي او هو شرحهُ كله فنسب الشرح الى والده واستبقى لنفسه فضل التتميم

قرائحه ومواهبه

اظهر قرائحه الاتقان الفني فانه كان متأنقاً في اتقان ما يتعاطاه من صناعة او ادب او شعر سواء اصطنعه بيده او انشأه بقلمه او نظمه بقريحته بما يعبر عنه الافرنج بقولهم Artiste فكنت ترى التأنق والاتقان ظاهرين في كل عمل يعمله حتى في لباسه وجلوسه ومشيه وكلامه وطعامه • وكل ذلك فرع من تأنقه في الصناعة اليدوية فكان حفاراً ماهراً ومصوراً متقناً • ظهر ميله الى ذلك منذ حداثته — حدثنا صديقنا المستر ادوار فانديك نجل استاذنا الدكتور فانديك انه عرف الشيخ الفقيد منذ نيف واربعين سنة اذ كان يتردد على مطبعة الاميركان في بيروت وادارتها يومئذ بيد الدكتور فانديك وكانت للشيخ ناصيف علاقة حسنة بالاميركان من التعليم بمدارسهم والتصحيح في مطبعتهم كما قدمنا — قال صديقنا المشار اليه انه كان يلاحظ في الشيخ ابراهيم من ذلك الحين ميلاً خصوصياً لصناعة الحفر وكثيراً ما كان يحفر الاختام على سبيل اللهو ثم حفر الصور والنقوش • وخطر له يوماً ان يصطنع روزنامة عربية تعلق على الحائط من قبيل الروزنامات الشائعة ولم تكن معروفة يومئذ بالعربية فاستأذن الدكتور فانديك في استخدام بعض ادوات المطبعة لحفر الاحرف والاشكال اللازمة لهذا العمل فأمر رئيس العمال في ذلك العهد موسى عطا ان لا يمنعه شيئاً يحتاج اليه في هذا السبيل • فتأنق الشيخ في رسم حروف الروزنامة وارقامها حتى اتمها على اجمل ما يكون وهي اول روزنامة عربية من هذا النوع

على ان تأنقه ظهر اولاً في خط يده فكان جميل الخط من حداثته وظل خطه جميلاً الى آخر ايامه وقاعدته فارسية • والذين يقرأون رسالة بخطه لا يكون اعجابهم بجمال ذلك الخط اقل من اعجابهم ببلاغة اسلوبه • ومن هذا القبيل تأنقه في التصوير باليد حتى صوَّر نفسه عن المرآة صورة ناطقة رأيناها معلقة في منزله • واهمُّ ما نجم من ثمار هذه القريحة اصطناعه الحروف الحديثة التي سنذكرها في جملة آثاره

انشاؤه

ومن قرائحه اقتداره الغريب على الانشاء المرسل مع سلامة ذوقه في انتقاء الالفاظ • واسلوب عبارته جمع بين المتانة والبلاغة والسهولة يشبه اسلوب ابن المقفع شبهاً اجمالياً ولكنه من اكثر وجوهه خاصٌّ بالشيخ • على ان انشاء ابن المقفع لم يصل الينا كما كتبه صاحبه ولكنه جاءنا بعد ان هذبته اقلام المنشئين ونقحته قرائح اللغويين زهاء اثني عشر قرناً • اما الشيخ فلم يمس عبارته سواه ناهيك بما يعترض الكاتب اليوم من المعاني الجديدة

التي لم يعرفها القدماء وليس في المعجمات لفظ يدل عليها مما يقف عثرة في طريق المنشئين

اما فقيدنا اليازجي فكان يتخطى هذه العقبات على اهون سبيل فجاءت عبارته خالية من غريب اللفظ ووحشي التركيب • وقد ياتي باللفظ الغريب فيضعه موضعاً يجعله مالوفاً فلا يمجه السمع ولا ينكره الفهم • فكان اسلوبه بليغاً بلا تقعر او تعقيد سهلاً بلا ضعف او ركاكة متسلسلاً متناسباً متناسقاً يطابق ما قدمناه من توخيه التانق والاتقان في كل شيء • ورغبته في الاتقان حملته على التأني في نشر ما يكتبه فكان لا يرسل المقالة الى المطبعة الا بعد تنقيحها وتهذيبها ثم يكتبها بحرف واضح جلي كانه سلاسل الذهب حذراً من الوقوع في الخطأ فآل ذلك الى ابطائه • في اخراج بنات افكاره وقلل مقدار ما كان يرجى الحصول عليه من ثمار علمه ودرسه

ومما حمله على المبالغة في التأني انه كان شديد الوطأة في انتقاد ما يعرض له من الغلط اللغوي في ما يقرأه من الصحف او الكتب — وذلك طبيعي في من يخصص بحثه في فرع من فروع العلم يستقصيه ويدرس دقائقه فيكثر ما يقع عليه نظره من الغلط في ما يكتبه سواه في ذلك الفرع فلا يصبر على السكوت عنه ولاسيما اذا كان عصبي المزاج مطبوعاً على التأنق والاتقان مثل فقيدنا . فالانحراف عن الصواب كان يؤلمه ولا يشفي أَلمه غير النقد . ويمتاز نقده بشدة اللهجة وبما يتخلله من قوارص الكلم لا يراعي في ذلك صداقة ولا عهداً . وسبب تلك الشدة على الغالب غيرته على اللغة واخلاصه في خدمتها . فلما كتب « اغلاط المولدين » لم يستثن والده ولا نفسه . لانه كان يرى الغلط اللغوي او النحوي من اكبر السيئات ويرى السلامة منهما من اكبر الحسنات ولذلك كان يثني على شعر ابن الفارض ويعجب بشعر المتنبي على الخصوص لقلة ذلك الغلط فيهما . وربما احتقر شعر شاعر مطبوع او مقالة عالم كبير اذا رأى فيها غلطاً لغوياً او نحوياً . فكان يبالغ في تنقيح ما يكتبهُ ويتانق في اتقانه خوفاً من الانتقاد . ولعله تنبَّه لذلك على الخصوص منذ اخذ في الدفاع عن والده لما انتقده الشيخ احمد فارس وشدد النكير عليه . وكان الشيخ ابراهيم في ابان شبابه فأجاد في الدفاع وتعوّد الحذر من الخطا بالمراجعة والتنقيح — من ذلك الحين . فاعتبر مع سعة علمه بمفردات اللغة وجزالة اسلوبه — كم تكون لغته صحيحة وعبارته بليغة فصيحة . حتى اصبح استعماله حجة وانشاؤه قاعدة فلا عجب اذا دعوناه حجة اللغة وامام الانشاء . واكثر ما يكتبهُ مرسل سهل واذا سجع فلا تجد في تسجيعه تكلفاً واليك امثلة من ذلك وهو من قبيل الشعر المنثور:

قال من مقالة في مصير الارض :

« واعتبر ذلك في الارض وما يؤلف اديمها من الجواهر . و يشتمل عليه جوّها من العناصر . وما يعيش عليها من النبات القائم في الصحراء . والحيوان السارح على وجه العراء . والسابح في لجتي الماء والهواء . تجد هناك سلسلة يتصل اعلاها باسفلها . ويتحول بعضها الى بعض حتى يرتد آخرها على اولها . بل ترى الارض نفسها عرضة للطبيعة تغزوها بالسيول الجوارف . والرياح النواسف . والامواج التي تهاجم ثغورها . والزلازل التي تصدع صخورها . متعاقبة عليها ما تعاقب الليل والنهار . الى ان يأتي يوم تمحل فيه الجبال وترسب في درك البحار . ثم لا تزال المياه تسحل وجه الارض حتى لا يبقى فيه امت ولا انحناء . وحتى يغمرها الماء من كل ناحية وقد عاد سطحها مستويًا تحت الماء كاستواء سطح الماء . فعادت كما كانت في اوائل خلقها ماء غامر . وكون بائر . قد خلا من عالمي البر والهواء . ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء

« هذا اذا لم تصب الارض قبل ذلك بالهرم ويتضب ماؤها بعد خمود ما في باطنها من الضرم . ولم تتشرب هواءها فلا يتنفسه بعد ذلك نبات ولا حيوان . ولا يجد ذو جناح ما يعتمد عليه جناحه في الطيران . على حد ما تم من مثل ذلك في القمر حتى لم يبق فيه وشل لمرتاد . وحتى تجرد من ثوب هوائه او كاد . وحتى اصبح قفرًا هامدًا لا ينبت عليه شجر . ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر . بل لو بقي هواء الارض وهو خال من بخار الماء لجمد البرد سطحها تجميدًا . وانقبض الاحياء من وجهه الى حيث يقع شعاع الشمس عمودًا . ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقًا على توالي الحقب . الى ان تموت آخر عشيرة منهم بالبرد والسغب . فتدفنها الثلوج حيث لا تنكشف رممها الى يوم التلاقي . وتخط يد القضاء على اديم الارض سبحان الحي الباقي

« وهذا اذا لم تهرم الشمس فتنقلب نارها بردًا ولكنه برد بغير سلام . فتهيم السيارات والاقمار من حولها في فضاء من الزمهرير والظلام . ويومئذ لا يبزغ الصباح فيذهب آفاق المشرق ولا يقبل المساء فيخيم على ارجائه بجيشه المطبق . ولا يكون اذ ذاك كسوف ولا خسوف . ولا تبدو القبة الزرقاء بلونها المألوف . ولكنها تلتحف السواد حدادًا على عالمها بالامس . وقد التف بكفن من الثلج فآوته منها الى مثل ظلمة الرمس . و يومئذ تتجمد البحار فلا يكون ثمة موج يتنفس . ولا سحاب يتبجس . ولا سيل يتدفق . ولا جدول يترقرق . وتركد حركة الهواء . فلا تهب شمال ولا صبا . ولا تجري نسمة على الوهاد والربى . وانى والشمس مصدر الحركة في العوالم . وقوام الحياة لكل قائم . فاذا هبت الريح

فالشمس هي التي تهب . واذا دبت النعم فالشمس هي التي تدب . واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر . واذا انهمرت الغيوث فهي التي تنهمر . ألا وهي الشمس التي تجري في الانهار . وهي التي تغرد في الاطيار . وهي التي تزهر في الرياض . وهي التي يسمع حفيفها في الغياض . وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها . واذا ماتت الافئدة فمحال ان تعيش اجسادها »

وقال من مقالة في وصف القمر :

« بل هو مثال الرونق والجمال . وآية الابهة والجلال . اذا برز من الافق فانهزمت من وجهه جيوش الظلماء . وانفرجت الكواكب لممرّه في عرض السماء . فاقبل ينتقل بينها وهو يسير عزة وخيلاء . فسمت اليه الابصار اعجاباً واكبارا . وانصرفت اليه ابتهاجاً واستبشارا وانطلقت له النفوس نشاطاً وارتياحاً . واتسعت به الصدور انبساطاً وانشراحا وخلا اليه العاشق يتذكر وجه حبيبه . ولها به المحزون فسلا عن حبيبه ونسيبه . وأوى اليه المسهد فكان سميره في سهده . واتخذه المسافر رفيقاً فذهل به عن مخاوف سفره ومشقة جهده وجلس اليه الشرب يتعاطون مثل الشمس في مثله . وتساير بأزائه المتعاشقان يستبصران بنوره و يستتران بظله . وقد تخلل شعاعه نسج النسيم . حتى اتحد اتحاد الماء بسلافة النديم . فكان الطف ما مرّ ببصر في أثين ما اتحف بشر . فاستجل الشاهد ان لياله اصفى الاوقات . وانه الجالي لاكدار النهار كما تجلى به كدورة الظلمات

« لا بل هو مبعث الوحشة ومحرّك الاشجان . ومثير هواجس الصدر وبلابل الجنان . اذا طلع في ليله وقد سكتت الاصوات . وسكنت الحركات ولم يبق الا تموج الهوآء باختلاف الاصوات الصوامت . وحفيف النسائم بين ورق الشجر الخافت فارسل نوره الضعيف سابحاً في انحاء الفضاء . مترقرقاً على وجه الغبرآء . تظهر من تحته الوهاد المنبسطة في العرآء . والقمم الشاخصة في الهوآء لا يمشي فيها حيوان ولا تسمع نأمة انسان . فوقف المتأمل امام مشهد ذلك الجمود وقد مُلكت عليه مشاعره حتى توهم نفسه بمعزل عن الوجود . فتخيل ما حوله من الارض مجاهل خالية . او اطلالاً بالية . بل تخيل الارض كانها يوم خلقت فهي ادغال وتنائف . وتصوّر نفسه آدمها وقد وقف فيها بين الدهش والمخاوف . تخيمت فوقه وحشة العزلة . واحاطت بنفسه هيبة الوحدة وانبعثت الاشجان في صدره فتفرّغ لمناجاتها . وهاجت الذكر في نفسه فغاص بين تياراتها وتوارد عليه من الخواطر ما حبب اليه اللحاق بعالم الفناء ثم استهواهُ ما يرى من جمال الطبيعة

فثابت اليه الرغبة في البقاء . فتمنى لو اتخذ سبباً الى هذا العالم الماثل فوق رأسه . او تعلق بما تدلى اليه من اشعة نبراسه فربما تخيل ان هناك حدائق غلباء . ومدائن غناء . وقصوراً شاهقة . وانهاراً دافقة . واقواماً يمرحون في نعيم . ويرتعون في خصب مقيم . وماثمت لو يعلم الا كونٌ جامد . وقفر هامد . وسكوت سائد . وحطام خلقٍ بائد لا يخطر هنالك غادٍ ولا رائح . ولا يسمع صوت باغم . ولا صادح ولا يسبح طائر في السماء . ولا يدب حيوان على العراء . ولا يخضر وادٍ ولا اكمة ولا تسحب اذيالها نسمة . ولا ينتشر سحاب ولا ضباب . ولا يترقرق ماء ولا سراب . ولكن جملة ما هنالك طلل داثر . وعالم من عوالم الدهر الغابر بل جنازة يطاف بها حول الارض وان لم تحملها المناكب وقد صلت عليها السيارات فترحمت عليها الكواكب »

وقال من مقالة في وداع القرن التاسع عشر :

« من تامل كرور الادهار . وتعاقب الليل والنهار . ورأى الثواني تجرُّ الايام . والايام تجرُّ الاعوام . والناس يذهبون بين ذلك افواجاً . ويمرون فرادى وازواجاً . ورأى ان هذه الحركة التي ترى بها الشمس تطلع من المشرق . ثم نراها تغيب في المغرب . يتخللها من حركات دقائق الكون ما يمثل دبيب عوامل الفناء حتى يرد كل منظور الى عالم الهباء وقف حائراً دهشاً يتامل في الكائنات وفي نفسه . وقد اختلط عليه الوجود بالعدم حتى كاد يتهم شواهد حسه . ثم نظر فتمثل وراءه ماضياً تغيب اوائله في ظلمات الازل . وامامه آتياً تتصل اواخره بحواشي الابد . وهو بينهما كنفاخة قذفها التيار فوق اديم البحر . فما كاد يقع عليها ضوء الشمس حتى عادت اليه فغاصت فيه آخر الدهر . فملكه من الرهب ما ارتعشت له اعضاؤه . ومن الاشفاق ما جمدت له دماؤه . ثم تمنى لو تخلص من هذا الوجود المشوه وايقن ان الكون ضرب من الزور المموه . انما هي صورٌ تتبدل . واشكال تتحول . وهي المادة الى ان تنحل الارض وينتثر نظام السيارات والاقمار . وتتبدد ذرات الشمس في الفضاء فيمحي رسمها من صحيفة الادهار

« ودعنا القرن التاسع عشر كما يودع المرء يومه عند انقضائه . وقد تذكر ما لقي بين صباحه ومسائه . وما تقلب عليه من حالي كدره وصفائه ثم استشف من خلال ليله المقبل وميض صباح الغد باسماً عن ثغور الآمال مبشراً بما فاته في يومه من الغبطة ونعمة البال . فبات يعد نفسه المواعيد ويرى كل بعيد من الاوطار اقرب اليه من حبل الوريد . وقد ذهل اكثرنا عن انه يودع شطراً من دهره . وقد يكون من بعضنا اطيب شطري عمره

فاذا التفت الى خلفه رأى خيال نشاته وشبابه وتمثلت له اوقات لذته ومجالس اترابه والصفحة التي ارتسم عليها تاريخ ميلاده ودون فيه تذكار ابهج اعياده . فحن الى ايامه السوابق حنين المحب المفارق وقد حيل بينه و بينها وطويت عليها صحيفة الفناء . وختم عليها بطابع الابد فهي هناك الى يوم اللقاء »

شعره

وقد رأيت انه نظم الشعر في شبابه وقعد عنه في كهولته على ان شاعريته ظاهرة في ما ظهر من شعره و بين منظوماته ما جرى على ألسنة القوم مجرى الامثال مع رغبته رحمه الله في كتمانه اذ جمعه في كتاب بخط يده وضن على الناس بنشره وهو لا يزال باقياً كما تركه . ومن اشهر شعره قصيدته السينية التي مطلعها :

دع مجلس الغيد الاوانس وهوى لواحظها النواعس

واختها التي مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ

والقصيدتان مهيجتان اقتضتهما بعض الاحوال السياسية في سوريا من التحريض على النهوض . ولعل القصيد حمل على نظمها باشارة جماعة او امر رجل كبير لجاه نظمها بليغاً واما الغرض منه فقد كان ركيكاً ضعيفاً

ومن قوله في النسيب والغزل :

ما مر ذكرك خاطراً في خاطري	الاَّ استباح الشوق هتك سرائري
وتصببت وجداً عليك نواظر	باتت بليل من جفائك ساهر
بلغ الهوى مني فان احببت صل	أو لا فدتك حشاشتي ونواظري
قسماً بحسنك لم أصادف زاجراً	الاَّ وحسنك كان عنه زاجري
او ما كفاك من الذي لاقيته	ولهٌ كساني الذل بين معاشري
وضنى يكاد يشف عن طي الحشى	حتى خشيت به افتضاح ضمائري
أخذت عيونك من فؤادي موثقاً	وعلي عهد هواك لست بغادر
كن كيف شئت تجد محبك مثلما	تهوى على الحالين غير مغايري
صبري عليك بما أردت مطاوع	ابداً ولكن عنك لست بصابر
عذبت قلبي بالصدود وان يكن	لك فيه بعض رضى فدونك سائري
واضعت عمري بالدلال وحبذا	ان صح عندك مطمع في الآخر

كثر التقول بيننا وتحدثوا يا هاجري حاشاك انك هاجري
واطال فيك معنفي فعذرته وعساك في كلفي فديتك عاذري
حسبي رضاك اذا مننت بزورة يدرى المزور بها رقيق الزائر

ومن قوله في الحكم :

حياة اسر العيش فيها مذمم وناس بها قلب الخليّ متيم
سقت كل قلب كل يوم مشارباً توهم فيها لذة وهي علقم
وما الارض الا قفرة زأرت بها اسود المنايا حولنا وهي حوم
لها كل يوم بيننا كل منذر ينادي علينا مسمعاً وهو ابكم
تنبهنا بعضاً ببعض فننثني واجفاننا في غفلة اللهو نوم
خلت دونها شم الحصون فلم تكن لساكنها من غارة البين تعصم
واصبح من قد كان يرهب باسه يناح عليه بعد حين ويرحم
تراب من الارض استوى تحت صورة تلوح عليها مدة ثم تهدم
اذا ما دهتنا البلية مرة ولم نتتقم بالحزن فالصبر احزم
جرى قدر المولى بما شاء واستوى لديه جزوع في الاسى ومسلم
وليس لنا من مطمع فات نيله اذا كان ما تبغيه ما ليس يغنم
وما كان ما لا بد منه مؤخراً يهون لديه الرزء وهو مقدم
وما الفرق في الحالين الاَّ هنيهة تمرُّ سريعاً والقضا متحتم

ومن قوله في الحكم ايضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت ليست سوى مأتم ناحت به البشر
في كل يوم اناس فوقها نجعوا على اناس طوتهم تحتها الحفر
بئس الحياة التي ما زال واردها يمازج الورد في كاساته الصدر
حالان احداهما مملوءة حذراً مما يليها واخرى فاتها الحذر

ومن قوله في الرثاء :

ايها النائح المبكر مهلا جاوز الامر دمعك المستهلا
شق من قبلنا الورى كل قلب ولقد كان لو شفى النفس سهلا
انما نحن ثاكل وصريع ذاك يشقى وذاك في الترب يبلى
ليس ارض لم يسقها صوب دمع او سماء لم يشجها نوح ثكلى

ومما جرى مجرى الامثال و يصح ان يكتب بماء الذهب بيتان قالهما في معرض رد على احمد فارس الشدياق لما انتقد كتب والده وشدد الطعن عليه فقال الشيخ ابراهيم :

ليس الوقيعة من شاني فان عرضت اعرضت عنها بوجه بالحياء ندي

اني اضن بعرضي ان يلمّ به غيري فهل اتولّى خرقه بيدي

ومن نظمه ليكتب على عود :

وعود صفا الندمان قدماً بظله وما برحت تصفو اليه المجالس

تعشقه طير الاراكة اخضراً وحن اليه ريشه وهو يابس

ومن نكاته الشعرية :

تعجب قوم من تأ خر حالنا ولا عجب في حالنا ان تاخرا

فمذ اصبحت اذنابنا وهي ارؤوس غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وله غير ذلك كثير ربما اتينا على امثلة منه في فرصة اخرى

وكان للفقيد رحمه الله قريحة في الرياضيات واطلاع واسع في علم الفلك اتصلت بسببه مخابرات بينه و بين بعض كبار الفلكيين الفرنساويين · واشتغل في حل المشكلة الرياضية المشهورة وهي قسمة الدائرة الى سبعة اقسام وتوصل منذ بضع سنين الى حل يقرب من الصواب كثيراً بعث به الى اكاذيمية العلم في باريس ولا نعلم ما صار اليه امره · وكان عارفاً اللغة الفرنساوية وله المام بالعبرية والسريانية ومشاركة حسنة في العلوم الطبيعية

اعماله وآثاره

نظراً لما قدمناه من طبعه في التأ نق والاتقان وتوخيه التأني والتدقيق فقد جاءت ثمار قرائحه اقل مقداراً مما كان يرجي من مثله كما قدمنا فضلاً عن انصراف ذهنه في شبابه الى الاشتغال بالحفر والرسم · على انه خدم اللغة العربية من هذا الطريق خدمة ذات بال باصطناع حروف الطباعة العربية في بيروت · وذلك ان الطباعة بالحروف الافرنجية لم تكد تظهر في أوربا باواسط القرن الخامس عشر حتى اهتم اصحابها هناك باصناع الحروف العربية فاصطنعوا حروفاً طبعوا بها كتباً بالبندقية ورومية و باريس ولندرا واكسفورد وغيرها ولكل منها تقريباً شكل خاص وان تشابهت على الاجمال · ثم ظهرت الطباعة العربية في الاستانة وحرفها يعرف بالحرف الاسلامبولي ويشبه القاعدة التي نقرأها في هذه الصفحة وفي اوائل القرن الثامن عشر ظهرت الطباعة في سوريا نقلاً عن حروف رومية · ثم جاء المرسلون الاميركان الى سوريا في اوائل القرن الماضي ولهم مطبعة عربية في مالطة

اسسوها سنة ١٨٢٢ وحروفها من حروف مطابع لندن وطبعوا بها كتباً بعناية المرحوم الشيخ احمد فارس ثم نقلوها الى بيروت سنة ١٨٣٤ وبعد انتقالها باربع سنين اهتم مديرها يومئذ المرحوم عالي سميث باصطناع حروف جديدة فاستخدم احد كتبة الاستانة فكتب له حروفاً جميلة سبكها في لايبسك وهي الحروف الاميركانية المشهورة وكنا نطبع الهلال بها من اول ظهوره الى سنته العاشرة

ولكن القاعدة الاميركانية على جمالها ورونقها كانت كثيرة النفقة في اصطناعها لكثرة اشكالها . والقاعدة الاسلامبولية تفضلها من هذا القبيل لكنها تقل عنها من جهات اخرى فعني فقيدنا الشيخ رحمه الله سنة ١٨٨٦ بصنع قاعدة جديدة يجمع بها حسنات الحرفين وهي القاعد المعروفة بحرف سركيس لانها تسبك في مسبك خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال في بيروت وبها نطبع الهلال اليوم . وهي القاعدة الشائعة الآن في اكثر المطابع العربية في سوريا ومصر واميركا واصطناع هذه الحروف يحتاج الى دقة ومهارة لا يعرف مقدارها الا من يعاني هذه الصناعة . لان الحرف لا يتمثل للطبع الا بعد ان يحفر على قضيب من الفولاذ حفراً دقيقاً ويقال له باصطلاح الطباعة « الاب » ثم يضرب على النحاس ضرباً حتى يطبع غائراً في النحاس ويسمونه حينئذ « الام » وعلى هذه الام يصبون الرصاص فيخرج الحرف المعروف في المطابع . فالشيخ كان يصطنع الاب من الفولاذ ويضربه على الام النحاسية واصطنع هذا الحرف على عدة اقيسة . ولما جاء القاهرة اصطنع حرفاً على قياس متوسط بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف (بنط ٢٠) وقد اتخذته مسابك القاهرة واصطنعوا له قوالب وشاع استعماله في مطابعها

ومما ادخله من الاصطلاح في الطباعة العربية بعد قدومه مصر صور الحركات الافرنجية يحتاج اليها المعربون في التعبير عن الحركات الخاصة بها التي لا مقابل لها في العربية وهي (ُ) o و(ٌ) u و(ِ) e و(ٍ) eu ولما ارادت الحكومة المصرية تجديد حروف مطبعة بولاق سنة ١٩٠٣ على قاعدة مختصرة مفيدة كانت الابصار متجهة الى الشيخ لانه اقدر من يستطيع ذلك بالدقة والرونق ولو فوضت اليه هذا العمل لاحسنت صنعاً واستثمرت قريحته ثمراً نافعاً للغة العربية على الاجمال

اما اداب اللغة العربية فقد خدمها الشيخ خدماً ذات بال بما الفه او نقحه او انتقده او وضعه من المصطلحات الجديدة واليك البيان :

فمؤلفاته اكبرها « الضياء » وقد ظهر منه ثمانية مجلدات وفيها مقالات في مواضيع شتى من جملتها مقالات ضافية في انتقادات لغوية يحسن ان يعاد طبعها على حدة خدمة لهذا اللسان وهي (١) اللغة والعصر (٢) لغة الجرائد فقد انتقد بهاما هو شائع في الصحف السيارة من الغلط اللغوي (٣) مقالة في التعريب بين بها شروط التعريب وتاريخ ذلك من صدر الاسلام (٤) اغلاط العرب انتقد بها اغلاط العرب القدماء (٥) اللغة العامية واللغة الفصحى (٦) اصل اللغات السامية (٧) نقد لسان العرب وهو بحث طويل انتقد به الطبعة المتداولة من معجم لسان العرب (٨) اغلاط المولدين بين فيها ما وقع للمولدين من الغلط اللغوي في صدر الاسلام الى الآن وفي جملة ذلك ما وقع للمرحوم والده ثم ذكر ما وقع هو نفسه فيه من الخطإ في بعض المواضع · فهذه المقالات وغيرها من الابحاث اللغوية كمقالتيه في المجاز والنبر في اللفظ العربي وغيرهما مما ظهر في البيان والطبيب لو جمعت لزاد مجموعها على مئتي صفحة · وفي الضياء مقالات فلكية في القمر وحركاته والزهرة والمريخ والشمس والمشتري وقياس الاجرام السماوية وما وراء نبتون وتكون العالم الشمسي وسعف الشمس وغيرها مما يدخل في مئة صفحة او مئتين · ومن مؤلفاته التي ظهرت كتاب « نجعة الرائد » في المترادف والمتوارد من الفاظ اللغة العربية وتراكيبها يدخل في ثلثة مجلدات ظهر منها المجلد الاول وقد وصفناه في الهلال وتوفي الشيخ والجزء الثاني تحت الطبع

وكان رحمه الله قد شرع من سنوات عديدة في وضع معجم للغة العربية يشتمل على المانوس من كلام العرب الاولين وعلى ما طرأ من موضوعات المولدين والمحدثين مقتصراً على الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح وسماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » وقد شغلته العوائق عن اتمامه والناس يتوقون الى ظهوره فاجتمع نخبة منهم في العام الماضي ليشتركوا بنسخ منه تفي اثمانها بنفقات طبعه فجمعوا جانباً بعناية صديقنا البستاني والشيخ مريض فعاجله القدر قبل الشروع في العمل · وكنا نحسب مواد ذلك المعجم مجموعة كلها او بعضها فاذا هي تعاليق على حواشي الكتب وبعض المذكرات في اوراق متفرقة لا يستطيع جمعها وتاليفها سواه فاسفنا لضياع الامل بظهور ذلك الكتاب المفيد

اما ما صححه من الكتب فاهمها ترجمة التوراة اليسوعية التي تقدم ذكرها وفيها خدمة كبرى في ضبط لغة المسيحيين لاكتساب الملكة الصحيحة بمطالعتها من صغرهم · ومما صححه وهذب عبارته تاريخ بابل واشور تاليف جميل افندي مدور ونفح الازهار في منتخبات الاشعار ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم للمرحوم شاكر البتلوني وعقود

الدرر في شرح شواهد المختصر للمعلم شاهين عطية ورسالة الغفران تحت الطبع . غير ما صححه او اختصره او شرحه من كتب المرحوم والده كمختصر نار القري ومختصر الجمانة لمطالع السعد ومطالع الجوهر الفرد والعرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب وغيرها

ومن آثار علمه وفضله على هذه النهضة انه انتقى الفاظاً اصطلاحية لما حدث فيها من المعاني العلمية بنقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بما عرف به من سلامة الذوق في اختيار الالفاظ وهاك امثلة من ذلك مرتبة على احرف الهجاء مع اصولها الفرنساوية :

الأربة	Cravate
الاستهاد	Assurance
الأسرب	Plombagine
الانبوبيات	Bacilles
البائنة	Dot
البيئة	Milieu
التألق	Phosphorescence
التبليد	Acclimatation
الجناح	Balcon
الحاكي	Phonographe
الحساء	Soupe
الحسر	Myopie
الحوذي	Cocher
الدراجة	Bicyclete
الدريئة	Écran
الذريرات	Microcoque
الراجيات	Bactéries
الرثية	Rhumatisme
الرعّاد	Torpille
السفع	Tache (du soleil)
الشاري	Paratonnerie
الشبنزى	Chimpanzé
الشحنة	Police
الشعار	Armoiries
الشعرية	Brosse
الضلع	Fuseau
الطارئة	Colonie
الطبرخي	Gutta-percha
الطلاء	Vernis
الكفاف	Cadre
اللهاة	Valve
اللولب	Vis
الأساة	Tragédie
المتمعجات	Vibrions
المجلة	Révue
المحبب	Granit
المصلد	Imperméable
المقصف	Buffet
المقصلة	Guillotine
المنضحة	Douche
النابض	Ressort

ومن هذا القبيل وضعه « النوام » لمرض النوم الذي حدث في افريقيا مؤخراً و « المداد » القلم الحبر المشهور وغير ذلك مما يصعب حصره

ابو العلاء المعري (١)

٩ – رسالة الغفران

اتينا في الهلال الماضي على ترجمة ابي العلاء المعرّي وذكرنا علمه وشعره وكتبه ومنزلته واخلاقه ومناقبه وآراءه وفلسفته واعتقاده في الدين وارجأْنا الكلام على رسالته المعروفة برسالة الغفران الى هذا الهلال فنقول :

ماهي هذه الرسالة

هي اشهر رسائله واكبرها كتبها في عزلته نحو سنة ٤٢٤ هـ وهو في الحادية والستين من عمره وقد بلغ اكمل اطوار الحياة فضمنها نتائج اختباره ودرسه · وقد افردت رسالة الغفران عن سائر رسائله لكبرها فان حجمها يقارب مجموع ما طبع من تلك الرسائل · واما موضوعها فهو انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وادبائهم والرواة والنحاة على اسلوب روائي خيالي لم يسبقه اليه احد · فقد تخيل صعود ابن منصور رجل رسالته الى السماء ووصف ما شاهده هناك من الشعراء وغيرهم · ويشبه ذلك ما كتبه دانتي اعظم شعراء الايطاليان في روايته المسماة « الرواية الالهية » التي وصف بها حال الدين في عصره على سبيل الحلم فذكر انه رأى في نومه كانه زار الجحيم ووصف ما لاقاه هناك من عذاب الخطاة ثم مر بجبال المطهر حتى صعد الى الفردوس ووصف ما شاهده من الامجاد السماوية حتى بلغ الى الخالق · فمثّل احكام العقاب والثواب وما بينهما من التكفير والتطهير وضمنها التعريض باعدائه وذكر كثيرًا من احوالهم فانزل المغضوب عليهم الى النار ورفع المرضي عنهم الى الجنة وترك جماعة منهم في المطهر · ويشبه ذلك أيضًا ما كتبه ملتن الشاعر الانكليزي في روايتيه ضياع الفردوس واسترجاعه · ولكن هذين الشاعرين متأخران في الزمان عن ابي العلاء فان دانتي توفي سنة ١٣٢١ للميلاد (نحو سنة ٧٢٠ هـ) وملتن توفي سنة ١٦٧٤ م (نحو سنة ١٠٨٤ هـ) وابو العلاء توفي سنة ٤٤٩ هـ فهو قبل دانتي بنحو ٢٧٢ سنة وقبل ملتن بنحو ٦٣٥ سنة فلابدع اذا قلنا انهما اقتبسا هذا الاسلوب عن شاعرنا المعري فان اقدمهما دانتي ظهر بعد ان احتك الافرنج بالمسلمين في الحروب الصليبية ونقلوا كتبهم في العلم والفلسفة والطب الى ألسنتهم والايطاليان اسبق الافرنج الى الاقتباس من المسلمين بما أنشأوه

(١) جاء في الهلال الماضي صفحة ١٩٧ سطر ١٨ « الفيروزابادي صاحب القاموس » والصواب « الجوهري الفارابي صاحب تاج اللغة »

على مثال مدارس المسلمين وادخلوا فيها الكتب المترجمة عن العربية

وتقسم مواضيع رسالة الغفران الى قسمين الاول شعري ادبي لغوي والثاني نوادر من المدارس الكبرى في القرنين الحادي عشر والثاني عشر في سالرنو و بولونيا و بادوا و بيزا خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلي الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم في اثناء التمدن الاسلامي . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعراً قاله أو عملاً عمله فغفر له به ومنها تسمية هذه الرسالة برسالة الغفران كانه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه احياناً من الابيات التي يعدها الناس كفرية

اما سياق هذه الرسالة فهو ان ابا العلاء جعلها رداً على رسالة جاءته من صديق له يعرف بابن القارح واسمه علي بن منصور بن طالب الحلبي الملقب بدوخلة ويكنى ابا الحسن . ذكر ياقوت في معجم الادباء انه « كان شيخاً من اهل الادب راوية للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار وكان ممن خدم ابا علي الفارسي في داره ولازمه وقرأ عليه وكان يرتزق بالتعليم في الشام ومصر وتوفي بالموصل » فيظهر انه كان بين ابن منصور هذا وبين ابي العلاء مراسلات ورسالة الغفران واحدة منها كتبها المعري جواباً على رسالة لابن منصور لم نقف عليها ولكن يؤخذ من ثنايا رسالة الغفران ان الرجل اثنى بها على ابي العلاء وشبهه بالخليل بن احمد وساله بعض الاسئلة واخبره انه مسافر الى حلب وذكر اناساً من المعاصرين بنقد او ثناء وذكر غيظه من الزنادقة . فاجابه ابو العلاء برسالته المشار اليها وقد ضمنها ما تقدم من نقد الشعراء والنحويين والرواة ووصف الجنة وما فيها على اسلوب تصوره لنفسه واستنبطه من بنات افكاره وجعل انشاءها مسجعاً التزم فيه كثيراً من الالفاظ الغريبة واليك خلاصة تلك الرسالة :

خلاصتها

بدأ ابو العلاء بمقدمة تمهيدية ثم ذكر وصول رسالة صاحبه واخذ في اطرائها والاعجاب بما حوته من البلاغة والجزالة حتى قال « ان في قدرة ربنا ان يجعل كل حرف منها شبح نور لا يمتزج بمقال الزور يستغفر لمن انشأها الى يوم الدين و يذكره ذكر محب خدين » ثم ترك الرد على الرسالة وعمد الى وصف الجنة فتصور ان الله تعالى نصب لسطور هذه الرسالة معاريج من الفضة والذهب تعرج بها الملائكة من الارض الى السماء وتكشف سجوف الظلماء وانه غرس لمؤلفها شجر في الجنة كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق والمغرب . وفي ظلال الشجر الولدان المخلدون قيام قعود وهم صلة من الله تعالى لعلي بن منصور . وتجري في اصول

ذلك الشجر انهار تستمد ماءها من الكوثر من شرب منها لا يموت . وعلى تلك الانهار آنية الزبرجد والياقوت على اختلاف ألوانه بعضها على هيئة الطيور السابحة على صور الكراكي والطواويس والبط ينبع من افواهها شراب شهي كأنها الانهار الخمرية تلعب فيها اسماك على صور السمك برية او بحرية الا انها من الذهب والفضة وصنوف الجواهر فاذا مد المؤمن يده الى واحدة منها شرب من فيها شراباً عذباً ولو وقعت الجرعة منه في البحر الملح لحلا

ثم انتقل ابو العلاء الى الكلام عن ابن منصور فتصور جلوسه هناك وقد اصطفى له ندامى من ادباء الفردوس كأخي ثمالة واخي دوس ويونس بن حبيب الضبي واحمد بن يحيى وسيبويه والكسائي وابي عبيدة وغيرهم ممن كتبت لهم المغفرة . وان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ويحيونهم وابو عبيدة يذاكرهم بوقائع العرب ومقاتل الفرسان والاصمعي ينشدهم احسن ماقيل . ثم تهش نفوسهم للعب فيقذفون تلك الآنية الثمينة في تلك الانهار فتتقارع فيسمع لها انغام تحيي الاموات فيقول الشيخ (ابن القارح او ابن منصور) « آه لمصرع الاعشى ميمون بن قيس فقد ذكرته لما تقارعت الآنية ووددت انه ما صدته قريش لما توجه الى النبي (صلعم) وانما ذكرته لورود مثل هذا التقارع في قصيدته الحائية » وياتي بابيات منها ثم يقول « ولو انه اسلم لجاز ان يكون بيننا في هذا المجلس فينشدنا ويحدثنا »

نزهة ابن منصور في الجنة

ثم يخطر للشيخ شيء كان يسمى في هذه الدنيا « النزهة » فيركب فرساً من افراس الجنة خلق من ياقوت ودر ويسير في الجنة على غير منهج ومعه شيء من طعام الخلود وهو ينشد بيتين للاعشى المذكور فيسمع هاتفاً يساله هل تعرف صاحب هذين البيتين فيقول الشيخ هو ميمون بن قيس فيقول الهاتف « انا ذلك الرجل منَّ الله عليَّ بعد ماصرت في جهنم ويئست من المغفرة وسحبتني الزبانية في سقر فرأيت رجلاً في عرصات القيامة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر والناس يهتفون به من كل اوب يا محمد يا محمد الشفاعة الشفاعة نمتُّ بكذا ونمت بكذا فصرخت في ايدي الزبانية يا محمد اغثني فان لي بك حرمة فقال يا علي بادره فانظر ما حرمته فجاء علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وانا أعتل كي أُلقى في الدرك الاسفل من النار فزجرهم عني وقال ما حرمتك فقلت انا القائل :

ألا أيهذا السائلي اين يممت ... فان لها في اهل يثرب موعدا

فآليت لا أرثي لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تلاقي محمدا

متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تريحي وتلقي من فواضله ندا
اجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الاله حين اوصى واشهدا
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى وابصرت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد لما كان ارصدا
واياك والميتات لا تقربنها ولا تاخذن سهماً حديداً لتفصدا
ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا
نبي يرى ما لا يرون وذكره اغار لعمري في البلاد وانجدا

وقلت لعلي قد كنت مؤمناً بالله وبالحساب واصدق بالبعث وانا في الجاهلية (واتى بابيات تؤيد قوله) فذهب علي الى النبي فقال يا رسول الله هذا اعشى قيس قد روى مدحه فيك وشهد انك نبي مرسل فقال هلاً جاء في الدار السابقة فقال علي قد جاء ولكن صدته قريش وحبه للخمر. فشفع لي فادخلت الجنة على ان لا اشرب فيها خمراً فقرت عيناي بذلك وان لي مناذح في العسل وماء الحيوان وكذلك من لم يتب من الخمر في الدار الساخرة لم يسقها في الآخرة »

ثم يلتفت ابن منصور الى رياض الجنة فيرى قصرين منيفين مكتوب على احدهما « هذا القصر لزهير بن ابي سلمى المزني » وعلى الآخر « هذا القصر لعبيد بن الابرص الاسدي » ثم يصف ابو العلاء مقابلة الشيخ لكل منهما وحديثه معهما بشأن ما غفر لهما به مع ما اتياه في الجاهلية من شرب الخمر. فيذكر كل منهما ابياتاً غفر له بها. فلما يسمع الشيخ ذلك يطمع في سلامة كثير من اصناف الشعراء فيسال عن عدي بن زيد العبادي فيدلونه على منزله فيذهب ويجري له معه حديث طويل على نحو ما تقدم. ثم يركبان كل منهما على سابح من خيل الجنة ويخرجان للنزهة فيلتقيان بابي ذؤيب الهذلي وهو يحتلب ناقة فيحادثه ابن منصور ويساله عن ابيات قالها ثم يمضي في نزهته بشابين كل منهما على باب قصر من در فيسأل عنهما فاذا هما النابغتان الجعدي والذبياني فيقول الشيخ « ان الجعدي استوجب الجنة بالاسلام واما انت يا ابا امامة فما جهتك » فيجيب انه كان مقرًّا بالله وانه حج في الجاهلية الى ان يقول « الم تسمع قولي :

فلا لعمر الذي قد زرته حججاً وما هريق على الانصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند

وقولي :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ... وهل يأثمن ذو امة وهو طائع
بمصطحبات من لصاف وثبرة ... يردن الالاً سيرهن تدافع

ولم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم الحجة علي بخلافه »

فيسرّ الشيخ لذلك ويطلب الى النابغتين ان يقيما معها للمنادمة ثم يقول « وكيف انا بابي بصير » فلم تتم الكلمة الا وابو بصير حاضر (وهو اعشى قيس) فصاروا خمسة فياخذ ابن منصور يسال النابغة الذبياني اسئلة عن شعره وما قاله للنعمان بن المنذر ويتخلل ذلك نقد شعري لطيف . ويفعل مثل ذلك بالنابغة الجعدي ثم باعشى قيس

وهم في ذلك يمرّ رفٌّ من اوز الجنة فلا يلبث ان ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر امراً ومن شان طير الجنة ان يتكلم . ثم ينتفضن فيصرن جواري كواعب يرفلن في وشي الجنة بايديهن المزاهر وانواع ما تلتمس به الملاهي فتغنين . فبينما هم في ذلك يمرّ شاب في يده محجن ياقوت واذا هو لبيد بن ربيعة فيسألونه عن مغفرة ربه ويستنشدونه ويباحثونه وينتقدون اقواله . ثم يخطر لابن منصور غناء القيان في الفسطاط ومدينة السلام وترجيعهن بمجيبة المخبل السعدي فتندفع الجواري تلحّن قول السعدي المذكور وينظر ابن منصور في معانيها ثم ينتقلون الى البحث الشعري . فيمرّ بهم حسان بن ثابت فينتقدون بعض قوله في مدح النبي فيدافع عن نفسه

ثم يفترق اهل هذا المجلس بعد ان اقاموا فيه كعمر الدنيا اضعافاً كثيرة . فينفرد الشيخ في رياض الجنة وبينما هو يطوف فيها يلقاه خمسة نفر على خمس اينق فيسأل عنهم فيقولون « نحن عوران قيس » وهم تميم بن مقبل وعمرو بن احمر والشماخ وراعي الابل وحميد بن ثور فيأخذ الشيخ في تسآلهم عن بعض اقوالهم فيجيبونه وينتقدهم الواحد بعد الآخر في الشعر واللغة والنحو حتى يسال تميماً عن شعر قاله فيقول هذا « والله ما دخلتُ من باب الفردوس ومعي كلمة من الشعر ولا الرجز لاني حوسبت حساباً شديداً وقيل لي كنت فيمن قاتل علي ابن ابي طالب وانبرى اليّ النجاشي الحارثي فما افلتُّ من اللهب حتى سفعني سفعات وان حفظك لمبق عليه كانك لم تشهد اهوال الحساب ومنادي الحشر يقول اين فلان بن فلان والشوس الجبابرة من الملوك تجذبهم الزبانية الى الجحيم والنسوة ذوات التيجان يصرن بالسنة من الوقود فتأخذ في فروعهن وأجسادهن فيصحن هل من فداء هل من عذر يقام والشباب من أولاد الاكاسرة يتضاغون في سلاسل النار ويقولون نحن اصحاب الكنوز نحن ارباب القانية ولقد كانت لنا الى الناس صنائع وايادٍ فلا فادي ولا معين . فيهتف

داع من قبل العرش او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير . لقد جاءتكم الرسل في زمان بعد زمان وبذلت لكم ما وكد من الايمان وقيل لكم في الكتاب واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون . فكنتم في لذات الساخرة واغلين . وعن اعمال الآخرة متشاغلين . فالآن ظهر النبأ لا ظلم اليوم ان الله قد حكم بين العباد »

وعند ذلك يأخذ الشيخ ابن منصور في تلاوة قصته منذ بعث وجاء دار القيامة الى تلك الساعة فيذكر انه قضى في الطريق ٥٠,٠٠٠ سنة واشتد عليه الظمأ وانه لما وصل الجنة نظم ابياتاً في مدح خازنها رضوان تزلفاً اليه حتى يدخله فلم يحفل بها ولا به فناداه وعاتبه فقال رضوان « وما الاشعار فاني لم اسمع بهذه الكلمة قط الا الساعة » فاجابه الشيخ « الاشعار جمع شعر والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط ان زاد او نقص ابانه الحس . وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات فجئت بشيء منه اليك لعلك تاذن لي بالدخول في هذا الباب » فانكر عليه رضوان الدخول الا باذن الله فانصرف الى خازن آخر تقرب اليه بالشعر فلم يفهم مراده ثم قال له « احسب انك تعني قرآن ابليس المارد فهذا لا ينفق على الملائكة انما هو للجان وقد علموه ولد آدم » ثم سأله عن غرضه فقال « ان ادخل الجنة » فقال من اي الامم انت قال من امة محمد فاشار عليه ان يستشفع نبيه فاستشفعه في حديث طويل ذكر فيه النبي وزوجه خديجة وابنته فاطمة واولاده عبد الله والقاسم والطيب والطاهر وابراهيم فتعلق ابن منصور بركاب ابراهيم حتى اتى الصراط فمر عليه فلما وصل باب الجنة قال له رضوان هل معك جواز فقال لا فاراد منعه من الدخول فجذبه ابراهيم جذبة ادخلها بها الجنة

فلما يفرغ ابن منصور من قصته يعود الى مباحثة الرفاق ثم يعرض لهم لبيد فيدعوهم الى منزله في القيسية فيرافقونه واذا هم بابيات ثلاثة فيتساءلون عنها فيقول لبيد انها بنيت له بدل ثلاثة ابيات من الشعر قالها في حمد الله وذكر نعمائه . ثم يبدو للشيخ ان يصنع مأدبة يجمع فيها من امكن من شعراء الخضرمة والاسلام وغيرهم ويقترح ان تكون كمأدب الدار العاجلة . فتنشأ ارحاء على الكوثر تجمجم لطحن القمح برحى من عسجد تديرها جوار من الحور العين ثم يؤتى بالخوم والطهاة ويفرق الغلمان لاحضار المدعوين فلا يتركون في الجنة شاعراً اسلامياً ولا مخضرماً ولا عالماً بشيء من اصناف العلوم لا يحضرونه فيجتمع خلق كثير . فاذا قضوا الارب من الطعام تاتي السقاة باصناف الاشربة والمسمعات بالاصوات

المطربة ويحضر اشهر المغنين المعروفين عند العرب وتدور الاحاديث يتخللها ابحاث في الشعر والغناء والادب والنحو لا محل لها هنا . ثم يفترق اهل ذلك المجلس ويخلو ابن منصور بحوريتين و يتلو ذلك وصف حور الجنة

تطلع ابن منصور الى اهل النار

ثم يخطر للشيخ ابن منصور ان يتطلع الى اهل النار لينظر ماهم فيه . فيركب بعض دواب الجنة و يسير فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة فيسأل بعض الملائكة عنها فيقولون هذه جنة العفاريت والجان و يلي ذلك بحث في شعر الجان وطباعهم مع شيخ منهم يجدونهُ هناك . ثم ينتقل فيجد سباعاً يسال عن حديثها وسبب وجودها . ثم يذهب في كل سبيل فيجد رجلاً ليس عليه نور سكان الجنة فيسال عنه فيقول « انا الحطيئة » فيساله بماذا وصل الى الشفاعة فيقول بالصدق في قولي :

ابت شفتاي اليوم الاَّ تكلما بهجر فلا ادري لمن انا قائله
ارى لي وجهاً شوَّه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

ثم يطلّع الشيخ فيرى ابليس وهو يضطرب في الاغلال والسلاسل ومقامع الحديد تاخذه من ايدي الزبانية . فيساله ابليس عمن هو فيخبره انه فلان من اهل حلب ثم يدور بينهما حديث يذكر فيه بشار بن برد لانه مدح ابليس بشعره . واذا بشار يغمض عينيه حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم فيفتحها الزبانية بكلاليب من نار وقد اعطي عينين بعد الكمه لينظر الى ما نزل به من النكال . فيباحثه ابن منصور في بعض اقواله . ثم يسال عن امرىء القيس فياتونه به فيساله بعض الشي عما رواه البغداديون من اشعاره وينتقده و يطعن في النقلة الذين اخطاوا في نقل اقواله وفي ما غيَّره المعلمون في الاسلام منها في كلام طويل . ثم يلقى عنترة العبسي متلدداً في السعير فيساله و ينتقده نقداً حسناً . ثم يسال عن عمرو بن كلثوم فيقال « ها هو ذا من تحتك ان شئت ان تحاوره فحاوره » فيخاطبه ويفعل مثل ذلك في طرفة بن العبد واوس بن حجر وابي كبير الهذلي وصخر والاخطل والمهلهل والمرقش الاكبر والمرقش الاصغر والشنفرى وتابط شراً و

رجوعه الى قصره

ثم يمل من خطاب اهل النار فينصرف الى قصره المشيد في الجنان فيلقى آدم فيساله عن بعض شؤونه ويضرب سائراً في الفردوس فاذا هو بروضة مؤنقة فيها حيات يلعبن فيستغرب وجودهن هناك فتخاطبه كل منهن انها صارت الى الجنة بحسنة اتتها . فمنهن ذات الصفا

وحية كانت تسكن دار الحسن البصري وغيرها . ثم يمرُّ بمكان يقال له انه جنة الرجز وينتقد الرجز واصحابه ولا سيما رؤبة والعجاج ويخاطبهما ويباحثهما . ثم يذكر الشيخ ما كان يلحق شاربي المدام من فتور الجسد فيختار ان يعرض له ذلك فيشعر بشيء في العظام كدبيب النمل ويتكىء على مفرش من السندس ويامر الحور العين ان يحملن ذلك المفرش فيضعنه على سرير من سرر اهل الجنة وانما هو زبرجد او عسجد فيكوّن البارئ فيه حلقاً من الذهب تطيف به من كل الاشراء حتى ياخذ كل واحد من الغلمان وكل واحدة من الجواري المشتبهة بالجمان بواحدة من تلك الحلق فيحمل على تلك الحال الى محله المشيد بدار الخلود . فكلما مرَّ بشجرة نضحته اغصانها بماء الورد قدخلط بماء الكافور وبمسك ماجنى من دماء الفور بل هو بتقدير الله الكريم وتناديه الثمرات من كل اوب وهو مستلق على الظهر هل لك ياابا الحسن هل لك فاذا اراد عنقوداً من العنب او غيره انقضب من الشجرة بمشيئة الله وحملته القدرة الى فيه واهل الجنة يلقونه باصناف التحية وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لا يزال كذلك ابداً سرمداً ناعماً في الوقت المتطاول منعماً لاتجد الغير فيه مزعماً

الرجوع الى موضوع الرسالة

ان ما تقدم خلاصة مئة وعشرين صفحة من رسالة الغفران كلها جملٌ معترضة تمنى بها ابو العلاء السعادة لابن منصور بدلاً مما نعبر عنه عادة بقولنا « اطال الله بقاء مولاي وادام عزه » او نحو ذلك . وبعد هذا الشرح الطويل عكف ابو العلاء نحو الموضوع المراد بالرسالة فقال « وقد اطلت في هذا الفصل فنعود الى الاجابة عن الرسالة »

فاخذ في الرد على ما جاء فيها وهو يبالغ في الاطراء بصاحبه والتواضع عن نفسه وينكر ما نسب اليه من سعة العلم وضمن اقواله شروحاً ادبية وشعرية وانتقادات ونوادر ياتي بها عرضاً ويشتمل ذلك على القسم الثاني من موضوع الرسالة اي الكلام عن الزنادقة جواباً على ما جاء في رسالة ابن منصور من غيظه منهم فيذكر اصولهم وطبقاتهم ويتخلل ذلك كلام عن بشار بن برد وسيبويه وصالح بن عبد القدوس وزندقته وحكايات عن الزنادقة في بلاد اليمن وغيرها وعن الحلاج المشهور . واشار الى تعظيم الخلفاء للقرود وذكر خلاصة تاريخ الالحاد والزندقة والحلولية والتناسخ وغيرها

فالرسالة تدلُّ على تمكن كاتبها من اداب الجاهلية واشعارها وامثالها وتوغله في درس كل شاعر واقواله وانتقاد كل بيت من ابياته غير تعمقه في معرفة ألفاظ اللغة ومعانيها المختلفة . ولولا ما تضمنته الرسالة من الالفاظ الغريبة لكانت من افضل ما يتلى من كتب

الادب لما حوته من الابحاث الادبية والانتقادات الشعرية واللغوية والنحوية والتاريخية فضلاً عن انتقاد رواة الشعر والادب واختلاف النحاة والمؤرخين في بعض الاحوال وقد ضمنها كثيراً من اشعار الجاهلية وغيرها مما لم يرد في سواها من الدواوين الشائعة . وفيها ايضاً فوائد اجتماعية وادبية كالنهي عن الانتحار وتقبيحه ووصف البدع والنحل كالزندقة والحلولية ووصف الحمائم وانواعها وتمثيل ما يقال عن حال الجنة وانهارها واشجارها وحورها وغلمانها وقد شرح المؤلف بعض الالفاظ الغريبة في خلال كلامه

وبالجملة فالرسالة جزيلة الفائدة تشهد بسعة اطلاع ابي العلاء في اللغة والشعر والتاريخ والادب ولم تظهر مطبوعة بعد ولكن امين افندي هندية الكتبي الشهير بمصر قد اخذ بنشرها منذ بضعة اعوام نقلاً عن نسختين خطيتين من اصح النسخ واضبطها وقد وقف على طبعها وتصحيحها فقيدنا بالامس الشيخ ابراهيم اليازجي . وستصدر هذه الطبعة قريباً وهي مضبوطة بالشكل اللازم وكفى دليلاً على صحتها عناية اليازجي بتصحيحها

مظفر الدين شاه

ولد سنة ١٨٥٣ وتولى سنة ١٨٩٦ وتوفي سنة ١٩٠٧

من اهم حوادث الشهر الماضي وفاة مظفر الدين شاه ملك الفرس في ٩ منه وانتقال الملك الى ولده محمد علي شاه فنقول كلمة في ترجمتهما ونمهد القول بالكلام على دولة الفرس

دول الفرس

الفرس امة قديمة نبغ منها رجال اهل سياسة وسلطان وقد انشاوا الدول وساسوا الناس ووضعوا الاحكام من قديم الزمان وضخمت دولتهم وقويت شوكتهم حتى حاربوا اليونان قبل الميلاد ببضعة قرون فجردوا عليهم جيشاً قد يمتنع على اعظم دول اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من اواسط اسيا الى البحر الابيض فكيف منذ بضعة وعشرين قرناً ثم حاربوا الرومان حوالي الميلاد وفي الفترة بينه وبين الاسلام وكانت الحرب بين الدولتين سجالاً حتى اذا تولى عرش الفرس كسرى انوشروان في القرن السادس للميلاد حمل على مملكة الروم بخيله ورجله ففتح سوريا واحرق انطاكية ونهب اسيا الصغرى فانفذ اليه قيصر الروم يوستنيان جيشاً بقيادة بليزاريوس فحاربه ورده ثم عاد وعادوا وتوالت الحروب بينهما عشرين سنة وقد تعب الملكان وشاخا فعقدا بينهما صلحاً يقضي على يوستنيان بجزية

سنوية مقدارها ٣٠٠٠٠٠ دينار . ثم عادت الدولتان الى الحرب حوالي ظهور الاسلام فحمل برويز ملك الفرس سنة ٦١٤ م على مملكة الروم ففتح سوريا ومصر وما وراءها واستولى على انطاكية ودمشق وبيت المقدس ومدن اخرى واطلق لجنده نهب بيت المقدس فنهبوها واحرقوا القبر المقدس وكنيسة القيامة وسلبوا خزائنها وحملوا بطاريركها والصليب الحقيقي الى بلادهم وواصلوا القتل والنهب في سوريا الى سنة ٦١٦ ويقدرون انه قتل من المسيحيين نحو ٩٠٠٠٠ نفس ثم فتحوا اسيا الصغرى حتى كادوا يطأون البوسفور

فحمل عليهم هرقل قيصر الروم فردهم وغلبهم سنة ٦٢٢ م وقضى في محاربتهم ثلاث سنين حتى اوغل في بلادهم فاضطر برويز ان ينسحب للدفاع عن مملكته ثم تحاربا مرة اخرى فظفر الروم واندحر الفرس وتقهقروا تقهقرًا قبيحًا وخلف برويز ملوك لا يصلحون للعمل . واتفق ظهور الاسلام في ذلك الحين وحمل العرب على العالم فكان من جملة ما فتحوه بلاد الفرس . وكان الفرس يومئذ اهل تمدن وعلم وفلسفة وقد ترجموا علوم اليونان والهنود قبل ان يترجمها المسلمون ببضعة قرون [1] غير ما وصل اليهم من علوم البابليين والاشوريين وغيرهما

فلما دخل الفرس في حوزة العرب اعتنقوا الاسلام وخدموا دولته بعلمهم وسياستهم وادارتهم وسيوفهم وهم الذين اقاموا الدولة العباسية ونظموا حكومتها وساسوا شؤونها فاستخدمهم الخلفاء في الوزارة والعمالة والقيادة . فلما ضعف الخلفاء بعد مقتل الامين بن الرشيد واعاد الفرس اخاه المامون الى الدولة ازدادوا دالة عليه واستخفافًا بالسلطة العباسية فطمعوا بالاستقلال في اماراتهم مع اعترافهم بالسيادة الدينية للخلفاء فتفرعت المملكة العباسية الى امارات مستقلة اكثرها فارسي وهذه اهمها

	الدولة	مقرها	مدة حكمها	مؤسسها
١	الطاهرية	خراسان	٢٠٥ — ٢٥٩ هـ	طاهر بن الحسين
٢	الصفارية	فارس	٢٥٤ — ٢٩٠	يعقوب بن الليث
٣	السامانية	ما وراء النهر	٢٦١ — ٣٨٩	نصر بن احمد
٤	الساجية	اذربيجان	٢٦٦ — ٣١٨	ابو الساج
٥	الزيارية	جرجان	٣١٦ — ٤٣٤	مرداويج بن زيار

وترى ان هذه الامارات لم تمكث طويلاً ثم قامت دولة آل بويه في اوائل القرن

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ صفحة ١٣٠

الرابع للهجرة وهي اكبر دولة فارسية شيعية ظهرت في الشرق حكمت من سنة ٣٢٠ـ٤٤٧ هـ وذهبت دولة الفرس بذهابهم وتحولت قوة الاسلام الى دول الترك واشهرها الدولة الغزنوية والسلاجقة ومماليكهم الاتابكة . ثم ظهر المغول او التتر من الشرق واكتسحوا المملكة الاسلامية في اوائل القرن السابع للهجرة بقيادة جنكيز خان . وتوالى اعقابهم على تلك المملكة بضعة قرون والفرس لا دولة لهم تستحق الذكر

وفي اوائل القرن العاشر استانف الفرس السلطة فانشاوا دولة عرفت بالدولة الصفوية (من سنة ٩٠٧ — ١١٤٨ هـ) تنسب الى الشيخ صفي الدين الارديبلي ويلحقون نسبه بالامام موسى الكاظم فهم بهذا الاعتبار عرب ولكن دولتهم عرفت بدولة الشاهات الصفوية اولها شاه اسماعيل حارب بقايا الدولة التيمورية المغولية وجعل عاصمته مدينة تبريز في آذربيجان ثم اشتد ساعده فحمل بجنده على خراسان الى هرات وضم اليه سائر بلاد فارس فاصبحت مملكته تمتد بين نهر الاكسوس وخليج العجم او بين افغانستان والفرات

وكانت الدولة العثمانية في ابان سلطتها وقد رفعت اعلامها على اسيا الصغرى وبلاد الروملي وخاف الاتراك امتداد سلطة مناظريهم الشيعة نحو مملكتهم فحمل السلطان سليم الفاتح بثمانين الف فارس و٤٠,٠٠٠ راجل واكتسح بلاد الفرس حتى دخل تبريز وضم اليه ديار بكر وما يليها . ثم خطر لذلك الفاتح العظيم ان يتوقف عن فتوحه في بلاد الفرس ويتحول نحو مصر فتحول اليها وفتحها واسترجع الفرس ما كان قد فتحه من بلادهم وكان ذلك فاتحة النزاع على الحدود بين مملكة الفرس والمملكة العثمانية وما زال ذلك موضع نظر الى عهد قريب

وتولى السلطة من الدولة الصفوية ١١ شاهاً اعظمهم شاه عباس تولى الملك ٥٣ سنة (من ٩٨٥ — ١٠٣٨ هـ) وخدم امته خدماً عظمى فنظم الجند واسترجع بعض البلاد التي خرجت من سلطة اسلافه ونشط العلم واهله والصناعة واربابها واصلح البلاد اصلاحاً هاماً . وكان معاصراً لثلاثة ملوك عظام يندر اجتماعهم في عصر واحد وهم السلطان سليمان القانوني على الدولة العثمانية واكبر شاه على الهند واليصابات على انكلترا

آخر شاهات الصفوية عباس الثالث انقضى حكمه سنة ١١٤٨ هـ على ان الدولة ضعفت في اواخرها فاستولى عليها امير الافغان محمود سنة ١١٣٥ وغيره حتى ظهر نادر شاه الفاتح الفارس العظيم الملقب بنابوليون الشرق فانشأ دولة عرفت بالافشارية حكمت من سنة ١١٤٨ ١٢١٠ هـ وملوكها اربعة



شاه عباس

وكانت امارات فارس في اثناء ذلك تتنازعها غير امير من امراء الفرس آزاد الافغاني في اذربيجان وعلي مردان البختياري في اصفهان ومحمد حسين القاجاري في استراباد وكريم خان الزندي كان في نصرة الدولة الافشارية فتغلب هذا الاخير وحكم معظم بلاد فارس هو واعقابهُ من سنة ١١٦٣ — ١٢٠٣ ه

وكان القاجارية من الجهة الأخرى يتحفزون للوثوب على الدولة — وهم قبيلة تركية الاصل كانت تقيم في ماوراء بلاد القوقاس . فلما تولى شاه عباس العظيم استقدم بطناً منها الى جنوبي الشاطىء الشرقي من بحر قزوين . فاقاموا بجوار استراباد ومنهم الاسرة الحاكمة على الفرس اليوم واول ملوكها اقا محمد بن محمد حسين المتقدم ذكره . وكان اقا محمد متربصاً حتى اذا آتيحت لهُ فرصة وثب بها على الدولة واستولى على بلاد فارس وتملكها سنة ١١٩٣ وتوارثها اعقابهُ وتنوسي اصلهم التركي . وحكم بعد اقا محمد ابنهُ فتح علي وافضى الملك بعد هذا الى حفيده محمد بن عباس وبعده لابنهِ ناصر الدين شاه ثم الى مظفر الدين شاه المتوفى بالامس وبعده لابنه محمد علي شاه الملك الحالي وهذا جدول شاهات القاجارية بحسب انسابهم والاسم المشتمل بين قوسين لم يحكم :

محمد حسين

(١) اقا محمد

(٢) فتح علي

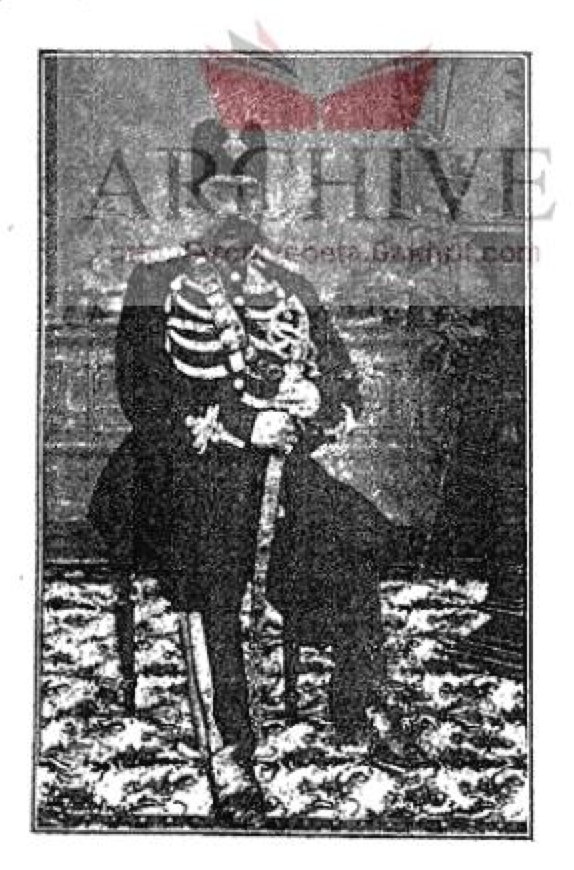
(علي ظل السلطان) (حسين) (عباس)

(٣) محمد

(٤) ناصر الدين

(٥) مظفر الدين

(٦) محمد علي



مظفر الدين شاه

مظفر الدين شاه خامس شاهات الدولة القاجارية ولد في ٢٥ مارس سنة ١٨٥٣ (١٢٦٩ هـ) ولما شب عهدت اليه ولاية آذر بيجان فاقام في عاصمتها تبريز على عادة الفرس من عهد بعيد ان يقيم ولاة العهد منهم في هذه المدينة. وتثقف مظفر الدين فيها فتلقى العلم على اساتذة عظام لان تبريز من أحوى مدائن الفرس للعلم والعلماء وفيها المدارس والمطابع والجرائد على قدر ماتؤذن به حال تلك البلاد. فاتقن الشاه المرحوم على الخصوص العلوم الرياضية والعقلية والحربية ولا سيما فن المدفعية. ذكروا انه كان قلما يخطيء اذا اطلق مدفعاً. وشغف بالجغرافيا والتاريخ وتعلم اللغات الفارسية والعربية والتركية والافرنسية. فمكث في ولاية العهد نحو ٣٩ سنة باذربيجان فلما قتل المرحوم والده خلفه في اول مايو سنة ١٨٩٦ وقد بلغ الثانية والاربعين من عمره

وكان منذ نعومة اظفاره ميالاً الى الحرية الشخصية لا يعجبه استبداد الملوك برعاياهم رفيقاً بالناس يستنكف ان يصاب احد بسوء فقضى مدة ولايته على آذربيجان لم يصدر حكماً بالاعدام بتوقيعه فاذا لم يكن بدٌّ من اصدار الحكم بذلك اناب من يوقع عنه. فلما تولى عرش فارس كانت أول حسناته انه تنازل عن الراتب الذي كان يستولي عليه خلفاؤه وقدره يومئذ خمسة ملايين فرنك في العام وجعله ٧٥ الف فرنك واحدث في الدولة اصلاحات تستحق الاعتبار ويذكرها له التاريخ مدى الادهار وهي :

(١) انه الغى ضرائب الخبز واللحم وسائر لوازم الحياة فنقصت بذلك واردات الحكومة لكنه لم يبال بنقصها وهذا الذي حببه الى الشعب الفارسي بنوع خاص. والغى كثيراً من الوظائف التي لم تكن الدولة في حاجة اليها .

(٢) ابطل تلزيم الاعشار وجعلها تعطى عيناً او بدلاً

(٣) منح حكام الاقاليم نوعاً من الاستقلال في حكوماتهم

(٤) زاد في تنظيم الجند الفارسي على النظام الافرنجي الجديد. واول من شرع بذلك فتح علي شاه سنة ١٨١٣ وكان قد سمع بنظام الجند الفرنساوي على ما وضعه بونابرت فبعث الى فرنسا استقدم احد مشاهير قوادها ومعه عشرون ضابطاً جعلهم جميعاً تحت قيادة ابنه عباس ميرزا ولي عهده وكان يومئذ والياً على اذربيجان

فدربوا الجند على نظام الجند الفرنساوي . ثم تراءى له ابداله بالنظام الانكليزي وسمي الجندي « سرباز » اي فادي الرأس . ثم ابدله ناصر الدين شاه بالنظام النمساوي سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٦) على اثر رحلته المشهورة الى اوربا واختار لجنده ضباطاً نمساويين عقد معهم اتفاقاً على خمس سنوات فلما قضوا تلك المدة طابت لهم الاقامة هناك فتجنسوا بالجنسية الفارسية وتوطنوا . ولما تولى مظفر الدين بذل جهده في تحسين الجندية . ولا سيما بعد ان رحل الى أوربا وشاهد نظام جنودها

(٥) أنشأ كثيراً من المدارس ينفق عليها من جيبه في طهران وتبريز وبوشهر وغيرها — ومؤسس هذه النهضة في بلاد فارس والده ناصر الدين شاه اذ اقتدى بالمرحوم محمد علي باشا مؤسس النهضة العربية فارسل سنة ١٨٥٤ اربعين شاباً من أدباء الفرس واهل العصبية برئاسة حسن علي خان امير نظام من مشاهير قواد الفرس الى فرنسا فتلقوا فيها العلوم الحديثة وعادوا الى بلادهم فانشئت لهم المدارس على النمط الحديث لتعليم الطب والهندسة والميكانيكيات والطبيعيات والتاريخ الطبيعي والصنائع والعلوم والآداب ومدرسة للترجمة انشأها ناصر الدين في طهران سماها دار الترجمة اقامها في قصره وتحت رئاسته لترجمة الكتب العلمية وغيرها كان ينفق عليها من ماله — فمؤسس هذه النهضة ناصر الدين شاه وسار مظفر الدين رحمه الله على خطوات والده . ويقال نحو ذلك في الصحافة والطباعة فقد صدر في ايامه جرائد فارسية كثيرة في انحاء مختلفة من مملكة فارس وخارجها وعدة مطابع مما يطول تفصيله

(٦) انه قلب نظام الحكومة من الملكي المطلق الى الحكم الدستوري وهي خطوة كبرى نحو اسباب المدنية . ومما يضاعف فضله في ذلك ان وزراءه لم يكونوا يميلون الى منح الرعية هذه المنة او لعلهم خافوا الفشل فسايرهم ريثما اقنعهم بصحة رأيه عياناً فاصطحب جماعة من كبارهم في رحلاته الثلاث الى اوربا حتى يريهم فضائل النظام الدستوري رأي العين ولم ينفك عن السعي في هذا السبيل حتى فاز به فمنح رعيته الحكم الدستوري وأنشأ مجلس النواب فدهشت أوربا لهذا الانقلاب العظيم

وما زال عاملاً على اصلاح دولته حتى توفاه الله في ٩ يناير الماضي وهو في

الرابعة والخمسين من عمره وقد أعقب ١٨ ولداً ستة ذكور و١٢ انثى . وتقدر ثروته بنحو ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه ا كثرها من المجوهرات واعظم جواهره الماسة الشهيرة المسماة « دريا نور » وزنها ١٨٦ قيراطاً والمسماة « تاج ماه » وزنها ١٤٦ قيراطاً

صفاته واخلاقه

قد وصفه اللورد كرزن حاكم الهند وصف رجل عرفه وخبره فقال « هو زكي الفؤاد واسع الاطلاع ولاسيما في التاريخ وله رغبة في علم البنات واتهمه بعضهم بالتعصب الديني ولكنهم بنوا رأيهم في ذلك على ما شاهدوه من احترامه للمشائخ (الملاّ) واصغائه لاقوالهم على انني لا أعد هذا الأ تورعاً في الدين لا يخشى منه على السلام في المستقبل »

وقال المستر فوستر فرايزر السائح حول العالم بالعجالة وقد زار الشاه المرحوم ثم كتب عنه ما معناه « يهتم الشاه بالسياسة الاوربية كثيراً واذا عرض له مشكل سياسي تشبه في حله ببعض دول أوربا وربما سأل جليسه اذا كان انكليزياً ما الذي كانت ملكة الانكليز تفعله في مثل هذه الحال . فاذا قيل له ان الملكة لا تتعرض لهذه الشؤون وانما ينظر فيه الوزراء والنواب استغرب — يتناول الشاه طعام الصباح باكراً ثم ينام ساعة وينهض فيشرب الشاي ويتلاهى بآلة للتصوير الشمسي عنده او يلعب بالنرد مع بعض الوزراء وكلهم يجتنب ان يغلبه وربما تشاغل في حديقته باصلاح نباتها أو ترتيبه أو تصوير بعض الرسوم بالفوتوغراف . وقد رأيت بعض ما أخذه من هذه الصور فاذا هي جميلة متقنة . ويحب ان يتصور على اختلاف اشكال لباسه وتباين اوضاعه حتى صوروه في فراشه . ورأيته مصوراً بثوب جندي بروسياني و بثوب قسيس انكليزي . . . وعند الشاه ثلاثة ندماء « مهرجين » يضحكونه بالنوادر والاحاديث او باحراق بعضهم شعور البعض الآخر أو بالمغالبة حتى يلقي بعضهم بعضاً في البركة بين يديه . وسأل بعض جلسائه من الانكليز ذات يوم عن الملاكمة التي اشتهروا بها (بوكس) وطلب اليه ان يمثلها مع احد مضحكيه فاجابه ولكم المضحك لكمة القته طريحاً فضحك الشاه حتى استلقى »

قصوره وتحفه

وللشاه قصور كثيرة كلها فخيم ولا سيما القصر الذي فيه عرشه المعروف بالعرش الطاووسي وفي هذا القصر بيت الخزنة وهو من أجمل ماصنع البشر وقد وصفته سائحة انكليزية اسمها مسز بيشوب في عرض كلامها عن رحلتها الى كردستان قالت « ان جدران القاعة الكبرى مزينة باشكال جميلة مصنوعة بالجبسين الصلب ملونة بالازرق والابيض يصعب تمييزها من الرخام . والقاعة متناسبة وأرضها مدهونة بما يشبه الفسيفساء عليها مائدة مغشاة بالذهب الخالص وكراسي من هذا النوع وحولها رفوف على قوائم فوقها صناديق من البلور تشف عما تحويه من الذخائر الثمينة والاحجار الكريمة التي لا مثيل لها في العالم وفي جملتها كثير من حب اللؤلؤ الكبير واحجار الماس والزمرد والياقوت والزفير وآنية من الذهب الخالص وأدراع مرصعة بالحجارة الكريمة بعضها قديم ينسب الى الشاه اسماعيل واتراس مرصعة بالماس والياقوت وخناجر وسيوف مرصعة بالجواهر وخوذ مرصعة بالياقوت الاحمر كانها النجوم في ليلة صافية . وأطباق وصوان من الذهب المرصع بالجوهر وتيجان مرصعة وسلاسل وضروب من الحلي على اختلاف اشكالها وغير ذلك . وهناك صندوق فيه الاوسمة الخاصة بالشاه تتلألأ بالجواهر الجميلة . وبعض الصناديق البلورية التي ذكرتها يزيد علوه على ثلاث اقدام وعرضه نحو ١٢ قيراطاً أو اكثر . وكلها ملأى باللؤلؤ والياقوت والماس والزفير والزمرد متراكمة بغير نظام كانها كوم من الرز او الشاي وقد اختلطت الاشعة المنعكسة عنها بالوانها الجميلة مما يبهر النظر . ومن أعجب ما هنالك من ادلة الثروة كرة من الذهب مرصعة بالجوهر تمثل الارض قطرها ٢١ قيراطاً تدور على محور وقد صنعت قاعدتها وخط نصف النهار حولها من الذهب المرصع بالياقوت وتعينت ممالكها بحجارة من الياقوت الا بلاد ايران فبالماس وأما البحور فمرسومة بحجارة من الزمرد . وعند قاعة الكرة طائفة من النقود الذهبية الكبيرة الحجم تساوي القطعة منها ٣٣ جنيها

« وفي صور هذه القاعة واعلاها عرش فارس ولو أردت وصفه لاستغرق تعداد ما فيه عدة صحائف فكيف بوصفه . وليس هذه كل ذخائر الشاه فان جواهر كثيرة وفي

جملتها الماسة در يانور (اي بحر النور) محفوظة في قاعة أخرى بصندوق من الحديد مؤلف من طبقتين ناهيك بسبائك الذهب المختزنة في دهاليز مقببة تحت القصر . فاذا كانت هذه ثروة دولة الفرس في هذا العصر فكم كانت ثروتها ايام داريوس واحشويرش والاكاسرة والشاهات القدماء . وكنت أظن ما يرويه المشارقة من ثروة مملكة الفرس القديمة من قبيل الخرافات الشرقية فلما شاهدت هذه التحف تحققت صدقهم . ولما فرغنا من مشاهدة التحف دعانا الوزير لمشاهدة العرش الطاووسي الذي حمله نادر شاه من دهلي ويقدرون انه يساوي ٢,٥٠٠,٠٠٠ جنيه وهو مصنوع من الذهب المرصع بالميناء وظهره مرصع بالياقوت والماس وعلى قاعدته سجادة حاشيتها منسوجة بحب اللؤلؤ — ولعلك اذا قرأت قولي تحسبني ابالغ مبالغة شرقية ! ولكنني اقول ما شاهدته عياناً » اه

وكان مظفر الدين الشاه كثير العناية بالاطلاع على اخبار أوربا يقيم أناساً يترجمون له الجرائد الانكليزية وغيرها . غير محادثته من يجالسه من الافرنج رغبة منه في الاطلاع على الآراء الحديثة . وهو يحب الصيد والقنص ويذهب اليه في حاشيته كعادة ملوك الفرس منذ القدم

محمد علي — الشاه الجديد

ولما توفي مظفر الدين شاه خلفه ولي عهده محمد علي ميرزا ثالث أولاده المولود سنة ١٨٧٢ فهو في الخامسة والثلاثين من عمره وأمه ليست من الاسرة القاجارية . تثقف بالعلوم والمعارف منذ حداثته واتقن اللغة العربية وآدابها وفيه ميل الى العلوم القضائية على الخصوص فهو يحب المطالعة بالفقه والاصول وقد درس اللغات الافرنسية والانكليزية والروسية فضلاً عن العربية والفارسية وله المام بالموسيقى وهو قوي البنية ضخم العضل كما يظهر من رسمه

فلما تولى والده عرش ايران سنة ١٨٩٦ واصبح هو ولي عهد الدولة انتقل الى تبريز قصبة اذربيجان على مقتضى التقاليد القديمة فلما اشتد الداء على ابيه استقدمه الى طهران فجاءها ودخل عليه مع عمه كامران ميرزا وزير الحربية فلما رآه عانقه

وخاطبه بما معناه :



محمد علي — الشاه الجديد

« قد بلغني ما انكرته عليك وذلك انك تأبى على الشعب ان ينال الدستور ويؤسس مجلس الشورى كما جاء في الكتاب العزيز فهل هذا صحيح ؟ »

فاجابه والدمع في عينيه « ان المملوك لا يخالف أمر مولاه »

فسر الوالد بذلك وتناول ورقة كانت على المائدة ودفعها الى ابنه وهو يقول «وقع على هذه الورقة بجانب توقيعي »

فتناولها ووقع عليها وهو لم يقرأ منها حرفاً وردَّها الى والده فاخذها وهو يبتسم وقال « قد بالغت في التادب حتى كتبت توقيعك بدون ان تقرأ فاخبرك انك وقعت على الدستور الذى سيناله الشعب ان شاء الله » ثم أخذ الشاه الحالي يبرىء نفسه مما يتهمونه به من كرهه للدستور في حديث طويل

* ادارة الهلال يلزمها الاعداد الآتية من سني الهلال

من السنة العاشرة ١ و٢ و٦ و٧ و٨ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ ومن الحادية عشرة ١ و٦ و٩ و١١ و١٢ و١٤ و١٦ ومن الثانية عشرة ١ و٥ و٨ و١١ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦

بالرصاص او نسفاً بالبارود او باي طريقة اخرى غير السهر · ولم يعش في سجنه الا ١٩ يوماً كانت الاخيرة منها شرًّا عليه من الموت

ومما يدل على سلطان النوم ما ذكروه عن دميان الذي حاول قتل لويس الخامس عشر وحكم عليه بالاعدام تمزيقاً بين اربعة احصنة يشدونه اليها باطرافه وبجفل · قالوا : وكان في جملة انواع العذاب التي حكم عليه بها قبل التمزيق ان يمسك جسمه بملاقط محماة الى الحمرة و يصب عليه رصاص مصهور وزيت محمى وكبريت مشتعل ناهيك برهبة الموت وفراق العالم · ومع ذلك فان النوم غلب عليها كلها ولو لم يكرر معذبوه ايقاظه نخساً وكرًّا لاستغرق في النوم كانه على فراشه بين اهله واولاده · وقد اعترف دميان قبل اعدامه ان اكراهه على اليقظة كان شرًّا عليه من سائر انواع العذاب

راجع مقالتنا «نم باكرًا تعمر طويلاً» في الهلال الرابع من السنة السابعة

ديوان التفتيش

(قمرونه) قطيه افندي محمد الصريري

ما هو ديوان التفتيش المشهور باحكامه القاسية واين نشأ ومتى

﴿الهلال﴾ يريدون بديوان التفتيش نظاماً سنّ باسبانيا في القرن الخامس عشر لكشف البدع الدينية وابطالها · على انه يرجع باصله الى القرون المسيحية الوسطى او الى اوائل النصرانية و يمكن قسمته من حيث تقلبه واختلاف الغرض منه الى ثلاثة ادوار (١) معالجة البدع الدينية والرذائل قبل القرن الثالث عشر · والقصد منه يومئذ حميد والوسيلة حسنة (٢) التفتيش الدومينيكي من عهد مجمع طولوسة سنة ١٢٩٩م (٣) التفتيش الاسباني من سنة ١٤٨٠ الى سنة ١٨٣٤ ويختلف الاخيران عن الاول ان هذا كان البحث فيه عن البدع والرذائل منوطاً بالاساقفة ولم يكن موجهاً الى بدعة معينة واما الاخيران فكانا على ضد ذلك كما سترى

الدور الاول — لو بحثنا عن جرثومة هذا الديوان في أصل وضعه مع شهرته بالقسوة والظلم لرأينا الغرض الاصلي منه حميداً بل هو من اسمى الفضائل ثم توالت عليه احوال اختلفت باختلاف العناصر التي تولت شؤونه حتى انقلب الى عكس المراد به كما يحدث في النظامات الدينية او الاجتماعية في كل زمان ومكان · و يندر ان يتخذ الناس مذهباً يدينون

به ويتقاضون الى اهله ان لم يكن قائماً على اساس حسن واذا رأيته على عكس ذلك فاعلم ان الانسان افسده بما غير فيه وبدل على ما يوافق اغراضه ومطامعه اعتبر ذلك — في المذاهب الشائعة في العالم اصولها وفروعها . فتراها تمشت على هذا الطريق فالتفتيش كان الغرض منه في اول وضعه العمل بتعاليم النصرانية الحقة اي تنقية البشرية من ادران الرذائل وابطال البدع الفاسدة والتعاليم المعوجة ليشمل السلام العالم بامره . وكان يتولى ذلك اولاً القسيسون بالموعظة الحسنة فيعظون الناس بالحسنى ويخوفونهم من العقاب ويرغبونهم في الثواب ويفرضون عليهم كفارات او قصاصات كنائسية خفيفة . ولما صارت النصرانية ديانة القياصرة اصطبغت صبغة سياسية فاصبحت تلك العظات أوامر تنفذ بالقوة الجبرية . فتحول التبشير من الموعظة الحسنة الى السيف نحو ما حدث في الاسلام عند اول ظهوره . وانما الفرق بينهما في الزمان . فحدث هذا التغيير بالاسلام في سنين قليلة واما في النصرانية فحدث في عدة قرون ولم يتأخر فيها الاّ لضعف النصارى في القرون الاولى . فما لبث القياصرة ان اعتنقوا النصرانية حتى انتضوا السيف ونادوا بالجهاد على اهل الاديان الاخرى او البدع النصرانية — بدأ بذلك قسطنطين الكبير فامر شيعة دوناتوس بالكف عن عبادتها قهراً . ولما تولى ثيودوسيوس امر بهدم الهياكل الفرعونية بمصر وجعل النصرانية ديانة البلاد بالقوة وفعل نحو ذلك في طائفة المانيين . واعتبر هذا أيضاً في الامبراطور شارلمان فانه امر سنة ٧٦٩ ان يطوف الكهنة في اطراف المملكة للتبشير ونشر الدين وابطال الوثنية . وامر شارل الشجاع سنة ٨٤٤ الاساقفة ان يعظوا الناس ويصلحوا شؤونهم ويعلموهم فآل ذلك الى مداخلة الكنيسة في الشؤون السياسية واستخدام السيف في تنفيذ تعاليمها في القرنين التاسع والعاشر . على انها لم تقدم على مثل اعمال ديوان التفتيش الاّ في القرن الثالث عشر — وهو الدور الثاني

الدور الثاني — هو عبارة عن سعي الكرسي البابوي في ابادة البدع النصرانية في القرن الثالث عشر واهمها يومئذ الالبيجنسيون . وهم طائفة من النصارى انتشروا في اوربا في القرون الوسطى وكانوا يعرفون في كل مملكة باسم خاص ويظن انهم نشأوا في القرن السادس للميلاد وهم من قبيل اللاأدرية وكان اعداؤهم يتهمونهم بالعقيدة المانية او المجوسية . وانتشر مذهبهم على الخصوص في غربي اوربا فوصل في القرن التاسع الى بلغاريا وشاع فيها . ولم تمض ثلاثة قرون اخر حتى امتد في جنوبي فرنسا وتشيع له كثيرون ولم يترك الالبيجنسيون تعاليم يستدل منها على حقيقة مذهبهم ولا يجوز تصديق كل ما يقوله

اعدائهم عنهم وليس هنا محل البحث في ذلك . وانما يقال بالاجمال ان الالبيجنسيين كانوا اعداء كنيسة رومية فاضطرت لمقاومتهم فجردت عليهم الجيوش مثل تجريدها في الحروب الصليبية — واشهر القائمين بمطاردة الالبيجنسيين من رجال الكثلكة فولك اسقف طولوسة ونصيره دومينيك دوكزمان المولود سنة ١١٨٠ م ولهذا الاخير تاريخ طويل واليه تنسب رهبنة الدومينيكيين وكان الغرض من انشائها وانشاء رهبنة الفرنسيسكانيين الوعظ ضد البدع واستئصال التعاليم المخالفة للكنيسة الرومانية فقاسى الالبيجنسيون عذاباً عظيماً حتى اضطروا الى التستر فانشأت الكنيسة سنة ١٢٢٩ م ديواناً للبحث عنهم سمته ديوان التفتيش اقتص آثارهم وابادهم

وانتشر الديوان المذكور في اكثر مدائن اوربا ولا سيا فرنسا وايطاليا واسبانيا وله في اسبانيا تاريخ خاص هو دوره الثالث

الدور الثالث — دخل نظام التفتيش اسبانيا سنة ١٢٣٢ م وانتشر في مقاطعاتها بسرعة غريبة ثم صار غرضهُ منصرفاً الى مقاومة المذاهب غير النصرانية فذاق اليهود به عذاب الموت . وكان جماعة منهم قد اظهروا النصرانية خوفاً من الاضطهاد وهم في الباطن على دين اسرائيل فاهتم الرهبان الدومينيكيون بالتفتيش والبحث عن اولئك المرائين وعن اموالهم وحساباتهم وحرضوا الحكومات عليهم ووضع الديوان نظاماً ضيق به حتى على التائبين منهم فحل باليهود بلايا عظيمة . وبعد ان اتهموهم احرزوا نفوذاً وثروة اتهموهم بالارتداد عن النصرانية وانهم يقتلون اولاد المسيحيين في جمعة الآلام ووشوا عليهم بصلب بعض غلمان الاشراف — وهو اصل ما يتهم به اليهود الى اليوم من قتل النصارى لتصفية دمائهم . واستصدروا امراً بنفيهم من اسبانيا وضربوا على كل من يأوي يهودياً غرامة فادحة لكنهم اذنوا لهم ببيع عقاراتهم وشرطوا عليهم ان لا ينقلوا معهم الذهب ولا الفضة وأراد اليهود ان يفتدوا هذا النفي بالمال وكاد الملك يقبل افتداءهم فغلب عليه رأي الرهبان فعاد الى نفيهم

ولم يفرغوا من تعذيب اليهود حتى تحولوا الى المسلمين بعد فتح غرناطة سنة ١٤٩٢ وخيروهم بين النصرانية والنفي والقتل . وتخلل ذلك احراق الوف من الكتب العربية التي خسرها العالم ولم يمض زمن حتى خلت اسبانيا من المسلمين ومن اللغة العربية الا ما بقي من آثارها في لسان الاسبان كما بقي من آثار التمدن الاسلامي في اكبر مدائنهم

ولما ظهرت الطائفة الانجيلية في القرن السادس عشر نالها من ديوان التفتيش حظ كبير

وعانى اصحابها عذاباً اليماً يطول بنا شرحه • ويقال بالاجمال ان ديوان التفتيش أتى بافظع ماذكره التاريخ من حوادث الحرق والصلب والتعذيب على طرق غريبة وما زال على ذلك حتى الغي سنة ١٨٣٤ م ويقدرون عدد القتلى في هذا السبيل باسبانيا وحدها بعشرات الالوف فقس عليها اعماله في سائر البلاد



تغذية الاطفال [1]

الرضاعة

ما هو الغذاء الاكثر موافقة لصحة المولود ؟ هو لبن والدته !

تعلمين أيتها السيدة أن لكل امرأة غدتين تفرزان الغذاء (اللبن) اللازم للمولود وهاتان الغدتان هما الثديان • فهذان الثديان هما اللذان يدران للمولود أحسن غذاء موافق لصحته ونمو لجسمه الا وهو لبن الوالدة

والمولود من النوع الانساني يولد عارياً عن كل شيء ولا قدرة له على عمل غير الرضاعة ! فكل مولود تام الخلقة قادر على الرضاعة بنفسه من ثدي والدته أو مرضعته بمجرد وضع حلمة الثدي في فمه • واني اقول جملة تلخص لك قانون الرضاعة وأرجو ان تجعلي هذه الجملة نصب عينيك وان تنقليها لجميع الامهات والبنات واليك تلك الحكمة التي لايختلف فيها اثنان :

• ان لبن الام هو الغذاء الوحيد الجامع للشروط الطبية اللازمة لحفظ صحة المولود ونموه •

فلبن الوالدة لولدها لا يعادله لبن حيوان آخر : بقرة أو جاموسة او حمارة او معزى اوغيرها) ولا يصح الاستغناء عنه باي غذاء كان فان الله عز وجل خلق كل مولود واودع في ثدي والدته اللبن الموافق لجسمه دون سواه

وللبن الوالدة مزية خصوصية لاتوجد في لبن آخر فضلا عن المزايا الاخرى المعلومة •

---

(١) مقتطفة من كتاب صحة المولود للدكتور عبد العزيز نظمي

وهذه المزية العظيمة هي ان اللبن يخرج من ثدي الوالدة الى فم الطفل مباشرة ومنه الى معدته بدون ان يتلوث بما يغير طعمه او تركيبه او يفقده شيئاً من خواصه وبدون ان تصل اليه جراثيم الامراض المعدية الكثيرة المنتشرة في الهواء والماء والاواني وغيرها ثم ان درجة حرارته ثابتة لا تتغير فحينئذ لبن الوالدة يخرج من الثدي نقياً ويصل الى جسم الطفل كذلك وهذه مزية لا تجدها في غذاء آخر

وكأني بك تسألين « هل جميع الوالدات يحملن في ثديهن هذا الغذاء الثمين وهو اللبن النقي ؟ »

نعم جميع الوالدات يجدن في ثديهن بعد الوضع هذا اللبن النقي ؟

ولكن بالاسف ان بعض الوالدات (٢ في المائة تقريباً) لا يقدرن على ارضاع اولادهن اما لان ثديهن غير منتظم كأن لا يكون له حلمة واما ان تكون الوالدة مصابة بمرض حاد يخشى منه على حياتها وحياة ولدها اذا هي ارضعته بنفسها

وعلى ذلك يكون ٩٨ في المائة من الوالدات قادرات على ارضاع اولادهن من ثديهن و ٢ في المائة مجبورات على تغذية أولادها بطريقة أخرى نسميها التغذية الصناعية او الرضاعة الصناعية . واقل الاغذية ضرراً على صحة المولود المحروم من لبن والدته اولبن مرضعته جيدة الصحة هو لبن الحيوان

المرضعات

يطلق اسم مرضعة مأجورة على امرأة مكلفة بارضاع مولود امرأة أخرى في مقابل مبلغ من المال قد تضطر الوالدة الى استئجار مرضعة لولدها ولاسباب صحية قوية مثل اصابتها بمرض معدي او خطر او ضعف صحتها او عدم وجود لبن كاف في ثديها (بعد اقرار الطبيب على ذلك) ولكننا نرى بعض العائلات يفضلن ارضاع اولادهن بلبن مرضعة مأجورة لأسباب واهية أو لعدم تكليف الام مشاغل الرضاعة وحرمانها من الاهتمام بالزيارات الدنيوية والانفراد بمحبة زوجها . وهي احساسات غير جديرة بوالدة عاقلة شفوقة على ولدها

لا أشك انك لو سألت ضميرك الخالص وحنانك الطبيعي لعلمت انك تودين ارضاع ولدك وفلذة كبدك من ثدييك حتى تضميه لصدرك غير مرة في الليل والنهار وتملأي عينيك من رؤيته ولكن للأسف تجدين بجانبك حزباً معارضاً رئيسته الست والدتك ووكيله زوجك المحترم لان هذين المحبين لك لايودان ان يرياك مشتغلة البال بارضاع

ولدك الذي يلهيك ويمنعك عن التحلي بالملابس المزخرفة واداء الزيارات العديدة والمقابلات · ومن وجه آخر تخاف والدتك ان تؤثر الرضاعة على صحتك وتضعفك وتذهب برونق جمالك · اما زوجك فيخشى ان تنسبيه للبخل عليك باجرة مرضعة وان تكوني اقل من الزوجات الاخريات اللاتي احضرن مرضعات او ربيات لاولادهن وكأنه يحسد ولده على الاختصاص بمحبتك وحنانك ... الخ

وعليه فاني لا اخالك الا مائلة الى اطاعة والدتك وزوجك في استحضار مرضعة لولدك من يوم وضعه ولكني اقول لك بصراحة انك اذا اتيت هذا العمل فقد اتيت ذنباً عظيماً وجنيت جناية كبرى يعاقب عليها قانون الشفقة والحنان كما سأبينه لك :

فأما الذنب العظيم فهو اضرارك بصحتك وصحة ولدك بدون ان يأتي عملاً يستحق هذا العقاب لان حضوره لم يكن بارادته بل بارادة الله اولا وبزواجك ثانياً

اما الاضرار بصحتك فلكونك خالفت الطبيعة في سيرها اذ خلق الله الاعضاء وجعل لكل منها عملاً يجب ان يؤدى والا نشأ ضرر من عدم ادائه والثدي عضو عمله افراز اللبن اللازم لتغذية الطفل فابطال هذا العمل مضر بالجسم كابطال عمل المعدة اوالرئة مثلاً

والاضرار بصحة ولدك الذي حرمتيه من لبنك ينشأ من اعتدائه بغير الغذاء الذي عينه له الله فان لكل طفل غذاء كما ان لكل انسان غذاء يوافقه وحيث ان اعضاء الطفل تكونت ونمت بالتغذي من دم أمه فيكون من العدل ان يتغذى من لبن أمه ايضاً حتى يستمر تكوين اعضائه التي لم يتم تكوينها في بطن الام

فالمضر بصحة الطفل ارضاعه من مرضعة غير والدته ولو كانت هذه المرضعة كاملة الشروط من حيث جودة اللبن وكثرته ومن حيث آداب المرضعة وقناعتها وسلامة جسمها الخ ولكن ناشدت العائلات المصرية الحق أليس من النادر وجود مرضعات حائزات لهذه الصفات ؟ او لم نر مرضعات تظهر عليهن علامات الصحة التامة وهن في الحقيقة ضعيفات جداً وربما كن مصابات بامراض معدية لم تظهر عند فحص الطبيب وينشأ عن ذلك اصابة الطفل بما هن مصابات به؟ حتى انه كثيراً ما نرى المرضعة والطفل واقعين في شباك الامراض بعد ان يقرر الطبيب جوده صحة المرضعة وحسن لبنها · فاما اسباب اضمحلال المرضعة فهي كثيرة فتارة تكون مادية اعني مسببة عن قلة الاكل او كثرته او الاكثار من ادوية مضرة نتيجة اصابة معدية الخ · وتارة تكون ادبية ناشئة من فراقها لابنها وزوجها طمعاً في الكسب

اما اسباب اضمحلال الطفل المسلم للمرضعة فهي اولاً اضمحلال صحة المرضعة . ثانياً سوء معاملة المرضعة له فكم من مرضعات يستعملن طرقاً تاباها النفس لاسكات الطفل ليلاً واقل هذه الطرق اعطاء الطفل مزيجاً من ابي النوم وهو نبات يحتوي على كمية من الافيون

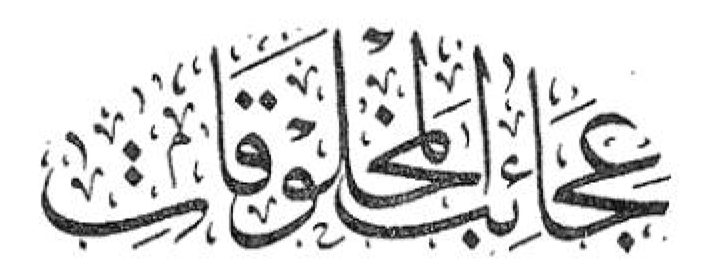
ولو فرضنا ان المرضعة كانت منزهة عن كل سوء فهل يمكننا ان نضمن بقاءها مع ولدنا لحين اتمام رضاعته ؟ أليس من الجائز في يوم من الايام ان تطلب الخروج وتترك لنا الطفل مريضاً بعد ان يكون قد تعود عليها وتكون عرفت عاداته ؟ فاذا حصل ذلك كانت النتيجة سيئة جداً عليه اذ في الغالب تضعف صحته ويزيد مرضه لفراقها . ثم انه خوفاً من ترك الطفل بدون مرضعة تأخذ له والدته أي مرضعة كانت قبل البحث عن آدابها وصحتها و يصعب على المرضعة الجديدة معرفة عادات الطفل من اول يوم . فتندم الام على عدم قيامها بالواجب نحو ولدها وارضاعه بنفسها ولات ساعة مندم . بقي عليَّ ان افسر لك الجناية التي تجنيها الوالدة عند ما تنتخب لابنها مرضعة ذات طفل حي وتفرقه من امه

من المعلوم ان كل القوانين تعتبر السرقة او الاشتراك فيها جناية والوالدة التي تاخذ مرضعة لابنها انما تشترك معها في سرقة لبن ابن المرضعة فلو ادعت الام انها دفعت ثمن هذا اللبن اقول لها ان لبن المرضعة ملك لابنها لا ملك لها فالبيع غير صحيح لان صاحب الملك لم يصادق ولم يقبل هذا البيع ولا يصح لوالدته ان تبيع ما ليس لها وانما هي الامينة عليه

ومع ذلك هل تظن الوالدة التي تستأجر مرضعة ان ما تدفعه لها يعادل تلف الصحة الذي ينشأ لابن المرضعة من ابعاده عن ثدي امه

ألا تعلم ان حرمان الولد من لبن امه يكون سبباً لموته في الغالب بعد عذاب أليم . وان ابن المرضعة عند ما تبعد عنه والدته يبقى في الغالب بين يدي جدته او خالته او امرأة غريبة لا تشفق عليه فتعطيه بدل لبن الثدي اللازم لصحته اكلاً غليظاً وخضاراً مهراً وبعد اشهر قليلة يعتريه اسهال فتذهب صحته حتى يموت وتكونين السبب الوحيد لهذه الجريمة بل شريكة في مسؤوليتها

واكرر لك ان القانون الطبيعي والعدل لا يجيزان لك شراء لبن المرضعة لابنك لان الله اعطاك طفلاً لم يطلب الحضور لهذه الدنيا فحيث انك اشتركت في ايجاده فقد وجب عليك إرضاعه من لبنه الموجود في ثديك ولا يسوغ لك ان تحرميه مما له فهل يجوز للوصي حرمان القاصر ما له وهل يجوز لمن ائتمن ان يخون . وقد أودع الله عندك وديعة ثمينة وهي اللبن الكافي لتغذية ابنك فلم تحرمينه هذه الوديعة الثمينة ؟



الزحافات البائدة

الارض قديمة العهد . اقدم كثيرًا مما يفترضه المفترضون او يتصوره اهل هذه العصور بالقياس على ما تعودوه من اعمار الدول او القبائل او السلالات البشرية . ومن اقوى الادلة على قدم عهدها ما نراه من بقايا الحيوانات بين طبقاتها والاحافير المحجرة في تلك الطبقات على صور الاسماك والاصداف ونحوها . وكان القدماء يعتبرون هذه الصور من فلتات الطبيعة وزعم بعضهم ان الطبيعة ارادت ان ترسم تلك الصور في صخورها . وحسبوا العظام الهائلة التي عثروا عليها بقايا مخلوقات عمرت الارض قبل الانسان سموها الجبابرة . على ان بعض الفلاسفة اليونانيين انتبه منذ ٢٤ قرناً لحقيقة هذه الاحافير وقال انها متخلفة عن حيوانات او نباتات كانت حية . واستنتج مما شاهده على بعض الجبال من الاصداف البحرية وآثار الاسماك المحجرة هناك ان البحار كانت تغطيها . على ان اهل هذا الزمان قد توصلوا الى تحقيق ذلك وجعلوهُ علماً قائماً بنفسه سموه علم البالنتولوجيا

ثم ان ما عثروا عليه من هذه الاحافير او المحجرات قليل جدًّا بالنظر الى ما لا يزال محفوظاً منها في طبقات الارض غير ما تلاشى بفعل العناصر الطبيعية ولاسيما ما كان من طبعه سريع الانحلال كالحيوانات الرخوة والاجزاء الرخوة من سائر الحيوانات . وبقايا تلك الاعصر عبارة عن اصداف وعظام وشعر وريش واسنان وحوافر ومبرزات متحجرة وعلى هذه البقايا يبنون بحثهم في انواع تلك الحيوانات وطبائعها واشكالها . ويندر عثور الباحثين على هياكل كاملة محفوظة بشكلها الاصلي الاَّ في احوال مخصوصة واهم ما عثروا عليه كاملاً منها هياكل المموث (الفيل القديم) في سيبيريا فانها توجد كاملة بجلدها وشعرها واحشائها وقد مر عليها ألوف من السنين . وزعم بعضهم انه وجد في معدها بقايا طعامها القديم . وعلة حفظها كاملة على هذه الصورة البرد الشديد تحت الجليد وقبائل

سيبيريا الرحالة يعتقدون ان هذه الحيوانات مناجذ هائلة تدب تحت الارض فاذا قابلت الهواء او النور ماتت . و بعض قبائل الصين ينسبون حركات الزلازل اليها . ومع قلة البقايا التي تساعد على درس الحيوانات البائدة فقد تحققوا ان طبقات الارض تحتوي اشكالاً منها قسموها الى مجاميع عاشت في ادوار لكل دور منها طبقة مما لا محل له هنا

وانما غرضنا الآن النظر في جزء صغير من هذا الموضوع نعني الزحافات الهائلة التي بادت قبل زمن التاريخ بادهار وقد عثروا على بقايا منها في اماكن مختلفة من الارض ولاسيما في اميركا . والزحافات صف كبير من صفوف ذوات الفقرات يدخل فيها الحيات والسلاحف والتماسيح والعظايات والضفادع ونحوها مما يزحف على وجه الارض . وهي تقسم الى عشرة انواع باد منها اربعة اي انها كانت تعيش وتتناسل وانقرضت قبل زمن التاريخ ولم يبق منها فرد واحد . والبائدة اعظم هامة واغرب شكلاً من الباقية اتصلوا الى معرفة اشكالها ودرس طبائعها مما عثروا عليه من بقاياها في الكهوف والمدافن . واكثر ذلك مجموع في مسارح الحيوانات ومتاحف التاريخ الطبيعي باوربا واميركا واغناها في هذا القسم من التاريخ الطبيعي متاحف جامعات برنستون وكاليفورنيا ومتحف كارنجي في بتسبورج وغيرها من متاحف اميركا الشمالية ولاسيما القسم الباليونتولوجي من متحف التاريخ الطبيعي الاميركاني في نيويورك . فقد تأسس هذا المتحف سنة ١٨٩١ لجمع احافير ذوات الثدي واتسعت ادارته حتى حوى ٩٫٨٧٣ قطعة منها فضلاً عن الزحافات واكثرها من اميركا الشمالية ويدخل في ذلك اصناف كثيرة من الزحافات البائدة التي لا وجود لها في متاحف اوربا فاصطنعوا امثلة منها بالجص وحده او ممزوجاً بالصمغ العربي بغاية الاتقان والضبط ولونوها بالالوان الطبيعية التي يظنون تلك الحيوانات كانت ملونة بها وبادلوا متاحف اوربا بامثلة من حيوانات لا توجد في ذلك المتحف

واصطناع هذه التماثيل هين ولكن تركيب الهياكل على الوضع الاصلي يقتضي علماً واسعاً وتعمقاً في التاريخ الطبيعي لانهم يعثرون في الكهوف على قطع مبعثرة بعضها من الرأس وبعضها من الذنب او الفقرات الظهرية او الاضلاع او غيرها فيعلمون من اشكالها واحجامها شكل الحيوان الاصلي وطبائعه فيركبونها ويملأون ما يبقى من الفراغ بين اجزائها مما لم يتوفقوا الى العثور عليه حتى يأتي الهيكل كاملاً . فجمعوا على هذه الصورة اشكالاً من الزحافات البائدة وصنعوا لها التماثيل على اوضاع مختلفة وصوروا بعضها على كيفيات خيالية تمثل حالها لو كانت حية تسرح

ومن اغرب ما توفقوا الى صنعهِ من تماثيل هذه الزحافات اشكال هائلة هي اعظم ما عثروا عليه من اصناف الحيوان يزيد طول بعضها على عشرة امتار او ١٢ متراً ومحيط ابدانها عدة امتار وهي تمشي على اربع قوائم وتجر وراءها ذيلاً غليظاً يبعدها عن اشكال الزحافات المألوفة



برونتوزورس — من الزحافات البائدة

ومن امثلة ما صوره ومثلوه من اشكالها حيوان سموه برونتوزورس عظيم الهامة تراه في الرسم وقد صوروه سارحاً على اليبس وسابحاً في الماء على ما علموه من درس طبائعه على الاحافير التي عثروا عليها من هيكله · فانظر الى طول عنقه وصغر رأسه بالنظر الى عظم جثته واعتبر غلظ ذيله مما لم نعهد مثله في الزحافات الباقية · ولتقدير عظم هامته رسموا في زاوية الصورة الى اليسار خطاً عمودياً قدروا طوله مترين فاعتبر كم يكون طول الحيوان المنتصب بجانبه ألا يزيد طوله على ١٥ متراً ؟

وقس على ذلك اصنافاً عديدة من هذه الزحافات وفيها ما يشبه بقر البحر ووحيد القرن وفيها اصناف من الزحافات المجنحة وكلها بادت وانقرضت انواعها فسبحان الخلاق العظيم

ما هي عليه من الارتقاء ولولا المقاومة لاندثرت من قديم الزمان بتأثير البرد وتبدل الاحوال

وقد بحث كنتون في تطبيق حياة الاجناس الطبيعية من هذا القبيل على حياة الامم السياسية فقال ان الامة اذا تغير الوسط الذي كانت فيه سياسياً او ادارياً فاما ان تموت ظلماً ومسكنة او ان تعمد الى المقاومة وتجاهد في سبيل بقائها بما يعبرون عنه بالثورات الاهلية كما حصل في اميركا وفرنسا التماساً للاستقلال والحرية

متفرقات

(خرافات عيد الميلاد) مما يروى عن خرافات عيد الميلاد عند الغربيين ان اهالي شمالي المانيا يزعمون ان من يغزل في غضون الاثنتي عشرة ليلة التي تتلو ليلة عيد الميلاد عندهم يعاقب بعد موته بالمشي ومن يغزل بعد غروب شمس يوم السبت الذي يقع فيها تأكل الفيران غزله . وان من يروم نيل السعادة عفواً عليه ان يأكل يوم عيد رأس السنة الافرنكية « هرنج » وهو نوع من السمك الصغير الذي يسبح اسراباً وان يحذر هز سرير الطفل فارغاً وكبّ ملح الطعام على الارض عمداً والنظر الى الكواكب وفي يده مدية

ومن خرافاتهم في هذا الصدد ايضاً ان من يترك غطاء المائدة قذراً ليلة عيد الميلاد يحزن الملائكة ويبكيهم . ومن يشير بيده الى قوس قزح يدمي اقدامهم ومن يتحادث عند نبات الكرنب وهو مشرئب نحو القمر يجرح احساس ساكنيه

ومن خرافات الانكليز ان كثيرين من الطاعنين والطاعنات في السن عندهم يوعزون الى ابنائهم واقاربهم بان يذهبوا صباح يوم عيد الميلاد الى واد قريب من مدينة رالية في نوتنجها مشير يقال انه انشق على اثر زلزال حدث منذ مئات من السنين وينزلوا فيه لكي يسمعوا اصوات اجراس الكنيسة المسيحية التي يتوهمون وجودها تحت هذا الوادي

(كنوز كرملين) لا يخفى ان قياصرة الروس يتوجون في قصور الكرملين بمدينة موسكو وقد اشتهرت هذه القصور بخزائنها التي تحتوي على سائر عروش قياصرة روسيا السالفين والجواهر التاريخية وأنفس الاواني التي يمتلكها جلالة نيقولا الثاني القيصر الحالي والتي فيها من الذهب والفضة والاحجار الكريمة ما توازي قيمته ١٢ مليوناً من الليرات الانكليزية وتحتوي ايضاً على طشوت ذهبية في حجم طشوت استحمام الاطفال ومنضدتين من الفضة الصلبة للعب الورق لا تقدر لها قيمة

(الديموقراطية في بلجيكا) اشتهرت بلاد البلجيك بانتشار الديموقراطية فيها اكثر مما في سائر الدول الملكية فان ملكها لا يلبس تاجاً ولا اقتنى تاجاً ليلبسه . وقد يتم تتويجه بلا احتفال غير حلف اليمين بان يحكم المملكة طبقاً للشرائع . واذا خاف ولداً درج اسمه في سجلات الحكومة كسائر اولاد رعيته

✻ منع التدخين ✻ في بلاد الحبشة قانون يقضي بمنع تدخين التبغ ومعاقبة المدخنين . وقد وضع هذا القانون اولاً لمنع الكهنة من التدخين في الكنائس ثم صار عمومياً في هذه الايام . ولذلك ترى الاجانب القاطنين في بلاد الاحباش يحجمون عن التدخين جهراً . ولعل الحبشة هي اول الدول التي سنت مثل هذا القانون الخطير فحذت بعض الدول الاوربية والاميركية حذوها في منع التدخين بسن قوانين تختلف قليلاً عن قانون الحبشة اي انها تقضي على بعض العمال والشبان بالاقلاع عن التدخين في سن معين

✻ وسيلة لمنع الارق ✻ للبصل تاثير خاص في تسكين للاعصاب يختلف عن تاثير العقاقير المنومة المضرة فاذا اكل المرء بصلة صغيرة ليلاً جلبت له الكرى وابعدت عنه السهاد . ويمكنه ازالة رائحة البصل الكريهة بتناول قليل من البقدونس او قطعة من السكر عليها نقط من ماء كلونيا . وهذه طريقة انكليزية بسيطة يتيسر للاكثرين استعمالها واجتناء فوائدها الخطيرة

✻ نروج في اسكتلندا ✻ على مقربة من سواحل اسكتلندا الشمالية جزيرتان احداهما تسمى اوركني والاخرى شتلند يخيل للناظر في خريطة بريطانيا العظمى لاول وهلة انهما من املاك اسكتلندا والحقيقة عكس ذلك لانهما من ممتلكات مملكة نروج من اواخر القرن الخامس عشر اذ رهن كريستيان ملك نروج هاتين الجزيرتين لجيمس الثاني ملك اسكتلندا على تسديد مهر ابنته مرغريت التي صارت بعدئذ ملكة على اسكتلندا ولم يسدد هذا الصداق للآن

✻ بيت عجيب ✻ من اشهر مباني انكلترا في هذا العصر بيت في مدينة نورثا مبتونشير بني على شكل هندسي جميل يوافق ايام السنة واسابيعها وفصولها فعمل له اربعة اجنحة كل منها مقابل لفصل من فصول السنة و٣٦٥ شباكاً لكل يوم من ايام السنة واحد و٥٢ مدخنة واحدة منها لكل اسبوع وسبعة ابواب خارجية لكل يوم من ايام الاسبوع واحد منها

(اكبر معمل للمساويك في العالم) في ضواحي مدينة باريز معمل للمساويك هو اكبر معمل لها في العالم ويصنع كل سنة عشرين مليون مسواك من ريش الطيور وقداشي.

هذا المعمل اولاً لصنع الاقلام من ريش الطيور حتى اذا ما ابطل القوم استعمالها استبدلها المعمل بصناعة المساويك

(اطول خطوط الترامواي في العالم) هو الخط الممتد بين مدينتي بونس أيرس وسان مرتن من اعمال الجمهورية الفضية بأمريكا وطوله اربعة وخمسون ميلاً غير ان المركبات التي تسير عليه تجرها الخيول بدلاً من الكهرباء والبخار لقلة نفقات الخيول في تلك البلاد

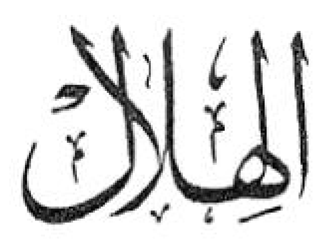
(طريقة لتقدير أجر السكك الحديدية) اتخذت بعض شركات السكك الحديدية في سويسرا طريقة غريبة لتقدير اجر ركوب الاحداث الذين يسافرون في قطاراتها وذلك ان كل من يريد الحصول على نصف تذكرة للسفر بها يقتضي قياسه بواسطة آلة خاصة بذلك توضع عادة على مقربة من الغرف التي تصرف منها التذاكر للركاب فكل غلام لا يتجاوز طوله ٣ اقدام وقيراطاً يصرح له بالسفر بنصف أجرة و من يزيد طوله على ذلك يعتبر بالغاً بغض النظر عن سنه وتؤخذ منه اجرة كاملة

(مصر) عوض جندي

كيف توصلت الى الاعتقاد بوجود الارواح

كتب الاستاذ لومبروزو مقالة في الكراند ما كازين فصَّل فيها « اهتداءه » الى الاعتقاد بالارواح بعد ان كان ينكرها واليك خلاصة قوله :

« ما زلت اقاوم الاعتقاد بالارواح واجادل اصحابها الى سنة ١٨٩٠ وكنت لا اصدق الا بما يقع تحت حسي او يقتنع به عقلي . واعتقد ان العقل من اعمال الدماغ رأساً وقد بلغت السن الذي لا يسهل خضوع العقل فيه للبدع الجديدة او الآراء الحديثة . فاتفق وانا اتعاطى مهنتي (الطب) سنة ١٨٩٢ اني دعيت لمعالجة ابنة بعض اصحاب المناصب العالية مصابة بهستيريا غريبة الاعراض من جملتها انها كفَّ بصرها وصارت ترى الاشباح بطرف اذنها ! فكانوا يغمضون عينيها بعصابة كثيفة و يضعون بجانب اذنها كتاباً فتقرأ ما فيه . واذا وجهوا اشعة الشمس الى اذنها بعدسة او نحوها بهرها النور كانه وقع على عينيها واستغاثت كانها تكاد تعمى من الاشعة . ثم انتقلت حاسة الذوق فيها من الفم الى الركبة وانتقلت حاسة الشم الى اصابع قدميها واشتد فيها الاحساس عن بعد (التليباتي) والتنبؤ الى درجة



الجزء السادس من السنة الخامسة عشرة

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٧ و ١٥ محرم سنة ١٣٢٥



ابو حامد الغزالي

حجة الاسلام

للامام الغزالي شان كبير في تاريخ الاسلام فانه نصره بحملاته على المعطلين من الفلاسفة الطبيعيين و يعدُّ ظهوره خطوة كبيرة في تاريخ الفلسفة القديمة وانقلاباً مهماً فيها من طور الى طور على ما تراه

ترجمة حاله

هو محمد بن محمد بن احمد الغزالي ويكنى ابا حامد ويلقب حجة الاسلام زين الدين الطوسي وهو فقيه شافعي فارسي الاصل والمنشأ . ولد سنة ٤٥٠ هـ في طوس موطن الفردوسي الشاعر الفارسي الملقب بهوميروس الفرس . وكما احيا الفردوسي ذكر الفرس القدماء بالياذته (الشاهنامة) فقد وطد الغزالي دعائم الاسلام بقوة برهانه في مناهضته الفلاسفة الذين تكاثروا في عصره وحملوا على عقائد الدين حتى اضطهدهم ولاة الامور وانشأوا المدارس الكبرى

لمقاومة تعاليمهم لما تعلمه من ارتباط الدين بالسياسة في الاسلام

نشأ ابو حامد في عصر المدارس الاسلامية والمجالس الجدلية التي انشأها السلاجقة في الشرق والفاطميون في الغرب — هؤلاء يسعون في اثبات تعاليم الشيعة واولئك يلتمسون تأييد السنة وكلاهما في خوف من اهل الفلسفة والتعطيل

توفي والده وهو غلام فاقام في بيت صديق له صوفي اسمه احمد الراذكاني فتلقى عليه مبادىء العلوم اللسانية والدينية . وكان منذ حداثته فطناً صحيح النظر قوي الحجة لم يكن يقرأ مقالة الا دقق النظر في معانيها وقابل بين اجزائها واستخرج فاسدها من صحيحها . وكان الناس في عصره قد استغرقوا في الابحاث الفلسفية وقامت القيامة بينهم وبين علماء الدين . فهمه الامر وعمد الى التوسع في العلم فانتقل الى نيسابور وكانت حافلة بالعلماء والفقهاء واشهرهم يومئذ ابو المعالي الجويني المعروف بامام الحرمين

وكان نظام الملك وزير الدولة السلجوقية وصاحب الايادي البيضاء في انشاء المدارس الاسلامية قد انشأ مدرسة في نيسابور سميت النظامية نسبة اليه كما سميت مدارسه في بغداد وغيرها . فتولى امام الحرمين الخطابة في مدرسة نيسابور وكان يجلس فيها للوعظ والمناظرة وصنف التصانيف الكثيرة — قضى في ذلك ثلاثين سنة وله المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس التذكير لا مدافع له في ذلك ولا مناظر . وذاعت شهرته في العالم الاسلامي فقصده طلاب العلم من الآفاق وفي جملتهم ابو حامد الغزالي فتفقه عليه بالعلوم الاسلامية وظهرت نجابته حتى اعجب به استاذه وفاخر به اصحابه

وما زال ابو حامد ملازماً له حتى توفي سنة ٤٧٨ هـ فخرج من نيسابور وهو يومئذ في الثامنة والعشرين من عمره الى العسكر وهو محلة بالقرب من نيسابور يقيم فيها نظام الملك وكان قد سمع الثناء على عقله وعلمه فقربه ورحب به وعظمه و بالغ في الاقبال عليه . وكان نظام الملك يعقد المجالس يجتمع فيها العلماء والفقهاء للمناظرة فحضر ابو حامد بعض مجالسهم وجادلهم وظهر عليهم فاعجب نظام الملك بعلمه وقوة حجته ففوض اليه التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ وكان قد انشأها سنة ٤٥٩ هـ وفوض التدريس فيها الى ابي اسحق الشيرازي ثم الى ابي نصر الصباغ صاحب الشامل فابي سعيد المتولي صاحب تتمة الابانة فابي حامد الغزالي صاحب الترجمة

قضى ابو حامد في المدرسة النظامية بضع سنوات يعلم ويخطب ويجادل واطلع في اثناء ذلك على كتب الفلسفة فاصابه ما يصيب كل مطلع عليها لاول وهلة من الشك وضعف

العقيدة فاذا بقي على القليل منها تمكن الشك منه حتى يتعطل و يمرق من الدين . اما اذا استوعبها وتفطن لقواعدها واعمل فكرته في كلياتها وجزئياتها فربما ارتد الى الدين عن بصيرة وروية فيعتقد ما يعتقده عن تعقل ونظر لا عن تقليد وقدوة كما هو شأن الاكثرين

فالغزالي كان بصيرًا عاقلاً مع ميل الى التدين ورأى في ما اطلع عليه من اقوال الفلاسفة ما يخالف ظاهره قواعد الدين فوقع في حيرة وتردد وعمد الى تحقيق ذلك بنفسه بالاطلاع على سائر اقوال الفلاسفة واعمل فكرته في مقدماتها ونتائجها . وكان في مقدمة ما اطلع عليه منها كتب الكندي والفارابي وابن سينا واتبع طريقة هذا الاخير في البحث والنظر — قضى في ذلك كل مدة تدريسه في النظامية وافكاره تزداد اضطرابًا حتى شغله عن منصبه فلم يرَ خيرًا من الاعتزال عن العمل والتفرغ لاعمال الفكرة بالدرس والمطالعة فانقطع عن التدريس سنة ٤٨٨ ه وسلك طريق الزهد وقضى عشرة اعوام في الاسفار بين الحجاز والشام و بيت المقدس على طريقة الصوفية وهو يطالع و يبحث و يناظر . وبلغه في اثناء ذلك ما كان عليه يوسف بن تاشفين صاحب مراكش من الرغبة في الدين واهله وحب العلم والعلماء وانه كان يكرمهم و يحكمهم في بلاده و يصدر عن رأيهم فاحب ابو حامد ان يسير اليه يستنصره في حربه المقدسة تجاه الاسكندرية على ان يسافر منها الى المغرب فوصلها سنة ٥٠٠ ه فبلغه موت ابن تاشفين فرجع الى وطنه

و بعد اعمال الفكرة والدرس تبين له ان الفلاسفة على ضلال وثبت عنده الدفاع عن الدين فحمل عليهم حملة صادقة فالف الكتب وعلم وناظر وباحث فظهرت قوته في الدفاع عن الدين بالادلة الفلسفية وحارب الفلاسفة المعطلين بسلاحهم وجادلهم ببراهينهم فسمي لذلك حجة الاسلام

و بعد ان اقام في طوس مدة أُلزم للعود الى نيسابور للتدريس في مدرستها فسار مكرهًا ولم يطل تدريسه فيها فعاد الى طوس ... وعاش فيها عيشة الصوفية فاتخذ خانقاه ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة اهل القلوب والقعود للتدريس الى ان توفاه الله سنة ٥٠٥ ه بالطابران قصبة طوس ودفن فيها

مؤلفاته

مؤلفاته كثيرة في الفقه والتوحيد والجدل والمناظرة وقد ضاع بعضها و بقي منها نحو سبعين مؤلفًا اليك اسماء اشهرها باعتبار مواضيعها :

١ — في الفقه

(١) كتاب البسيط في الفروع على نهاية المطلب لامام الحرمين : لم يطبع ولكن منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال ونسخة في المكتبة الخديوية بالقاهرة

(٢) الوسيط المحيط باقطار البسيط : لم يطبع ومنه نسخ خطية في مكتبتي مونشن واوكسفورد والمكتبة الخديوية بالقاهرة وقد عني العلماء بشرح الوسيط واختصاره ومن هذه الشروح والمختصرات نسخ متفرقة في مكاتب اوربا والقاهرة

(٣) الوجيز : لم يطبع ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس واخرى في المكتبة الخديوية بالقاهرة وله شروح عديدة لم تطبع

(٤) كتاب المستصفى في علم الاصول : لم يطبع ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بالقاهرة وفي مكتبة غوطا

(٥) المنخول في الاصول : لم يطبع ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

(٦) غاية الغور في مسائل الدور : لم يطبع ومنه نسخة في مكتبة المتحف البريطاني

٢ — كتب الفلسفة

(٧) المعارف العقلية والحكمة والالهية : لم يطبع ومنه نسخ في مكتبتي باريس واوكسفورد

(٨) تهافت الفلاسفة : طبع في مصر غير مرة وفي بمباي الهند سنة ١٣٠٤ رد فيه على الفلاسفة الطبيعيين وسنعود الى الكلام في ذلك وقد ترجم الى العبرانية

(٩) مقاصد الفلاسفة : طبع في لايدن سنة ١٨٨٨ مع شروح وله ترجمة لاتينية طبعت في البندقية سنة ١٥٠٦

(١٠) كتاب المنقذ من الضلال : الفه في نيسابور لم يطبع ولكن منه نسخاً خطية في مكاتب برلين ولايدن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية بمصر وتكلم عنه مطولاً شمولدرس في كتابه عن فلسفة العرب المطبوع في باريس سنة ١٨٤٢ بالفرنساوية

(١١) المضنون به على غير اهله : طبع في مصر سنة ١٣٠٩ في مجموعة ومنه نسخ في المكتبة الخديوية ومكاتب برلين وباريس ولايدن وبطرسبرج

(١٢) فاتحة العلوم : لم يطبع ومنه نسخة في مكتبة برلين وأخرى في باريس

(١٣) حقائق العلوم لاهل المفهوم : لم يطبع ومنه نسخة في مكتبة باريس

(١٤) مكاشفات القلوب المقربة الى علام الغيوب : طبع في بولاق سنة ١٣٠٠

(١٥) رسائل في مواضيع مختلفة في الفلسفة والجدل متفرقة في مكاتب اوربا ولا سيما برلين وباريس

٣ — في الاخلاق والتصوف

(١٦) كتاب جامع الحقائق بتجريد العلائق : لم يطبع ومنه نسخة خطية في مكتبة ابسال

(١٧) احياء علوم الدين : طبع في بولاق سنة ١٢٨٩ وفي القاهرة ١٣٠٦ ومنه نسخ خطية في مكاتب فينا وبرلين ولايدن والمتحف البريطاني واكسفورد . وعليه شروح عديدة منها اتحاف السادة المتقين طبع في فاس سنة ١٣٠٢ هـ في ١٣ مجلداً وفي القاهرة سنة ١٣١١ في عشرة مجلدات . ومنها منهاج القاصدين لابن الجوزي ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وأخرى في مكتبة باريس . وروح الاحياء لابن يونس ومنه نسخة في مكتبة اكسفورد وغير ذلك مما يطول شرحه

(١٨) كتاب بداية الهداية : طبع في القاهرة عدة مرات وفي بولاق سنة ١٢٨٧ ومنه نسخ خطية في برلين وغوطا ومونشن وباريس ولندن واكسفورد والجزائر وبطرسبورج وله شرح ومختصر

(١٩) كتاب ميزان العمل : طبع في ليبسك سنة ١٨٣٩

(٢٠) القسطاس المستقيم : لم يطبع ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بالقاهرة ونسخة في برلين وأخرى في الاسكوريال وعليه شرح اسمه ميزان القويم

(٢١) كيمياء السعادة : منه نسخة فارسية في مكتبة برلين وترجمة تركية واجزاء متفرقة في سائر المكاتب فضلاً عن النسخة العربية

(٢٢) التبر المسبوك من نصيحة الملوك : طبع في القاهرة سنة ١٢٧٧ وعلى هامشه سراج الملوك للطرطوشي

(٢٣) سر العالمين وكشف ما في الدارين : يبحث في نظام الحكومات لم يطبع ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ونسخة في مكتبة برلين

(٢٤) كتاب ايها الولد : طبع مع ترجمة المانية في فينا سنة ١٨٤٢ ومنه نسخ خطية متفرقة في مكاتب اوربا وفي المكتبة الخديوية

(٢٥) معارج السالكين : منه نسخة في مكتبة باريس

(٢٦) مشكاة الانوار : وفيه بحث عن الفلسفة اليونانية من حيث التصوف لم يطبع

ومنه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وسائر المكاتب الدولية في اوربا وله ترجمة عبرانية

(٢٧) نور الشمعة : منه نسخة خطية في لايدن

(٢٨) مدخل السلوك الى منازل الملوك : بحث في حياة الصوفي لم يطبع ومنه نسخة خطية في الاسكوريال

(٢٩) الزهد الفاتح : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

(٣٠) منهاج العابدين : في الصوفية طبع في مصر سنة ١٣٠٥ وعلى هامشه كتاب البداية ومنه نسخ خطية في برلين وباريس ولايدن والمتحف البريطاني والجزائر وله تلخيص ينسب الى بلاطونسي من اهل القرن التاسع وهذا له شرح ترجم الى التركية

(٣١) كتب عديدة يطول بنا ذكرها في الابحاث الصوفية او الاخلاقية لم يطبع منها شيء

٤ — في الدين والالهيات

(٣٢) جواهر القرآن : لم يطبع ومنه نسخة في لايدن والمتحف البريطاني وبطرسبورج وفى المكتبة الخديوية بالقاهرة

(٣٣) فضائل القرآن : لم يطبع ومنه نسخه خطية فى المكتبة الخديوية

(٣٤) كتاب العقيدة : لم يطبع ومنه نسخ خطية فى المكاتب الدولية فى برلين واكسفورد ولندن

(٣٥) الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة : طبع في جنيف سنة ١٨٧٨ وفي القاهرة سنة ١٣٠٨

(٣٦) الجام العوام عن الحوشي في علم الكلام : طبع في مدراس الهند سنة ١٣٠٦ وفي القاهرة سنة ١٣٠٩ ومنه نسخ خطية في مكاتب اوربا

(٣٧) كتاب التفرقه بين الامام والزندقة : لم يطبع ومنه نسخ خيطية في برلين والقاهرة

(٣٨) الاجوبة الغزالية في المسائل الاخروية : طبع بمصر سنة ١٣٠٢

(٣٩) كتب اخرى في الدين والالهيات يطول بنا شرحها ولم تطبع — وله في الشعر كتاب الغاية والنهاية في مدح النبي وعدة قصائد لم تطبع وبعضها ترجم الى العبرانية

فلسفة

كان الغزالي فقيهاً ديناً و يندر في رجال الفقه والدين والتصوف من يعاني الفلسفة او يطالعها لانهم كانوا يعدّونها من اكبر اعداء الدين واهله . اما الغزالي فقد طالع الفلسفة وتعمق في درسها ليجادل بها اهلها ويحاربهم بسلاحهم وبيان ذلك :

كان العرب قبل الاسلام اهل غزو وخيام تقتصر ادابهم على الشعر والخطابة وهم في سذاجة من العيش لا يفهمون معنى الفلسفة او الطبيعيات الاّ من خالط الروم او الفرس مما يجاور بلاد العرب وهم قليلون . فلما جاء الاسلام واختلطوا بالاعاجم في بلادهم اخذوا يقتبسون من تعاليمهم بالمعاشرة ما هو من ثمار الفلسفة واساتذتهم في ذلك نصارى الشام وزرادشة الفرس وبراهمة الهند . ولكن المسلمين كانوا في صدر الدولة مشتغلين عن ذلك بالجهاد ثم بالقرآن وتفسيره واللغة وعلومها فانقضى عصر بني امية والسذاجة لا تزال غالبة على العرب في كل احوالهم

فلما قامت الدولة العباسية ونصراؤها الفرس احب العباسيون تقريب الاعاجم للانتصار بهم على مناظريهم من العرب فقربوا الفرس والسريان والروم وغيرهم واخذوا في ترجمة كتب العلم والفلسفة عن اليونان والفرس والهنود كما بيناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

وكان من جملة ما نقلوه في عصر المأمون على الخصوص كتب الفلسفة والطبيعيات والرياضيات مما نقل عن افلاطون وارسطو وما علقه عليها اليونان من الشروح واضافوا اليها من الآراء وهي تشمل المنطق والطبيعيات والالهيات والاخلاق . فبدأ المسلمون اولاً بدرس هذه الكتب ثم اخذوا في شرحها او تلخيصها ثم عمدوا الى الكتابة في تلك المواضيع من عند انفسهم . ويندر ان يشتغل الواحد منهم في الفلسفة دون الطب والنجوم او في الطب دون الفلسفة والنجوم او بالعكس . ومن اقوال حنين المترجم الشهير « ان الطبيب يجب ان يكون فيلسوفاً » لكنهم كانوا يلقبون العالم بما غلب اشتغاله فيه

واكبر فلاسفة المسلمين الكندي المتوفى سنة ٢٤٧ هـ ثم الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ فابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ غير من ظهر في بلاد الاندلس بعد ذلك التاريخ . واهم ما كان من تأثير الفلسفة في الاسلام انهم بنوا عليها علم الكلام وايدوه بها لتقوى حجتهم في ما قام بينهم من المجادلات المذهبية . واشتهر علم الكلام في المسلمين وعكفوا على درسه وخصوصاً

المعتزلة واشتهر به جماعة من علية القوم وفي جملتهم الشريف المرتضي والزمخشري والباقلاني وغيرهم

اما الفلسفة بحد ذاتها فقد كان اصحابها متهمين بالكفر وكان الانتساب اليها مرادفاً للانتساب الى التعطيل ومن اقوالهم « كان فلان سامحه الله يتهم بدينه لكون العلوم العقلية غالبة عليه » وقد شاع ذلك في بغداد بين العامة حتى في ايام المأمون ولذلك سماه بعضهم امير الكافرين ولكنهم لم يكونوا يتظاهرون بذلك حتى ذهب عصر المأمون والمعتصم والواثق وتنصب المتوكل فاصبح مريدو الفلسفة يتجنبون الظهور بها او ينكرونها وهم كافون بها فكانوا يشتغلون فيها سرّاً فالفوا الجمعيات السرية لهذه الغاية وفي مقدمها جمعية اخوان الصفا

على ان تعاليمهم شاعت وتناقلتها الالسنة واعتقدها الناس عن غير معرفة وانما كان الجهلة البسطاء يتفاخرون بالانتماء الى الفلسفة كما يحدث في كل عصر نقل العلم فيه بغتة اذ يدهم اهله على غير استعداد فتاخذهم نشوة الفخر بالعلم وان لم يعلموه — اعتبر ذلك بما اصاب شبان بلادنا لاول هذه النهضة في القرن الماضي اذ تلقوا مبادىء الطبيعيات والرياضيات ورأوا ارتباط الاسباب بالعلل فاصبحوا (بعد ان كانوا ينسبون كل حادث الى الخالق اذا امطرت السماء قالوا الله امطرها واذا صحت او ابرقت او ارعدت نسبوا ذلك اليه) يتمثلون بما دلتهم عليه الطبيعيات من أسباب المطر والصحو والبرق والرعد واستخف بهم الغرور فانكروا كل ما لا يقع تحت حواسهم واظهروا الكفر وبالغوا في التعطيل يزعمون انهم يقتدون بكبار الفلاسفة — ولو بلغوا مبلغهم من سعة العلم لرجعوا عن غرورهم

فاصاب المسلمين على اثر النهضة العباسية مثل ذلك ففشت الافكار الكفرية بين العامة على سبيل الاقتداء وولاة الامور يطاردون الفلاسفة بالسيف والائمة يقاومونهم بالطعن والتحقير وقلَّ من جادلهم بالحسنى او حاربهم بسلاحهم حتى ظهر ابو حامد الغزالي صاحب الترجمة فدرس كتب القوم في المنطق والطبيعيات والرياضيات والالهيات والعقليات وتفهمها ورد عليها من نوع ادلتها . ولهُ في ذلك كتب عديدة أشهرها في هذا الشأن كتاب « تهافت الفلاسفة » قال في مقدمته انه « رأى طائفة من الفضلاء ضلوا عن الدين ومصدر كفرهم سماعهم اسامي هائلة كسقراط وبقراط وافلاطون وارسطو وامثالهم واطناب متبعيهم في وصف عقولهم وحسن احوالهم ودقة علومهم فاحبوا التجمل باعتقاد الكفر تحيزاً الى غمار الفضلاء بزعمهم وانخراطاً في سلكهم وترفعاً عن مساعدة الجماهير واستنكافاً من القناعة

بأديان الاباء » الى غير ذلك . فاحب ان يبين لهم وجه الصواب بالبرهان العقلي والطبيعي فقسم ما يخالف الفلاسفة به سواهم من اهل الاديان الى ثلاثة اقسام و يتفرع عنها احدى عشرة مسألة اهمها (١) قول الفلاسفة ان العالم ازلي لا اول له وانه ابدي لا فناء له (٢) ان الله لا يحيط علماً بالجزئيات (٣) انكارهم البعث وحشر الاجساد مع التلذذ والتألم في الجنة والنار باللذات والآلام الجسمانيــة . ويدخل في ذلك تعليلهم الحوادث الطبيعية باسـباب طبيعية محسوسـة كالخسوف والكسوف مما هو مبني على العلوم الرياضية والطبيعية

فالغزالي انصفهم قبل كل شيء في ما يرجعون اليه من التعليل الطبيعي فقال « من ظن ان المناظرة في ابطال هذا التعليل من الدين فقد جنى على الدين وضعف امره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها و يحقق ادلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرهما ومدة بقائهما الى الانجلاء — اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب في الشرع . وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه اكثر من ضرره ممن يطعن فيه بطريقه وهو كما قيل عدوٌّ عاقل خير من صديق جاهل »

ثم اخذ في ايراد ادلة الفلاسفة على المسائل الاخرى وهي لا تزال من اعضل مشاكل الفلسفة الى اليوم وردَّ عليها بما يدل على انصافه وسعة علمه وغيرته على الدين وان كانت طرقهم يومئذ في الجدال والبرهان تخالف طرقنا واساليبنا لمخالفة مقدماتهم لمقدماتنا ولكننا نرى الغزالي اجاد في ايراد الادلة وافحم اخصامه على ان الافحام في هذه المواضيع قلما يتيسر لاحتمالها غير وجه وامكان تاويل مقدماتها الى معان يتقهقر بها المغلوب بانتظام

ولكن ما لا جدال فيه ان كتابات الغزالي اثرت تاثيراً كبيراً في دفع الشبهات من اذهان المسلمين في عصره و بعده وكان لها دوي في عالم الفلسـفة فردَّ عليها الفيلسوف ابن رشد بكتاب آخر سماه تهافت الفلاسـفة ايضاً عارض فيه الامام الغزالي في بعض المباحث . ثم ظهر كتاب ثالث بهـذا الاسم لخوجه زاده احد علماء الروم المتوفى سـنة ٨٩٣ هـ اراد به التحكيم بين الامامين المشار اليهما في ما اختلفا فيه ألفه باشارة السلطان محمد الفاتح العثماني وهذه الكتب كلها مطبوعة فمن أحب الاطلاع عليها لا يعدم وسيلة اليها لان المقام لا يتسع للخوض فيها

نظام الاجتماع البشري

تاريخه من اقدم ازمنة التاريخ الى اليوم

الانسان اجتماعيٌ من طبعه او صار الاجتماع طبعه للتعاون على البقاء اذ اضطر بضعف بنيته عن احتمال العوارض الطبيعية والتقلبات الجوية و بعجزه عن مقاومة الضواري ان يجتمع ويتكاتف فتألفت منه العشائر والقبائل والجماعات والاحزاب . واكبر وسائل اجتماعه التفاهم واقوى دعائمها التعقل ومهما يكن من سبب ذلك الاجتماع فانه قديم في تاريخ البشر لا يعرف أوله . وطبيعي ان الاجتماع لا يطول بقاؤه ان لم يكن مبنياً على نظامات معقوله ترجع الى منافع متبادلة بين اعضاء ذلك المجتمع تختلف حظوظهم منها باختلاف مواهبهم وقواهم من رئاسة وولاية ووجاهة وسلطان وقضاء وغير ذلك مما يعبر عنه بنظام الاجتماع

ونظام الاجتماع خاضع لناموس الارتقاء مثل سائر احوال الحياة وما يتبعها او يتعلق بها . فتقلب في ارتقاؤه على اشكال كثيرة ترجع الى ثلاثة اطوار كبرى وهي (١) طور الهمجية (٢) طور القبائل والعشائر (٣) طور الادارة والسياسة فنتكلم عن كل منها بالايجاز

١ — طور الهمجية

هو اقدم اطوار النظام البشري ولا تزال بقاياه موجودة حتى الآن في بقاع كثيرة من الارض رغم ما بلغت اليه الهيأة الاجتماعية من الرقي في العالم المتمدن . ووصف نظام الاجتماع عند همج هذه الايام كافٍ لما نريد بيانه من احوال ذلك الطور في أقدم أزمنة الانسان

من اعرق الامم في الهمجية اليوم في اسيا سكان جزائر اندامان بخليج البنغال وقبائل الجبال في مدراس وقبائل الجونك في اوريسا والوضاحين في سيلان وكل هؤلاء في بلاد الهند . ومنهم قبائل البوشمان في افريقيا وهنود كولورادو في شمالي

اميركا وقبائل الكاريب في جنوبيها والدياك في بورنيو والاسكيمو في غرينلاند وغيرهم . على ان اقرب الامم المعروفة تمثيلاً للهمجية سكان اوستراليا الاصليون وهم كثيرون الى اليوم في اواسط تلك القارة وشماليها ويتوقع العلماء انقراضهم قريباً . وقد عني جماعة من علماء الاخلاق بدرس عاداتهم واطوارهم وطبائعهم وبعضهم تكبدوا مشاق الرحلة اليهم والايغال في بواديهم والاقامة بينهم ودرسوا لغتهم وتلطفوا في معاشرتهم حتى تمكنوا من الاطلاع على دخائلهم وتفهموا حقيقتهم واستظهروا شؤونهم الاجتماعية والادبية

وخلاصة ما وصلوا اليه من درس احوالهم ان اولئك الاوستراليين لا يعرفون زراعة الارض ولا رعاية الماشية ولم يتألفوا من الحيوانات غير الكلب . يأوون الى اكواخ من اغصان الشجر او يلجأون الى الكهوف وشقوق الجبال يقتاتون بما يصطادونه من الدبابات او يلتقطونه من ثمار الارض بلا معالجة او طبخ . يوقدون نيرانهم بابسط الطرق واقدمها الا يعرفون من الصناعة الا معالجة الحديد لاصطناع بعض الاسلحة على ان اسلحتهم في الغالب حراب سنانها من حجر الصوان المحدد او قوس نصالها من الصوان بدل الحديد . ويؤخذ مما يتناقلونه من اخبار اسلافهم انهم كانوا لا يعرفون الادوات الصوانية القاطعة الى عهد غير بعيد . ليس لهم من الادوات التي نحتاج الى مئات منها لقضاء حاجاتنا المنزلية وغيرها الا اداتان . زنبيل مصنوع من قشر الشجر وعصا محددة لنقب الارض . لا يعرفون نسيجاً ولا مخيطاً ولا كساء عندهم وانما يغطون ابدانهم احياناً ببعض مظاهر الزينة في الاحتفالات الدينية . واما في احوالهم الاعتيادية فيخرجون عراة الابدان مكشوفي الرؤوس حفاة الاقدام مثل سائر اصناف الحيوان — تلك حال الاوسترالي حتى الآن وقد كانت كذلك منذ قرون عديدة لا يعرف مقدارها

اما « نظام الاجتماع » عندهم فعلى أبسط وجوهه ويختلف عما ألفناه من نظام الامم . فهم مؤلفون من جماعات يسمونها « قبائل » والقبيلة عندنا يشترك افرادها بأب واحد يرجعون اليهم بانسابهم وليست كذلك عند الاوستراليين فهم جماعات

لا يربطهم نسب او عصبية وانما يجتمعون للصيد او تحصيل الرزق ثم يقسمونه بينهم فهم اولى ان يسموا طوائف اوعصابات . على ان جامعتهم الحقيقة ليست القبيلة ولا العصابة ولا الطائفة وانما هي « الطوتم » والطوتم كما اوضحناه في كتابنا « انساب العرب القدماء » حيوان او نبات تحترمه القبيلة و يعتقد كل فرد من افرادها بعلاقة نسب بينه وبين ذلك الحيوان او النبات يسميه « طوتمه » ويعتقدون ان الطوتم يحمي صاحبه وصاحبه يقدسه او يعبده ولا يقدم على قتله او قطعه او اكله . وتختلف الطوتمية عن عبادة الحيوانات والنباتات الشائعة عند بعض القبائل المعبر عنها بالديانة الفتشية ان هذه عبادة صنم بصورة حيوان وتلك تقديس نوع من انواع الحيوان او النبات او عبادته



الطوتم في جورجيا الجديدة

فاصحاب كل طوتم يمتازون بعلامة يشتركون في نقلها هي عبارة عن صورة ذلك

الطوتم او جزء منه او رمز عنه يعلقونها باعناقهم او اذرعتهم او يصورونها على صدورهم او ظهورهم رسماً أو وشماً . وكبير العائلة عندهم الام وهي « الامومة » فاذا جاءهم مولود جديد الحقوه بطوتم أمه او غيره على ما يتراءى للكاهن او الساحر

والتزاوج في القبيلة الواحدة محرم عندهم فابن قبيلة الافعى مثلاً لا يصح زواجه بفتاة من تلك القبيلة وانما يتخذ امرأة من قبيلة النمر مثلاً ويغلب ان يعينوا له القبيلة التي يتزوج منها و يشترطوا ان يتزوج اولاده من بناتها . فرجال قبيلة الافعى كلهم اصهار قبيلة النمر ورجال هذه اصهار تلك فيتزوجون على التبادل . والزواج عام عندهم فلا تجد في القبيلة عانساً ولا كهلاً عزباً على الاطلاق

اما طبقات الاجتماع عندهم فيصعب تعيينها وانما يقال على الاجمال ان بينهم طبقة من الشيوخ يتولون أمورهم الدينية يسمونهم « برواك » اي السحرة وهم ينظرون في شؤونهم و يقضون بينهم . ومن آدابهم روايات يتناقلونها عن طوتمهم واصل تحوله الى بشر وكيف تناسل اسلافهم منه . وعندهم اغان يرتلونها في الاحتفالات الدينية هي في الغالب قصص بعض اسلافهم وما أتوه من الاعمال العظمى في اقدم ازمنتهم . ومن احوالهم الاجتماعية احتفالهم بتلقين البالغين من ذكورهم وأناثهم اسرار الطوتم ويسومونهم قبل التلقين تجارب مؤلمة كالختان ونحوه و يسمونهم بسمة الطوتم الذي ينسبونهم اليه

فنظام العائلة عندهم غريب يصعب على المتمدنين تصوره لان الرجل اذا تزوج امرأة من طوتم آخر أصبحت نساؤه كلهن أزواجاً لاولاده وكل ابنائهم ابناؤه وكل أبناء طوتمه اخوته واخواته وكل ابناء طوتم أمه آباؤه . وليس عندهم من درجات القرابة غير الاب والابن والابنة والاخ والاخت . وهذا النظام شائع في جزائر ملقا أيضاً — ذكر بعض المبشرين هناك انه اضطر لمسايرة بعض المتنصرة من الملقيين ان يعترف بانه أخوه واذا لقي زوجته اظهر انه أخوها فتعترضه هي بقولها « كلا بل أنت زوجي »

وأما الدين عند الامم الهمجية فعلى ثلاث درجات الاولى أن يعبد الرجل حجراً

او حيوانا والثانية أن يعبد الانسان رجلاً من أسلافه والثالثة ان يعبد الهاً بشرياً أرقى منه طبقة ولكنه متصل به . فعبادة الاوسترالي من النوع الاول و يغلب في معبوده الميل الى الشر فهو عنده علة المرض والموت يحب سفك الدماء واصل هذا الاعتقاد احترامهم للقوة البدنية لتعودهم الخوف من الاقوياء اهل البطش فمثلوا الالهة بهم

واما « شرائعهم » فتنحصر في النهي عن بعض الامور وتحريم اتيانها فالماشي في طريق اذا وقع عليه غصن شجرة نسب وقوعه الى غضب روح تلك الشجرة على مروره في ذلك الطريق . واذا مرَّ على جسر فوق قناة وسقط في القناة فغرق في الماء اعتقدوا ان روح ذلك الماء انتقم منه لانه بنى فوقه جسراً يمنع الناس من الغرق فيه فقلَّ بذلك نصيبه من جثثهم . ولكنهم لا يستغنون عن بناء الجسور للمرور عليها فيخطر لبعض ذوي شوراهم من السحرة ان يسترضي القناة بضحية تلقى فيها عند بناء الجسر فيلقون في الماء شاباً مكتوف الايدي حتى يغرق . وقد يتفق ان يكون بناء الجسر هذه المرة امتن واضبط فيقل سقوط الناس فيه فينسبون ذلك الى رضاء روح الماء وعلى هذا المبدا كان المصريون القدماء يسترضون النيل بضحية كل عام مخافة ان يغضب فلا يأتيهم بالماء اللازم

وضحايا الجسور في الامم الهمجية كثيرة الشيوع وما زالت آثارها باقية في الامم المتمدنة الى عهد قريب فقد وجد يعقوب جريم العالم الالماني آثار ضحايا الجسور في شمالي جرمانيا في اوائل القرن الماضي وان كانوا يفعلونها على سبيل السخرية ولكنها تدل على المراد منها في العهد القديم . ويقال نحو ذلك في تضحية انسان عند بناء بيت فيدفنونه حياً في اساسه استرضاء لروح تلك الارض على تحملها ثقل البناء

والعلائق « السياسية » بين القبائل المختلفة انما يتوقف صفاؤها او اضطرابها على حال القوم من الجوع او الشبع فاذا كثر صيدهم وفاض الطعام عما يحتاجون اليه تجاوروا بسكون ووفاق اما اذا ضاقت الارض عن حاجاتهم فتضطرب العلائق بين القبيلتين و يقع الخصام تنازعاً في البقاء . واذا عضهم الجوع اكلوا لحوم القتلى من اعدائهم اومن أهل طوتمهم وهذا اصل ما يروى من اغتذاء بعض القبائل بلحوم الادميين

وجملة القول ان طور الهمجية يصعب تمثيله تمثيلاً واضحاً وانما اتينا بوصف احوال همج هذه الايام على سبيل المثال . وخلاصته ان طور الهمجية اشقى اطوار الاجتماع على الانسان لان جهله اسباب الحوادث كان يخيفهُ من كل حركة . ولم يكن لهُ علم في اصطناع الالبسة ولا حيلة لهُ في اتقاء الطوارئ الجوية بالابنية او نحوها . فكان يقضي حياته عارياً يشكو برد الشتاء وحر الصيف يمشي وهو يتلفت خوفاً من سبع يفترسهُ او ثعبان يلسعهُ او ريح تهب عليه فتلفحه او صاعقة تنقض عليه فتسحقه لتوهمه ان الارواح تحيط به من كل جانب وفيها الناقم والغاضب والطامع وما أعجز الانسان عن مقاومة عدو يرى ولا يرى — وهل اشقى من انسان يتوقف بقاؤه على مطاردة الحيوانات بين الجبال الوعرة والاودية الخطرة حتى يظفر بطريدته أو يهوي في شق من الارض فيذهب فريسة هينة ؟ على ان تعوده الحذر على هذه الصورة رقى فيه الانتباه واليقظة فنفعه ذلك في أطوار عمرانه التالية واصبح اذا اقتص أثر عدو له عرف طريقه من آثار خطواته حتى على الصخور فضلاً عن الرمال أو التراب مما يستحيل على أهل هذا الزمان كشفه — وهي قيافة الاثر عند عرب الجاهلية. وربما تنبأ عن عاصفة تأتي بعد حين مما يعجز عن مثله علماء هذا الزمان وهو انما استطاع ذلك مما تعوده من ملاحظة حال الجو حذراً على حياته . وغدا يسمع أصواتاً لا يدركها سمعك و يرى أشباحاً يعجز عن ادراكها بصرك . فكان طور الهمجية وسيلة لاستعداد الانسان للتقدم في سبيل الاجتماع على نحو ما بلغ اليه على ما سنبينه في بقية الكلام

المزح

لو كان المزح فحلاً لم ينتج الا شراً

المزح السباب الاصغر الا ان صاحبه يضحك

المزح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب

من كثر مزحه لم يسلم من استخفاف به او حقد عليه

من كثر مزحه تنازعه الحقد والهوان

جميل المدور

وحضارة الاسلام

رزئت اللغة العربية في يناير الماضي بفقد شاب من نخبة الادباء وخيرة الكتاب المأسوف عليه جميل بن نخله المدوَّر ولد في بيروت ببيت مجد وادب وخدم آداب هذا اللسان خدمة حسنة يذكرها لهُ التاريخ ما بقيت اللغة العربية نعني كتابهُ «حضارة الاسلام في دار السلام» فانهُ من الآثار الباقية وقد مثل بهِ ما بلغت اليه الدولة العباسية من اسباب الثروة والترف والعز والسؤدد برسائل على لسان رحالة فارسي قدم بغداد في اوائل تلك الدولة فلقي المهدي والرشيد وغيرهما ووصف حال تلك الدولة سياسيًّا واجتماعيًّا وادبيًّا وتجاريًّا على اسلوب بليغ تلذ مطالعتهُ . من ذلك قولهُ على لسان ذلك الرحالة يصف دار الخلافة وداخلية بيت الرشيد : —

«لقد مضى بي في بغداد بعد العودة من خراسان نحو من ست سنين ما زلت منقطعاً فيها الى البرامكة وحافظاً لمقامي في الدولة تحت ظلهم وعنايتهم . وكنت اتردَّد في خدمتهم الى دور الخلافة فاقف على احوال الرشيد في داخليته واهل بيتهِ فرأيتهُ اعزَّهُ الله صالح السيرة شديد الاعراق في الدين محافظاً على اوقات الصلوة [1] وشهود الصبح لأوَّل وقتها يصلي في كل يوم وليلة مئة ركعة لا يتركها الاَّ لعلةٍ نطراُ عليهِ [2] واذكر انهُ لما حصل في العام لزنةٌ وغلاء سعر للناس واشتد الكرب عليهم اشتداداً عظيماً أمرهم بكسر الملاهي وكثرة الدعاء والتوبة [3] فذلك دليلٌ فيهِ على حسن العبادة او مظهرٌ يروم منهُ تأييد الدولة بايهام الأئمة والعلماء ان الاسلام مغتبط بمناحيهِ . . .

«ولئن كنت رأيت لهُ في تدبير المملكة ذلك التصرُّف الجميل فاني ما وجدتهُ لهُ في تدبير أهل بيتهِ ومواليهِ وانما يرجع الرأي في ذلك الى زوجه أمّ جعفر وهي انفذ نساء العباسيين كلمةً في الدولة اذ كانت خير بنات بني هاشم وقد ربيت على مهاد الدعة والدلال كما يشير اسمها اليهِ فانها سميت بزبيدة لغضاضة بدنها [4] وكان جدّها أبو جعفر يرقصها تهللاً بها [5] وينظر الى غضاضتها وملاحتها فسماها بزبيدة لذلك . فلما بنى بها الرشيد

---

(١) الفخري ٢٣ (٢) المقدمة ١٥ (٣) المستطرف ١ * ٨٢

(٤) اغاني ٩ * ١٠٢ (٥) الشريشي ٢ * ٢٤٥

ووجدها طرفةً حديثةً ومصدر رأي جميل لم يرَ بدّاً من الانقياد اليها في قضاء جميع ما ترومه من الحوائج [1] حتى اذا مكنها من بيوت المال انفقت من سعةٍ ما ينيف عن ثلاثين الف الف دينار . فبنت مسجداً مباركاً على ضفة دجلة بقربة من دور الخلافة اسمي بمسجد زبيدة [2] ومسجداً سامي الحسن في قطيعتها المعروفة بقطيعة أم جعفر [3] بين باب خراسان وشارع دار الرقيق [4] وحفرت العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ومهدت الطرق لمائها في كل خفضٍ ورفعٍ وسهلٍ ووعرٍ [5] حتى اخرجتها من مسافة اثني عشر ميلاً الى مكة [6] فبلغ جملة ماانفقت عليها الف الف دينارٍ وسبعماية الف دينار [7] وهذا من الاعمال التي لم تباشرها امراة في الاسلام الاّ الخيزران أم الرشيد فانها عمرت كثيراً من المساجد [8] ايضاً وبنت دار ابن يوسف بمكة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً جزيل البركة [9] . وتوفرت عندها الاموال حتى بلغ الذي خلّفته مع ماتوسعت فيه من النفقة مئة الف الف درهم [10] . فان لم يكن لزبيدة من الاموال الخاصة ما يبلغ هذا القدر الجسيم فان لها بالسياسة رأياً يسمو بها الى التداخل في امور الدولة كافطن ما يكون من الرجال

« وقد صير الرشيد الامر في داخلية بيته بعد زبيدة الى مسرور خادمه العبد [11] وهو حاجبه وسيد مواليه [12] وله في قصور الخلافة دواوين يقيم فيها حوزته من خدمٍ وحرسٍ وغلمان والكاتب له هو زياد بن ابي الخطاب [13] يقيم بقربةٍ من مجلس يوسف بن القاسم صاحب ديوان الانشاء والذي قام [14] بين يدي الرشيد حين أخذت له البيعة على المسلمين . وفي ذلك دليل على مكان كتابه من الشرف وعلو المرتبة ولا غروَ فان له من نفاذ الكلمة في الدولة ما ليس للامراء والحكام مثله اذ كان سيد دور الخلافة والحارس لها لايدخلها شيءٌ ولا يخرج منها شيءٌ الاّ بعلمه واذنه . وكثيراً ما كنت أرى الملوك يتزلفون بالهدايا اليه ليخاطب الرشيد في حاجاتهم اذ ليس في اهل بيته من يتجرأ عليه

(١) اتليدي (٢) الف ليلة وليلة ١*٨٣ (٣) ياقوت ٤*١٤١
(٤) ابن خلكان ١*١٨٩ والمستطرف ١*٢٨٩ (٥) المسعودي ٢*٤٠٢
(٦) ابن جبير ١٧٣ (٧) الشريشي ٢*٢٤٥ (٨) ابن جبير ٢٧٦
(٩) المسعودي ١*٣٠٦ (١٠) المسعودي ٢*٢٠٧ (١١) الف ليلة وليلة
(١٢) ابن خلدون ٣*٢٢٣ (١٣) اغاني ٤*٩٩ (١٤) المحاضرة ٢*١٣٢

سواه (١) حتى كان اذا ركب لا يجسر احدٌ على سؤاله الى اين يذهب غيره (٢)

« والى مسرور هذا الخصي الامرُ فيما هو خاصٌ بالسراري والقيان وانهن لكثيرات في دار الرشيد يبلغن زهاء الفي (٣) جاريةٍ يرفلن في احسن زيٍ من كل نوعٍ من انواع الثياب والجوهر . . . غير ان المقدم عليهن ثلاث اهداهن اليه الفضل بن الربيع سحر وضياء وخنث ذات الخال لهن صورة تستنطق الافواه بالتسبيح وعيون لا ترتد الا باقتناص النفس وهن اللواتي يهواهن ويقول فيهن الشعر (٤) ومن ذلك قوله

اخذت سحرٌ ولا ذنبٌ لها ثلثي قلبي وتربأها الثلث
ان سحرًا وضياءً وخنث هنَّ سحرٌ وضياءٌ وخنثْ

وقوله (٥)

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكل مكانِ
مالي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهنَّ في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى وبه قوين اعزُّ من سلطاني

« وكنت اذا حضرت مجلسه وهن يغنين له من وراء الستارة ومعهن غانية منقطعة الى حمدونة بنته يقال لها دقاق لم يطق الستران يحجبهن عن نظره فيخرجهن اليه ويقول والله لا صبرلي على الحجاب وانما هو ضعف يميل بي مع هوى النفس . . .

« اما حريم الخلافة فانه دوائر كبيرة لا اتصال لها في بعضٍ ولكل هاشمية من بنات الخلفاء دائرة منفردة عما سواها من الدوائر واعظمها دائرة أم جعفر ودائرة اولاد المهدي ودائرة اولاد الهادي ودائرة اولاد الرشيد من غير زبيدة زوجه . ولهن جميعاً من الخدم والغلمان والخصيان ما ينتهي اليه اسراف الملوك في السعة ويتجلى به جمال السلطان بالزينة والاشراق . وحسبي من انغماسهن في النعيم وتقلبهن على مهاد الدعة والرخاء انهن يجلسن على فرش الحرير ويتخذن المخدات حشوها من الورد النثير . . . وكنت أرى الجواري من خدم الحاشية يلبسن الوشي المنسوج بالذهب ويتخذن العصائب مكللة بالجوهر وهذه هي الزينة التي عمت نساء القصر اقتداء بعلية اخت الرشيد اذ كانت اول من اتخذ العصائب لعيب في جبينها فسترته بها فكان ذلك احسن ما ابتدعته النساء ثم اتخذها بعدها سحاة جارية اسحق النديم وفريدة ومنة من مغنيات البرامكة حتى انطلق استعمالها

(١) الاتليدي (٢) اغاني ٩*٩١ (٣) اغاني ٩*٨٨
(٤) اغاني ٥*٦٧ و١٥*٨١ . (٥) اغاني ١٥*٨١

في جميع النساء وصرن يكتبن عليها الكلام الذي يروق لاهل الهوى

« اما لباس الرشيد فهو لباس غيره من العباسيين السواد لا يتأنق فيه الا بما تقتضيه الرسوم المحفوظة وانما ينصرف همه الى لذة المطعم بالتأنق في صنوف الالوان . وقد جلست غير مرة في مجلس كامل الزينة مفروش بالرخام الاخضر وملبس بالوشي المنسوج بالذهب . فرأيته يتفنن في طعامه على غير شره بالاكل يبدأ بالمرق من السكباج وغيره تنشيطاً لجسمه ثم ياكل الفاتر من الطعام من البقول واشباهها ثم الدجاج وانواع الطير ثم الشواء ثم انواع السمك ثم ما يطبخ من التوابل من اللحم والبقول وغيرها حتى تكاد مائدته لا تخلو من السنبوسج وهي رقاق تحشى باللحم والدهن عليها التوابل من الفلفل والزنجبيل ثم تقلى بالزيت وتطرف بالخردل وهو يتخلل طعامه كله بتناول اليسير من التوابل او الحوامض التي تشهيه اليه فاذا اكتفى منه تناول الحلوى من الالوقة والربيكة واللوزينج والفالوذج وغيرها ثم الفاكهة بعدها ثم النقل وهو الذي يتناوله بعد طعامه للتعلل ولكن بالصحاف التي ليس اظرف منها في تحف الصين ولا اغلى ثمناً وقيمة . فكنت احسب لشدة تأنقه بفنون المطعم انه لو لم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن الاكل في صحاف الذهب والفضة لاتخذها كذلك وزين فيها اليواقيت والجواهر . فاذا اكتفى من التعلل جاء الغلمان بماء الورد الممسك في القاقم الذهب وبشيء من الريحان فيغسل يديه و يتبخر . فاذا كان بعد الغداء دخل مخدعه للقيلولة واذا كان بعد العشاء جلس للمغنين والندمان . كذلك عادته من يوم ولي الخلافة . . . » اه

وكل الكتاب هذا النسق البديع . وللمؤلف كتاب في تاريخ بابل واشور صححه الشيخ اليازجي . وحب الفقيد للعلم والادب موروث من المرحوم والده فلمؤلفه المدور وللوالد فضل كبير على آداب اللغة العربية بطبع كتاب « مجمع البحرين » لليازجي على نفقته يوم كانت بضاعة الادب كاسدة فبذل المال الكثير في نشر ذلك الكتاب رغبة في نشر العلم فنظم الشيخ ناصيف اليازجي يومئذ في الثناء عليه قصيدة قال في جملتها :

اذا عدت رجال العصر يوماً   فانك واحد بمقام الف

التصوير بالتلغراف

تليفوتوغراف

اول من نقل الصور الفوتوغرافية بالسلك التلغرافي على مسافات بعيدة الدكتور كورن الاستاذ الالماني في مونيخ . ولكنه ليس اول من فكر في هذا الاختراع فان العلماء ما برحوا يتوقعون الوصول الى هذه النتيجة من اواسط القرن الماضي وبعضهم جرب ذلك نظريًا وعمليًا . ومن المفكرين في هذا الاختراع تندل و بريس و بريجة وطمسن ودرفود وسيمنس وغيرهم . وممن جاهد في تاسيسه العالمان بل ومركاديه ومرجع تجاربهما الى خاصة وجدوها في معدن السلينيوم وهي انه ينقل المجاري الكهربائية بواسطة اشعة النور فتوفقا الى تحويل اشعة النور الى حركة ميكانيكية واستطاعا استخدام الاذن للشعور بتفاوت كثافة النور المنبعث من مكان معين . ويكفي في ذلك ان تمر الاشعة على بخار اليود او صفيحة من السلينيوم

واشتغل بعد هذين غير واحد من علماء اوربا ولا سيما الاستاذ لازار و يلرفانه اصطنع آلة سماها فورسكوب لها عند كل من جهتي الارسال والاستقبال صفيحة مستديرة على حافتها ٣٦ قطعة من الزجاج المفضض والصفيحتان تعملان معًا فتجتمع على الصورة المراد نقلها خطوط تنتقل بالتتابع وكل منها تكيف بالجزء الذي وقعت عليه من الصورة فتقع على حجرة من السلينيوم وتؤثر عليها تأثيرًا يختلف باختلاف كثافة الاشعة الواقعة وتنتقل كذلك بالكهربائية

واشتغل كثيرون غير هؤلاء فتوصل بعضهم الى نقل الخطوط عن بعد . اما نقل الصور الفوتوغرافية فوضع اساسه الحقيقي الطبيب الفرنساوي سانلبك دار در سنة ١٨٧٧ فاصطنع آلة سماها تيلكتروسكوب . ثم بولوزينو وآلته المسماة تليفوتوغراف يليهما غير واحد بذلوا الوقت والمال في الدرس والامتحان واقتربوا من الحقيقة ومنهم اثنان تقدما نحو الاختراع خطوة كبيرة وهما ادوارد ومارسل باين فقد بحثا في النظر عن بعد واوشكا الوصول الى النتيجة المطلوبة بآلة سمياها تليفرافوسكوب

واساس بحثهما ان الصورة الفوتوغرافية لا تتألف من خطوط كالرسوم الاعتيادية وانما هي صورة حية تمثل ارتفاعات وانخفاضات . فالاشعة المنعكسة عنها تختلف كثافتها باختلاف اجزاء الصورة من حيث كثافة لونها تبعاً لما في الشبح المنقولة عنه من الارتفاع

او الانخفاض فيختلف تأثير تلك الاشعة بهذه النسبة عند تحولها الى حركة كهربائية فتنتقل على السلك وتؤثر في الطرف الآخر تأثيراً يوازي كثافة تلك الاشعة . فاذا قسمنا الصورة الى نقط صغيرة ونقلناها نقطة نقطة وصلت كل منها مشابهة للنقطة الاصلية المقابلة لها . وتمكن المخترعان المذكوران من نقل هذه النقط بالكهربائية الى مسافة ٤٨٠ كيلومتراً ولكنهما لم يتوفقا كما توفق الدكتور كورن . فانه اصطنع آلة تنتقل عليها الاشعة المنعكسة عن الصورة الاصلية خطوطاً فتقع على الزجاجة الحساسة في الطرف الآخر بواسطة الكهربائية ووفق بينهما بان جعل الصورة الاصلية في الطرف الواحد والزجاجة الحساسة في الطرف الآخر تدوران دوراناً متشابهاً جهته وزمناً واليك إيضاح ذلك :



(ش ١) الطرف الناقل من آلة التليفوتوغراف للدكتور كورن
a المحرك .b الاسطوانة .f الموشور .d قنديل نرنست .g البطارية

ان آلة التليفوتوغراف التي اصطنعها الدكتور كورن مؤلفة طبعاً من آلتين احداهما لنقل الصورة وارسالها والاخرى لاستقبالها و بينهما السلك . فالآلة الناقلة ترى رسمها امامك وهي مؤلفة من اسطوانة زجاجية (b) تدور على محورها وترتفع عمودياً في وقت واحد او هي

حركة لولبية يسهل عليك تصورها اذا ادخلت لولباً (برغي) في ثقبه وهو متجه نحو الاعلى ثم حركته فيدور على محوره ويصعد عامودياً . والاسطوانة المذكورة محفوظة في غرفة مظلمة اسطوانية الشكل ايضاً تحيط بالزجاجة من كل ناحية على نسبة واحدة . وفي هذه الغرفة ثقب يدخل منهُ حبل من الاشعة مرسل من قنديل قوي يعرف بقنديل نرنست (d) والصورة المراد نقلها تلف حول الاسطوانة الزجاجية

وفي باطن هذه الاسطوانة موشور من البلور يعكس الاشعة النافذة من ذلك الثقب بعد ان تجتاز الصورة فتقع عامودية نحو قاعدة الاسطوانة في الاسفل على صفيحة من السلينيوم موضوعة هناك ومتصلة بالبطارية الكهربائية (g) بسلك اعتيادي كما ترى في الشكل . ومن خصائص السلينيوم العجيبة انهُ لا ينقل المجرى الكهربائي الاَّ بواسطة اشعة النور وتختلف قوة المجرى المنقول به باختلاف كثافة الاشعة الواقعة عليهِ



(ش ٢) صورة منقولة بالتليفوتوغراف كورن في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٠٦

فالسلينيوم ينقل النور من احد طرفي الآلة الى الطرف الآخر نقلاً متواصلاً يختلف كثافة باختلاف الاجزاء التي انعكس النور عنها في الصورة الاصلية . ويقع على الزجاجة الحساسة في الطرف الآخر بالكثافة التي انتقل بها

والآلة القابلة في الطرف الآخر تشبه الآلة الناقلة واهم اجزائها اسطوانة زجاجتها مثل زجاجة الاسطوانة الناقلة حولها غرفة مظلمة فيها ثقب وهي تدور على محورها وعموديًّا مثل تلك . وحول الزجاجة في الآلة القابلة صفيحة من الورق الحساس الذي توخذ عليه الصور عادة بآلة الفوتوغراف الاعتيادية . والمجرى الكهربائي القادم على السلك من الآلة الناقلة يصل اولاً الى كلفانومتر مصنوع على كيفية يتحول بها المجرى الى اشعة تدخل الاسطوانة من الثقب فتقع على الورق الحساس وهو يدور بالاسطوانة مثل دورة الاسطوانة الناقلة فتؤثر عليه تأثيرًا يختلف كثافة باختلاف الاصل المنقولة عنه فترتسم على ذلك الورق صورة كثيرة الشبه بالصورة الاصلية تعترضها اظلال خطية متوازية لان الصورة على طريقة كورن ترسل خطوطًا لا نقطًا والشكل الثاني مثال مما نقل بها بالامس

ذلك ما بلغ اليه هذا الاختراع العظيم الى اليوم والهمة مبذولة في استثماره حتى يأتي بالمعجزات فكما انهم يتوقعون المخابرة بالتلفون على مئات من الاميال بلا سلك كما استطاعوا المخابرة بالتلغراف بلا سلك فهم ايضًا يرجون الوصول الى اختراع يرى به الانسان صاحبه على الوف من الاميال فيهون علينا ما نسمعه عن زرقاء اليمامة وهي امرأة من نمير ذكروا انها كانت تنظر الراكب من مسيرة ثلاثة ايام

الغضب

الغضب ضد العقل . احضر الناس جوابًا من لم يغضب . احذر اخاك اذا غضب . الغضب يثير كامن الحقد

لا يقوم عن الغضب بذل الاعتذار . ابق لرضاك من سخطك . الغضب يصدىء القلب حتى لا يرى صاحبه فيه صورة حسن فيفعله ولا صورة قبيح فيجتنبه اول الغضب جنون وآخره ندم

شدة الغضب تغير المنطق وتقطع مادة الحجة وتفرق الفهم . غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله . من ظهر غضبه قل كيده

لا يحملنك الغضب على اقتراف اثم فيشفي غيظك ويسقم دينك . اشد الجهاد مجاهدة الحليم غيظه . عقوبة الغضب تبدأ بالغضبان تثلم دينه وتقبح صورته وتعجل ندمه

باب السؤال والاقتراح

ايوان كسرى

﴿ القاهرة ﴾ الشيخ عبد الرحيم اليسري الاسيوطي بالازهر

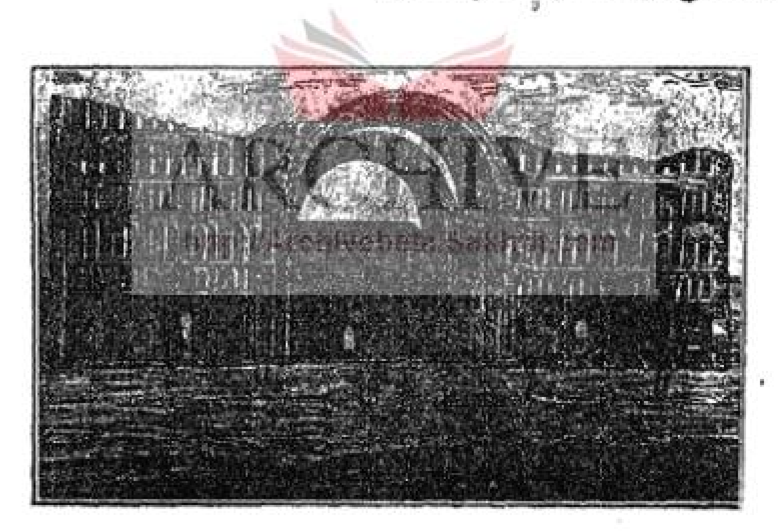
ما هي صفة ايوان كسرى وما الذي آل اليه امره بعد ايام المنصور هل ظل عامراً اهلاً ام صار طللاً بالياً

﴿ الهلال ﴾ الايوان ويسمونهُ ايضاً الطاق فيقولون ايوان كسرى او طاق كسرى قصرٌ باذخ جرى اسمه على السنة العرب واقلامهم مجرى الامثال بالعظمة والفخامة حتى عدوه من المباني العجيبة. ويقولون ان بانيه سابور ذو الاكتاف وهو سابور بن هرمز في القرن الرابع للميلاد وانهُ قضى في بنائه نيفاً وعشرين سنة. لكنهُ يعرف باسم ايوان كسرى انوشروان والظاهر ان القصر الذي بناه سابور غير هذا فهما ايوانان احدهما لسابور والآخر لكسرى. وذكر بعض مؤرخي الفرس ان المنصور لما نزل في المدائن اقام في ايوان سابور وكان اقل فخامة من ذاك فتهدم وامحى اثره اما الآخر فقد بناه كسرى انوشروان في وسط المدائن عاصمة الفرس في ذلك العهد وكان يومئذٍ على مقربة من دجلة لايحول بين الايوان والنهر الا البساتين

وكان محيطهُ ربع فرسخ وطولهُ ١٨٠ خطوة وارتفاعهُ ٨٠ خطوة بابهُ الاوسط وهو اكبر ابوابهِ قائم في وسط واجهته يستطرق الى قاعة كبيرة هي التي تسمى الطاق والى كل من جانبي الطاق في الاسفل اربع اقواس فوق كل منها ثلاث نوافذ وفوق هذه النوافذ شاذروانات فوقها نوافذ أخرى والنوافذ او الشبابيك تستطرق الى غرف مبنية من المرمر والبرونز

وكانت له شرفات مزخرفة بالنقوش تشرف على الجهات الاربع قائمة على اعمدة يتألف من صفوفها رواق يحيط عظيم بالطاق من جهاته الاربع طول الشرفة الواحدة خمسة عشر ذراعاً وقد ادخل في بناء الايوان من الذهب ما ربما زادت قيمته على مليون دينار والايوان بجملته مبني من الآجر المشوي طول كل اجرة ذراع وعرضها شبر تتلاحم بمزيج من الجبس والزفت وفيه كثير من الاساطين الرخام

وكان في زمن كسرى برويز عليه الستائر المرصعة باللؤلؤ والمطرزة بالقصب وتحت الايوان سراديب كانت مخزناً للجواهر والاطياب وكان فيه بساط طوله ٦٠٠ ذراعاً في ستين حواشيه مرصعة بالزمرد وارضه مرصعة بالجواهر المختلفة وكان في اعلى الايوان ممشى يحيط به عليه قناطر باساطين



ايوان كسرى

وكان كسرى يعقد مجلسه في القاعة الوسطى التي يسمونها الطاق وعلى جدرانها صور ملونة مذهبة تمثل وقائع حربية فاز بها كسرى انوشران في حربه ضد الروم واهمها صورة كسرى نفسه يحاصر انطاكية وفيها قيصر الروم وقد أخذ الفريقان بالحرب واستلوا السيوف

ولما ظهر الاسلام وافتتح المسلمون بلاد فارس وذهبت دولة الفرس بقي الايوان من

جملة آثارهم الضخمة . فلما افضت الخلافة الى المنصور العباسي اراد هدمه ويقال انه استشار وزيره خالد بن برمك في هدمه وادخال انقاضه في عمارة بغداد فقال له « لا تفعل يا أمير المؤمنين » فقال المنصور « ابيت الا التعصب للفرس ؟ » فقال « ما الامر كما ظن امير المؤمنين ولكنه اثر عظيم يدل على ان ملةً دينًا وقومًا اذهبوا ملك بانيه لدين وملك عظيم » فلم يصغ الى رأيه وامر بهدمه فوجد النفقة عليه اكثر من الفائدة بنقضه فتركه فقال خالد « الآن أرى يا أمير المؤمنين هدمه لئلا يقال انك عجزت عن خراب ما عمره غيرك ومعلوم ما بين الخراب والعمارة » فذكر بعضهم انهُ خرب ايوان سابور وذكر آخرون انه لم يلتفت الى قوله وتركه . وفي كل حال فان المسلمين قعدوا عن هدم الايوان كما قعدوا عن هدم الاهرام . وقد شاهده ابو عبادة البحتري فرأى عليه النقوش والصور التي تقدم ذكرها فوصفها بقصيده من جملتها قولهُ :

فاذا ما رأيت صورة انطاكية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وانو شروان يزجي الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللباس على اصفر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه في خفوة منهم واغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح ومليح من السنان بترس
تصف العين انهم جد احياء لهم بينهم اشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس
قد سقاني ولم يصرد ابو الغوث على العسكرين شربة خلس
من مدام تقولها هي نجم ضوء الليل أو مجاجة شمس
وتراها اذا أجدت سرورًا وارتياحًا للشارب المتحسي
افرغت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبة الى كل نفس
حلم مطبق على الشك عيني إم اماني غيرن ظني وحدسي
وكان الايوان من عجب الصنعة جوب في جنب ارعن جلس
يتظنى من الكآبة ان يبدو لعيني مصبح او ممسي

عكست حظه الليالي وبات المشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو يبدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسي
لم يعبه ان بزّ من بسط الديباج او استل من ستور الدمقس
مشمخرّ تعلو له شرفات رفعت في رؤوس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تبصر منها الا غلائل برس
ليس يدرى اصنع انس لجن صنعوه ام صنع جن لانس

ولا يزال الايوان قائماً كالجبل العظيم الى الآن وقد زاره المغفور له ناصر الدين شاه في اواخر القرن الماضي ووصفهُ في رحلته المنشورة في اللغة الفارسية وذكر مساحتهُ واقيسته بالذراع الفارسي وهو ٦٥ سنتمتراً وخلاصة ذلك ان طولهُ ٤٨ ذراعاً وسمك جداره ٧¼ اذرع وثخن افريز الباب الخارجي اربعة اذرع وثخنهُ من الداخل ٧¼ اذرع وعرض فتحة الباب ٣٤½ ذراع وارتفاع الباب ٣٢ ذراعاً وعلو النوافذ السفلى ٦ اذرع

تحرير العبيد

(لورنس ماس باميركا) نجيب حسن البستاني

نسمع ان العبيد كانوا يباعون ويشترون ثم تحرروا فمتى دخلوا في الرق ومتى خرجوا منه وكيف ذلك

(الهلال) الاسترقاق قديم مثل قدم الانسان لان الانسان مفطور على الاستبداد والقوي يستعبد الضعيف. وكان الناس في أول عهد العمران اذا غلب احدهم عدوه وقبض عليه لا يستعبده بل يقتله الا النساء فقد كانوا يستبقونهن للاستمتاع بهن. ثم صاروا يستعبدون الاسرى ويستخدمونهم في حرث الارض ورعاية الماشية ونحو ذلك من الصنائع او يبيعونهم بيع المتاع. ذلك كان شأنهم في عهد التمدن القديم بمصر واشور وبابل. وكان للاسترقاق سوق رائجة في الدولة الرومانية فكانوا يأتون بالاسرى

بالمئات والالوف ويبيعونهم بيع الاغنام ويعاملونهم معاملة الحيوانات . ولما انتظم حال تلك الدولة صاروا يتزوجون بالجواري و بعد ان كان الروماني يتصرف بعبده كما يشاء من قتل او جلد اصبح قصاصه منوطاً برأي القضاة واذا بالغ السيد في ظلم عبده حكم القضاة عليه

على ان العبيد ما زالوا كثاراً في المملكة الرومانية لا يخلو منهم بيت واكثرهم من الاسرى او ابنائهم يستخدمونهم في المنازل و يعلمونهم الصنائع على اختلاف ضروبها ويبيعونهم في اسواق خاصة بالرقيق . ويختلف ثمن العبد من عشرين ريالاً رومانياً الى اربعة آلاف ريال ويقال نحو ذلك في سائر الممالك القديمة . فالفرس مثلاً كانوا يستعبدون الاتراك في الحرب ويتهادونهم وقد يتهادون ابناء الامراء منهم . ومما ذكر التاريخ من ذلك ان ابرويز ملك الفرس اهدى الى موريقس ملك الروم مئة غلام من ابناء اراكنة الترك في نهاية الحسن والجمال في آذانهم اقراط الذهب فيها الدر واللؤلؤ في جملة هدايا أخرى . فاهداه ملك الروم هدية فاخرة في جملتها عشرون جارية من بنات ملوك برجان والجلالقة والصقالبة والوشكنس من الاجناس المجاورة لبلاده على رؤوسهن اكاليل الجوهر

وما زال ذلك شأن العبيد حتى انتشرت النصرانية فتحسنت احوالهم لانها نصرت الضعفاء — وان لم تعترض صريحاً على ما كان من نظام الاسترقاق عند الرومان أو اليونان في ذلك العصر . ولكنها بثت الحرية الشخصية ضمناً وعلمت المساواة بين طبقات الناس وكان اكثر الفلاسفة قبلها يعدون العبيد احط منزلة في الانسانية من سائر طبقات الاجتماع فجاء في تعاليم الديانة المسيحية ان العبد ذو نفس خالدة مثل نفس مولاه وحسنت عتقه واثابت المعتقين . واجازت شرائع يوستنيان الزواج بين العبد والحر وعدت الاولاد الناتجين من هذا الزواج احراراً فقلّ انتقال الارقاء بالارث مثل سائر الامتعة الموروثة

ولما جاء الاسلام زادت حال العبيد تحسناً لان النبي اوصى بهم خيراً فقال « لا تحملوا العبيد ما لا يطيقون واطعموهم مما تأكلون » وقال « لا يقل

أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي » وفي القرآن نص صريح ان يعامل الارقاء بالحسنى . والشرع الاسلامي اختص العرب المسلمين بالنجاة من الرق عملاً بالقول « لا سبأ في الاسلام ولا رق على عربي في الاسلام » واصبح تحرير الارقاء فضيلة فصار المسلمون يتسابقون الى اعتاق عبيدهم لاي سبب يجيز الشرع تحريره به كاظهار التقوى او الغيرة على الدين فاذا اسلم العبد واظهر التقوى اعتقه سيده وقد يعتقونه فداء عن يمين او وفاء لنذر او التماساً للثواب او شكراً لله على نعمته او نحو ذلك . ومن أعتق من العبيد صار مولى والموالي وسط بين الارقاء والاحرار على ما فصلناه في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي

وقد حدث في عالم النصرانية نحو ما حصل في الاسلام من انتقال الرق الى الولاء او ما يشبهه ويسمى في اصطلاحهم « serfdom » وهي حالة وسط بين الرق والحرية وان اختلفت في تفاصيلها عن الولاء في الاسلام واشبهت من بعض وجوهها ما يسميه العرب « القن » وهو العبد الذي يعمل بالارض . فالسرف serf او القن عند الافرنج يعمل بالارض ويتزوج ويتناسل في حياطة مولاه ولكنه لا يباع ولا يشرى وله امتيازات كثيرة تقربه من الاحرار . ولم يبق عمل هذه الطبقة من الاقنان محصوراً في الفلاحة ولكن طائفة منهم اشتغلت بالصناعة وآخرون استخدموا في مصالح الحكومة . فانتقال الرق الى الولاء او السرفية او القنية خطوة كبرى قربت العبيد من الحرية

توالى على اوربا عدة اجيال بعد ظهور طبقة الاقنان والنخاسة ما زالت رائجة ولا سيما بعد الاكتشافات الجغرافية في اواخر الاجيال الوسطى اذ عثر المتمدنون على قبائل من الزنج او الهنود او غيرهم من الامم الهمجية فجعلوا يحملونهم الى بلادهم للاتجار بهم ولم تبق امة من امم اوربا لم تتجر بالرقيق الابيض والاسود . حتى اذا انقضت الاجيال المظلمة واخذوا في بناء التمدن الحديث على اسس العلم الصحيح والحرية الشخصية عمل الناس على تقبيح الرق وسعى الفضلاء في مقاومته على طرق مختلفة لم يكن للحكومة ولا للجمعيات دخل فيها ـ بدأوا بذلك من اواسط القرن السابع عشر في فرنسا وانكلترا واسبانيا وغيرها . ثم تصدت الجماعات لمقاومة الاسترقاق واول من اقدم على ذلك طائفة

الكواكرس في انكلترا فنادوا على منابرهم رسمياً سنة ١٧٢٧ بتحريم الاسترقاق. وفي سنة ١٧٦١ اخرجوا من طائفتهم كل من يحالله ونشروا المنشورات يحرضون بها الناس على مقاومته واسسوا سنة ١٧٨٣ جمعية غرضها « انقاذ زنوج جزائر الهند الغربية من الرق وابطال تجارة الرقيق من شواطئ افريقيا » هذه هي اول جمعية انشئت في انكلترا لهذا الغرض النبيل

اما الحكومات فكانت لا تعترض مساعي هذه الجمعيات بل كانت تنشطها وتساعدها عند الاقتضاء . ولكنها لم تباشر ذلك العمل بنفسها الا في اواخر القرن الثامن عشر وتدرجت في ذلك من التضييق على تجارة الرقيق الى السعي في الغائها وأقرت انكلترا على ذلك في اول يناير سنة ١٧٩٦ اقراراً رسمياً واخذت تسعى في عقد العهود مع الدول الاخرى للتكاتف على ابطال هذه التجارة و بذلت الاموال في سبيل ذلك . وتألفت في انكلترا سنة ١٨٠٧ جمعيـة غرضها الأول السعي في حمل الامم الاوربية الأخرى على ابطالها

على ان انكلترا لم تكن هي اول دولة اقرت رسمياً على الغاء النخاسة وانما يرجع الفضل في ذلك الى دولة الدنمارك لانها اصدرت امراً ملوكياً في ١٦ مايو سنة ١٧٩٢ يقضي بمنع تجارة الرقيق في املاكها. تليها الولايات المتحدة الاميركانية فانها اصدرت سنة ١٧٩٤ قراراً تمنع رعاياها معاملة الامم الاخرى بالنخاسة ومنعت ادخال زنوج افريقيا الى بلادها ولكن هذا القرار لم ينفذ الا سنة ١٨٠٨

واقتدت بذلك سائر الدول المتمدنة فابطلت النمسا النخاسة سنة ١٨١٤ وتعاهدت انكلترا وفرنسا في تلك السنة على ان لا يؤذن لاحد في ادخال الرقيق الى المستعمرات الفرنساوية . وفي سنة ١٨١٥ اقرت حكومة البرتوغال على الغاء النخاسة في شمالي خط الاستواء ثم جعلته عاماً سنة ١٨٢٣ والاسبان اقروا على الغائها سنة ١٨٢٠ واشترطت انكلترا على نفسها ان تدفع لها في مقابل ذلك تعويضاً مالياً مقداره ٤٠٠,٠٠٠ جنيه وقس على ذلك هولندا واسوج ونروج وغيرها

ثم تحالفت انكلترا وفرنسا سنة ١٨٣٣ ووافقتها الدول الأخرى على تجسس البحار

والقبض على سفن الرقيق بالقوة . ودخلت في هذه المعاهدة ايضاً الولايات المتحدة سنة ١٨٤٢ فلم يتوسط القرن التاسع عشر حتى كانت تجارة الرقيق قد ابطلت في كل بلد يخفق فوقها علم من اعلام الدول المتمدنة . فتوجهت الانظار الى ابطالها في مصادرها الاصلية باواسط افريقا وغيرها . لان بقاء النخاسة هناك مع التشديد بمنعها في البلاد المتمدنة ومراقبة الحكومة للسفن الحاملة للرقيق عاد بالضرر العظيم وجر الى فظائع تقشعر منها الابدان : فكان النخاسون يحملون المئات والالوف من الارقاء على السفن خلسة فاذا علموا وهم في عرض البحر بسفن حربية تترقبهم قتلوا من كان معهم من الارقاء كلهم او معظمهم واغرقوهم في البحر فراراً من عقاب الحكومة

فتعاهدت الدول على التناصر لالغاء النخاسة من اصولها ولم يروا بدًّا في ذلك من الاستعانة بالدولة العثمانية ولا سيما مصر فاصدر الباب العالي فرامانات عديدة بتحريم هذه التجارة وتعاهدت انكلترا ومصر غير مرة على الغائها والتعاون على ابطالها في داخلية السودان . وللحكومة المصرية فضل كبير في هذا السبيل يرجع معظمه الى الخديوي اسماعيل لان تلك المعاهدة عقدت على عهده . وكان من عواقبها وسوء تصرف الذي تولوا تنفيذها هياج رؤساء القبائل ورجال النفوذ غضباً لما لحقهم من الخسارة بابطال هذه التجارة . فانتقموا من الحكومة المصرية بايقاد نيران الثورة المهدوية فحدث الانقلاب العظيم في حكومة السودان على ماهو مشهور

تأثير الخمور في العقول

قال بعض الشعراء

الكاس يظهر ما لابست من دنس   اذا تمشت حميا الكأس في الراس

وقال آخر

على قدر عقل المرء في حال صحوه   يؤثر فيه الخمر في حال سكره

فيأخذ من عقل كثير أقله   ويأتي على العقل اليسير بأسره

كتاب صهاريج اللؤلؤ

للسيد البكري

الشعر عند العرب الكلام المقفى الموزون وهو تعريف النظم لا الشعر اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم وقد يكون ناظماً وليس في نظمه شعر • فالشعر بهذا الاعتبار قسمان منظوم ومنثور والشعر المنظوم كثير في اللغة العربية على اختلاف اعصرها في الجاهلية والاسلام بل هي اكثر لغات البشر شعراً وشعراء • اما المنثور فانه نادر فيها ولا سيما النوع الوصفي او القصصي منه • على ان الشعر الوصفي نادر حتى في النظم ومع ان العرب مطبوعون على الشعر لانهم اهل خيال واريحية فقرائحهم انصرفت في الجاهلية الى الحماسة والفخر على ما اقتضته احوالهم من الغزو والمفاخرة بالنسب • واذا وصفوا فيقتصر نظمهم في ذلك على وصف الاسلحة او الخيول او النوق او بعض الوقائع القصيرة • اما المناظر الطبيعية والوقائع الحربية والمناقب الانسانية والاحداث النفسانية فقلما وصفوها • فلما كان الاسلام وقامت دولتهم اشتغل الشعراء بما اقتضته الحضارة من اسباب الارتزاق بالتقرب من اصحاب الاموال والزلفى لكبار القوم فاصبح اكثر ما ينظمونه مدحاً في امير او ملك وربما وصف بعضهم خمراً او زهراً او قصراً ولكنه قليل نادر بالنظر الى سواه

الشعر المنثور

اما الشعر المنثور فظل نادراً حتى في ابان الحضارة وما زال كذلك الى اليوم • وقد ذكرنا في غير هذا المكان حاجة اللغة العربية اليه ونشرنا شيئاً مما جادت به قريحة بعض الادباء على سبيل المثال وتقدمنا الى اصحاب القرائح الشعرية ان يتحدوه بما يلائم بلاغة هذا اللسان واساليبه — تقدمنا اليهم في ذلك ونحن لا نتوقع اجادتهم به ولا استعداد الاذهان لسماعه الا بعد مزاولته الزمن الطويل لبعده عن المألوف عندنا • حتى اطلعنا على كتاب « صهاريج اللؤلؤ » لصاحب السماحة السيد توفيق البكري الشاعر الناثر الكبير • وهو تحت الطبع وسيصدر بعد ايام مشروحاً شرحاً وافياً في اللغة والتاريخ والادب بقلم الشيخ احمد الشنقيطي والشيخ ابي بكر لطفي المصري • فوجدناه يتضمن طائفة من الشعر المنثور والمنظوم تخيل لنا ونحن نقرا منثوره اننا نطالع شعراً نثره بلغاء الجاهلية

أو صدر الاسلام على اسلوب وصفي لا نعرف احداً جاء بمثله من أئمة هذا اللسان في ذلك العصر الا الامام علي بن ابي طالب فانهُ جاء بشيء من الشعر الوصفي المنثور في بعض خطبه — كقوله في وصف الطاووس :

«ومن اعجبها خلقاً الطاووس الذي اقامه الله في احكم تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج قصبه وذنب اطال مسحبه • واذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على راسه كانه قلع داريٌّ عنجه نوتية يختال بالوانه ويميس بزيفانه• يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحة أرَّ الفحول المغتلمة في الضراب — أحيلك في ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسنادهُ • فان شبهتهُ بما انبتت الارض قلت جنيٌّ جني من زهرة كل ربيع • وان ضاهيته بالملابس فهو كموشيّ الحلل او موثق عصب اليمن وان شاكلتـه بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد نطقت باللجين المكلل • يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً بجمال سرباله واصابيغ وشاحه • فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولاً يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال • وكانه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به • ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق • فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه • فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ • وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعاً فينحتُّ من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم يتلاحق نامياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه • لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحياناً صفرة عسجدية »

وقوله في وصف الخفاش

«ومن لطائف صنعته وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي • وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها فهي مسدلة الجفون

بالنهار على احداقها وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس ارزاقها • فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي لغسق دجنته • فاذا القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت الاجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبت من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً والنهار سكناً وقراراً • وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا نصب الا انك ترى مواضع العروق بينه اعلاماً • لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا • تطير وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه •

وقس على ذلك ما يتخلل خطب الامام علي من وصف الارض والملائكة والعقاب والثواب • وظل الامام فرداً في الشعر المنثور من هذه الطبقة لم يدركه فيه لاحق • على ان بعضهم تحداه ونسج على منواله كما فعل ابو العلاء وقليلون غيره واكثرهم من ادباء الاندلس في عصر حضارتها وان كان ما نثروه من الخيال الشعري في وصف المباني او الحدائق او المصانع ونحوها اكثره ضعيف بالنظر الى الشعر المنظوم على اختلاف وجوهه

فلما نهض اهل القرن الماضي لاحياء آداب اللغة العربية اقتداء بالافرنج كان في جملة ما تحدوهم فيه من ضروب آدابهم الشعر الوصفي المنثور وكنا نقرأ ما نثره ادباؤنا من الخيال الشعري فنراه مخالفاً لاساليب البلاغة العربية الاَّ ما قرأناه بالامس لفقيدنا اليازجي وقليلين غيره • ثم قرأنا نثر البكري في كتابه المشار اليه فرأينا الشعر المنثور تقدم في نهوضه تقدماً سريعاً على غير المألوف من احوال الارتقاء

والسيد البكري مشهور بين قراء العربية بما ظهر من آثار قريحته في الصحف والكتب نظماً او نثراً وهو من بيت عريق في الشرف ينتهي نسبه الى ابي بكر الصديق ونبغ من هذا البيت غير واحد من كبار العلماء المحققين

وصاحب صهاريج اللؤلؤ شاب لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره وهو مطبوع على حب العلم والرغبة في احرازه منذ نعومة اظفاره فاستوعب العلوم الاسلامية واللسانية وله معرفة جيدة باللغة الفرنساوية وبعض الانكليزية وقد اطلع على خيرة كتب التاريخ والادب والفلسفة الحديثة فضلاً عن القديمة فزاد ذلك في شحذ قريحته وسعة خياله وساعد على ما اتاه من الاعجاز في المنثور وفي المنظوم وذلك نادر في اصحاب القرائح في كل زمان ومكان

فقد اشتهر من بلغاء المسلمين جماعة في الشعر المنظوم كأبي تمام والبحتري وجماعة في النثر المسجع كالحريري والهمذاني وليس في شعر اولئك نثر ولا في نثر هؤلاء شعر فجمع صاحب الصهاريج بين الحسنتين واجاد في الوصف على الخصوص . فاذا اقرأت وصفه تمثل لك الموصوف واضحاً كأنك تراه واليك امثلة من ذلك :

قال في وصف ليلة في سفينة من رسالته المسماة « القسطنطينية » :

« ثم اذا غاب الهلال . وتوارى في الحجال . الفيت الكون من السواد . في لبوس حديد او لباس حداد . وكانما الماء سماء . وكأن السماء ماء . وكأن النجوم درٌّ . يموج في بحر او ثقوب في قبة الديجور . يلوح منها النور . او سكاك دلاص . او فاق رصاص او عيون جراد . او جمر في رماد . او الماء صفائح فضة بيضاء . سمرت بمسامير صغار من نضار فلا تفتاء السفينة تكابد الويل . من البحر والليل . حتى يلوح من الافق الضياء كابتسام الشفة اللمياء . فاذا السفينة كانها سرٌّ كتمه الظلام . وكشفه الضرام »

وقال منها في وصف القسطنطينية نفسها :

« فما تبالة مخصباً اهضامها . ولا بابل معلقة اجامها . ولا دمشق في ملك الوليد ولا بغداد في زمن الرشيد . . باضخم رفهنية وحضارة . واروع زبرجاً وشارة . برٌّ حو تلاعه . خضر آكامه واجراعه . معشب محاجره . متبلق بالمياه مفاجره . يشقه خليج كانه سيف مسلول . او سجنجل مصقول . وعلى شاطئيه قرى ودساكر . ورساتيق ومقاصر . وقصور بيض على الخضراء . كالنجوم في السماء . او اشرعة فلك في ماء « وكأن كل شاطيء منهما قد انتهت المحاسن اليه . فلا يفضل احدهما على الآخر الا لكونه يطل عليه » . فاذا رايت ثم رايت حين دلوك الشمس . وقد شعشع نورها كل بناء وغرس . وقد عكس في الماء** صور ما يحيط به من الاشياء . ابصرت في الماء قباباً من ذهب . واهلة من لهب . وكثباناً من زمرد . ووديانا من زبرجد . وجبالاً وايفاعا وحصوناً وقلاعاً . وسدراً ودلاعاً . وسقوفاً من جوهر . وعمداً من مرمر . وصرحا من قوارير . وتماثيل وتصاوير . ودوراً وحوراً . وناراً ونوراً . وحللاً تطوى وتنشر وسيوفا تغمد وتشهر . واقمار تصاغ وتكسر . فكانما تقرأ في البر . قصيدة من شعر وتنظر في البحر . فانوساً من سحر »

وقال من رسالة عنوانها « نابوليون » يصف بها قبر ذلك الرجل العظيم :

« وقفت على قبر نابليون امس . احدث النفس بما في ذلك الرمس . فاذا استكانة* بعد

صولة • وقبرٌ في جوفه دولة • وصولجان كرته الارض • امسى مخراق لاعب • وسريرٌ كان فوقه البسط والقبض • اضحى ملتقى ناع وناعب

اضحت قبورهم من بعد عزهم   تسفي عليها الصبا والحرجف الشمل
لا يدفعون هواماً عن وجوههم   كأنهم خشب بالقاع منجدل

«اللهم غفراً : هذا غلاب القياصرة • وقهار الجبابرة • دفع عنهُ سلطانه الابطال والاقيال • ولم يدفع عنه الارض والنمال • وكانت الارض تضيق عن نفسه • فامسى تسعه حفرة من رمسه • • فواها لهذا الموت الذي يجبت الاسود • ويقتلع انياب الحيات السود • ويفك النطاق عن الجوزاء • ويساوي عمرو بن درماء بالدرماء »

وقال يصف صلاح الدين الايوبي :

« سميذع نقاب • كانه قسور غاب • قلّب حوّل • لو عادته نجوم الافق لعاد ذو الرمح منها وهو اعزل • يعبس وهو راض كالسحاب • ويضحك وهو غاضب كالقرضاب • عاجل العفو آجل الانتقام • كان الملوك صفٌ وهو الامام طبيبٌ بادواء الامم حذاق • يعالج تارة بالسم وطوراً بالترياق • واحد لم يختلف في فضله اثنان • نطقت بما ثره ألسن الخرسان والخرصان • فقرت بظهوره القلوب واذا هو صلاح الدين يوسف بن ايوب »

وتطرق من ذلك الى وصف جيوشه وقد اصطفت للقتال بازاء جيوش الافرنج فقال:

« كانهم في الصفوف حتوف • او اسود اظافرها السيوف ؛ وكانهم من حبهم للقتال يرون النقع ليل وصال • تموج على صدورهم الفضفاضة السلوقية • والزعف الحطمية • وكان كل درع ردنُ هلهال او غدير تحرك عليه شمال • وفي ايديهم السيوف اليزنية • والسهام الحجرية • وكان كل سنان ارقم • وكل كنانة جلدة شيهم

كأن شموساً نازعت شموسا   دروعنا والبيض والطروسا

« واذا تكافح وجلاد • وابطال في عداد • وجسوم تحت الصعيد ورؤوس فوق الصعاد • وعثير في العنان كادت تفرخ فيه العقبان • اصبحت الارض به سناً والسماء ثمان • وخيلٌ تنزع قباً • وتضبح ونباً • كانها في الجدد • طير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

وقال يصف قطار السكة الحديدية :

« فركبنا اليها وابور البر في ليلة صربة • فسرى بنا وكانه ثعبان • له عينان تقدان ينساب في القيعان • ويلتوي على الرعان • او انه مبتدأ متعددُ الاخبار • او كلم مجرورة بحرف جار • او انه بيت ذو تقطيع • من البحر السريع • فتارة وعلٌ على الجبال • وأخرى

جدول بين الادغال . وآونة ينطبق كالجواد . ومرة يثب كالجراد . وقد يدور في الصعيد كخذروف الوليد . ان ارتقى فدعوة المظلوم . او انحط فروح الظلوم »

وفي الكتاب رسالة عنوانها « العزلة » ضمنها دروسا في الاخلاق وانتقادات على العادات ووصف بها كثيرًا من احوال الاجتماع كقوله يصف قرية :

« وثمَّ سائمة الانعام . بين الحقول والآجام . ترتع في مرابضها . وتمرح في مراكضها فمن بقر موشي اكرعه . مرقم اذرعه . كانه طلي بورس . او غربت في اديمه الشمس .

« وخيول . تمرح في الحجول والشكول . كأن في صهيلها جرس . وتحت حوافرها قبس . والضان تسعى بين الحافر والخف . من قف لقف

وتملأ بيتنا اقطًا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

« وبين ذلك بيوت من قرميد . وسقوف من حديد . وافن من حجر . ونجد من وبر . ملؤها هناءة . وبنين ورفاءة . لا غلظ البواب . ولا ثقل الحجاب . ولا نفاق الاصحاب وقطار من آبال . تسير بالغدو والآصال . في اعناقها الاجراس . وفي رحالها الامراس . يحدوها سواق حطم . كانه الزلم . وراعي غنم . بين الغرقد والسلم . يدفعه مدخل الليل . الى مجرى السيل . يشرب بالعلب . وينفخ في القصب . وفي كل محلة برٌّ يقفى . وحريرة تحفى . وقصب يكسر . وسليط يعصر . وزبد يمخض . وصريح يمحض واناسي . من اريثي وقروي . هريت ثوبه . نقي جيبه . كريم في اطمار . كالحر في خزف وقار

« فاذا اقبل الحرور الفيت كل ارض كشعر ابي نواس وكل نهي كقطعة من ماس وعلى كل علم . برد منمنم . وفي كل غيط . وشي وريط . الى ازاهر كانها دنانير جدد . او دراهم بدد . او فصوص من يواقيت . او اوائل النار في اطراف كبريت »

ومنها ينتقد بعض احوال الحضارة وقد سئل ترك العزلة ونزول المدينة فقال :

« أأفعل ذلك . واقطع تلك المسالك . رغبة في حوار حاكم ديوان . او جوار صحبان وخلان . ام لمنافسة أبناء السامة . ام ملابسة هذه العامة . امّا الحاكم فاكثر ما لقيت امرؤ ان اونس تكبر . وان اوحش تكدّر . وان قُصد تخلف . وان تُرك تكلف . إمّع . لا يضرُّ ولا ينفع . قبة جوفاء تردد ما يلقى فيها من النغم . ان لا فلا او نعم فنعم . القاب واكاليل . على شخص في مرسح التمثيل . فان طرحت تلك الالقاب ونزعت هاتيك الثياب . الفيت تحتها العجب العجاب »

الى ان قال في وصف الاخلاء :

« واما الاخلاء والصحب والسجراء . فحسبك من رجل عون في كل امر لم ترده . ونصير في كل مطلب لم تقصده . فان عرض لك بعض الحاج فالملويّ يسترفد الحجاج . ملاّ . يتلون بلون الاناء . ونيلوفر يدور مع الشمس في الاصباح والامساء . ان جددت فالك . او شقيت فعليك . مدح مع المادح . وقدح مع القادح . اجسام متدانية . وقلوب متنائية . وان كان خبر سوء لحماد الراوية . حدث عن البحر ولا حرج . مأذنةٌ في ظاهرٍ مستقيم وباطنٍ معوج »

ثم تطرق الى وصف ابناء الخاصة الوارثين فقال :

« واما ابناء السامة فان احدهم غادة ينقصها الحجاب . ينظر في المرآة ولا ينظر في كتاب . انما هو لباس . على غير ناس . كما تضع الباعة مبهرم الثياب . على الاخشاب . رماد تخلف عن نار . وحوض شرب اوله ولم يبق منه غير اكدار . آباء واحساب . وحال كشجر الشلجم احسن ما فيه ما كان تحت التراب . الى رطانة بالعجمة بين الاعراب . (ابرد من استعمال النحو في الحساب) ميسر يلعب . ومال يسلب . وفاجرة تخدع . وكلب يتبع . وعطرٌ ينفح . وفرس يضبح . دنيا موجودة . ونفس مفقودة . وعقل اسير . وهوى امير . (اليوم خمر وغداً امر) فبيناه غنيٌّ يتملك . اذا هو فقير يتصعلك . قوتٌ كيلا يموت . ومن ايوان كسرى الى بيت العنكبوت

ولا يعرفون الشرَّ حتى يصيبهم ولا يعرفون الأَمر الاَّ تدبرا »

ومما اجاد فيه من ضروب الشعر ولم يكن له مثيل في لسان العرب « الشعر الموزون غير المقفى او كثير القوافي » وقد بينا في مكان آخر من الهلال حاجة اللغة العربية الى هذا الشعر اقتداء باللغات الاخرى وتوسيعاً على الشعراء في ابراز خيالاتهم الشعرية ونشرنا مثـالاً لبعض الادباء . فرأينا منها في صهاريج اللؤلؤ امثلة جيدة من قصيدة سماها ذات القوافي قال في مطلعها :

سقى دور مية بالاجرع مسف من الدجن لم يقلع

ولو ترك الشوق دمعاً بجفني سقيت المنازل من ادمعي

شجيٌّ يحنُّ لألأفه ويصبو الى دهره الغابر

فهل عائد لي زمان مضى بمفف الغوير الى الحاجر

فظهور هذا الكتـاب في هذا العصر نهضة جديدة في الشعر الوصفي المنثور

على انّا ينبغي لنا بعد ما تقدم من ايفاء سماحة المؤلف حقه من ذكر حسنات كتابه ان ننبه الى مواضع النقد فيه فنقول :

(١) رأينا سماحته يتوخى استعمال الالفاظ الغريبة في نثره الشعري وهو يعلم انا في عصر يقتضي الجنوح الى المألوف من اللفظ واهمال غريبه مجاراة لسنة الارتقاء ومراعاة لشؤون هذه المدنية وهو من اكبر انصار هذا الرأي على ما نعلم. ولكن يظهر انه نزع الى خلافه لغرض اراده او دعي اليه يدلك على ذلك استدراكه هذا الانتقاد وتنبيهه اليه في مقدمة كتابه بقوله :

« وانا اعلم ان من الادباء اليوم من ينفر من الغريب ولا ينفر من الدخيل · لاستيلاء العجمة على هذا الجيل · فلم يثنني ذلك عن ان اودع كلام الاعراب · بهذا الكتاب · وأحدوَ في إثر تلك الرفاق · بما في هذه الاوراق »

على ان ما في الكتاب من الشرح المستفيض يحل ما اشكل ويوضح ما غمض

(٢) رأينا بين لآلىء هذه الصهاريج كثيراً مما عرفناه لبعض المتقدمين من الافكار والمعاني · ولا مشاحة ان بعضها توارد اتفاقاً ولا سيما في الامور البديهية والتصورات الطبيعية · ولكن البعض الآخر مقتبس من المتقدمين ولم ينكر المؤلف ذلك فاعترف به في مقدمة كتابه حيث قال « وشعشعتها بانظار الجهابذة المتقدمين · والحكماء المتأخرين · كما تشعشع الراح · بثغبان البطاح »

فاقرار المؤلف بذلك يذهب باسباب الانتقاد · على ان الاقتباس اذا اقتصر على المعنى وصيغ صياغة ثانية نجا من العيب — فقد كان ابو العلاء يفضل المتنبي على غيره من الشعراء وسمى شرحه ديوانه « معجز احمد » وذكروا انه قيل له « كل معنى للمتنبي نجده منقولاً عن غيره » فقال « هذه مآخذه من سواه لديكم فليصنع كل منكم مثل ديوانه ان كان ذلك في امكانه »

وقال بوالو الشاعر الفرنساوي « الشاعر صائغ يلتقط الدر او الجوهر حيثما وجده فيصوغ منه غرائب الحلي ونفائس التيجان وليس عليه ان يغوص البحر على كل لؤلؤة او يصعد الجبل لكل جوهرة » ونرى الافرنج يقتبسون الفصول برمتها وبعضهم يقتبس الكتاب كله كما فعل فرجيل بالياذة هوميروس وكما فعل غيره من شعراء النصرانية في الاجيال الاخيرة من الفرنساويين والايطاليان والالمان وغيرهم · وربما انتقدوا الشاعر الكبير اذا اكتفى بما يخترعه من المعاني ولم يقتبس شيئاً من المتقدمين · واذا احسن الاقتباس اثنوا على براعته في

التقليد والتحويل . ولكن العرب لا يزالون يستنكفون من الاقتباس الكثير وانما يغتفر ذلك لمن يحسن الصياغة كما فعل صاحب الصهاريج في اكثر مقتبساته

فمواضع النقد التي ذكرناها لا تقلل شيئاً من قدر هذا الكتاب النفيس فهو من الآثار التي تبقى ما بقيت آداب اللغة ويبقى ذكر مؤلفها حيًّا بين بلغاء العرب . والتاريخ اصدق ناقد للاعمال واعدل حاكم على الرجال

بدو القطر المصري

او العربان

يتحدث الناس اليوم بطلب الحكومة المصرية الى بدو القطر المصري ان يبينوا انسابهم ويثبتوا اتصالها بانساب عرب الحجاز او اليمن . وقد كتب الينا غير واحد يسألنا عن اصل هؤلاء البدو وسبب مجيئهم الى وادي النيل ومتى جاؤوا . والجواب على ذلك ان بدو هذا القطر ليسوا قبيلة واحدة ولا جاؤوا في وقت واحد وقلما يحفظون انسابهم على عادة عرب البادية . فتحقيق اصل كل قبيلة وزمن نزولها هذا الوادي من اغمض نقط التاريخ لا يتيسر الوصول اليها الا بالدرس الطويل وانما نأتي على فذلكة في اصولهم وبعض احوالهم على سبيل المثال

يقيم بدو القطر المصري في البوادي التي تحيط بوادي النيل اعلاه واسفله . ولا يقتربون من ضفافه او ينزلون القرى او المدن الا لحاجة وقتية من بيع او شراء او ليزرعوا ارضاً لهم ويستغلوها . وهم الآن نحو ستين قبيلة يقسمون باعتبار اصولهم الى عرب ومغاربة وباعتبار طرق معائشهم الى رحل ومقيمين . فالرحل لا يزيدون على مئة الف نفس واكثرهم من بدو المغرب (البربر) واما المقيمون او المستأهلون فاكثرهم من اصل عدناني او قحطاني عربي وعددهم نحو نصف مليون نفس وجملة ذلك نحو ٦٠٠,٠٠٠ نفس اي نحو عدد الاقباط اصحاب هذه البلاد الاصليين وهم متفرقون في القطر المصري باعتبار اقسامه الادارية حسب تعداد سنة ١٨٩٧ على هذه النسبة

	عدد العربان		عدد العربان
محافظة العريش	١٢,٩١٠	الفيوم	٥٧,٩٤٧
البحيرة	٩٤,٩٣٥	الجيزه	٣٢,٧٣٦
الشرقية	٨٥,٠١٥	المنيا	٣٦,٢١٧
الدقهلية	١٤,٦٢٤	اسيوط	٣٠,٠٤٨
الغربية	٤٧,٤٦٣	جرجا	١٠,٦٤٩
القليوبية	٣٥,٤٠٢	قنا	٣١,٣٢٥
المنوفية	١٦,٦٦٦	النوبة	٢٣,٢٨٨
بني سويف	٣٩,٦٤٥	المجموع	٥٦٠,٨٧٠

على ان بدو هذا القطر على الاجمال يدعون تسلسلهم من قبائل العرب التي نزحت من بلاد العرب الى وادي النيل في اثناء الفتوح الاسلامية من العدنانية او القحطانية بلا نسب متواصل . وقلما تجد بين تلك القبائل من حفظ نسبهُ متسلسلاً الى اصله في بلاد العرب او بلاد المغرب . واقل منهم من يعرف تاريخ ذلك التسلسل

ويمتاز البدو المغاربة عن البدو العرب ان المغاربة شديدو سمرة الوجه جعد الشعور كثيرًا خفيفو اللحى . والعرب قمحيو اللون الا الذين لوحتهم الشمس . عيونهم سود وشعورهم مرسلة او قليلة التجعد اذا ارسلوا لحاهم طالت وكان شعرها كثيفًا . اسنانهم ناصعة البياض متناسقة الوضع . ملامحهم جميلة وفيها نشاط وحلاوة . اعناقهم مستديرة واكتافهم عريضة وصدورهم بارزة . ويغلب فيهم المزاج العصبي وخفة العضل وتوسط القامة بين خمس اقدام وعقدتين وخمس اقدام واربع عقد

اما نزوح اولئك البدو الى وادي النيل فاقدمهُ متصل بصدر الاسلام . فقد جاء عمرو بن العاص مصر سنة ١٨ للهجرة ومعهُ اخلاط من قبائل العرب . ولما فتحها واختط الفسطاط امر بالفصل بين القبائل فاتخذ كل جماعة خطاً او حارة عرفت باسم قبيلتهم ومنها خطط مهرة وغافق ولخم ومذحج وكندة ويحصب والمعافر ورعين ووعلان وذي الكلاع ومراد ووائل . غير خطط من كان معه من الفرس او اليهود وغير

من اقام بالبادية على اثر ذلك

ولما استبد بنو امية بالامر وحدث ما حدث من الرجوع الى عصبية النسب وتضاربت القبائل بعضها ببعض اصاب مصر حظ كبير من ذلك فكان امراء مصر اذا تولى احدهم وخاف على سلطانه من امير آخر ذي عصبية غير عصبيته استقدم جماعة من قبيلته او ممن ينتمون اليه بالحلف ونحوه واسكنهم ضواحي مصر ليستنصرهم عند الحاجة فيطلق لهم المرعى ويفرض لهم العطاء كما حدث بولاية الوليد بن عقبة في خلافة هشام بن عبدالملك وكان هشام يقرب قبيلة قيس لانهم نصروه وايدوا خلافته ولم يكن منهم في مصر الا بعض البطون وقيس قبيلة كبيرة تحتها عدة قبائل وبطون وافخاذ. واول من نبه هشاماً الى نقلهم ابن الحبحاب فانه وفد عليه فسأله ان ينقل الى مصر منهم ابياتاً فأذن له في الحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر اي ان يقبضوا رواتبهم من حكومة مصر على ان لا ينزلهم في الفسطاط فانزلهم في الحوف الشرقي (الشرقية والدقهلية) ولا سيما في بلبيس وامرهم بالزرع ثم تقاطروا وتكاثروا فيها

وقس على ذلك نزوح قبائل اخرى في ازمنة اخرى. وكثيراً ما كان الخلفاء يستقدمون قبائل البادية ويحضرونها فراراً من شرها واشهر القبائل التي استقدمت الى مصر لهذا الغرض بنو سليم وبنو هلال وهما بطنان من مضر من العدنانية استقدمهم العزيز بالله الفاطمي وانزلهم الصعيد في العدوة الشرقية من بحر النيل فاقاموا هناك وكان لهم اضرار في البلاد والخلفاء يدارونهم ويبحثون عن وسيلة يتخلصون بها منهم. فاتفق بعد سنين ان عامل الفاطميين في شمالي افريقية شق عصا الطاعة وبايع للدولة العباسية وقطع اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة والطراز والرايات فعظم الامر على الخليفة بالقاهرة وهو يومئذ المنتصر بالله فاشار عليه وزيره الحسن بن علي ان يقرب اليه احياء هلال وسليم المذكورين ويصطنع مشائخهم ويوليهم اعمال افريقية ويرسلهم لاستلام امورها فاذا فازوا كانت احدى الحسنيين والا فانه يتخلص من شرهم. فبعث الخليفة وزيره الى هذه الاحياء سنة ٤٤١ هـ وحرضهم على الذهاب الى المغرب وتملكه ففرحوا واجازوا النيل وساروا براً الى برقة ففتحوها

وكان نزوح القبائل العربية الى مصر او منها يتكرر عند كل انقلاب سياسي فاعتبر ما كان من الانقلابات في زمن الفاطميين والايوبيين والسلاطين المماليك ثم الامراء المماليك على عهد الدولة العثمانية ولا سيما في ايام علي بك الكبير وغيره فقد جاء اليها وخرج منها في اثناء ذلك قبائل عديدة لايمكن حصرها. وكان الحكام يرغبون البدو بالرحلة اليهم ليستعينوا بهم في حروبهم على اهل المدن المجاورة لهم استنجاداً بالبداوة على الحضارة سنة الله في خلقه من اوائل العمران . وعلى هذا النمط كان الروم والفرس يستعين كل واحد على صاحبه بعرب البادية الغساسنة في الشام والمناذرة في العراق

واهل البادية يعيشون بالغزو فحيثما سنحت لهم فرصة اغتنموها ولو لم يدعو اليها وانما يظهرون الانتصار لجماعة على آخرين وهذا هو دابهم الى عهد غير بعيد . كذلك فعل بعضهم في زمن الحملة الفرنساوية في آخر القرن الثامن عشر فان قبيلة يقال لها العوازم جاءت من نجد ومعها بطون من قبائل أخرى فنزلوا مصر لمحاربة الفرنساويين او ليغتنموا اشتغال الناس بالحروب ويقاسموا الغالب الغنائم . ولما انتهت الحرب استقر العوازم في البادية بين قنا والسلامية على مرحلتين من الاقصر

واعتبر ذلك أيضاً في من نزح من قبائل المغرب فان قبيلة منها يقال لها البنداوية نزحت من طرابلس الغرب ونزلت مصر سنة ١٨١٦ وذكروا سبب نزوحها ان حاكم طرابلس سمع بجمال امرأة شيخها فطلبها من زوجها فاستمهله الشيخ الى الصباح وفرّ بها و بسائر رجال قبيلته الى الصحراء . وعلم الحاكم بفراره فتعقبه فلم يرَ وسيلة للنجاة خيراً من الالتجاء الى مصر فجاؤها واقاموا فيها فاكرمهم محمد علي ترغيباً لسواهم في الرحلة اليه للاستعانة بهم في حروبه لانه كان يظهر عزمه على انشاء دولة عربية . فجاءه جماعات من جزيرة العرب وبلاد المغرب ومن الشام والسودان وغيرها . وبعد ان كانت تلك القبائل في زمن الحملة الفرنساوية لا يزيد عددها على بضعة وعشرين قبيلة اصبحت في اواسط ايام محمد علي (سنة ١٨٣٠) نحو ستين قبيلة هذه اشهرها مع منازلها واسماء رؤسائها في ذلك العهد وعدد فرسانها ومشاتها :

اسم القبيلة	منازلها	رئيسها سنة ١٨٣٠	عدد فرسانها	مشاتها
قبيلة القوايس	بحيرات النطرون	ابن ابي غالب	٦٠	١٥٠
الجبيري	مديرية الجيزه	ابو حجار	٣٠	٥٠٠
المكاني	سقاره	حاج هنداوي	٢٠	٢٠٠
الطرحوني	الفيوم	محجوب	٤٠	٦٠٠
البريس	واحة اسيوط	جوربجي	٤٠	٤٥٠
البلاط	«	سلام	٤٠	٥٠٠
عبد العاطي	«	عبد العاطي	٤٠	٩٠٠
الخارجة	«	احمد الخارجي	١٠٠	٨٠٠
اولاد علي	البحيرة	عمر	٦٠٠	٢,٠٠٠
الجميعات	«	طاها	١٠٠	١٥٠
الفوايد	البهنسا	محمد ابو حمدي	٣٠٠	٦٠٠
جهامة	«	مازي ابو عمر	٦٠	٢٥٠
حرابي	الفيوم	حيدان الجبيلي	١٥٠	٤٠٠
الغوازي	«	عبد النبي	١٢٠	٧٠٠
اولاد سليمان	«	محمد الكافي	١٠٠	٣٠٠
القرابي	«	يوسف	٧٠	١٠٠
ابن الغازي	«	احمد ابو زيد	٢٠٠	٣٠٠
الحمايم	«	موسى ابو جبور	٥٠	٢٠٠
الفرقان	«	فرجالله	٢٥	١٤٠
الهنداوي	«	هنداوي	٥٠٠	١٤٠
القطاطفة	الجيزه	سليمان ابو حمدي	٣٠٠	٨٠٠
الايادي	القليوبية	سالم ابو عاجي	١٥٠	٢,٠٠٠
الحنابطة	قرب القاهرة	ابن شديد	٤٠	١,٥٠٠
البلي	القليوبية	نصر الغديري	٥٠	٢,٢٠٠
السماعنة	الشرقية	علي ابو شريف	٣٥	٥٠٠
علي بن شريف	«	علي بن شريف	٢٥	٣٠٠

الصوالح	الشرقية	احمد ابو الخير	١٥	٢٠٠
الدفايدة	«	محمد	٤٠	٨٠٠
العواينة	«	اسماعيل	٢٠	٩٠٠
الهنادي	«	ناصر الطحاوي	٩٠٠	٢,٥٠٠
السنيرقه	العريش	صالح حرادي	٥٠	٣,٠٠٠
روملاط	«	سليمان	٣٠	٣,٥٠٠
حنين السعدين	«	صالح بن نصير	٣٠٠	٥٠٠
العليقات	جبل سينا	عايد	١٠٠	٢٠٠
السبله	«	ابو طالب	١٠٠	١٠٠
الترابين	البساتين	ابو سرحان	١٠٠	١٥٠
المعزا	تجاه اسيوط	عايد	٤٠٠ هجان	١٠٠
ابن حبيب	القليوبية	احمد	٧٠	٣٠٠
الهنايم	قرب بلبيس	سليمان ابو عطيه	٢٠٠ هجان	٤,٠٠٠
السوالم	المنصورة	علي	١٠	٤٠٠
العبابدية	«	ابراهيم	١٥	٣٠٠
البكارية	الاطفيحية	ابن ابي قراح	١٥٠	٢٠٠

هذه اشهر قبائل عرب مصر في اواسط ايام محمد علي وقد تبدل كثير منها الآن وتغيرت اسماؤُها وهناك قبائل ضخمة اشتهرت في اعالي الصعيد على حدود نوبية كالبشارين والعبابدة وهؤُلاء يقيمون في البادية الشرقية بين البحر الاحمر والنيل من القصير الى حدود نوبيا وهم من القبائل البدوية الافريقية الاصل ولكنهم يزعمون انتسابهم الى اصل عربي قرشي ويقولون ان قريشياً اسمه عباد بن الزبير امير احدى قبائل الحجاز افتتح القصير وما يليها وكان لهُ ثلاثة اولاد عمرو ومنصور وحرمان فابناء عمرو احتلوا البلاد جنوباً الى فزوغلي وابناء منصور احتلوا بلاد المناصير وابناء حمران اقاموا في جهات طيبة والقبائل الثلاث تنسب الى عباد وهم العبابدة . على ان الوانهم القريبة من السواد تخالف هذا الزعم وكذلك لغاتهم فانهم يتكلمون غير العربية او هي مزيج منها ومن لغاتهم الاصلية واما البشارين فانهم

يقيمون جنوبي منازل العبابدة وهم يشبهونهم من اكثر الوجوه وكان رئيس العبابدة سنة ١٨٣٠ يسمى ابو عطيفة واكثرهم خيالة ويقل المشاة بينهم

ومن قبائل الصعيد بنو واصل والحويطات والمحازي ويظن انهم بطون من العبابدة وكان بنو واصل يقيمون منفلوط والمنيا والحويطات قرب بني سويف الى البحر الاحمر والمحازي قرب السويس

وربما عدنا الى الكلام عن حال البدو في هذه الايام

صحة العائلة

معالجة المكروب بالمكروب

او الاستشفاء باللبن

للاميرالاي الدكتور موصلي بك

من الحقائق المقررة في الطب الحديث ان علة اكثر الامراض مكروبات مرضية تدخل الجسم فتستقر في الدم او غيره وتتوالد وتفرز موادها السامة فتظهر علامات المرض وبناء عليه توجهت عناية الاطباء في معالجة الامراض الى مقاومة المكروبات المذكورة. وفي الجراحة أيضاً اول همّ الجرّاح ان يمنع استطراق المكروب الى العملية التي يعملها وكذلك في الهيجين فان تنظيف المساكن والملابس وسائر مرافق الحياة انما يراد بها دفع اخطار المكروب . ولا تقتصر عناية الاطباء في معالجة الامراض على دفع المكروبات الطارئة من الخارج ولكنها تتناول معالجة المكروبات التي تصاحب الانسان من طفوليته فتدخل بدنه بعد الولادة ببضع ساعات ولا تزال فيه الى ساعة الممات وتنمو وتتكاثر في القناة الهضمية . وهي انواع كثيرة تفوق الحصر فان في الفم فقط انواعاً من المكروبات لو اردنا تعدادها ووصفها لاستغرق ذلك مقالة برأسها. حتى المعدة مع ان عصارتها حامضة لا تصلح لنمو المكروبات فان فيها عدداً وافراً منها.

اما الامعاء الدقاق فتكاد تكون خالية منها خلافاً للامعاء الغلاظ فان المكروبات كثيرة فيها ولا سيما الانواع المعروفة بالباشلس والمكروكوكس والسبرلا . ولم يتمكن البكتريولوجيون حتى الآن من حصر انواع الميكروبات المستقرة في القناة الهضمية وان كانوا على يقين من تكاثرها الفاحش حتى يزيد مقدارها هناك على الوف الملايين

وقد دلنا البحث الحديث في خصائص هذه الاحياء المكروسكوبية على طرق الوقاية منها او مقاومة سمومها . والفضل راجع في ذلك الى جماعة من فطاحل الاطباء المختصين بمعالجة الاطفال فانهم اول من درس خصائص مكروبات القناة الهضمية لكثرة امراض المعدة والامعاء في الاطفال . ولا يدعي اولئك الباحثون انهم بلغوا الغاية من ابحاثهم ولكنهم تحققوا على الاقل ان لمكروبات القناة الهضمية دخلاً عظيماً في احوالنا الصحية فلا ينبغي التغاضي عنها

عرفوا بالبحث البكتريولوجي ان بين المكروبات المعوية انواعاً مرضية تسمى باصطلاح الاطباء باثوجينك ووجدوا بينها الباشلس الانيرويك (الذي يعيش بلا اكسجين) وهو يسبب الاختمار الزبدي والاختمار التعفني وكلاهما سامٌّ فلما علم الاطباء ذلك اصبح همهم البحث عن وسيلة تقتل هذه الميكروبات ولا تضرُّ صاحبها ولكن الوصول الى هذه الغاية يكاد يكون مستحيلاً لان العقاقير المضادة للفساد التي تقتل المكروب لا تقوى انسجة الجسم على احتمالها . فصرفوا النظر عن قتلها بالعقاقير ووجهوا عنايتهم الى سبل اخرى . وكان بعضهم قد لاحظ في الاطفال الذين يعيشون على لبن الثدي فقط ان مبرّزاتهم خالية من رائحة المبرزات الاعتيادية وعلموا بالبحث المكرسكوبي ان المكروبات المرضية قليلة فيها . وعلموا ايضاً ان اللبن اصبر سائر المواد الشبيهة بالالبيومنيه (الزلالية) على الفساد فهو اكثر مقاومة لفعل المكروب من اللحم والدم والبيض فاذا تعرضت كلها للفساد فسدت قبلهُ . والسبب في ذلك ان اللبن اذا اختمر تولد فيه الحامض اللبني فيقيه من الفساد لانه يقتل المكروبات المرضية

فلما تحقق الاطباء ذلك اخذوا يعالجون العلل المعوية في الاطفال والبالغين

باللبن فأتى بالنتائج الحسنة . ثم جربوا استنبات المكروبات اللبنية في باطن الامعاء لانها تعيش مع سائر مكروباتها فوجدوا انها تولد الحامض اللبني وغيره من المواد الخاصة باللبن فتقاوم نمو المكروبات المرضية الخاصة بالاختمار الزبدي او التعفني فتقي البدن من امراض كثيرة فاستنتجوا من ذلك ان اللبن المختمر من اكبر المضادات للامراض المعوية وامراض الاوعية والكليتين والجلد المسببة عن الاختمارات المعوية. ويغلب في هذه العلل ان تكون رائحة المبرزات فيها شديدة الكراهة من الاختمار التعفني ويرافقها القبض فيعيق خروجها فتزداد تعفناً ويمتص الجسم سمومها ولذلك كان رعاة الماشية الذين يعيشون على الالبان اجود صحة واصح بنية واطول عمراً من سواهم لانهم يأكلون اللبن المختمر او هو يختمر في امعائهم فيقتل المكروبات العفنية ويقيهم من امراضها

فبناء على ذلك اشتغل الاستاذ متشنكوف في استحضار الحامض اللبني بالتخمير في غير اللبن الاعتيادي واستخدم لذلك نوعين من الميكروب احدهما يسمى الباشلس البلغاري والآخر الباشلس الپاراكتي او الستربتوباشلس واستخدم الاستاذ ويل مزيجاً مستنبتاً من هذين المكروبين لتطهير القناة المعوية سماه لكتو باشلين اي باشلس اللبن ويمكن استنبات هذا المزيج ايضاً في اللبن المغلي وفي منقوع خميرة البيرا (المالت)

واشتغل في هذا السبيل الدكتور تيسيه الباريزي فاستنبت الميكروب الپاراكتي في مرق اللحم الپيتوني واستخدم المستنبت في معالجة الامراض المعوية الناتجة عن الاختمار التعفني او الزبدي او المرافقة لها وزاول المعالجة به عدة سنوات فنجح نجاحاً باهراً . فكانهم يعالجون الاختمار بالاختمار . وعلة الاختمار الميكروب ولذلك قلنا انهم يعالجون الميكروب بالميكروب ولا يفلّ الحديد الا الحديد

التربية الصحيحة (١)

التربية ثلاثة انواع . الاول التربية الطبيعية وهي تربية الجسد بالنظر لاتخاذ الوسائل الصحية الضرورية في تدبير الاجسام وحفظ قوام الابدان من حيث المأكول والمشروب والملبوس والراحة والرياضة البدنية لان في تقوية الابدان اهم الوسائط لتنمية العقول وتقويتها وترويح النفوس ونشاطاً للقول الروماني المأثور (العقل السليم في البدن السليم)

الثاني التربية العقلية من حيث تلقي العلم واكتساب المعارف الضرورية لتثقيف العقول وتنمية الملكات الذهنية وهذه تتلقى بالاكثر في المدارس والمكاتب وتستفاد من جهة اخرى بالتطبيق والتأمل في محاسن الطبيعة وامعان النظر في اعمال الخلق ومصنوعاتهم وفنونهم الجميلة فهي ليست اذاً مختصة بالانكباب على الدرس والمطالعة فقط وان كان ذلك اسها وعمدتها

الثالث التربية الادبية وهي تربية الاخلاق الكريمة والخلال الجميلة وهي اهم وادق ما في الباب بل هي بالحقيقة بيت القصيدة منه ولذلك قد خصت في العادة بالذكر وافردت بالكلام عند المتقدمين من الاخلاقيين ولا غرو فان الانسان ان لم تكن كل اعماله وافعاله مؤسسه على مبادىء الصفات الادبية الكريمة من مثل الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة الى غير ذلك وبالتالي ان لم ترجح هذه الخلال الحسنة فيه على اضدادها من الرذائل النفسانية كثرت شروره ورجحت مضاره على منافعه في المجتمع الانساني بلا اقل التفات الى جمال صورته وحسن بزته او كبير علمه وقوة بنيته

هذه انواع التربية الثلاثة في جملتها دون تفصيلاتها وافانينها العصرية الكثيرة وللمربي بازائها ادوار ثلاثة ايضاً هي الاوساط او كما يسميها البعض المدارس الثلاث التي ينتقل فيها الانسان ويتدرج منذ تلده امه الى ان يقبر في لحده ويقتبس في خلال حياته الدنيوية كل اخلاقه ومعلوماته وافعاله منها فان كانت اوساطاً صالحة جيدة مبادىء التربية في جملتها كانت خلاله في الغالب جيدة وان كانت غير حسنة كان هو كذلك على الارجح

(١) نقلاً عن كتاب « في سبيل الحياة » لصالح افندي حمدي حماد

وهذه الاوساط او المدارس الثلاث التي يتدرج فيها المربي وينتقل كتنقل القمر في منازله هي . اولا العائلة التي يولد فيها وينشأ على ما نشأت عليه . ثانيًا المكتب او المدرسة التي يتعلم فيها مبادي العلوم ويتلقى اصول المعارف الضرورية مقتبسًا نوره من نورها . ثالثًا وأخيرًا الهيئة الاجتماعية التي يعيش في كنفها يخالط اهلها ويعامل ناسها ويستظل بوارف ظلها

ونحن اذا سبرنا أحوالنا القومية الخصوصية بمسبار النظر الصحيح والنقد الرجيح بالقياس والتطبيق على تلك الاصول العامة الضرورية في صلاح أحوالنا وانتظام أمورنا وتقدمنا الذاتي ومبلغ ماحصلناه تلقاء ما يقتضيه حال هذا التمدن العصري وكماله عندنا لوجدنا أنفسنا في حالة لم نبلغ معها درجة راقية من أصول التربية الصحيحة ومبادىء الرقى الحقيقي على نحو ما تتوخاه الامم المتمدنة التي تعرف كيف تأتي الامور من أبوابها ولولا عناية الحكومة السنية بنا في كثير من الشؤون الارتقائية والاحوال الاجتماعية لألفيتنا على حال قد لا تسر الخاطر ولا تشرح صدر المحب في مثل هذا العصر الزاهي الزاهر

فمن جهة التربية البيتية العائلية تلك المدرسة الأولى المهمة لنا فانها مازالت منحطة عندنا للغاية لاسيا في طبقاتنا الدنيا وسوادنا الاعظم حيث العناية بأمر الصحة مفقودة بالمرة وتعويد الاطفال على مبادي التربية الصحيحة معدوم البتة لم تزل الامهات بل والآباء ايضًا لاستغراقهم في الجهل يحسبون ان من الشفقة ترك الحبل للاطفال على الغارب فلا طعامهم يعتنى به ولا اوساخهم تزال الا بشق الانفس ولا امراضهم تداوى الا بالاوهام ودجل العجائز ولا تعويد لاخلاقهم والسنتهم الا على السفاسف وبذيء الالفاظ . نفرح اذا شتمونا ونمرح اذا كذبوا علينا نحسبهم في هذا السن اللطيف العوبة لنا وتسلية لاوقاتنا وفاتنا اننا نجني باهمالنا حقهم من التربية على انفسنا وهيئتنا الاجتماعية في رجال الغد وامهات المستقبل

وتربيتنا العقلية ليست على ما يرام ايضًا سواء من حيث نوعها وتأليفاتها وطرق تعليمها القديمة المتبعة اومن حيث غايتنا العصرية منها نعم ان هناك شبه ميل عمومي

في التعليم والتثقيف تبديه الامة من حين الى حين كلما رأت حاجتها اليه الان القصد من التربية العقلية الحقيقي ما فتئ غير مدرك منا تماماً والمساعي المبذولة لتقوية هذا النوع من التربية النافعة في البلاد لم يزل في طور الفكر والتخمين وهو ولا ريب قد لا يخرج من حيز القوة الى حيز العمل النافع الا اذا تنبهت الامة واستيقظت له بل وساعدت عليه بالعزم الاكيد لان الاصلاح المادي ومشروعاته العظيمة التي يقصد بها خير الامة وزيادة رفاهيتها وتقدم احوالها الصحية كل ذلك لا يعود على الاهالي عموماً بالفوائد الجليلة التي ترجى منه ما لم يكن مقروناً بشيء جوهري من التعليم والتثقيف المفيد

ومبلغنا من التربية الادبية الاخلاقية التي هي ام الباب وخالص الالباب تافه جدًا تبعاً لتربيتنا العقلية ومشين في الغالب من الوجهة العملية على الخصوص مما قد أصبحنا معه ولا حكمة عندنا في الامور ولا عدالة غالباً في الافعال ولا سعادة في العائلات ولا معرفة بالواجبات ولا متانة في الاخلاق . فلاحنا يكمن الضغن والاحقاد ويبيت على حب الانتقام وحضريتنا يميل الى الشهوات ولا يبالي باقتحام الفساد مع ان ميراثنا من تلك التربية الادبية الصحيحة ومبادىء الاخلاق الزكية الطاهرة عن اسلافنا فقط غير قليل ولا هو بالشيء الذي يستهان به اذا ما استخلص وصفي وسهلت مناهج وروده وطرق تناوله على النفوس بحسب ما يناسب ظروف الزمان ومقتضيات الاحوال وقد كفانا سيرًا الى الوراء في حين أن العالم كله سائر الى الامام طلباً لكمال الحياة وحياة الكمال (انتهى)

وجاءنا من حضرة سليم افندي دباس وكيل الهلال بيافا ما نصهُ :

« اطلعتم على النصيحة الآتية بعث بها احد الاساتذة الى تلميذ له أتمَّ دروسه الابتدائية في مدرسته وانتقل الى غيرها في بلدة أخرى ارجو نشرها بهلالكم بالنظر لما حوت من المعاني الرائقة والعبارات الشائقة لعل شباننا في هذا العصر يجرون على قاعدتها لانها مبنية على تعقل ونصح صادر من قلب مملوء حناناً وهي قال :

مطبوعات جديدة

المفردات في غرائب القرآن هو معجم ابجدي لالفاظ القرآن وهي كما لايخفى لب كلام العرب وزبدته وعليها اعتماد الفقهاء في احكامهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم . ألف هذا المعجم الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الاصفهاني صاحب محاضرات الادباء المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ولم يكن موجوداً من كتاب المفردات الا نسخ خطية قليلة في المكتبة الخديوية وفي مكاتب برلين والقسطنطينية . فتصدى حضرة الشيخ مصطفى البابي الحلبي الكتبي الشهير لنشره فجاء في زهاء ٦٠٠ صفحة مضبوطة بالشكل الكامل بحرف واضح ونشره خدمة لآداب اللغة العربية . فنثني على حضرة الناشر ونحث ارباب الاقلام ومحبي اللغة على اقتنائه وهو يطلب من مكتبة ناشره بمصر

الوجيز في القانون الجنائي لعمر بك لطفي المحامي الشهير عناية كبرى في العلوم القضائية وميل شديد الى درسها والبحث في اصولها وفروعها . وله فيها فصول انتقادية وابحاث دقيقة منذ كان وكيلاً لمدرسة الحقوق الخديوية ولا سيما في القانون الجنائي فقد تولى تدريسه في مدرستي الحقوق والبوليس . وكان يستعين في ابحاثه بمطالعة ما كتبه علماء الفقه في اوربا شرحاً وتعليقاً على القوانين الافرنجية فضلاً عن الكتب العربية . فطلب اليه تلامذته ان يضع تاليفاً بما يلقيه عليهم من الدروس فاجاب طلبهم ووضع الكتاب الذي نحن في صدده وجعله تقدمة لهم وقسمه الى جزئين يشتمل الاول على قانون العقوبات والثاني على تحقيق الجنايات . وقد صدر الجزء الاول وفيه فصول في الجريمة وماهيتها واقسامها وفي الجاني والمجني عليه والصلة بينهما واركان الجرائم المادية الادبية والشرعية وتعدد الجرائم والمجرمين . وفصول في العقوبة وماهيتها واقسامها من بدنية وغير بدنية ثم الاسباب التي تؤثر على الجريمة والعقوبة على اسلوب سهل دقيق . فنشكر لحضرة المؤلف فضله في هذه الخدمة النفيسة . والكتاب يطلب من ادارة مجلة المجلات العربية ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة من الجزء المذكور ثلاثون غرشاً والبريد اربعة غروش

ابو الدنيا هو كتاب موضوعه الكون ومشتملاته والانسان ومتعلقاته يتخلله بحث اجتماعي ونظر فلسفي تاليف حضرة علي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية ضمنه خلاصة درسه في الطبيعيات والجغرافية والظواهر الجوية والتاريخ على اسلوب فيه تحريض

على التحلي بهذه العلوم بما يقتضيه التمدن الحديث · والكتاب يطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش صاغ واجرة البريد غرش

﴿ بديعة وفؤاد ﴾ هي روايه نسائية اصلاحية تاليف السيدة عفيفة كرم الكاتبة السورية في الولايات المتحدة ولهذه السيدة قدرة على الكتابة يندر مثلها في النساء فان الجرائد العربية في العالم الجديد تكاد لا تخلو من نفثات يراعها في الاجتماع والتهذيب والانتقاد وغرضها الرئيسي اصلاح المرأة الشرقية · ولم تكتف بما تنشره من المقالات بهذا الشان بل عمدت الى بث آرائها بسياق القصص الغرامية تشويقاً للطالعين والمطالعات · فالفت هذه الرواية وهي اول رواياتها وكان لظهورها دويٌّ في الصحافة السورية الاميركانية بين اطراء وانتقاد مما يدل على منزلة حضرة الكاتبة في اعتبارهم · ونبوغ السيدات في مثل هذه الشؤون بين اخواننا في المهجر دليل على ارتقاء الادب والصحافة عندهم — وان اختلفت عن صحافتنا من بعض الوجوه كاختلاف البيئة بيننا وبينهم · ونرى ذلك الاختلاف ظاهراً على الخصوص في اساليب النظم فعندهم اسلوب منه لا مثيل له عندنا يمتاز بخفته وسهولته يصح ان نسميه «الشعر الرستمي» نسبة الى اسعد افندي رستم اشهر من نظم به · والرواية رشيقة العبارة شريفة المغزى نحث الادباء والاديبات على مطالعتها وهي تطلب من مطبعة الهدى في نيو يورك

﴿ دليل الفردوس ﴾ ظهر المجلد الثالث من هذا الكتاب وفيه خطب ومواعظ دينية انشأها وترجمها حضرة الخوري افرام الابيض كاهن طائفة السريان بمصر لم يدع موضوعاً من المواضيع الدينية التهذيبية الاَّ طرقه وتوسع فيه · فجاء هذا الجزء وحده في ٤٣٠ صفحة كبيرة مطبوعة طبعاً جميلاً وفيها فضلاً عن الخطب الدينية عظاتٌ في الحث على الفضائل تدلُّ على فضل مؤلفها · والجزء المذكور يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٢٥ غرشاً خالص اجرة البريد

﴿ مجلات جديدة ﴾ (١) مرآت علوم : هي مجلة تركية تبحث في الادب والاجتماع والفنون تصدر بمصر مرة في الشهر لمديرها صديقنا رفيق بك العظم المؤرخ الشهير ويحررها نخبة من افاضل الادباء والغرض منها نشر اللغة التركية العثمانية في بلاد تركستان حيث يتكلمون اللغة التركية الشغطائية بدل اشتراكها اربعون غرشاً او عشرة فرنكات · (٢) الدين والادب : مجلة اسلامية تصدر في قازان (روسيا) مرة في الشهر باللغة التركية الشغطائية بدل اشتراكها في السنة ٣ صومات من نقود تلك البلاد · (٣) دنيا ومعيشت : وهذه ايضاً مجلة تركية اسلامية تصدر مرة في الاسبوع باورنبورغ (روسيا)

وتبحث في الادب والسياسة لمحررها زاهد الله خير الدين وصاحبها محمد ولي حسينوف ولغتها شغطائية ايضاً وظهور هاتين الجريدتين من الادلة على النهضة الاسلامية في روسيا . (٤) الرابطة المسيحية : مجلة دينية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرة في الشهر لمحررها الشماس فرح جرجس معلم دين بالمدرسة الاكليريكية القبطية بدل اشتراكها عشرون غرشاً بمصر وثمانية فرنكات في الخارج . (٥) سمير الشبان : مجلة ادبية تاريخية يحررها نخبة من افاضل الادباء تصدر مرة في الشهر لمديرها ارمنيوس افندي سليمان بينها بدل اشتراكها عشرة غروش في السنة

(جرائد جديدة) (١) المهذب : هي جريدة ادبية علمية صناعية تصدر في زحلة بلبنان مرة بالاسبوع لصاحبها ومدير شؤونها الخوري بولس الكفوري رئيس المدرسة الكلية الشرقية . ومحررها عيسى افندي اسكندر المعلوف الكاتب المعروف . بدل اشتراكها عشرة فرنكات في الممالك العثمانية و١٥ فرنكاً في الخارج . (٢) الوفاء : جريدة سياسية ادبية فكاهية تصدر في لورنس ماس باميركا مرتين في الاسبوع لرئيس تحريرها يوسف افندي مراد الخوري بدل اشتراكها في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا اربعة ريالات وفي الخارج خمسة . (٣) الحقائق : جريدة سياسية اخبارية ادبية تصدر في بوانس ايرس بارجنتين مرة في الاسبوع لصاحبها ملتزمها افندي فارس بوعلي كرباج ومديرها ومحررها شامل افندي عبد الملك بدل اشتراكها في الخارج ٢٥ فرنكاً . (٤) المعارف : جريدة اسلامية عمومية تصدر في تونس مرة في الاسبوع لمدير سياستها الشيخ محمد صادق المحمودي بدل اشتراكها ثمانية فرنكات في تونس وعشرة في الخارج . (٥) لسان المغرب : جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر في طنجه بمراكش مرة في الاسبوع لصاحبها ومدير سياستها فرج الله افندي نمور ومحررها ارتور افندي نمور بدل اشتراكها ١٢ فرنكاً في مراكش و ١٤ فرنكاً في الخارج . (٦) المنصور : هي جريدة سياسية ادبية انتقادية تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لمديرها موسى افندي حمدي بدل اشتراكها مئة غرش في القطر المصري واربعون فرنكاً في الخارج . (٧) الشرف : جريدة علمية ادبية سياسية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبيها محمد افندي حلمي ونجيب افندي زكي بدل اشتراكها ستون غرشاً بمصر يضاف اليها أجرة البريد للخارج . (٨) ترويح النفوس : جريدة اسبوعية اخبارية تجارية ادبية تصدر في تونس مرة في الاسبوع لصاحبها عزوز بن احمد الخياري بدل اشتراكها ستة فرنكات في تونس و $\frac{1}{2}$ ٧ في الخارج

(الاخبار) عادت جريدة الاخبار اليومية الى الظهور بمصر بعد احتجابها بضع سنوات كان صاحبها الشيخ يوسف الخازن في اثنائها يهيء المعدات اللازمة لاصدارها بلا انقطاع . والشيخ يوسف صحافيٌ مطبوع وقد اشتهر باستنباط المواضيع والتفنن في اساليب الكتابة على نحو ما يتوخاه كبار الصحافيين في اوربا . فضلاً عن سعة اطلاعه على الاحوال الجارية وعلى آداب الافرنج وتواريخهم وسائر احوالهم . فنهنيء صديقنا الشيخ ونرحب باخباره ونرجو لها دوام الارتقاء . وهي تمتاز عن سائر الجرائد اليومية انها تصدر صباحاً وبدل اشتراكها مئة وعشرون غرشاً في العام

❊ منهل الوراد في علم الانتقاد ❊ هو اول كتاب ظهر بهذا الموضوع في اللغة العربية لمؤلفه قسطاكي بك حمصي الحلبي . وضعهُ على اسلوب هو استنبطهُ فكان لهُ حق الوضع في هذا الفن وضمنهُ ابحاثاً دقيقة تفتقر الى سعة علم ودقة نظر. ويدل كل منها على مقدار ما عاناه حضرة المؤلف من الدرس والتنقيب واعمال الفكرة . وقد قسم الكتاب الى جزئين وبين يدينا الجزء الاول منهُ وقد صدَّر الكلام فيه بمقدمة في تاريخ النقد عند العرب ثم عند سائر الامم في القرون الوسطى والحديثة . ثم بحث في الادب على الاجمال وسماه لسان حال المجتمع الانساني وتقدم الى قواعد الانتقاد وتحتها فصول في سلم النقد وتعريف العلاقة بين الكاتب وانشائه والمصنوع وصانعه وفي رتب الشعر كالحماسة والحكم والعتاب والزهريات وغيرها من ضروب الشعر المنظوم ثم انتقل الى الموازنة في الحكم والعتاب والزهريات والغزل والرثاء والعزاء وقد نظر في ذلك كله نظراً انتقادياً واتى بالامثلة والاقيسة . فجاء الجزء المذكور في نيف وثلاثمائة صفحة تحتوي فضلاً عن القواعد الانتقادية طائفة من احسن ما نظمهُ العرب فالكتاب علميٌّ يجدر بالادباء مطالعتهُ . وهو يطلب من صاحبه بمصر وثمن النسخة عشرة غروش .

❊ مفكرة المعارف ❊ اصدرت مكتبة المعارف لصاحبها نجيب افندي متري مفكرتها لسنة ١٩٠٧ بشكل كتاب مجلد تجليداً مذهباً ومرتبة صفحاته على ايام السنة صفحة لكل يومين . وهي تطلب من المكتبة المذكورة وثمنها اربعة غروش

❊ دولوروس ❊ هي رواية غرامية ادبية تاليف الكاتبة الشهيرة كارلوته برايمه نقلها من الاسبانية الى العربية اسكندر افندي شمعون ونشرت تباعاً في جريدة السلام التي تصدر في بونس ايرس بالارجنتين . ثم طبعت على حدة في مجلد صفحاته ٢٦٨ صفحة قطع وسط . والترجمة عن الاسبانية نادرة في آدابنا العصرية لان اكثر ما ينقله الادباء عن

الفرنساوية والانكليزية ويندر نقلهم عن سواها . ولا يخلوان يكون في اللغات الاخرى ما يفيد نقله فنحث عارفي هذه اللغات على النقل منها كما فعل شمعون افندي ونثني على حضرته ونحث القراء على مطالعة روايته

(في سبيل الحياة) هو كتاب اجتماعي ادبي لمؤلفه صالح افندي حمدي حماد ضمنه فصولاً في احوال الحياة وما يجب اتخاذه من الوسائل للوصول الى السعاده الحقيقية عملاً بقول الامام الراغب « النعم الدنيوية انما تكون نعمة وسعادة اذا تووولت على ما يجب وكما يجب ويجرى بها على الوجه الذى لاجله خلق » وقدنشرنا مثالاً منه عن التربية الصحيحة في هذا الهلال . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش

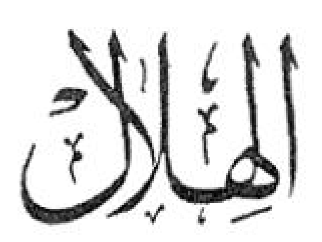
✻ صحة المولود ✻ هو كتاب صحي تاليف الدكتور عبد العزيز افندي نظمي طبيب مستشفيات الاوقاف وهو من النوابغ المتخرجين في مدارس اوروبا . وقد امتاز على رفاقه في كليتي الطب بمونبيليه وباريس . وفي الكتاب فصول صحية يجب على كل والدة مطالعتها وقد نشرنا مثالاً منها في الهلال الماضي فنثني على الدكتور نظمي ونحث العائلات على اقتناء كتابه وهو يطلب من حضرة المؤلف وثمنه خمسة غروش

✻ مهذب الاطفال ✻ هو كتاب تهجئة ومطالعة تأليف محمود افندي جمعه حلبه مدرس عربي بمدرسة بور سعيد الاميرية يريد به تسهيل القراءة على المبتدئين من الهجاء الى القراءة بالحركات وهو يطلب من حضرة المؤلف ببور سعيد

✻ فصول الحكماء ✻ هو كتاب تاريخي نظري لسماحة السيد محمد ابي الهدى افندى الصيادي الرفاعي الشهير جاء فيه على فصول في الحكمة وطبقات الحكماء المتقدمين والاسلاميين ومشائخ الطرق وطائفة من اقوالهم والماثور عنهم في الزهد والتقوى والمواعظ ونحوها

✻ المعجزة ✻ هي رواية غرامية ادبية تهذيبية تأليف فرجس هيوم الكاتب الانكليزي وقد نقلها الى العربية احمد افندي علي حمزة احد طلبة العلم بالمدارس الثانوية بمصر طبعت بنفقة منصور افندي عبد المتعال وتطلب منه

✻ الدقائق في الحقائق ✻ هو كتاب يشتمل على افكار حضرة مؤلفه يعقوب افندي جبرائيل مراد في النفس والروح والقدرة الالهية. والاديان ويشتمل على خلاصة تعاليم الديانتين النصرانية والاسلامية وهو يطلب من المؤلف في ادارة دايرة بوالينود رانبتابان في كفر الدوار



الجزء السابع من السنة الخامسة عشرة

١ ابريل (نيسان) سنه ١٩٠٧ و ١٨ صفر سنه ١٣٢٥



بوركهارت

او الشيخ ابراهيم ابن عبد الله

الرحالة السويسري الشهير

ولد سنة ١٧٨٤ وتوفي سنة ١٨١٧ م

آثار القدماء

نشأ في الشرق القديم دولٌ عديدة ذكر التاريخ بعضها واغضى عن سائرها مما ادرك عصر الكتابة او لم يدركه · على ان هذه الدول خلفت آثارًا بنائية او صناعية بقي بعضها الى هذا اليوم وعليه نقوش كتابية حلّ العلماء رموزها فاتسعت معرفتهم في تاريخ اصحابها وظهر صحيحه من فاسده · واشهر الدول القديمة أشور وبابل ومصر وفينيقية وفارس واليونان والرومان وكل منها خلفت آثارًا قائمة كالجبال وفيها الهياكل والاصنام والمسلاَّت والابراج والاهرام والقبور اصبحت بتوالي الايام خربة ومرّ على خرابها قرون توالت في اثنائها دول كان همها محو تلك الآثار والانتفاع بانقاضها فذهبوا ببعض احجارها وعجزوا عن نقض

سائرها ولم يهتم احدهم بقراءة المنقوش عليها من الخطوط الصورية بمصر او المسمارية في أشور . ولا اهتموا باستطلاع احوال اصحابها وربما اهتم بعضهم بذلك فلم يتوفق الى حل رموزها فزعموا انها صور سحرية او ارصاد على كنوز . ومن عقل وانصف سماها « القلم المجهول » كما فعل عبد اللطيف البغدادي في رحلته الى مصر في آخر القرن السادس للهجرة فقد وصف ما شاهده من آثارها فلما بلغ الى الكلام عن النقوش الكتابية قال « وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم اجد بديار مصر من يزعم انه سمع بمن يعرفه »

وما زال هذا القلم مجهولاً حتى حله اهل القرن التاسع عشر كما حلوا الحرف المسماري المنقوش على آثار اشور والحرف الفينيقي على آثار فينيقية وحروفاً أخرى على آثار تدمر وسينا واليمن والصفا وحوران وغيرها مما يطول شرحه . وانما توصلوا الى حلها لرغبتهم في التنقيب عن آثار القدماء . ولم تكن هذه الرغبة في من تقدم اهل هذا التمدن من اجيال الناس فكان من مميزات التمدن الحديث البحث عن آثار القدماء والاحتفاظ باحافيرهم ومنقوشاتهم فأنشأوا المتاحف والمعارض لهذه الغاية في المدائن الكبرى ومنها ما هو خاص بآثار مملكة واحدة كالمتحف المصري بمصر وما يشتمل على آثار عدة ممالك كالمتاحف العامة في لندن وباريس وغيرها . واصبح النظر في تلك الآثار وقراءة ما عليها علماً خاصاً سموه « اركيولوجيا » اي علم الآثار القديمة

والفضل الاكبر في وضع هذا العلم وانشاء هذه المتاحف راجع للذين نقبوا عن الآثار واستخرجوا دفائنها والجمعيات التي تشكلت للانفاق على هذه الرحلات . وفضل النقابين اعظم لان بعضهم تكبد المشقة والخطر في هذا السبيل كالذين نقبوا عن آثار اليمن والحجاز وغيرها اذ يكون احدهم تحت رحمة الجهلاء من اهل البادية . وقد ذهب كثيرون منهم فريسة هذه المساعي بالقتل او بالمرض . ومن اكثر البلاد خطراً على النقابين اواسط بلاد اليمن وحضرموت واعالي نجد ونحوها من البقاع التي لا تصل اليها سلطة الحكومة . ومن هذا القبيل اواسط افريقيا فانها لا تزال الرحلة في مجاهلها خطرة الى اليوم وقلما يقدم على ذلك الا اهل النشاط والبسالة . وقد يكون فيهم هوس في حب السياحة والاستطلاع فلا يبالون بما يقاسونه في سبيلها من العثرات والاخطار ويهون عليهم التنكر باي ثوب والتظاهر باي دين رغبة في الوصول الى المراد — ومن اكثر هؤلاء بسالة ونشاطاً جان لدويج بوركهارت الرحالة السويسري الشهير

ترجمة حاله

ولد جان لدويج بوركهارت في لوزانا من اعمال سويسرا سنة ١٧٨٤ وابوه جان رودلف بوركهارت كان قبطاناً ووالدته تسمى سارة روئر والوالدان يتصل نسبهما بالعائلات القديمة الى عهد البطارقة الرومانيين · وكانت هذه العائلة تقيم في بال ونشأ جان لدويج وفيه ميل للاسفار فتلقى مبادىء العلم ثم دخل كلية نوشاتل وخرج منها سنة ١٨٠٠ الى جامعة لايبسك وانتقل سنة ١٨٠٤ الى غوتنجن والناس يعجبون من نشاطه ومقدرته على العمل فعرضوا عليه منصباً سياسياً تحت سيطرة فرنسا فرفضه فراراً من الخضوع لسلطانها وسافر سنة ١٨٠٦ الى لندن وهو في الثانية والعشرين من عمره ومعه كتاب توصية الى السير يوسف بانكس في هملتون وهو يومئذ امين الجمعية الافريقية African Association

ولهذه الجمعية فضل كبير على الجغرافية وعلم الآثار تأسست سنة ١٧٨٨ في لندن وغرضها كما يظهر من اسمها ارتياد قارة افريقيا وخدمت علم الاركيولوجيا خدمة جزيلة تتعلق بمصر على الخصوص · وممن اوفدتهم للاكتشاف او التنقيب واقدمهم ثلاثة ماتوا قبل الشروع في اعمالهم ولكن جماعة آخرين توفقوا الى اكتشافات جغرافية في اواسط افريقيا ومن جملتهم رجل اسمه هورنمن عهد اليه ارتياد فزان سنة ١٧٩٩ في اعالي الصحراء الغربية بينها وبين طرابلس الغرب فتوفي قبل الفراغ من مهمته واتفق ذلك في اثناء تقدم بوركهارت الى الجمعية المذكورة فطلب اليها ان تأذن له في اتمام تلك المهمة مع ما يعترضها من الخطر فاطاعته وهو مع ذلك لا يعرف لغة تلك البلاد ولا الطريق اليها · فعمل اولاً على تعليم اللغة العربية والفلك والكيمياء وعلم المعادن والطب والجراحة في لندن وكمبريدج واطلق لحيته وتزيّا بزي المشارقة بالعمامة والقفطان والجبة والعباءة وعوّد نفسه على العدو في الشمس مكشوف الرأس والنوم على الارض لا يأكل غير النبات ولا يشرب غير الماء القراح وسمى نفسه الشيخ ابراهيم بن عبد الله وزعم انه تاجر هندي مستعرب قادم من الهند برسالة من الشركة الهندية الشرقية · وانما تنكر على هذه الصورة ليسهل عليه اجتياز البلاد الاسلامية ويتمكن من اتقان اللغة العربية وكان ذلك صعباً شاقاً في ذلك العهد

فبرح انكلترا في ٢ مارس سنة ١٨٠٩ الى مالطة ومنها الى سوريا قضى فيها ثلاث سنوات بين حلب ودمشق فاتقن اللغة العربية العامية واطلع على آداب العرب وامثالهم وعاداتهم · وفي اثناء اقامته هناك تفقد لبنان وحوران سنة ١٨١٠ فعثر على كثير من الآثار عليها نقوش يونانية من ايام تراجان وماركورال · وفي سنة ١٨١١ ارتاد بادية

الشام مما يلي الفرات وكتب بذلك الى لندرا فضاعت الاوراق في الطريق

وفي السنة التالية اجتاز وادي الاورنتوس واكتشف آثار تدمر وكانت الى ذلك الحين مجهولة وعاد الى ارتياد لبنان وحوران وتفقد ما هناك من الآثار وجمع معلومات أثرية عن تلك البلاد لا تزال الى الآن من اهم ما اكتشفه النقابون • واكتشف في البلقاء آثار مدينة جرش وسدرة (أم قيس) واجتاز طبريا والناصرة الى ماوراء الاردن والبحر الميت فبلغ الى اماكن لم يتقدمه اليها احد من الافرنج فاكتشف آثار عمان التي كان يسميها اليهود ربات عمون وآثار رابا عاصمة الموابيين وحسبو ومدابة وغيرها • وتوفق الى اكتشاف عظيم الاهمية بالنظر الى علم الآثار على العموم وآثار العرب على الخصوص — وذلك انه اكتشف آثار دولة عربية قديمة العهد تعب العلماء في التنقيب عن اطلالها نعني آثار مدينة بطرا عاصمة دولة النبطيين فقد عثر على بقاياها في وادي موسى بين فلسطين وجزيرة سينا وعليها الكتابة النبطية • وصعد على جبل النبي هرون واجتاز الصحراء من هناك يطلب وادي النيل حتى يلتحق بقافلة سائرة الى فزان فيسير معها في مهمته الاصلية

فوصل القاهرة في ٤ دسمبر سنة ١٨١٢ وهي يومئذ في قبضة محمد علي مؤسس العائلة الخديوية ولا يزال عهده بها قريباً ولم يكن مضى على فتكه بامراء المماليك الا سنة وبعض السنة فانقذ البلاد منهم • ولم يكن لبوركهارت بدٌّ من انتظار القافلة فرأى ان يغتنم بقاءه بمصر ويزور بعض معاهدها ريثما يتأتى له السفر الى فزان • وفي اوائل سنة ١٨١٣ برح القاهرة نحو اصوان ومعه كتب توصية من محمد علي واظهر انه تاجر سوري فوصل اصوان وسار منها في ارض النوبة الى المحس فشك اهل تلك البلاد في امره وظنوه جاسوساً من محمد علي ومنعوه عن السفر فعاد الى مصر • والعاقل يستخدم كل فرصة وينتفع من كل حال فاكتشف بوركهارت في اثناء رجوعه هياكل قديمة كانت للنوبة في اثناء نصرانيتهم

وكأن ارجاعه من اعالي النيل قبل بلوغ مرامه زاده رغبة في العود اليه فاستعد للسفر ثانية استعداداً كافياً على ان يتجاوز النوبة الى سنار فتنكر بلباس تاجر مسلم وبرح مصر مع قافلة قطعت بادية النوبة • على ان تنكره فلما منع عنه العذاب فلقي من بعض الرفاق تعصباً وخاف الغدر فعند وصوله الى ضواحي بربر ترك تلك القافلة والتحق بقافلة اخرى ذاهبة من بربر الى سواكن وعدل عن عزمه على سنار عملاً بالقاعدة التي قدمناها ان العاقل الحازم ينتفع من كل حال • فوصل الى سواكن في اواسط سنة ١٨١٤ وبرحها الى جدة وكانت الجنود المصرية قد ملأت الحجاز لمحاربة الوهابيين منذ عامين بقيادة طوسون

باشا بن محمد علي ثم اقتضت الحال ذهاب محمد علي نفسه لتسوية الامور . فاتفق وصول بوركهارت الى جدة ومحمد علي فيها وقد اشتبه الناس بالشيخ ابراهيم بن عبدالله وشكّوا في اسلامه فرفعوا امره الي محمد علي فامر ان يمتحنوه فعقدوا مجلساً من كبار الفقهاء امتحنوه بالفقه والدين الاسلامي فوجدوه واسع الاطلاع فيهما متمكناً من الاصول والفروع فاعتقدوا اسلامه وتركوه واحبه محمد علي واستأنس به فقرَّبه اليه وكان كثيراً ما يجالسه ويمازحه فقال له مرة « أليس من الحمق ان تقضي ايامك في الاسفار والاخطار » فاجابه بوركهارت بما معناه « ان الاعمار محددة بقضاء الله وقدره ونحن لا نخطو خطوة الا بقضائه سبحانه وتعالى والاسفار تلذُّ لي بما يقع عليه نظري من المشاهد الجديدة وبما استفيده من احوال الناس على اختلاف اجناسهم ولا أبالي بما الاقيه من التعب في هذا السبيل »

خرج بوركهارت من جدة الى مكة وعليه العمامة والقفطان يقوم بالصلاة في اوقاتها وضوءًا وسجودًا كما يفعل المسلمون واقام في مكة اربعة اشهر اطلع في اثنائها على كل شيء فيها وقيد ما رآه وركب الى جبل عرفات وشهد احتفال الناس عنده . وفي اول سنة ١٨١٥ اتى المدينة (يثرب) فاصيب فيها بالحمى ولازم الفراش ثلاثة اشهر ولما شفي ركب الى ينبع على شاطىء البحر الاحمر ومنها الى جزيرة سينا ثم الى مصر فوصل القاهرة في يونيو من ذلك العام وفي اوائل السنة الثانية ظهر الطاعون بمصر فهاجر بوركهارت الى جزيرة سينا اقام بين عربها ريثما انطفأت حماة الوباء فعاد الى القاهرة واخذ في ترتيب اوراقه ومذكراته وتاليف رحلاته وعمل على درس الرياضيات والتاريخ الطبيعي استعداداً للرحلة الي افريقيا تدفعهُ الى ذلك همة شماء وصدر رحيب . وما درى ان القضاء كامن له بالمرصاد فاصابتهُ الدوسنطارية في ٤ اكتوبر سنة ١٨١٧ ولم تمهله الا احد عشر يوماً فتوفي في ١٥ من الشهر المذكور ودفن بضواحي القاهرة في القرافة باسم الشيخ ابراهيم بن عبد الله . وظل قبره ضائعاً حتى وجده زميلنا جلياردو بك صاحب مجلة مصر الفرنساوية فنشر رسمه ووصف مكانه في العدد الصادر من مجلته في دسمبر سنة ١٨٩٤ وخلاصة ذلك ان القبر المذكور قائم في الشمال الشرقي من القاهرة على مسافة ٥٠٠ متر شمالاً شرقياً من باب النصر . وهو عبارة عن غرفة مربعة علوها متران و٨٥ سنتيمتراً مدخلها متجه نحو الجنوب وفي وسطها الضريح تغشاه بلاطة من الرخام طولها متر ونصف وعرضها ثلاثة ارباع المتر وبين يدي الضريح بباب الغرفة نصب من الحجارة طولهُ متر وبعض المتر في اعلاها حجر منحوت بشكل العمامة وعلى وجه النصب كتابة عربية منقوشة هذا نصها :

« هو الباقي هذا قبر المرحوم الى رحمة الله تعالى الشيخ حاج ابراهيم المهدي بن عبد الله

بركهرت اللوزاني تاريخ ولادته في ١٠ محرم سنة ١١٩٩ من الهجرة وتاريخ وفاته الى رحمة الله بمصر المحروسة في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٣٢ »

مناقبه وآثاره

توفي رحمه الله وهو في مقتبل العمر ولم يتجاوز الثالثة والثلاثين . وكان ربع القامة بهي الطلعة اقنى الانف مرسل اللحية يلبس الثوب العربي ويعتم بعمامة بيضاء كما ترى رسمه في صدر هذا الهلال . وكان رضي الخلق واسع الصدر حازماً محترماً محبوباً ولولا ذلك ما استطاع اجتياز البلاد التي رحل اليها مع اختلاف عناصرها وتفاوتها في المدنية . وكان ذكي الفؤاد ثابت الجنان قوي العزم يدلك على ذلك ما رأيته من صبره على المشاق في اسفاره وكان واسع الاطلاع في اللغة العربية وادابها فضلاً عن الاداب العمومية . وصورته المنشورة في صدر هذا الهلال منقولة عن مجلة مصر الفرنساوية لجلياردو بك وهي ماخوذة عن صورة اصلية صحيحة صوّرها هنري سالت قنصل جزال انكلترا في القاهرة عن بوركهارت وهو حيّ

وقد خلف آثاراً لا يزال العلماء يحرصون عليها ويرجعون اليها الى الآن لما امتازت به من التحقيق وصدق النظر وكان يكتب رحلاته باللغة الانكليزية ويرسلها الى جمعية الجغرافية في لندن ولما توفي كانت المسودات عندها فعملت على نشرها بعناية الكولونيل ليك سكرتير الجمعية الافريقية والسير وليم اونسلي واليك اسماؤها واماكن طبعها وسنيه

(١) سياحته في نوبيا : طبعت ثلاث مرات الاخيرة في ويمر سنة ١٨٢٣

(٢) سياحته في سوريا والبلاد المقدسة : طبعت في لندن سنة ١٨٢٢ وترجمت الى الالمانية وطبعت في مجلدين سنة ١٨٢٤

(٣) سياحته في بلاد العرب طبعت في لندرا سنة ١٨٢٩ وترجمت الى الالمانية وطبعت في ويمر سنة ١٨٣٠ وترجمت ايضاً الى الفرنساوية وطبعت في باريس سنة ١٨٣٥

(٤) ملاحظاته على البدو وبحث في تاريخ الوهابية : طبع في لندن سنة ١٨٣٠ وترجم الى الالمانية وطبع في ويمر سنة ١٨٣١ وترجمت هذه ايضاً الى الفرنساوية وطبعت في باريس سنة ١٨٣٥ . (٥) امثال العرب طبع في لندن سنة ١٨٣١ وفي الالمانية سنة ١٨٣٤

(٦) ترجمة حال آل بوركهارت استخرجها من اوراق كانت محفوظة في العائلة طبعت في بال سنة ١٨٢٨

وكان في متروكاته مكتبة نفيسة تحتوي على ثمانماية مجلد في الشرق وآدابه وعلومه اوصى بها لمكتبة جامعة كمبردج

المدارس الاميرية المصرية

واللغة العربية

لم تعرض لنا فرصة نذكر بها التعليم في المدارس الكبرى بمصر والشام الا اسفنا لاهمال اللغة العربية فيها ولا سيما المدارس الاميرية بمصر والمدرسة الكلية في بيروت وتمنينا اتخاذ هذه اللغة قاعدة للتدريس فيها بدلاً من اللغتين الانكليزية والفرنساوية . وآخر عهدنا بذلك في الهلال الثاني من هذا العام باثناء كلامنا عن المدرسة الكلية المصرية فقد افردنا لهذا الباب فصلاً خاصاً واستنهضنا اولي الامر لسد هذا النقص واستصرخنا القائمين بانشاء هذه الكلية ان يلتفتوا الى ذلك ونظنهم سيفعلون — بدليل ما نراه من اجماع الامة المصرية على هذا الشعور حتى اقترحته الجمعية العمومية في جلستها المنعقدة في ٣ مارس الماضي وقد صادف اقتراحها اهتماماً من سعادة ناظر المعارف العمومية فاجاب عليه بخطاب ابدى فيه رغبته في الاجابة لولا ما يراه من الموانع . وقد تلقت الصحف خطابه وجالت في الموضوع بين انتقاد واستحسان على اختلاف في لهجتها بين التطرف والاعتدال فرأينا ان نقول في ذلك كلمة لعلها تأتي بفائدة وهي :

جامعة اللغة

اللغة والامة

لكل طائفة من الناس جامعة يتعاونون بها على جلب المصالح ودرء المضار . وابسط الجامعات واقدمها عصبية النسب تليها جامعة الوطن او اللغة او الدين . واللغة اوثقها واوسعها لان العصبية لا يندرج فيها الا ابناء القبيل الواحد واما اللغة فتشترك فيها عصبيات عديدة وقد تشتبه بجامعة الوطن اذ يغلب في اهل الوطن الواحد ان يتفاهموا بلغة واحدة وهي امتن من جامعة الدين لتقارب اهل اللسان الواحد مقاماً وطباعاً فيسهل تعاونهم واجتماع كلمتهم . فاهل الشام مثلاً مؤلفون من عصبيات عديدة ومذاهب شتى ولكن اللغة جعلتهم امة واحدة وكذلك اهل العراق ومصر والحجاز والمغرب وتجمعهم كلهم اللغة العربية . واعتبر ذلك في امم اوربا ولكل منها اصول متباعدة تشترك بلغة واحدة تنتسب اليها وتجتمع بها كالفرنساوية والانكليزية وهم يعبرون عنها بجامعة الوطن وهي بالحقيقة جامعة اللغة اذ لولا اللغة لضاعت

وطنيتها كما ضاعت وطنية المملكة العثمانية فانها مع اجتماعها تحت راية واحدة في وطن واحد لا ترى اتحادها وثيقاً لاختلاف لغات اهلها فلو حُمل أهل هذه المملكة على التفاهم بلغة دولتهم لذهب ما بينهم من اختلاف العناصر وكان كل منهم يعد نفسه تركياً وتنوسيت سائر العصبيات ولم يبق فيها من يقول انه عربي او يوناني او أرمني — فضلاً عن اختلاف المذاهب الدينية

ويستأنس الناس بجامعة اللغة ولو لم يتفاهموا بها لدلالتها في الغالب على اشتراك في الاصل فقد تجتمع عدة أمم تتكلم لغات متقاربة في اصولها وتعدّ نفسها عنصراً واحداً . وقد انقسمت أمم أوربا بهذا الاعتبار الى عنصرين كبيرين العنصر اللاتيني والعنصر الجرماني يدخل في الاول الامم التي تفرعت لغاتها عن اللاتينية كالايطاليان والاسبان والفرنساويين ويدخل في الآخر اهل اللغات المشتقة من الجرمانية الاولى كالالمانية والنمساوية والانكليزية . وبهذا الاعتبار ايضاً تجتمع الشعوب السامية بالاصل السامي والشعوب الآرية بالاصل الآري ومرجعها كلها الى جامعة اللغة

اللغة والدولة

تقوم الدولة غالباً بالعصبية فاذا تمدنت وتكاثرت عناصرها ذهبت العصبية وقامت اللغة مقامها واذا شملتها جامعة الدين ونقل العلم اليها تأيدت وطال مكثها واتسع سلطانها — ويؤيد ذلك ماتوالى على الارض من الدول قديماً وحديثاً . فقد ظهرت دولة الاشوريين في ما بين النهرين ودولة الفراعنة في وادي النيل والفينيقيون ما بينهما وتعاصرت هذه الدول وكل منها مستقلة بلغتها ودينها فلما ذهبت لم تترك احداها اثراً في غير بلادها الا قليلاً . ثم قامت دولة الفرس على انقاض اشور وعاصرت الدولة المصرية وافتتحت مصر والشام فلم تخلف ذكراً الا حيث نشرت لغتها في بلاد فارس وخراسان واذربيجان وما يليها . ثم نهض اليونان ففتحوا العالم حتى نصبوا أعلامهم في الهند وانشأوا الدول جنوباً وشرقاً فلما ذهبت دولتهم لم يبق لجامعتهم أثر الا حيثما نشروا لغتهم في مصر والشام والمغرب واسيا الصغرى فضلاً عن بلادهم . ومن أسباب نشرها و بقائها احتواؤها على العلم والفلسفة ثم الدين

فلما اشتد ساعد الدولة الرومانية حملت على الشرق وفتحت مصر والشام والمغرب ولكنها لم تقو على محو اللغة اليونانية منها لرسوخها في اهلها بالعلم والدين . فتسلط الرومان على الشرق قروناً وانصرفوا عنه ولم يغيروا جنس اهله لانهم ظلوا على مذهبهم تابعين لكنيسة القسطنطينية

ولغتها اليونانية . ولذلك انحصرت آثار الرومان اللغوية في الجزء الغربي من مملكتهم بايطاليا واسبانيا وفرنسا وغيرها لانها اتبعت مذهب عاصمتها رومية على ان لغة الرومان (اللاتينية) ظلت حية قروناً عديدة مع لغات اوربا الحديثة لاحتوائها على الدين والعلم . وظل رعايا الرومان في الشرق يعدون انفسهم من اليونان أو الروم — الا من تخلف فيه من بقايا الامم الشرقية كالسريان والانباط واليهود وهؤلاء انما حافظوا على لغاتهم لاستخدامهم اياها في طقوسهم الدينية . وقد دخلها مع ذلك شيء كثير من ألفاظ اللغة اليونانية ومصطلحاتها . على ان احتفاظهم بالسنتهم حفظ جنسياتهم وعناصرهم

فلما ظهر الاسلام وحمل العرب على العالم كان الشرق يحكمه دولتان عظيمتان الفرس في بلاد فارس وما بين النهرين وديانتهم الزردشتية ولغتهم الفارسية . والروم في الشام ومصر وبلاد المغرب وديانتها النصرانية على اختلاف مذاهبها . وقد تعددت اللغات بتعدد المذاهب فكانت لغة أهل مصر القبطية ولغة اهل النوبة النوبية (البربرية) وكان اهل الشام وما بين النهرين يتكلمون السريانية او الكلدانية والنبطية والآرامية (لغة اليهود) وكانت اللغة اليونانية تشرف عليها كلها لانها لغة الخاصة ورجال الدولة وبعض رجال الدين . وكان أهل تلك البلاد يعدون بعشرات الملايين

حمل العرب على هذه الامم بدينهم ولغتهم وعددهم لا يتجاوز مئات الالوف ففتحوا المملكتين في بضع عشرة سنة ونصبوا أعلامهم على حصونها وضربوا خيامهم في ضواحي مدنها واقاموا أقامة المحتلين وتركوا كل أمة على مذهبها ولسانها وابقوا الدواوين في كل مملكة بلسان اهلها واكتفوا من السلطة بالاستيلاء على الخراج والجزية . وكانت دواوين مصر تكتب باللغة القبطية ودواوين الشام باليونانية ودواوين فارس بالفارسية واهل البلاد اخلاط من الروم والفرس واليهود والسامريين والسريان والانباط والاقباط والجراجة والجرامقة والبربر يختلفون في اللغات والعادات والاخلاق لا يعترضهم المسلمون في شيء من اديانهم او ألسنتهم . حتى أفضى الملك الى بني أمية ودولتهم شديدة التعصب للعرب وكانهم ادركوا علاقة الدولة باللغة وانها لا تتأيد الا بها فعمدوا الى تعميم لسانهم فامروا بتحويل الدواوين الى العربية وعهدوا بمصالح الدولة الى رجال من مواليهم يحسنون هذا اللسان . فلم يمض القرن الاول للهجرة حتى صارت تكتب كلها بالعربية . فشق ذلك على اهل البلاد واضطروا لتعلم لغة الدولة تسهيلاً لقضاء مصالحهم . فبعد ان كان القبطي بمصر يخاطب حكومته بالقبطية ويرفع ظلامته بلسانه اصبح لا تقبل منه عريضة الا باللسان العربي وكذلك كان السرياني والرومي

في الشام والفارسي في فارس

ولما قامت الدولة العباسية ورغب خلفاؤها بالعلم واشتغلوا بنقله الى العربية زادت رغبة الناس في هذه اللغة وزادت هي رسوخاً وانتشاراً لانها جمعت بين نفوذ الدولة وفائدة العلم فضلاً عن كونها لغة الدين • فلم تمض بضعة قرون حتى تغلبت على لغات اهل البلاد المفتوحة وتغلب العنصر العربي على عناصرهم • واختلف ذلك التغلب سرعة وبقاء بتفاوت تلك الامم قوة وضعفاً • فالامم الضعيفة انخرطت في الدولة السائدة ونسيت لغاتها وعناصرها واجناسها وصارت عرباً باللغة والعادات والاخلاق فضلاً عن الدين • وترى ذلك على الخصوص في الامم الذليلة التي توالت القرون على رضوخها للسلطة الاجنبية كالسريان والروم في الشام والعراق والاقباط في مصر والمغاربة في تونس والجزائر • فهذه الامم ذهبت لغاتها وعاداتها وصار اهلها عرباً عنصراً ولساناً وهم في الاصل اخلاط من أمم شتى كما علمت فضلاً عمن أضيف اليهم بعد ذلك من جالية الاتراك والارمن والجركس والاكراد وغيرهم فاضاعوا جنسياتهم باهمال لغاتهم • بخلاف الاقوام الذين دخلوا في سلطة العرب وهم أهل دولة وتمدن فانهم حافظوا على السنتهم واستبقوا جنسياتهم كامة الفرس في الشرق والاسبان في الغرب

فالفرس اختلطوا بالعرب اختلاطاً عظيماً وخدموا في مصالح حكومتهم وتدينوا بدينهم لكنهم لم ينخرطوا في جنسيتهم لانهم حافظوا على لغتهم رغم ما يقتضيه تدينهم بالاسلام من اتخاذ اللغة العربية • على انهم كتبوا لغتهم باحرف عربية واقتبسوا عدداً كبيراً من الالفاظ العربية • اما لغتهم فظلت فارسية حتى سنحت لهم الفرصة فعادوا الى الاستقلال وأنشأوا الدول • وهم لم يحفظوا لسانهم صدفة ولكنهم جاهدوا في سبيل حفظه جهاداً حسناً وقد كانت أحوال السياسة تقتضي ضياعه • فكانوا يعظمون شأنه لدى ابنائهم ويوصونهم بتعلمه وحفظ آدابه لانه لسان امة حية كانت عند ظهور الاسلام صاحبة دولة وعلم • وكذلك الاسبان فقد حافظوا على لسانهم ودينهم وبعد ان رضخوا لدولة العرب بضعة قرون نهضوا وليس في لغتهم من آثار ذلك الفتح الا بعض الالفاظ فعادوا الى الاستقلال • وهناك اقوام خضعوا لدولة العرب ولم تذهب جنسياتهم مع انهم لم يكونوا اهل دولة وانما نجوا من تلك الوصمة ببعدهم عن مركز السيادة كالاتراك والكرج والهند واهل النوبة في اعالي مصر وغيرهم

فالامة التي حافظت على لسانها حافظت على جنسها واستبقت لاعقابها ذريعة

للاستقلال عند سنوح الفرصة حتى بعد دخولها في طور الشيخوخة كاليونان مثلاً فانهم بقية دولة شاخت وتولاها العجز منذ نيف وعشرين قرناً ودخلت بقيتها في سلطة الروم قروناً عديدة واكتسحها برابرة الشمال وغزاها غيرهم من أمم أوربا ثم حكمها المسلمون الاتراك في أواسط القرن السادس عشر ومازالت في سلطانهم الى أوائل القرن التاسع عشر ثم استقلت واعادت دولتها القديمة • ولم تستطع ذلك لولا جامعة اللغة ولو اضاعتها لضاع العنصر اليوناني وانخرط اليونان في الاتراك كما أصاب كثيرين من اخوانهم في اسيا الصغرى

فالدولة تتأيد بنشر لسانها وآدابها وعلومها بين رعاياها • واذا استطاعت ادخالهم في دينها كان ذلك ادعى الى جمع كلمتهم في مصلحتها • وقلما يتيسر ادخالهم في الدين الا بعد ادهار متطاولة اما اللغة فيسهل نشرها في قرن أو بضعة قرون — وذلك ما يتوخاه رجال الدهاء من ساسة الدول الكبرى اليوم واكثرهن فوزاً فيه دولة الانكليز حتى اصبحت الشمس لا تغرب عن المتكلمين بلسانها • ثم ان ذلك لا يضمن بقاء تلك الامم تحت رايتها ابد الدهر لان السيادة لا تدوم لاحد ولكن انتشار لغتها في أمة يجعل لها سبيلاً للانتفاع من تلك الامة اكثر مما تستطيعه الدول الاخرى ويصح هذا ايضاً على الاسبان ونشر لغتهم في اميركا الجنوبية فقد استقلت ممالك تلك القارة عنهم ولكن لغتهم لا تزال فيها مما يسهل المعاملة بين الامتين • ولمثل هذا السبب حملت المانيا اهل الالزاس واللورين على تعميم لغتها بينهم • وخوفاً من مثل هذا الاندماج اشترط المجر على بقائهم منضمين للنمسا ان يتعلم جنودهم بلسانهم لا بالنمساوية

اللغة العربية الآداب

ذهبت دولة العرب ولم تخلف بعض ماخلفه المصريون القدماء أو اليونان او الرومان من الآثار البنائية كالاهرام والهياكل والاحافير والالواح وغيرها • ولكنها خلفت آثاراً مطبوعة في النفوس يتوارثها الابناء عن الآباء — وهي اللغة • كان التمدن الاسلامي وسم الامم التي دخلت في سلطانه بسمات باقية اهمها الدين واللغة • فبعض الامم وُسمت بالسمتين معاً كمسلمي الشام ومصر والعراق وبعضها وسمت باحداهما كالفرس والترك فانهم اتخذوا الاسلام ولم يتخذوا اللغة العربية • والبعض الآخر اتخذوا اللغة دون الدين كاهل الذمة في العالم العربي • وهناك سمة ثالثة شملت تلك الامم كافة مسلمهم وذميهم عربيهم وفارسيهم وتركيهم — وهي الخط العربي • فقد كان هذا الخط محصوراً عند ظهور الاسلام بفئة قليلة من الصحابة وبعض اهل الذمة في مكة والمدينة اقتبسوهُ من الخط النبطي • فانتشر بانتشار

اللغة العربية ثم تجاوزها الى لغات العالم الاسلامي فكتبت به اللغات الفارسية والتركية والهندية وغيرها ولا تزال تكتب به الى اليوم • وقد توفقت الدولة الرومانية الى مثل ذلك فان الحروف التي تكتب بها الدول المتمدنة في اوربا واميركا الآن تخلفت عن الحرف الروماني ولكنها لم تتوفق الى نشر لغتها واستبقائها كما توفق العرب

الامم التي تتكلم العربية الآن

فاللغة العربية يتكلمها الآن نحو ستين مليوناً من الناس في البلاد المتمدنة غير ما يعسر احصاؤه من قبائل السودان الوسطى ونحوها وهاك احصاء الامم التي تتكلم العربية الآن :

اسماء البلاد	عدد سكانها
جزيرة العرب على الاجمال	١٠,٠٠٠,٠٠٠
ولاية بغداد	٦١٤,٠٠٠
« البصرة	٤٣٣,٠٠٠
« الموصل	٣٥١,٠٠٠
« ديار بكر	٤٧٢,٠٠٠
« حلب	٩٩٥,٠٠
« سورية	٧١٩,٠٠٠
« بيروت	٥٣٣,٠٠٠
متصرفية القدس	٣٤١,٠٠٠
« لبنان	٤٠٠,٠٠٠
القطر المصري	١٢,٠٠٠,٠٠٠
السودان المصري	٥,٠٠٠,٠٠٠
طرابلس الغرب	٦٠٠,٠٠٠
بنغازي	٤٠٠,٠٠٠
جزائر الغرب	٤,٧٣٧,٠٠٠
مراكش	٥,٠٠٠,٠٠٠
تونس	١,٩٠٠,٠٠٠
زنجبار	٢٠٠,٠٠٠
جزائر الكومور وما يليها	٢٥٠,٠٠٠
المجموع	٤٤,٩٤٥,٠٠٠

ومجموع ذلك نحو ٤٥ مليوناً غير قبائل العرب المشتتة في الصحراء الغربية وفي السودان الفرنساوي والالماني وفي جزائر الهند الشرقية وغيره مما لا يتيسر حصره

هؤلاء يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها ويتعاملون بها اما الذين يعرفونها معرفة بسيطة فعددهم يزيد على ثلاثة اضعاف هذا العدد أو أربعة اضعافه وهو يشمل المسلمين كافة لان المسلم مهما كانت لغته فانه يتعلم العربية ليقرأ بها القرآن ولو كان في الصين او اليابان او روسيا او حيثما كان

أما الذين يكتبون ألسنتهم بالاحرف العربية فعددهم اكثر من ذلك لانه يشمل من يواطن المسلمين من غير المسلمين كاهل الذمة والبراهمة والمجوس وغيرهم واليك اسماء اللغات التي تكتب بالاحرف العربية الآن :

١	العربية	٩	الداغستانية
٢	الفارسية	١٠	الكردية
٣	الافغانية	١١	الاوردية (الهندستانية)
٤	التركية العثمانية	١٢	الكشميرية
٥	« الشاغطائية	١٣	الملقية
٦	« القازانية	١٤	السندية
٧	« الآذربايجانية	١٥	البربرية في المغرب
٨	« الاورنبرجية	١٦	الريفية في مراكش

غير لغات القبائل السودانية المجاورين للاسلام ولم تدون لغاتهم بعد فانهم اذا كتبوا انما يكتبون بالخط العربي

اللغة العربية والمدارس المصرية

والعالم العربي وملحقاته الاسلامية الى اقصى الشرق تعدُّ مصر بعد نهضتها الاخيرة قدوتها في العلوم العربية والآداب الاسلامية كانها في العالم العربي اليوم دار السلام في العصر العباسي أو قرطبة في دولة آل مروان . وصحافتها ارقى سائر ضروب الصحافة الشرقية لغة وانشاء وحرية وعلماً فالجرائد الهندية والفارسية والتركية (غير العثمانية) تنظر الى الصحافة المصرية كما ننظر نحن الى صحافة اوربا واميركا . وبجامعها الازهر الفضل الاكبر بحفظ الآداب الاسلامية في عصر الانحطاط كما حفظت الاديار في اوربا اداب النصرانية في

الاجيال المظلمة ․ ولذلك كانت مصر السابقة في ميدان النهضة الحديثة لقربها من مستودع تلك الآداب كما سبقت ايطاليا وفرنسا سائر دول اوربا لمثل هذا السبب

المدارس المصرية في النهضة الاخيرة

تبدأ هذه النهضة بولاية محمد علي كما لا يخفى وقد ساعدها على سرعة النمو انه رحمه الله اراد ان يجعل لدولته جامعة عربية ينتصر بها كما تنتصر الدول الاسلامية الاخرى بجامعة اللغات الاخرى التركية والفارسية او غيرهما ٠ فانشأ المدارس العربية وطبع الكتب العربية لهذه الغاية ٠ ولكنه كان تركي الاصل ومعظم رجاله من الاتراك فكانوا يعلمونهم الآداب باللغة التركية او الفارسية ٠ وكان اساتذة تلك المدارس من الايطاليان ثم صاروا من الفرنساويين ٠ وأنشأ محمد علي المدارس للطب والصيدلة والعسكرية والبحرية والهندسة والصنائع وغيرها وامر بنقل الكتب اللازمة لهذه العلوم من لغاتها الاصلية الى العربية وأصبحت هي قاعدة التعليم ٠ ولولا ما اقتضته مجاري السياسة بين الدولة العثمانية ودول أوربا من الامتيازات الاجنبية وتوسط الاجانب بشؤون مصر وأحكامها وشروط السلطة عليها لكانت مصر دولة عربية بحتة في دواوينها ومخابراتها وسائر اعمالها الرسمية وغير الرسمية لا تفتقر الى لغة اجنبية الا بمخابرة الدول الاخرى عند مسيس الحاجة ٠ ولكن الاحوال غلبت على ما اراده مؤسس هذه الدولة وتسرب النفوذ الاجنبي الى اكثر المصالح وبعضه ضروري مراعاة للذين استقدمهم محمد علي لانشاء بعض الاعمال او اصلاحها واكثرهم من الفرنساويين فلم ير بدًّا من تعليم اللغات الاجنبية ولا سيما الفرنساوية فأنشأ لذلك مدرسة سماها مدرسة الالسن والترجمة سنة ١٨٣٧ واستبقى التعليم باللغة العربية في سائر المدارس

وتوالى على مصر خمسة من امرائها والعلوم تلقن في مدارسها بالعربية وكانوا يعلمون بها الطب والبيطرة والصيدلة والطبجية والبحرية والتعدين والهندسة والزراعة والولادة والصنائع والفنون ولكل من هذه الفنون كتب عربية في كل فرع من فروعها ٠ وكانت مدرسة الالسن من الجهة الاخرى تخرج التراجمة وفيهم الكفاءة لنقل الكتب ومخابرة الدول وترجمة الاوراق الرسمية مع ضعف وسائل الاتقان في ذلك العهد لان النهضة كانت لا تزال في اولها (١) فلو ظلت سائرة في تقدمها على تلك النسبة الى الآن

(١) قد فصلنا تاريخ التعليم في المدارس المصرية في الهلال الثالث من هذا العام

لكانت اللغة العربية غنية بكتب العلم على اختلاف فروعه مثل لغات سائر الممالك المتمدنة في اوربا ولكنها أصيبت ببواعث سياسية حالت دون هذه الامنية

المدارس المصرية بعد الاحتلال

كانت المدارس المصرية عام الاحتلال سنة ١٨٨٢ قسمين اميرية وغير اميرية فضلاً عن الازهر • والاميرية طبقتان ابتدائية وعددها ٥,٣٧٠ مدرسة تشتمل على ١٣٧,٥٥٣ طالباً وثانوية وعددها ٢٧ مدرسة فيها ٤,٦٦٤ طالباً غير المدرسة التجهيزية ومدارس الفنون والمهن العلمية كالطب والهندسة والمساحة والعمليات والادارة والصناعة وغيرها وكانت قاعدة التعليم في هذه المدارس اللغة العربية • وكانت العلوم تعلم بكتب عربية وفي جملتها الرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافية غير علوم المهن العلمية التي ذكرناها • واما اللغات الاجنبية فكان التلميذ يخير فيها بين الفرنساوية والانكليزية والالمانية فيتعلم التي يريدها ومن اراد اتقان هذه اللغات دخل مدرسة الالسن ومن هذه المدرسة يخرج المترجمون • ناهيك بالارساليات التي كانت ترسلها الحكومة الى اوربا لاتقان بعض العلوم • وكان التعليم في المدارس الاميرية مجاناً

ثم اخذت الحكومة بعد الاحتلال في تنظيم المدارس على نسق جديد فتقلبت على احوال شتى واهم ما حدث فيها اقفال مدرسة الالسن واغفال الارساليات الى اوربا وابطال التعليم المجاني وجعل قاعدة التعليم باحدى اللغتين الانكليزية او الفرنساوية • وقلت العناية باللغة العربية رويداً رويداً فبعد ان كانت معظم ساعات التدريس عائدة الى اتقانها صارت تحول الى اللغات الاخرى تدريجاً حتى صارت ساعات التدريس بالعربية اقل من ساعات التدريس لسواها كما يتضح من جداول التدريس لسنة ١٨٩٣ وفيه عدد الساعات باعتبار الاسبوع :

ساعات التدريس في المدارس الابتدائية سنة ١٨٩٣

	اللغة العربية		للفرنساوية او الانكليزية	
السنة الاولى	٣٣	ساعة	٠٠	
« الثانية	٢٥	«	٨	ساعة
« الثالثة	٢٠	«	١٣	«
« الرابعة	٢٠	«	١٣	«
	٩٨		٣٤	

ساعات التدريس في المدارس الثانوية لسنة ١٨٩٣

	للغة العربية	للفرنساوية اوالانكليزية
السنة الاولى	١٧ ساعة	١٦ ساعة
« الثانية	١٥ «	١٨ «
« الثالثة	١٤ «	١٩ «
« الرابعة	١٣ «	٢٠ «
« الخامسة	١٢ «	٢١ «
«	٧١	٩٤

فترى من ذلك ان ساعات التدريس بالعربية كانت تقلّ كلما تقدم التلميذ في السن وترقى في العلم . وما زالت تتحول العناية الى اللغات الاجنبية حتى صات الآن على هذه الصورة :

ساعات التدريس في المدارس الابتدائية الآن

	للعربية	للفرنساوية او الانكليزية
السنة الاولى	٢٦ ساعة	٧ ساعات
« الثانية	٢٦ «	٧ «
« الثالثة	٢٠ «	١٣ ساعات
« الرابعة	٢٠ «	١٣ «
	٩٢	٤٠

ساعات التدريس في المدارس الثانوية الآن

	للعربية	للفرنساوية او الانكليزية
السنة الاولى	٩ ساعات	٢٤ ساعة
« الثانية	٩ «	٢٤ «
« الثالثة	٩ «	٢٤ «
« الرابعة	٩ «	٢٤ «
	٣٦	٩٦

ومن مقابلة ساعات التدريس اليوم بمثلها سنة ١٨٩٣ يتضح لك ان ساعات العربية تحوّل بعضها الى اللغات الاجنبية . فبعد ان كانت ساعات اللغة العربية في المدارس الابتدائية ٩٨ ساعة في الاسبوع سنة ١٨٩٣ صارت الآن ٩٢ ساعة . وكانت ساعات اللغات الاجنبية ٣٤ فصارت ٤٠ وكانت ساعات العربية في المدارس الثانوية ٧١ لسنة ١٨٩٣ فصارت الآن ٣٦ وساعات اللغات الاجنبية كانت ٩٤ فصارت ٩٦ ساعة . وقلة ساعات التدريس ليست السبب الوحيد في ضعف اللغة العربية ولكن تعليم العلوم في سواها هو اقوى اسباب ضعفها

اقتراح الجمعية العمومية

ذلك ما حملنا على التنبيه الى اهمال اللغة العربية وحمل العقلاء على التذمُّر من هذه الحالة حتى اهتمت بذلك الجمعية العمومية في جلستها الاخيرة واقترح زميلنا الشيخ علي يوسف احد اعضائها على الحكومة ان تجعل هذه اللغة قاعدة التدريس كما كانت قبل الاحتلال ووافقت الجمعية علي اقتراحه وخلاصته « تعليم العلوم في مدارس الحكومة باللغة العربية وان يكون الشروع في ذلك من السنة المقبلة على ان يتبع اولاً في المدارس الابتدائية لان اساتذتها وطنيون يعرفون اللغة العربية اكثر من معرفتهم الافرنجية وفي قدرتهم ان يترجموا الدروس التي يلقونها على الطلبة من الكتب الافرنجية وان تتخذ الحكومة الوسائل الفعالة لايجاد الكتب العربية الصالحة في كل فن وعلم وان تتدرج من ذلك الى اتباع هذه الطريقة في المدارس الثانوية فالعالية »

فاجاب سعادة ناظر المعارف سعد باشا زغلول على هذا الاقتراح بخطاب اظهر فيه رغبته الشخصية في احياء لغة البلاد لولا ما يراه من العثرات في سبيل هذه الامنية فهو يرى « ان الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الاجنبية الا ليتقوى التلامذة فيها ويمكنهم الاستفادة من المدنية الاوربية ويفيدوا بلادهم ويقووا على الدخول مع الاجانب في معترك هذه الحياة حياة العلم والعمل »

الى ان قال « واذا فرضنا انهُ يمكننا ان نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلاً فاننا نكون قد أسأنا الى بلادنا والى انفسنا اساءة كبرى لانهُ لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو ان يتوظفوا في الجمارك والبوسطة والمحاكم العديدة التابعة للحكومة ويقتضي نظامها وجود موظفين يعرفون اللغة الاجنبية حق المعرفة ولا ان يستخدموا في بنك او مصرف ولا ان يشتركوا في شركة من الشركات التي كثر تأسيسها في بلادنا ولا ان يكونوا محامين امام المحاكم المختلطة ولا مترجمين ولا غير ذلك مما يحتاج الى براعة في

لغة اجنبية . واذا قطعنا النظر عن ذلك كله واردنا ان نشرع اليوم في التعليم باللغة العربية اعترضتنا صعوبات مادية وهي قلة المعلمين الاكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة العربية »

الى ان قال « فارجو ان لاتندفعوا في هذه المسألة وراء احساسكم اذ لا فائدة من طلب تعلمون من الآن انه لايقابل بغير الرفض لاستحالة تنفيذه وغاية ما يمكن طلبه هو السعي في تذليل هذه الصعوبة المادية وهو ماعقدت النية عليه . ونظارة المعارف تشتغل به الآن اعني توسيع نطاق مدارس المعلمين والارساليات الى اوربا وتحسين حالة موظفي المدارس حتى يمكن وجود عدد كاف يتولى التعليم باللغة العربية كما ارغب وترغبون » اه

وما نشر الاقتراح المذكور والرد عليه في جملة اقتراحات اخرى لانتعرض لها هنا حتى تسابقت اقلام الكتاب الى الخوض فيه بين منتقد ومعارض . اما كلمتنا فلا يتضح المراد بها الا اذا بينا اولاً ما يرجى نفعه او يخشى ضرره من التعليم باللغة العربية او الافرنجية ثم نرجح اكثرها نفعاً واقلها ضرراً ولا نحكم في ذلك غير العقل فنقول

الموازنة بين التدريس باللغة العربية او لغة اجنبية

١ فائدة التعليم بلغة اجنبية

(١) اتقان آداب هذه اللغة وسهولة الكتابة والتكلم فيها للمساعدة على الاستخدام في الاعمال التي تفتقر الى معرفة لغة اجنبية في الحكومة او غيرها ومعاطاة المهن التي يستعان فيها باللغات الافرنجية كالمحاماة امام المحاكم المختلطة ونحوها

(٢) مطالعة كتب العلم في لغاتها الاصلية وفيها المطولات والموسوعات

٢ ضرر التعليم بلغة اجنبية

(١) ضعف اللغة العربية وآدابها

(٢) ضياع الجنسية العربية

(٣) انحصار العلم والتهذيب في الطبقة العليا وبقاء العامة على جهلهم

٣ فائدة التعليم باللغة العربية

(١) حفظ الجنسية العربية : لان تعليم العلوم في لغة يؤول طبعاً الى احياء جامعتها بترقية اهلها وتهذيبهم وتوسيع آدابها . وقد يعترض « بان الجامعة العربية الآن في عصر انحلالها فلا بد للغة العربية من الضياع كما ضاعت اللغة القبطية بمصر والسريانية بالشام .

وان هذه الجامعة اذا بقيت فلا فائدة منها لاهلها لذهاب الامل بانشاء دولة عربية على ما تقتضيه سنة العمران اذ لكل دولة ادوار تمرُّ فيها وما يضرُّ المصريين لو استبدلت لغتهم بالانكليزية مثلاً كما حدث في الولايات المتحدة الاميركية فان اهلها اتخذوا هذه اللغة واضاعوا لغاتهم وهم مع ذلك دولة قائمة بنفسها . فيمكن ان تذهب اللغة العربية وتبقى الامة المصرية متحدة بالجامعة الوطنية »

لا تنكر حظ هذا الاعتراض من الصواب لان التقدم في معارج المدنية الحديثة لايزال اقرب تناولاً باللغات الافرنجية منه بالعربية لتوفر اسباب تلك المدنية في هذه اللغات وانتشارها بين اهلها . فضلاً عن اضطرارنا القهري لمعاملة الافرنج بالتجارة والسياسة وا كثر المصريين غيرة على العنصر العربي اذا ارادوا الاخذ باسباب هذا التمدن لا يستغنون عن اتقان اللغات الافرنجية حتى ارباب الصحف العربية الاسلامية وهم اول المطالبين باحياء اللغة العربية فانهم ينشئون الصحف باللغات الافرنجية (الانكليزية والفرنساوية) فضلاً عن صحفهم العربية . فترى من ذلك ان اللغات الاجنبية من العوامل الرئيسية في احوالنا السياسية والتجارية ولاسيما بالنظر الى الدولة المحتلة . وقيام جنود هذه الدولة في معاقلنا وقبض رجالها على ازمة مصالحنا برهان قاطع على حاجتنا الى تعلم لغتهم اذ من العبث ان نكلفهم مخابرتنا بلساننا . فاذا اغضى المصريون عن الجامعة القومية لم يبق لهم حجة يطلبون بها احياء اللغة العربية

ولكن الانسان ضنينٌ بجنسيته حريصٌ على قوميته مهما يكن شأنها من الضعف او الضعة حتى الامم الهمجية فكيف بالعرب وتاريخهم مجيد يوجب الفخر لمن ينتسب الى اصحابه — وذهاب اللغة ذهاب الجنسية بلا خلاف . فبقاء الامة المصرية ولغتها انكليزية مثلاً لا يضرُّ اعقابها بعد اجيال عديدة اذ ينسون جنسيتهم القديمة ولا يعرفون الاَّ الجنسية الجديدة . واما الاجيال القريبة فيشق عليها ذهاب ما يدها وهو عنوان استقلالها وان كانت لاترى سبيل الاستقلال مفتوحاً ولكنها ترجو ان يتاح لها يوماً ما اتيح للامم التي حافظت على لغاتها مع خضوعها لسواها وتوفقت الى الاستقلال الحقيقي او المعنوي

فيحسن ان يكون في مصر لغة افرنجية للمخابرات السياسية والتجارية وتبقى اللغة العربية لترقية الشؤون الاجتماعية ونشر الفوائد العلمية . اما التمثل بالولايات المتحدة فلا يصدق على حالنا لان الاميركان الذين يتكلمون الانكليزية الآن هم النازحون اليها من اوربا وغيرها واما اهلها الاصليون فهم الهنود وقد ذهبت لغتهم بغير اختيارهم ولا اسف عليها لانها خالية

من العلم والادب والدين . واما اللغة العربية فانها لغة تمدن وعلم ودين وهي من ارقى لغات الارض كما لا يخفي ولا نظن احداً يخالف المصريين في احساسهم من هذا القبيل فضلاً عن ارتباط هذه اللغة بالدين الاسلامي

وقد يتبادر الى الاذهان ان المراد بالجامعة العربيـة الجامعة الاسلامية بالقياس على ما كان في ابان التمدن الاسلامي فيكون الغرض من احياء هـذا اللسان تقوية العنصر الاسلامي وارجاع الدولة الاسلامية . وربما اعتقد بعضهم ذلك اخذاً بلهجة بعض المتطرفين من ارباب الصحف السياسية وذلك وهمٌ باطل لان الجامعة العربية اصبحت غير ما كانت عليه من قبل فهي الآن تشمل الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم لان النصارى مثلاً اكثر اشتغالاً في نشر هذا اللسان من المسلمين . فالسوريون المسيحيون هم الذين نقلوا العلم اليه في العصر العباسي وهم ينشرونه اليوم في اقصى اقطار العالم بما ينشئونه من الصحف او المدارس ولا سيما في العالم الجديد والاقباط ينشرونهُ في الحبشة ويعلمونه في مدارسها . ناهيك بمن يعمل على احيائه من المسيحيين في مصر والشام بانشاء الجرائد والمدارس وتأليف الكتب . وزد على ذلك ان السعي في احياء اللغة العربية خدمةً للعنصر الاسلامي لا يوافق المراد من نهضتنا ولا ينطبق على روح المدنية الحاضرة التي هي اساس هذه النهضة . فالغرض الذي نرمي اليه يجب ان يقتصر على احياء اللغة بغض النظر عن المذاهب واذا اريد به غير ذلك فاننا نتقهقر الى مثل ظلمات الاجيال الوسطى وتفسد علينا مساعينا وتعود بالضرر علينا لاسباب سياسية لاتخفى على الناقد البصير

(٢) ترقية العامة وهم جمهور الامة — ولا يكون ذلك الا بترقية اللغة بما يدخلها من العلوم . فالشبان الذين يتلقون العلم باللغة العربية يسهل عليهم نشره بين اهلهم وذويهم بالاحاديث الاعتيادية في المجتمعات العمومية والخصوصية سواء كان البحث في الطبيعيات او الكيمياء او الظواهر الجوية او التاريخ الطبيعي او غيره والعامة يلتذون بسماع التعليل عن دوران الارض مثلاً او اسباب المطر او فسيولوجية النبات او الحيوان بلغتهم فترتقي اذواقهم وتتسع عقولهم ولا يتأتى ذلك للشبان المتعلمين الا اذا تلقوا هذه العلوم بالعربية واما تلقيها بلغة افرنجية فيحول دون نشرها بين العامة لاضطرارهم في التعبير عن افكارهم الى استعمال المصطلحات الافرنجية التي لا يفهمها العامة . وكثيراً ما سمعنا شباننا المتخرجين في العلوم العالية بغير اللغة العربية اذا ارادوا شرح مسألة في الطب او الطبيعيات او العقليات اعجزهم التعبير عنها بلسانهم استعانوا بالمصطلحات

لا ترنجية فتأتي عبارتهم مبهمة يشق على العامي فهمها على ان المشقة في التعبير تمنع اولئك الشبان من الخوض في المسائل العلمية في المجتمعات العمومية فتكون النتيجة انحصار العلم في طبقة المتعلمين ويبقى الشعب على جهله · وقد شاهدنا الفرق بين الحالتين في سوريا بين المتخرجين من المدرسة الكلية وهي تعلم العلوم بالعربية وبينهم بعد تعليمها بالانكليزية وقد يكون هؤلاء اوسع علماً من اولئك ولكنهم اعجز عن نشر مبادىء التعليم بين العامة بلسانهم

٤ اضرار التعليم باللغة العربية

لا يصح ان يسمى ما ينجم عن التعليم بالعربيـة اضراراً وانما هي عوائق وقتية يسهل تلافيها وقد ذكر سعادة الناظر معظمها وهي ترجع الى اربعة امور :

(١) عدم وجود المعلمين الاكفاء لتعليم العلوم بالعربية

(٢) عدم وجود الكتب اللازمة للتعلم والمطالعة بعد المدرسة

(٣) ضعف ملكة اللغات الاجنبية مع الحاجة الى اتقانها

(٤) فقر العربية بالمصطلحات العلمية

وقد وعد سعادته بالسعي في توسيع نطاق التعليم وارسال الارساليات وغير ذلك حتى يتأتى له الوصول الى هذه الامنية · ولكن الوصول اليها لا يتأتى الا بالمبادرة والشروع بالتعليم وبدون ذلك تنقضي الزمن بالانتظار والتسويف فقد قرأنا مثل هذا الاستمهال غير مرة وذهب انتظارنا عبثاً · وانما يتم ذلك بالمباشرة حالاً كما باشر محمد علي في حين كانت البلاد فوضى والناس في جهل مطبق فلم يعدم وسيلة لانشاء المدارس وتدبير المعلمين وترجمة الكتب · فكيف اليوم ونحن في ابان النهضة العلمية وبين ظهرانينا طائفة من العلماء القادرين على التعليم في اي فرع من فروع العلم الرياضي والادبي والطبيعي والعقلي لا يسع المقام ذكرهم · واذا انكروا علينا ذلك فهذه مدرسة المعلمين يمكن اصلاح شؤونها حتى تفي بالغرض المطلوب · او نفعل كما كانوا يفعلون في اوائل ايام محمد علي — نأتي بالاساتذة من الافرنج ومعهم المترجمون يلقون الدروس على الطلبة ويترجمونها لهم ريثما ينبغ بينهم من يؤلف الكتب · وبالجملة فالحكومة اذا سلمت معنا بافضلية التعليم باللغة العربية لا يعجز الشروع بذلك منذ الآن

واما كتب العلم فامرها اهون كثيراً مما يتبادر الى الذهن لأول وهلة لان العلوم التي تلقى في المدارس المصرية ثلاثة اقسام رياضية وادبية وطبيعية اما الرياضيات كالحساب والجبر والهندسة والفلك ففي العربية كتب حسنة ويسهل تأليف احسن منها · واما الادبية ومنها التاريخ والجغرافيا فاهمها ما يتعلق منها بالشرق والتأليف فيـه اهون على اهله مما على

سواهم . بل نرى لافرنج يخلطون في كثير من المسائل الشرقية خلطاً مضحكاً . وقد اطلعنا لي كتاب فرنساوي في التاريخ العام يعلم به في بعض المدارس الكبرى بمصر فوقع نظرنا على قوله في فتح مصر على يد السلطان سليم العثماني ونيله الخلافة من بقية الدولة العباسية فرأينا المؤلف يظن العباسيين كانوا يومئذ في بغداد فلما فرغ من خبر الفتح ذكر ذهاب السلطان سليم الى بغداد ونيل الخلافة من خليفتها هناك ... واصغر طالبة التاريخ يعلم ان الخلفاء العباسيين لجأوا الى مصر على اثر فتح هولاكو بغداد في اواسط القرن السابع للهجرة. وامثال هذه الاغلاط كثير في الكتب المدرسية الافرنجية حتى القواميس فقد جاء في بعضها ان المنصور العباسي كان في الاندلس وفرّ منها الى بغداد وبنى مدينته — وكلامنا هذا لا يطلق على العلماء المستشرقين وانما نريد به الكتب المدرسية . فهذه الكتب اذا الفها العرب كانت أضبط من سواها ولاسيما اذا احسنت الحكومة اختيار الذين يعهد اليهم تأليفها

اما الطبيعيات ويدخل فيها علوم الطب بفروعه والصيدلة والكيمياء والبيطرة والتاريخ الطبيعي فهذه لايستغنى فيها عن النقل من اللغات الأخرى كما كانوا يفعلون قبل الاحتلال وذلك سهل لا مشقة فيه . ويبقى هناك اعتراض ذو بال وهو ان العلوم الطبيعية في تقدم دائم باوربا واميركا فلا يمضي شهر لايحدث فيه اكتشاف او اختراع او تظهر فيه الكتب المطولة في المواضيع الطبية ونحوها مما يشق نقله الى العربية لكثرته . والجواب على ذلك ان بعض هذه الكتب يقرأه الاطباء او نحوهم في لغاته الاصلية او تنقل خلاصته الى المجلات العربية كما تفعل اليوم في كثير من المواضيع . والبعض الآخر ينقل بجملته الى العربية كما تنقل لغات اوربا بعضها عن بعض فان كثيراً من المؤلفات العلمية الفرنساوية ينقلها الانكليز او الالمان الى لسانهم ويفعل نحو ذلك الفرنساويون بالنقل عن الانكليزية او الالمانية فيفعل العرب مثل فعلهم ولا بد في كل حال من اتقان احدى اللغات الافرنجية

ويمكن اتقان هذه اللغات بدون ان تلقى العلوم بها . نعم ان تلقي العلم بها يزيدها اتقاناً ولكن الأولى ان يترك ذلك الاتقان للغة البلاد الاصلية وينظر في طرق أخرى لاتقان اللغات الاجنبية ويسهل ذلك بان تنشيء الحكومة مدرسة خاصة لتعليم هذه اللغات ودرس آدابها الانشاء او الترجمة . او أن تعيد مدرسة الالسن التي انشأها محمد علي وتجعل نظامها على اسلوب يفي بالحاجة المطلوبة . فالمدارس الابتدائية والثانوية تعلم من هذه اللغات ما يكفي للمطالعة والمخاطبة ومن اراد التوسع في اللغات للاشتغال بالترجمة او الاستخدام في بعض المصالح الاجنبية او غير ذلك فعليه بمدرسة الالسن

اما المصطلحات العلمية فهي كثيرة في اللغة العربيـة يدلك على ذلك الكتب المؤلفة بهذه الفنون بالعربية واذا نقصها شيء ففي المعجمات ما يسد هذا النقص · وفي وسع الحكومة ان تنشيء مجمعاً لغوياً لوضع المصطلحات على نحو ما تفعل الامم المتمدنة — اذا شاءت ان تعد رعاياها من الامم المتمدنة وان لغتها لغة تمدن وعلم لا يهون عليها ضياعها كما تضيع لغات هنود اميركا او زنوج افريقيا !

التعليم المجاني

كان التعليم قبل الاحتلال وبعيده مجانياً وكان في عهد محمد علي الزامياً والحكومة كانت تساعد التلامذة بالمال في كثير من مرافق الحياة فضلاً عن التعليم . وكان اهل اليسار يقفون الاموال للتعليم ولاسيما الخديوي واعضاء عائلته ورجال دولته · وكان اسماعيل باشا يفرض للمدارس الاجنبية غير الاميرية رواتب سنوية رغبة في نشر العلم ووقف كثيراً من العقارات لينفق ريعها في التعليم اشهرها ارض وادي الطملات · ومن الامراء الذين وقفوا الاموال للمدارس والدة المرحوم عباس باشا الاول لانشاء مدرسة عباس · وفعل نحو ذلك ايضاً راتب باشا وخليل آغا وغيرهم

ثم رأت الحكومة في اواخر ايام اسماعيل ان تفرض الرواتب على تعليم الاغنياء ولم تنفذ ذلك الا بعد الاحتلال باعوام فضيقت ابواب التعليم المجاني بالتدريج حتى ابطل بالكلية وتوجهت العناية الى انشاء الكتاتيب المجانية لتعليم المبادئ الاولية _ ولكن هذه الكتاتيب لاتفي بالغرض المطلوب فانما نحن في حاجة الى نشر العلوم العالية بين طبقات الامة لترتقي آدابها وتتهذب نفوسها · فيجدر بالحكومة ان تسهل على الفقراء دخول المدارس العالية اذ قد يكون بين هؤلاء من اذا تعلم خدم بلاده خدماً ذات بال كما حدث في اوائل هذه النهضة فان اكثر النوابغ الذين اشتغلوا باحياء اللغة العربية بالتاليف والتعليم من اولاد الفقراء واهل القرى

فالاحتلال الانكليزي خدم وادي النيل خدماً جزيلة لا يستطيع صديق ولا عدو انكارها فاصلحت الحكومة على عهده الري ونظمت المحاكم وضبطت البلاد فساد الامن وتوفرت الثروة وانتشرت الحرية الشخصية · ولكنها ضيقت على التعليم بجعله في غير لغة البلاد وبابطال المجانية فضلاً عن ضعف العلوم في المدارس الثانوية · وقد بينا في الهلال الثاني من هذا العام ان العلوم التي ينال عليها التلميذ المصري شهادة البكالوريا لا تزيد على العلوم التي تلقى في المدارس الاستعدادية البسيطة في المدرسة الكلية السورية · فالمدارس

المصرية في حاجة الى ترقية علومها باضافة الفروع التي تعلم في المدارس العالية بالبلاد المتمدنة . والاّ كانت مصيبتها مزدوجة لان تعليم العلوم بلغة اجنبية يميت اللغة العربية وضعف التعليم يميت نفوس الناطقين بها . ولا نظن الحكومة ترضى بتعريض الامة لهذين الخطرين

واذا اصرّت الحكومة على خطتها — ولا نظنها تفعل — فما اجدر الامة بالرجوع الى مشروع الكلية المصرية وتجديد الهمة لاخراجها الى حيز العمل وجعل التعليم فيها بالكيفية التي تراها اضمن لمستقبلها وهي لا تعجز عن جمع المال اللازم لهذه المدرسة . وقد كنا نتوقع السير في هذا السبيل باسرع مما شاهدناه — والله الموفق



صحة العائلة

النظافة

لمحمد افندي جميل بيهم في بيروت

١ — نظافة البدن

أن مجلس النظافة البدن والثياب والطعام والشراب والمسكن وسنتكلم عن كل منها على حدة فمن الواجب على الانسان ان يطهر بدنه من الاوساخ التي اذا بقيت على الجسم منعته حظه من النمو والراحة وانت تعلم ان العقل السليم في الجسم السليم ولا سلامة له الا بالنظافة وكيفية تنظيفه ملخصاً عن مهرة الاطباء هو ان يغتسل مرتين في الاسبوع صيفاً ومرة في كل اسبوع شتاء بالماء الحار المعتدل والصابون . وذهب قوم الى تفضيل الماء البارد والاول هو الاقرب لموافقته لجميع الاجسام ولحصول الغاية به اذ ان الغاية ازالة ما يعلو البشرة من المواد الدهنية المفرزة من المسام وناهيك بما يختلط بتلك المواد من الغبار المتضمن لجيوش عظيمة لا ترى الا بالمكبرات

ولا يخفى ما للاغتسال من المنافع الصحية فانه يفتح مسام الجسد وينعشه ويسكن أعصاب الجلد ويمنع بثوره . وقد قال السير هنرمان « ان الاغتسال في الماء البارد او الحار يومياً من جملة أسباب اطالة العمر » غير ان للاغتسال شروطاً لابد منها ولا ينبغي تعديها

لئلا ينقلب النفع ضرراً وتذهب الاتعاب ادراج الرياح وهي :

(١) لا يجوز الاغتسال الا بعد الاكل بساعتين على الاقل

(٢) ولا عند ما يكون الجسم آخذاً في ان يبرد بعد العرق

(٣) ولا في الفضاء لمن يشعر ببرد او خدر في يديه ورجليه بعد الاغتسال

(٤) ولا ان يقف عرياناً متعرضاً للهواء بعد خروجه من الماء

(٥) ولا ان يطيل المكث في الماء أكثر من عشر دقائق لان بعد حدوث رد الفعل تسلب الحرارة من الجسد بل يجب عليه ان يخرج منها حالما يشعر بالبرد ولو قليلا

(٦) يستحب تنشيف الجسم بمنشفة ناعمة وفركه باخرى خشنة الى ان تنتشر الحرارة الغريزية

(٧) لا يجوز للمغتسل ان يلبس ثيابه قبل تمام الدفء

هذا وان من متممات النظافة الجسدية التي لا بد منها تنظيف شعر الرأس واللحية من الاوساخ العارضة التي تجعلهما غابة ترتع فيها الهوام

وتنظيف معاطف الاذنين وقعر الصماخ من التف لان كثرة اجتماع المادة الشمعية تقلل السمع وتكون احياناً سبباً للسعال او الدوار

وازالة الوسخ المخاطي الذي يتكون في داخل الانف والرطوبات الملتصقة بجوانبه وذلك بواسطة الاستنثار والاستنشاق • لان تكاثر تلك الاوساخ يمنع حاسة الشم ان تأخذ مجراها الطبيعي • وبديهي ما يحدث عن ذلك من مضايقة الصدر

ويجب ايضاً تنقية الاسنان من القلح الذي يصفر لونها وتتصاعد منه رائحة كريهة تأنفها النفوس • ويجب قص ما طال من الاظافر وتنظيف ظاهرها وباطنها من الاوساخ السامة • فمن يفعل ذلك فقد حصل على النظافة البدنية وبنى ركناً من اركان حفظ الصحة التي هي من المنح اعظم منحة

وقد اتى الاسلام بما يدهش العقول من آداب الدين والدنيا ومن جملتها انه امر اتباعه بغسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين في كل يوم وليلة خمس مرات • فجاء ذلك موافقاً لاقوال فلاسفة العالم الذين يعلمون ان الافرازات التي تعلو البشرة اذا لم تزل عن الجسم منعت تجديد افراز العضلات وتنفس البدن وانت خبير ايها القارئ ما يحدث عنه من الامراض المتنوعة التي تكون كما قدمنا خطوة عظيمة في قصف غصن الحياة • وقد ثبت بالتجربة والاختبار العلمي انه لو طلي جلد حيوان بمادة تمنع الافراز

لمات كما لو حجز عنه الهواء . فبناء على ذلك وجب الاغتسال المرة بعد المرة وافضل اوقاته كما قال الاطباء وقت النهوض من الفراش لما يترتب على ذلك من الفوائد الجمة كتنبيه الاعصاب وتجديد القوى

وفي الجملة فان الانسان باعتبار انه مدني بالطبع لا طاقة له على الانفراد بنفسه بل لابدّ له من الاجتماع للتعاون مع ابناء جنسه فلا بد ان يتجلبب بجلابيب النظافة حيث انه اذا كان طاهر الجسم يألفه جليسه بخلاف ما اذا كان قذره فانه يقول له بلسان الحال « يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » ويتباعد منه تباعد الاصحاء من الاجرب لما يتصاعد عنه من الروائح النتنة التي تفسد عليه الهواء وهو مادة الحياة

وكلما دقق الانسان النظر فيما يترتب على الوساخة من الضرر لانفتحت له ابواب شتى ظهرت منها اشباح تصيح « النظافة النظافة ! »

٢ ــ نظافة الثياب

الملابس لابد منها للانسان لانها تقي الجسم من برد الشتاء وحر الصيف ولكل أمة من الامم الغابرة والحاضرة زي مختص بها ولا تعلق له بما نحن بصدده

وأما نظافتها فشرط من شروط الحضارة والمدنية لا يتخلف عنها الا من حكم عليه انه من المغرقين في بحار جهله ولا يعزب عن المطالع ان نظافة الثوب تجمل حال المرء وتجعله مقبولاً في اعين الناس عموماً وجلسائه خصوصاً . واليك بيان الوجه الكمالي وهو ان الانسان لو ضمه مجلس جلاسه بغاية النظافة في الملابس وهو قذرها لانف منه الجميع « لا يستوي الخبيث والطيب » وربما حرم بذلك ما يتوقف عليه نجاحه في دنياه بخلاف ما اذا كان نظيفها فيلتئم معهم وقد يكون ذلك سبباً لحصوله على ما يبتغيه بموازرتهم

وأما منافع نظافة الملابس من الجهة الصحية فاشهر من ان تذكر فنأتي ببعضها على سبيل الاستدلال من ذلك دفع الامراض اذ ان ما يتراكم على الاجسام من الاوساخ سبب فعال لوقوع الانسان في التهلكة اما بواسطة قذارتها المفسدة للهواء بها او بواسطة الميكروب الملتصق كما هو مقرر عند جمهور المحققين من اطباء واليك ما قاله العلامة باركس « تبين لي ان الحمى التيفودية الرقشاء التي كادت تتقطع بين الاقوام المتمدنة ليس لنقاوة الهواء في المدن فقط بل لكثرة غسل الثوب واتقانه »

ولا بأس من ان نطلق في هذا الميدان عنان اليراع ونرفع عن وجوه الحقائق سجف الاوهام على سبيل الإستطراد فلقائل يقول كما يقول البعض من انه « لاعدوى » ويحمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن على نفي اصل العدوى والميكروب فلو سلمنا التسليم الجدلي ورجعنا الى مستند القائلين بها من جهور الحكماء لرأينا ما ادعوه من وجود الميكروب والعدوى اثبتوه اثباتاً حسياً فكيف ننكر المحسوسات وقد قال حجة الاسلام الغزالي « المصير الى التأويل خير من المكابرة في ما قام عليه الدليل » وعلى هذا جرى اكابر الامة ومحققوها

فاذا تقرر ذلك وجب على الانسان اتخاذ الوسائل الفعالة لدرء الضرر الناجم على اهمال النظافة لان كل ما كان مقدمة للهلاك فهو الهلاك وقد قال تعالى « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » فيحرم عند الاستطاعة عدم استعمال الوسائط لدفع شر الوساخة شرعاً وعقلاً واي واسطة كبرى تدفع شرها مثل النظافة ؟

واستلفت الانظار للملابس الصغار لانها اكثر ما يجب الانتباه لها لما لاولئك من الحب الزائد للعب الذي يكون سبباً لعدم بقائها على نظافتها فيلزم ملاحظتها لان اجسامهم ضعيفة قريبة التأثر وفي هذا بحث طويل عريض يضيق عنه صدري ولا ينطلق به لساني لما فيه من القضايا التي ينهمل لها الدمع وتتقرح الاكباد حزناً وتاسفاً من احوالنا وما نحن عليه من الانهماك في القال والقيل المؤديين الى خراب الدين والدنيا وعدم الاكتراث بما ينهض بنا من التاخر المادي والادبي والصحي كما هو شان الانسان الكامل في هذه الدنيا

وبالاختصار اقول ان من اهم الواجبات على الوالدين ان يربوا اولادهم بطريقة التدقيق والتحقيق على محبة النظافة علماً وعملاً حتى اذا وصلوا الى سن التعليم ونظموهم في سلك المدارس اتخذوا لهم مكاناً مطابقاً لما تربوا عليه لكيلا يهدموا ما بنوه

هذا وان تنظيف الملابس محض اقتصاد وبيان ذلك ان الثوب اذا غسل قبل ان يتراكم عليه الوسخ عاش زمناً طويلاً بخلاف ما اذا ترك الى ان علاه ثوب آخر من الدرن وغسل فعندئذ يحتاج الى شدة الضغط عليه فيبلى في مرة

ولا شك بان من امعن الفكر بنظافة الملابس وما يترتب عليها من النفع لا يرضى لنفسه الا النظافة ليبقى في صحة وسرور بين جلسائه

٣ — نظافة الطعام

من المعلوم ان الطعام يتوقف عليه بقاء الانسان لان فيه غذاءه وقوام جسمه

وبهذا الاعتبار فلا بد من ان يكون صالحاً للتغذية ولا سبيل الى ان يكون كذلك الا اذا حفظ من الاعراض التي تفسده بتغلب الضرر على النفع . فلو اراد الانسان ان يتناول طعاماً مثلاً فان كان ذلك الطعام من الخضر المطبوخة فلا بد من ان يكون في وعاء نظيف والحذر من حفظه في اوعية نحاسية غير مطلية حتى اذا طال مكثه فيها انفصل عنها الصدأ وامتزج بالطعام واصبح تناوله خطراً على الحياة . ومن يأكل الخضر بغير طبخ كالخس وما شاكله فانه يجلب لنفسه عدة اضرار ان لم يستعمل فيها حكمة النظافة بالغسل لان المزروعات يطرأ عليها بواسطة التربة وما ينضم اليها من السبخ ميكروبات كثيرة الضرر

ويجب أيضاً الانتباه لنظافة السكين والملعقة قبل ان يتخللا الطعام ولا سيما في المنازل العمومية (لوكندات) لكثرة تداولها في الايدي على اختلافها

ويجب الاحتراس من ان يتناول الطعام عدة اشخاص من اناء واحد وخصوصاً في المأكولات السائلة لما في هذا من مناقضة الاذواق السليمة فضلاً عن تسهيل انتقال العدوى من أحد المصابين الى باقي رفقائه وكذا يقال في اناء الماء

ومجمل القول أنه يجب اتخاذ الاحتياط التام للمحافظة على نظافة الطعام و بالاخص الطعام الذي يبقى من يوم الى آخر فكثيراً ما يفسد ولا يرجع اصحابه عن تناوله رغبة في الاقتصاد على زعمهم ولم يعلموا ان في ذلك خطراً على صحتهم . ومن ذلك المداومة على اكل الجبن فأنه عظيم الفائدة للتغذية ولكن كثرته تسبب الدودة الوحيدة في الغالب . واني لاحذر أيضاً من الجبن (الاخضر) الذي يرد غالباً من جبل لبنان لاحتوائه أحياناً على كمية من الصداء النحامي الناشئ عن الوعاء ويظهر ذلك في الجبن نفسه بمحل الاخضرار . و ياحبذا لو أحسن صانعوه التصرف في نظافة اوعيتهم وتركوا الناس يتلذذون بما صنعته ايديهم

والعجب ممن لا يبالي بتناول الطعام الغير النظيف من ادران الاعراض و يذبح نفسه بسكين الجهل وعدم الانقياد لقانون الصحة . وكيف يألفه ذوقه ان قلنا بعدم علمه بضرره ؟ اظنه انه يكتفي بقوله « أن هذا كله حشو مصران » ولا شك

ان صاحب الذوق السليم يفضل البقاء تحت خطار الجوع ولا ينظر بعينيه فضلاً عن أن يمد يديه الى ما فيه السم القتال

ولا ينسى الانسان غسل يديه قبل تناول الطعام لما يطرأ عليهما من الغبار المتضمن جيوش الميكروبات التي لا يعلم عددها الا الله . ويكون للمسلم في ذلك اجران اجر العمل بالسنة واجر المحافظة على صحته بحكم قوله عليه الصلاة والسلام « أن لجسدك عليك حقاً » ومن ادّى الحقوق وعمل الواجبات فهو من المشكور سعيهم المبرور عملهم

٤ — نظافة الشراب

يرى العاقل الحكيم أن من الاركان العنصرية التي يتكون منها جسمه الماء وهو اكثر السائلات انتشاراً في الطبيعة بعد الهواء فاذا نظرنا اليه من هذا الوجه سهل علينا معرفة مقدار نفعه وكثرة احتياج الموجودات اليه وهو فضلاً عن كونه ركناً لا غنى عنه اذ لا حياة بدونه لانه محلل للاطعمة مسهل للهضم مزيل للعطش فانه الواسطة الرئيسية للانبات الى غير ذلك من الفوائد التي هي اشهر من ان تذكر

وقد تنقلب هذه المنافع وتتبدل بمضار متنوعة اذا تحمل الماء مواد غريبة تحللت به عند مجراه لاننا لو نظرنا اليه من حيث اصله لعلمنا انه من مادة واحدة وانما يتغير بتغير ممره وما يعرض له أو يختلط به من المواد المضرة

فاذا ثبت ذلك وان المياه تختلف باختلاف ما تحمله من المواد يلزمنا اختيار الصافية منها الحسنة الطعم والرائحة لان الكدرة القذرة تسبب انحراف المزاج وقد تجلب امراضاً خبيثة ليست بالحسبان . واليك ما قاله ابقراط « الطحال يتضخم في الذين يشربون المياه السبخة » ويجب اجتناب المياه المشوبة بالمواد الكلسية لفرط اذاها لانها كثيراً ما تحدث عسر الهضم الذي يصحبه نقصٌ في شهوة الطعام وتعب أو وجع بعد مناولتها وغثيان خفيف وقبض الامعاء وقد نبهت عليها الاطباء في مواضع كثيرة لان المداوم عليها لا يأمن شر غائلتها وقد قال العلامة بارجي « ان الغنم في الاراضي الكلسية كثيرة التعرض للحصى »

هذا وان اشد المياه ضرراً اشدها قذارة وهي كالانهر التي تستطرق اليها القاذورات كما في بعض البلدان فتفسدها فساداً عظيماً وتجعلها سبباً لانتشار الوباء كالاسهال والحمى التيفودية وتكون عندئذ عوناً كبيراً لنقل جراثيم الامراض التي تتسبب عنها العدوى ولذلك فانا نرى اهل اوربا يدفعون الامراض بالنظافة التامة ونقاوة الهواء والماء من كل المواد الغريبة وحفظه عن كل شائبة لانه ثبت لهم ان النظافة وخصوصاً في مثل هذا الحال خير واسطة لكبح جماح الوباء ومقاومته وان الوساخة اهم معين لجالب الوباء وزيادته ويؤيد هذا باركس بقوله « اذا حصل الاسهال بين جماعة كان سببه فساد الهواء أو فساد الماء أو فساد الطعام وغالباً يكون من فساد الماء » وقال غيره من مهرة الاطباء « أن الحمى التيفودية والكوليرا لا تنتشران غالباً الا بواسطة الماء الفاسد من مبرزات المصابين » وقد ذكر غير واحد « ان الحميات الملارية (الدورية) تتسبب من الماء الوسخ »

فاذا ظهر لنا ما للماء الاسن من النتائج الوخيمة تحتم علينا ان نختار الصافي منها وهو الماء المنضج لما يطبخ فيه من البقول والحال للصابون تحليلاً جيداً . وان تعذر هذا لعدم وجوده في بعض الاقطار فعليه ان يتبع ما قاله صاحب كنوز الصحة في كيفية تصفية الماء كما نصه « اعلم أن تصفية الماء لا تمكن في كل الاوقات لكن متى امكنت لا ينبغي تركها ويصفى بواسطة من الوسائط اعني أما في طبقة رمل موضوعة في قفة أو في خرقة أو غيرها فبمروره في الرمل أو الخرقة ينقى مما فيه من الجواهر الغريبة وان كان كريه الرائحة يصفى من طبقة من جريش الفحم أو يوضع الفحم فيه وقد تزول كراهة طعمه بوضع قليل من الخل أو عصارة الليمون فيه » فاذا استعملت احدى هذه الوسائط يمتنع بعض الضرر أن لم نقل كله ويصبح الماء صالحاً للذوق والهضم لا يمتنع اجتناء ثمرة فوئده الموجودة فيه بالطبع

ومن اراد سفراً طويلاً يتعذر عليه في اثنائه وجود الماء الصالح للشرب واراد أن يستصحب مؤنته منه فعليه أن يطلي داخل الاوعية بالفحم قبل وضع الماء فيها فيأمن فساده وتغيره كما اتضح حتى صار بمنزلة البداهة وفي سبله تمشت جماعة السياح وسنعود الى الكلام في نظافة المسكن

الاخلاق

نحن في حاجة الى التربية اكثر مما الى التعليم

لجناب جرجي افندي نقولا باز [1]

الاخلاق جمع خلق . والخلق السجية أو الطبع وكما يتباين الناس في القدّ والهيئة والشكل والمزاج والمقام يتباينون أيضاً في الاخلاق فيرى منهم الصادق والكاذب والجريء والجبان والحر والعبد والعزيز والذليل والكريم واللئيم والصالح والفاسد والفاضل والرذيل ويرى النافع والضار والمغني والمفقر والمحيي والمميت تناقض وتباعد بين اخلاق البشر يخاله الباحث لاول وهلة نتيجة الاتفاق والعرض . ويراه بعد البحث نتيجة الارث والصحة والمزاج والتربية والتعليم والمعاشرة وطبيعة البلاد وانواع المعيشة اذ لا بد للطبائع أن تتأثر من الوسط القائمة فيه والبيئة المحيطة بها . جرياً على ناموس الارتقاء العام . وهذا يؤيد امكان تكييف الاخلاق ويبرهن خضوعها للمؤثرات الادبية والمادية ووجوب مداواة الفاسد منها بما يشفيه أو يصلحهُ بدلاً من تركه على طبيعته بلا تدميث ولا تهذيب والاكتفاء بأنه تقدير من العزيز الحكيم والامساك عن العمل على تغييره ولو بعض التغيير . والفرق بين مستقبل المعتنين بتربية اخلاقهم على أسس المبادىء القويمة وكبح ما فيها من اهواء الشر وتقوية ما فيها من اميال الخير وبين مستقبل المتروكين على الفطرة القانعين بما جادت به عليهم الراضخين لحكم العرض بين ظاهر نراه كيفما سرنا وأين حللنا . ولربَّ معترض يرى شقيقين نشأا في بيت واحد وترعرعا في احضان عائلة واحدة وسجايا كل منهما تناقض سجايا الآخر فيخالني مغالياً اهرف بما لا اعرف وهو لو تدبر غاية التربية وكيفيتها وتأنى في الحكم قبل اطلاق الكلام على عواهنه لرأى أن هذا ما يبرهن صحة كلامي لا سيما في مثل هذا التناقض الفطري لان من اوجب واجبات التربية أن توافق مختلف الغرائز وتنحو بها وجهة الارتقاء والانسانية لا أن تجعلها

---

(١) من خطاب القي في حفلة مدرسية بلبنان في ٦ يناير سنة ١٩٠٧

واحدة فقط وما قيام العمران الا باختلاف الطبائع وليس ما نراه بيننا من اعتناء الأسر بالاولاد وكسائهم وتعليمهم وترفيههم مما يصح ان يطلق عليه اسم التربية . وانما التربية تهذيب الاخلاق على اختلاف انواعها واصلاح فاسدها وتقويم معوجها وتقوية النافع منها واضعاف المضر . ولا مراء في شدة احتياجنا الى هذا الامر واعتباره من الضروريات التي لا حياة اجتماعية لنا لولاها ولا نجاح ولا هناء الا بها

نحن امة قديمة عهد الحضارة بعيدة زمن العمران قد توالت عليها الارزاء بعد عزها المنيع واكتنفتها عوامل الشقاء بعد سطوتها السالفة فرزحت تحت اثقال البؤس اجيالاً طوالاً تفترش القتاد وتأكل الحنظل وتشرب من منحدرات الجهل والذل كؤوساً دهاقاً وما برحت تعود القهقرى وتتدحرج في هوى الانحطاط حتى بلغت منه مكاناً قصياً ونالت بسببه ما كان يردي على عجل ويقرّح المقل . ولولم تداركها العناية بمن يعمل على انتشالها من تلك الهوة بالمعارف والفضائل لظلت الى الان مقيدة باغلال بؤسها سابحة في بحار ذلها تائهة في فيافي جهلها تغشى عيونها الغباوة وتطوقها الخرافات والخزعبلات . ولما كانت على ما ترون الان من النهوض الادبي والعلمي آخذة في الجد والاجتهاد في سبيل الانسانية بما هيأته لها بنفسها وبواسطة غيرها من الوسائل الاولية الموصلة اليها كالمدارس والجرائد والجمعيات والملاجيء والمنتديات والمراسح وما شاكل ذلك من مروجات الارتقاء . غير انها مع كل ما اعدته لذلك من الوسائل لم تزل مقصرة في الاعتناء بتربية الاخلاق تربية صحيحة . والانكى أن اخلاق الكثيرين منا لم تبق على انحطاطها السابق الارثي ولم تقتصر على ما كانت عليه اخلاق الاسلاف فقط بل ازدادت شراً بما انتشر بيننا من سيئات بني المغرب الصائرة مصير الحسنات وتقوّت بايثار الماديات على الادبيات فتكاثر الغش والخداع والرياء والمخاتلة والسكر والقمار والتهتك وما اشبه من الدنايا والقبائح وهذا ما ينذرنا بمستقبل اسود اعوذ بالله منه . . .

فالاخلاق الشريفة خير ما يحتاج اليه ابناء سوريا . وما عندهم منها مهما بالغوا في مقداره لا يكفي لحفظ كيان امة لا تتجاوز خمسة ملايين من النفوس المتعددة المذاهب

والمشارب فكيف وهي تلتمس التقدم ادارياً واجتماعياً وترغب في الارتقاء ادبياً ومادياً في الوطن وفي المهجر. كيف يستطيع السوري المفاخرة بالانتساب الى امة لا عناية لها بالاخلاق كما ينبغي؟ ... وكيف يقاوم معاكسيه ويثبت في وجوه مناوئيه ويقوى على منازعيه الرزق وينال حظه من دنياه بقدر استعداده اذا لم يكن على ما يرام من جودة السجايا وحسن الطباع؟ وكيف تتعزز هيئته الاجتماعية وتهنأ معيشته العائلية وتفلح مشاريعه العمومية ويحسن صيته ويعظم نفوذه اذا كان فاسد الاخلاق

قال جورج واشنطون الرئيس الاول لجمهورية اميركا الشمالية «الاخلاق السامية حلية كل انسان مهما كان مقامه لا يغني عنها مال ولا بنون ولا سطوة ولا مجد ولا سعادة لاحد لولاها»

فمهما كان المصلح مستطلعاً خفايا الامة عارفاً كنه امراضها ووسائل شفائها عاملاً على تحذيرها مما يترصدها وحضها على نبذ المضر والتمسك بالنافع مؤثراً خيرها العام على خيره الخاص متفانياً في سبيل اصلاحها جهده لا يستتب له النجاح في جميع مقاصده ولا يتصل الى كل ما يتمناه الا اذا كان ذا اخلاق سامية تتخذها الامة قدوة في الاصلاح ونبراساً يهديها الى سواء السبيل

ومهما وعى الاكليريكي من اللاهوت والمنطق وبرع في الاقناع واكثر من استظهار آيات الكتاب وحفظ اقوال القديسين واتقن خدمة القداس وردد الوعظ والارشاد لا بدّ له من حسن الطباع والا تلاعب بالمعتقدات وبثّ الاضاليل وتاجر بالقدسيات وامتهن الالهيات ...

ومهما درس الحاكم مواد القانون وخوّل من القوة والسلطة ووعد الوعود الكافية وتمنى انصاف المظلوم وردع القوي عن اغتصاب حق الضعيف وكف اهواء الشر والمحافظة على الامن لا غنى له عن طيب السجايا ليتمكن من اتمام ذلك طبقاً لواجباته الاساسية ...

مهما تعمق المعلم في اللغات والرياضيات والطبيعيات واستخدم اسهل اساليب التعليم واحدث طرقه ورغب في حشو ادمغة التلاميذ بالقواعد والتمارين والمتون والشروح

يقال مفتقرًا الى اخلاق مهذبة تعينهُ على الفلاح في مهنته وبلوغ الغاية المطلوبة منها ... ويقال نحو ذلك في الطبيب والمحامي والصحافي وفي الشاب والشابة والعالم والجاهل والخطيب والكاتب والتاجر والصانع والشاعر والناثر والفقير والغني . ومهما نال الانسان من الوجاهة والنفوذ والرتب والالقاب والشهرة لا غنى لهم جميعاً عن الاخلاق الشريفة السامية المهذبة لاتمام واجباتهم والتمتع بما يسمونه سعادة . ومهما تردد المرء الى الكنائس او الجوامع وردد الصلوات فيها وفي الخلوات وقبل الايادي واحنى الركاب وادعى خدمة الانسانية وجاهر بحب الخير العام وتظاهر بالمروءة والشهامة وكانت اخلاقه منطوية على الخبث والمواربة او اللؤم او النفاق او الدناءة او الرداءة او الشراسة او القساوة وهو لا يسعى في سبيل تهذيبها واصلاحها حسب امكانه لا يليق به الاحترام ولو تبوّأ ارفع المناصب . فان السيرة الصالحة هي الشرف الحقيقي

فنحن في احتياج كلي الى تهذيب الاخلاق ليستتب لنا النهوض التام ومجاراة الامم الراقية في المعارف والفضائل . وبديهي ان ذلك لا يستطاع الا باصلاح ما عندنا من سيء العادات ونبذها لان هذه من اقوى مفسدات الاخلاق على الاطلاق وما الاخلاق الا مجموع عادات . ولا مشاحة ان اعتياد السكر والقمار والدعارة والكذب والرياء والذل والجبن والغباوة والجهل من افسد مفاسد السجايا بلا خلاف . والسعيد الحكيم من اتقى شراكها وترفع عن التلوث بادرانها صيانةً لطباعهِ من الصغارة والابتذال والفساد . لان الاخلاق الدنيئة الفاسدة لا تحط من اقدار الناس فقط بل تحول دون نجاحهم الاكيد الثابت الحلال في الادبيات والماديات

ولا سبيل لنا «اقوم من المدارس» لتهذيب الاخلاق واصلاحها ولايعدّ الاصلاح عمومياً الا اذا اعتنت المدارس به على اختلاف نزعاتها وغاياتها اعتناء تاماً مؤثرًا على التعليم اللغوي والرياضي والطبيعي بخلاف ما يجري عليه معظم مدارسنا الحاضرة في قطرنا السوري . المدارس التي لم تكن حتى الآن لتعرف كنه واجباتها الاولية وترغب في تربية السجايا على ما يجب مثل رغبتها في الصرف والنحو والاعراب . المدارس التي لا تقتصر على التغاضي عن اصلاح الطباع فقط بل تزيد فسادها فساداً بما

تتخذه من طرق التربية العوجاء

وليس تهذيب الاخلاق لازماً للاحداث فقط بل هو ضروري للفتيان والشبان ايضاً حتى الكهول والشيوخ فانهم لا يخرجون عن هذه القاعدة اذا كان فيهم بقية عزم وارادة .. ولا عذرَ لمن لا يعمل على تهذيب اخلاقه جهدَه رغبةً منه في خير نفسه ونفع امته

باب السؤال والاقتراح

التمدن والعلم

استفتاء

جريتفل . اميركا — المحترم افندي خليل عبده

جرت لنا العادة ان نستفتيكم بالامور العلمية التي تستغرق بحثاً طويلاً وتفتقر للاطلاع على آراء ثقات المؤرخين والفلاسفة وكبار العلماء ولنا الثقة التامة بتحقيقكم ودقة بحثكم في الامور الفلسفية والاجتماعية فنرجو ابداء رأيكم في بحث وقع لنا مع بعض رجال العلم وتناظرنا فيه بجريدة الهدى الوطنية . من عهد قريب وموضوعه «هل العلم اصل التمدن . وهل هو طبيعي في البشر ام هل التمدن اصل العلم . وهل العلم اكتسابي وتقليدي في الناس»

هذا هو المحور الذي كانت تدور المناظرة عليه فقال الذين يرون العلم اصل التمدن وانه طبيعي في البشر وانه مولود معهم منذ البدء ان الانسان ذو نفس من خصائصها الاولية التمييز بين الحسن والقبيح والنافع والضار فيجب بالبداهة الاعتقاد ان ذلك صادر عن علم سابق بالاشياء مولود مع النفس وملازم لها منذ بدئها وهو اصل العلم . وان العلم لا يقتصر على تدريس العلوم وتلقينها ضمن جدران المدرسة بل يتناول العلم بالسمع والشم واللمس والذوق والنظر وغيره من خصائص الانسان الغريزية والسليقية الملازمة طبعه منذ خلقه

وعليه فهم يرون ان مصدر العلم في الانسان هو الغرايز والسلائق · وليس الاكتساب والاختبار والتقليد · وعلى هذه النتيجة يكون العلم اصل التمدن · وطبيعي في البشر

فخالفتهم في ذلك وبينت لهم ان التمدن اصل العلم وان العلم اكتسابي وتقليدي نتيجة التجربة والاختبار وانه خلاصة الفعل الماضي المعلوم وليس اصلاً او علة الفعل وبعبارة أُخرى انه نتيجة التجارب والاختبار وليس مصدر النتيجة · واقمت على قولي هذا ادلة هذه خلاصتها :

١ لما كانت الغرائز والسلائق في الانسان من اوليات طبعه وملازمة له بخلقه ومثله الحيوانات والحشرات التي تظهر بها نتيجة تلك الغرايز باشد مما يرى فيه كسليقة التمييز بين النافع والضار وغريزة المدافعة عن الذات ودوام كيانها كالانسان · وغريزة التمييز بين ما هو حسن وما هو قبيح في ما يقدم لها من الطعام وسليقة اختيار ما هو لازم لها وملائم لطبعها منذ خلقها · ينتج من ذلك ان تلك الحيوانات او الحشرات عالمة اكثر من الانسان لظهور تلك الغرايز والسلائق فيها باشد مما فيه

٢ ان نتائج الغرائز والسلائق في الانسان غير عامة ومشوشة بخلاف الحيوان فانها عامة فيه فلو اشعلت ناراً وادنيت منها طفلاً لا يبلغ من العمر الا اشهراً لما ادرك الخطر عليه بالسليقة وقد يرمي بنفسه بها ويهلك · ولو ادنيت منها بعض صغار الحيوان لادركت الخطر ورجعت عنها فالعلم في الانسان نتائج ليس من الغرائز بل من التجربة والاختبار والتقليد ودرس الحقائق اولاً والعلم ثانياً · والسليقة لو كانت مصدر العلم فيه لما كان يرمي بنفسه الى الخطر مختاراً بل كانت ظهرت فيه نتائجها كما ظهرت بالحيوان

٣ لو فرضنا ان الغرائز والسلائق في الانسان هي مصدر علمه كما يقولون وان لا نفس بدونها يحتم علينا الاقرار بان الحيوانات ذات نفس كالانسان واكثر علوماً منه لان نتائج الغرايز فيها ارقى منها فيه وذلك ينتقض الدين وقوله دعاته بترفع الانسان عن الحيوان وكلها تقول ان الحيوان لا نفس له ليعقل ويسقط عنه الثواب والعقاب وكل فضيلة دينية أو ادبية

٤ اجمع العلماء والحكماء ان الحيوان لا نفس له وان الغرائز ليست هي من العلم ولا مصدراً له لاشتراك الحيوانات بها كالانسان ولانها اقوى فيها مما فيه وإن من الجهل الفادح ان نقر بانحطاط الانسان عن الحيوان واذا سلمنا بان الغرائز والسلائق مصدر العلم فنضطر للقول بترفع الحيوان بعلومه على الانسان

٥ لما كانت النتايج الغريزية لا تظهر عمومية في الانسان كما كان ينبغي لو كانت مصدر علمه فيجب نبذ القول بان الغرائز والسلائق مصدر العلم به ولو صح ذلك لما كنا نرى

البون الكبير بين متمدني الناس وهمجيهم ولما استطعنا التميز بين العالم والامي

٦ لما كان الفرق بين الشعوب كبيراً حتى تضيع المشابهة تماماً كالفرق بين سكان اوربا وسكان افريقيا وتمدن الاولين وسمو مداركهم واتساع سلطتهم وسمو دستورهم وعدلهم بالرعايا والدفاع عنها وعكس ذلك في الآخرين فيتضح لنا ان العلم اكتسابي لان الاقدمين لم يتوصلوا الى حالتهم الحاضرة من العلم الا بعد توالي التجارب والاختبار وما يقال عن حالة الامم الحاضرة وتفاوت العلوم والمعارف بينها يقال في الامم الغابرة ايضاً

٧ قد علمتنا التواريخ ودرس حوادث الامم ان التمدن لفظ يعبر به عن نظام الدولة وشريعتها المدنية ورضاء الامة عنها والدفاع عنها وان تاريخ كل تمدن يبتدئ وينتهي عند قيام او بدء دولتها و ينتهي عند انقراضها . وفي تلك المدة او الحقبة التي توالت عليها بين القيام والانقراض تتعلم تلك الامة العلوم بالتقليد او بالتجربة والاختبار ومنها بالنقل عن غيرها من الامم المعاصرة والغابرة . وذلك عام بتاريخ الامم التي تمدنت قديماً وحديثاً ولا يستثنى منها امة

٨ لا نريد بالتمدن ما يظنه البعض من العادات المتبعة عند الامم المتمدنة وطرائق معيشتها والعادات الاجتماعية عندها بل نريد بالتمدن الجامعة او دستور الامة التي تسنه الدولة ورضاء الامة عن اعمال الدولة والدفاع عنها وما تهيئه للامة من اسباب الراحة والهناء كالعدل بهم والمساواة بينهم والدفاع عنهم واعطاء كل ذي حق حقه . فمن كان لهم تلك الجامعة او الدولة فهم متمدنون ويبتدئ تاريخ تمدنهم من بدء دولتهم . فيثرون وينبغ بينهم العظماء بكل فن وعلم ويبنون صروح العلم ومعاهد الادب ولا يكون ذلك قبل انشاء الدولة بل بعد وجودها

٩ فبناء على ما تقدم ترى ان المعاينة والاختبار والتواريخ والفلاسفة والعلماء والدين والابحاث العمرانية ودرس احوال الامم تؤيد قولنا ان التمدن اصل العلم وان العلم اكتسابي وليس مصدره الغرائز والسلائق . ولا نعرف امة تحسن العلم بدون دولة والذي يبعث على وجود الدولة ميل الانسان الفطري الى الاستقلال وحرية الاعمال والمدافعة عن الذات بما يستطاع

فما قولكم في ما تقدم وما هو رأيكم في هذه المسألة

الهلال لا ينجلي البحث في مسألة ما لم تعين حدودها ويحدد موضوعها والا ذهب الكلام فيها عبثاً وطال الجدال على غير جدوى . وقلما تخلو مسألة من وجهين احدهما

اقوى من الآخر . فاذا تحدد الموضوع كان كل من المناظرين على هدى في ايراد ادلته وتطبيق نتائجها على مقدماتها حتى يظهر الصواب . فكان ينبغي قبل الشروع في هذه المناظرة تعيين المراد بالتمدن او بالعلم فاذا اتفق المناظران على حدودهما عمدا الى ايراد البراهين والا ذهبت ادلتهما ضياعاً لانهما يتجادلان على تعيين تلك الحدود قبل الشروع في البحث . واذا نظرتم في مجمل ادلة صاحبكم وادلتكم رأيتم الاختلاف الاساسي انما هو في تحديد الموضوع . فذهب مناظركم الى التوسع في معنى العلم حتى اوصله الى البديهيات الفطرية والغرائز الطبيعية وذهب نحو ذلك في معنى التمدن وانه طبيعي في البشر مولود معهم . فاذا سلمنا باتفاقكما على هذه الحدود كانت المناظرة في الموضوع عقيمة لان التمدن والعلم بهذا المعنى متلازمان يستحيل الحكم القطعي في اسبقية احدهما كما يستحيل الحكم في هل مادة الكون وجدت اولاً او قوته او هل المكان اسبق للوجود او الزمان

على ان التوسع الى هذا الحد قد يلجأ اليه المناظر اذا احسّ بضعف الوجه الذي يدافع عنه ضمن حدود معينة فيخرج بذلك من المعقول او المحسوس الى الخيال او الوهم على نحو ما كان القدماء يتوخونه في الابحاث اللاهوتية او الفلسفية التي كان مدارها غالباً على الالفاظ وقلما يدركون لها حداً وانما كان همهم اقناع الخصم في قضية ذهنية لا صورة لها في ذهن احدهما غير الالفاظ . واما المناظرة في هذا العصر فيراد بها الوصول الى نتيجة فعلية يمكن الانتفاع بها والسير على مقتضاها رغبة في الاصلاح الادبي او الاجتماعي او المادي

فالاولى ان تكون حدود هذه المسألة اقرب الى المفهوم عادة من هذين اللفظين فالتمدن سكنى المدن و يشمل المدنية والحضارة ونظامات الدولة وهو طارئ على الانسان لان فطرته اقرب الى البداوة فهو غير طبيعي فيه . و يريدون بالعلم عادة اتساع المعرفة بالبحث والتجربة والتاليف والاكتشاف والاختراع ولكل تمدن نهضة علمية من هذا القبيل فالتمدن الفارسي حصلت نهضته في ايام كسرى انوشروان والتمدن الاسلامي بدأت نهضته في اوائل الدولة العباسية والتمدن الحديث بدأت نهضة العلم فيه من القرن السادس عشر ولا تزال . واذا تأملت في نسبة كل تمدن الى نهضته العلمية شق عليك معرفة السابق منهما لانهما متلازمان متكافآن واذا لم يكن بدٌّ من تعيين السبق لاحدهما فالتمدن اولى بذلك لانه اصلٌ والعلم فرع منه او كلٌّ والعلم جزء منه . فتمدن الامة يشمل علومها وسياستها وعمرانها وثروتها وادابها الاجتماعية . وقد تتحضر الامة وتتمدن والعلم قليل فيها اما العلم فلا ينمو في امة الا بعد ان تتمدن ويستبحر عمرانها ويؤيد ذلك ان الامة المتمدنة اذا طال عهدها وشاخت قد

يذهب العلم منها وتبقى مدنيتها اعتبر ذلك في دول القرون الوسطى فقد انحلت المملكة الرومانية في الاجيال المظلمة وظلت امم اوربا تقيم في المدن وفيها كثير من ظواهر الحضارة والتمدن الاّ العلم ، وكذلك القرون الوسطى الاسلامية فقد قامت فيها دول كثيرة انشأت المدن وجمعت الاموال وحشدت الجنود والعلم فيها قليل ضعيف وبعضها كانت تحارب العلم وتقاومه وهي مع ذلك متمدنة . ولا نعرف امة انتشر العلم في ربوعها الا وهي متمدنة فسبق التمدن للعلم اقرب للصواب لان التمدن بدون علم او بعلم قليل يمكن تصوره ولكننا لا نتصور علماً بدون تمدن

المعادن في السودان

《 سيتل وشنطون باميركا 》 سليم افندي شقير

هل في السودان معادن وأين توجد وما هو النظام المتبع بشأن استخراجها أي اذا اكتشف انسان معدناً في ارض غير مأهولة أو كانت ملك الحكومة هل يحق المكتشف استخراج المعدن ام لا بد له من استئذان الحكومة وما هي شروطها

《 الهلال 》 المعادن كثيرة في السودان ونعني السودان المصري الداخل في حوزة الحكومة المصرية اليوم وهاك خلاصة ذلك نقلاً عن تاريخ السودان لنعوم بك شقير قال :

واشهر معادن السودان : « الذهب » وهو يوجد تبراً في جبال بني شنقول الى جنوبي سنار و يعرف بالذهب السناري . ويوجد على قلة في بعض جبال النوبة كجبل تيرا وجبل شيبون في غرب جبل قدير و يقال أن الذهب الشيبوني أفخر الذهب . وذكر المؤرخون القدماء وجود الذهب في وادي العلاقي بين كورسكو والبحر الاحمر ولكن انقطع وروده من هذه الجهة منذ زمان طويل

« والزمرد » وقد ذكر المقريزي وجوده في الصحراء الشرقية « في مكان يعرف بالخربة على سبعة أيام من قفط وقوص وغيرهما من صعيد مصر

« والنحاس » ومعدنه في حفرة النحاس الشهيرة في الشمال الغربي من بحر

الغزال . ويظن وجوده أيضاً في جبال سواكن على طريق بربر

« والحديد » وهو كثير في كردوفان ودارفور وبحر الغزال ويوجد قطعاً في الرمال وهم يستخرجونه بجمع الرمال التي تشتمل عليه ووضعها في سوبيات من طين يوقدون تحتها النار حتى يظهر الحديد فيصفونه

« والرصاص » ويوجد في جبل الكاتم على مسيرة يوم الى الشمال من كوبي بدارفور ولكن يقال ان الحصول عليه صعب

« والنطرون » وهو يستخرج من بئر النطرون على طريق الاربعين

« والملح » ويوجد ممزوجاً بالتراب السبخ في جميع الجهات واكثره في جهات الاتربة والدامر والبويضة وفي مكان يعرف باسم شرشار شمالي باره ويوجد قطعاً تحت الرمال في واحة سليمة وفي وادي الكعب غربي دنقله

« وملح البارود » ويستخرج اكثره في جهات الخرطوم والفاشر وضواحيها

« والشبّ » ويستخرج من واحة الشب في غرب حلفا على ثلاثة أيام منها

« والتربية » وهي نوع من التراب يحتوي على كثير من المواد الملحية توجد في محلات معلومة في السودان واكثرها في جهات بربر ويستعملونها دواء للزهري والحمى

« والانتيمون » أو الكحل ويوجد كثيراً في جبل مُرّة (انتهى)

واما استخراج هذه المعادن فقد اصدرت حكومة السودان سنة ١٨٩٩ قانوناً خاصاً به سمته قانون البحث في المعادن هذا نصه بعد التعريف :—

٣ — رخص البحث تعطى احكام هذا القانون للاشخاص الذين يطلبونها بعد أن يدفعوا مقدماً الرسوم المعينة لها وعند ما لا يمكن تطبيق الرسوم المعينة على الرخص المطلوبة يتفق مع الحاكم العام على رسوم خصوصية . وهذه الرخص نوعان رخص عمومية ورخص خصوصية وكل منها لها نصوص معينة غير انه قد يحصل في نصوصها حذف وابدال واضافة في حالات خصوصية حسب استصواب الحاكم العام

٤ — الطلب الذي يقدم لاجل أخذ رخصة بحث عمومية يقدم كتابة ويشتمل التفصيلات الآتية :

(١) اسم الطالب وعنوانه وجنسيته

(٢) القسم الذي يرغب الطالب اجراء البحث ضمن دائرته

٥ – الطلب الذي يقدم لاجل أخذ رخصة بحث خصوصية يقدم كتابةً ويشتمل على التفصيلات الآتية :

(١) اسم الطالب وعنوانه وجنسيته

(٢) موقع وحدود الارض المقدم بشأنها الطلب مع بيان مساحتها بوجه التقريب

(٣) عما اذا كانت الارض المقدم بشأنها الطلب في حيازة خصوصية أو منتفع بها أو مستعملة باي طريقة كانت كلها أو بعضها مع بيان مقدار ذلك البعض

(٤) المعادن الخالصة والمشوبة والمواد المعدنية والحجارة الكريمة التي يراد البحث عنها

٦ – كل رخصة بحث تخول الحقوق والامتيازات وتفرض الشروط والنصوص التي يستصوب منحها وفرضها الحاكم العام في كل حالة على حدتها ورخصة البحث تخول لصاحبها ما يأتي من الحقوق والامتيازات وتفرض عليه ما يأتي من الشروط والعقوبات ما لم يتفق بنص صريح على ما يخالف ذلك

٧ – رخصة البحث العمومية تخول لصاحبها ما يأتي من الحقوق وتقيده بما يأتي من الشروط مالم يتفق بنص صريح على ما يخالف ذلك

(١) تخول لصاحبها حق البحث شخصيا مع عماله وفعلته عن جميع المعادن الخالصة والمشوبة والمواد المعدنية والحجارة الكريمة في كل الارض المتروكة الكائنة في القسم أو الاقسام المبينة في الرخصة ويخرج منها الاراضي التي تكون وقتئذٍ داخلة في رخصة بحث خصوصية . وتخوله أيضاً حق البحث في الاراضي التي في الحيازة الخصوصية الكائنة في القسم أو الاقسام نفسها ويكون ملاكها والمنتفعون بها قد وضعوها تحت تصرفه لهذا الغرض

(٢) مدّة رخصة البحث العمومية سنة واحدة

(٣) رخصة البحث العمومية لا تنتقل الى الغير

(٤) لا يترتب على رخصة البحث العمومية حقوق أو امتيازات خصوصية أو ممتـازة

٨ – رخصة البحث الخصوصية تخول لصاحبها ما يأتي من الحقوق وتقيده بما يأتي من الشروط ما لم يتفق بنص صريح على ما يخالف ذلك

(١) رخصة البحث الخصوصية تخول لصاحبها دون غيره حق البحث بشخصه (أو بواسطة وكيله المسمى) مع عماله وفعلته عن جميع المعادن الخالصة والمشوبة والمواد المعدنية والحجارة الكريمة التي تكون معينة في الرخصة وضمن دائرة الارض المحدودة فيها . واتساع هذه الارض يحدد تحديداً واضحاً في الرخصة اما بواسطة نصف قطر مأخوذ من نقطة ثابتة ويكون مقدار طول نصف القطر وموقع النقطة الثابتة مبينين في الرخصة واما بواسطة تحديده بحدود واضحة في الرخصة أيضاً وهذه الرخصة لا تخول لصاحبها حق البحث في الاراضي التي في الحيازة الخصوصية الا برضا ملاكها والذين ينتفعون بها

(٢) مدة رخصة البحث الخصوصية سنة واحدة وفي نهاية السنة الاولى اذا تبين للحاكم العام أن صاحب الرخصة قد اجرى البحث المقبول وانه اتبع من كل الوجوه احكام هذا القانون ونصوص رخصته يكون له الحق بعد دفع الرسوم المعينة باخذ رخصة جديدة عن الجزء الذي يختاره من الارض التي كانت داخلة في رخصته السابقة بشرط ان الارض التي يختارها لاتتجاوز نصف الارض التي كانت داخلة في رخصته السابقة وان تكون قطعة واحدة

(٣) رخصة البحث الخصوصية لا تنقل الى الغير ولا يجوز تحويل حقوقها أو منافعها أو ترتيب اي حق كان عليها الا برضا الحاكم العام

(٤) رخصة البحث الخصوصية لا تخول حقاً ممتازاً عن الحقوق الممنوحة لاستخراج المعادن غيرانه يجوز منح حقوق ممتازة بنص صريح في رخصة البحث الخصوصية وذلك بحسب استصواب الحاكم العام

٩ – كل رخصة بحث تخول لصاحبها وتفرض عليه علاوة على ما ذكر الحقوق

والامتيازات والشروط والعقوبات الاضافية الآتي بيانها ما لم يتفق بنص صريح على ما يخالف ذلك وهي .

(١) لصاحب الرخصة أن ينقل ويتصرف بجميع المعادن الخالصة والمشوبة والمواد المعدنية والحجارة الكريمة التي تستخرج أو تستكشف اثناء عمليات البحث وذلك بعد دفع الرسوم المعينة

(٢) يجب عليه أن يقدم بلاغاً الى الحاكم العام عما يكتشفه من الذهب أو الفضة أو الحجارة الكريمة قبل ان ينقله للغير أو يرسله الى الخارج

(٣) له الحق أن يباشر ما يلزم فقط من العمل لاختبار حالة الارض المعدنية حق الخبرة ويداوم عليه الى أن تتم اختباره

(٤) يجب عليه أن يسمح للحاكم العام أو لاي مندوب من رجال الحكومة ينتدبه الحاكم العام بالتفتيش في جميع الاوقات المناسبة على أي عمل تم بموجب الرخصة أو لا يزال تحت العمل

(٥) عليه أن يبرز رخصته عند ما يطلبها منه أي كان من رجال الحكومة أو أي شخص آخر بيده رخصة بحث بشرط أن يبرز له رخصته أيضاً

(٦) تلغى رخصة البحث ايجازياً بدون محاكمة لو خالف صاحبها أو وكلاؤه أو خدمه أو عماله أو فعلته شرطاً من شروطها أو نصاً من نصوص هذا القانون

(٧) المحاكم القضائية المؤسسة في السودان هي المحاكم التي لها وحدها الاختصاص بفصل المسائل والمنازعات التي تحصل بين الحكومة و بين صاحب الرخصة فيما يختص برخص البحث

١٠ — كل شخص سواء كان بيده رخصة أو لا اذا ارسل الى الخارج أو نقل الى الغير أو حاول ان يرسل الى الخارج أو ينقل الى الغير ما يكتشفه من الذهب أو الفضة أو الحجارة الكريمة بدون أن يكون قد سبق فقدم بلاغاً عما اكتشفه الى الحاكم العام يضاف ما اكتشفه مع النقود أو المنفعة التي تحصل عليها من ذلك الى جانب الحكومة وعلاوة على ذلك يعاقب بغرامة غايتها ماية جنيه مصري وان تأخر

عن دفع الغرامة يعاقب بالحبس لمدة غايتها ثلاثة اشهر

(١) كل شخص يجري البحث عن المعادن الخالصة والمشوبة والمواد المعدنية أو الحجارة الكريمة في ارض تكون في حيازة خصوصية أو في ارض متروكة بدون أن يكون بيده رخصة بحث وكل شخص يباشر أو يشتغل في حفر المناجم بدون رخصة لحفر المناجم أو تصريح كافٍ من الحاكم العام يعاقب بغرامة غايتها ماية جنيه مصري وأن تأخر عن دفع الغرامة يعاقب بالحبس لمدة غايتها ثلاثة اشهر

(٢) غير أنه يجوز لصاحب ارض ان يجري البحث في الارض التي تحت حيازته بدون رخصة بحث بشرط أن يقدم اولاً بلاغاً عن ذلك الى الحاكم العام (ام)

البول السكري

﴿ طنطا ﴾ باقي افندي اسكندر في هندسة البابورات

ما هو مرض البول السكري وما هي اسبابه واعراضه وعلاجه

﴿ الهلال ﴾ البول السكري ويقال له «ديابيطس» سمي بذلك لكثرة السكر الموجود في بول المصابين به واهم اعراضه كثرة البول وشدة الميل الى التبويل وللبول رائحة تشبه رائحة التفاح. ووجود السكر في البول لا يبقي شكاً في التشخيص ومن اعراض هذا الداء العطش والجوع فان صاحبه يكاد لا يشبع من الاكل ولا يرتوي من الشرب ويخالط ذلك اعراض تراجع في كتب الطب . واهم اسبابه الاكثار من الاطعمة والاشربة والانهماك في سائر الملذات . واما علاجه فيرجع الى الحمية الصارمة بالانقطاع على المأكولات النشوية والسكر وعن المشروبات الروحية وقد يستعان ببعض العقاقير الدوائية على ما يراه الطبيب من احوال مريضه

النوام

او مرض النوم

للاميرالاى الدكتور موصلي بك

لا اريد البحث في ماهية هذا الداء الذي يفتك الآن فتكاً ذريعاً في السود فقد افاضت المجلات في وصفه على وجه الاجمال وانما أريد ان اتحف القراء بالتفاصيل المستجدة فيه نقلاً عن تقرير للاستاذ روبرت كوخ كتبه بعد ان قضى نيفاً وستة اشهر في المستعمرة الالمانية بشرقي افريقية وهو يبحث في هذا الداء وقد شاهد نحو الف مريض ودرس مرض كل منهم درساً وافياً . قسم الاستاذ كوخ النوام الى نوعين خفيف وثقيل . فأعراض النوع الخفيف الضعف العضلي ولا سيما في الاطراف وآلام في الرأس والصدر والمفاصل ثم تتضخم الغدد الليمفاوية العنقية وتضخمها من اهم اعراض هذا المرض أو هو أهمها وقد يقال انه المرض الحسي الوحيد وسنعود الى ذكره ثانية . تبقى هذه الاعراض اشهراً أو سنوات لا تتغير تغيراً يذكر ولذلك فلا يصح أن نعدها بداية النوع الثقيل لان اعراض هذا النوع تختلف عن اعراض ذاك اختلافاً بيناً فالضعف العضلي يبتدي فيه من أول الاصابة بارتعاش شديد ولا سيما في الاطراف فيترنح المريض في مشيه كالسكران . ويشتد الضعف رويداً رويداً حتى يعجز صاحبه عن الوقوف أو الجلوس فيبقى مستلقياً ويرافق هذا النوع اعراض عقلية تظهر أحياناً بشكل اضطراب قد يشتد في البالغين حتى يصير هذياناً تهيجياً أو يتخذ شكل الخوريا في الصغار ولكن الغالب فيه النعاس وضعف الانتباه. أما القلب فيبقى سليماً والحرارة طبيعية . وتتضخم الغدد العنقية في النوام الثقيل كما تتضخم في الخفيف حتى عدّ الاطباء الانكليز هذا التضخم عرضاً مميزاً لهذا المرض وقد اصابوا لان أهميته في التشخيص عظيمة وذلك ان الليمفا في هذه الغدد تحتوي على التريبنزوم (Trypanosome) سواء كان ذلك في النوع الخفيف أو الثقيل فيكون المعوّل في تشخيص هذا المرض على السائل الذي يستخرجونه من هذه الغدد بالبذل

البسيط وفحصه فحصاً مكرسكوبياً وقد فعل ذلك الاستاذ كوخ في ٣٥٦ حادثة فوجد التريبنزوم في ٣٤٧ منها

وتكلم الاستاذ كوخ عن اصل هذا المرض وأهمية التريبنزوم فيه فقال انه فحص القناة الهضمية في ١٤٩٧ ذبابة من الذباب المعروف باسم كلسينا بالپالس (Glossina Palpalis) احد انواع الذباب الذي يطلق عليه اسم تسي تسي وهو علة هذا المرض فوجد في ١٧٧ منها دماً جديداً واستدل من فحص كريات الدم الحمراء في قناة ٦٦ ذبابة أنه من دم ذوات الثدي والغالب أنه دم انسان . ولكنه وجد الكريات المذكورة في ١١ ذبابة منها تحتوي على نواة وتحقق بالفحص الدقيق انها ليست من دم الطير بل هي دم تمساح فارتأى أن هذا الذباب يغتذي بالاكثر من دم هذا الحيوان فوجه اهتمامه الى التماسيح ففحص دم ١١ تمساحاً صيدوا لهذه الغاية فوجد في دم اثنين منها فلاريا (Filaria) وفي اربعة تريبنزوم شبيه بالتريبنزوم الدوّار على أنه وجد فيها كلها نوعاً من الهمكريكرين (Hemogregarine) ثم استنبت دم ذينك التمساحين فظهرت التريبنزوم في المستنبت لكنه لم يتحقق حتى الآن اذا كانت هذه التريبنزوم تولدت من الهمكريكرين أو من التريبنزوم التي وجدها في دم هذين التمساحين . وهو الآن يدرس هذه المسألة مستعيناً بفحص دم صغار التماسيح ولا يبعد ان يتوفق الى غرضه . وقد فحص أيضاً ٩٦ ذبابة كلسينا فوجد القناة الهضمية تحتوي على التريبنزوم غير أنها في ٧٦ ذبابة تشابه التريبنزوم التي في دم التمساح . وعليه فلا علاقة لها بمرض النوم . ولم يجد التريبنزوم التي تشابه التريبنزوم الغمبية (نسبة الى بلاد غمبيا) وهي التي تحدث هذا المرض الا في ذبابة واحدة

أما ما ذكره الاستاذ كوخ عن علاج هذا الداء فيختلف عما ذكرته الجرائد من عهد قريب — أي أنه توفق الى علاج يقطع دابر هذا المرض قطعاً باتاً . على أنه لا ينكر نجاحه في علاج النوّام بحقن الاتكسيل (أحد المستحضرات الزرنيخية) حتى تبين له أن تأثير هذا العلاج في التريبنزوم مثل تأثير الكينا في جبيبات الحمى الملارية .

وكان يحقن الاتكسيل (Atoxyl) في الظهر بمقدار نصف غرام ثم يفحص ليمفا الغدد العنقية المتضخمة بعد الحقن بست ساعات فيجد عدد التريبنزوم قليلا و بعد ثماني ساعات لا يبقى لها اثر على الاطلاق . ثم حقن الاتكسيل في جلد البطن وجلد الفخذ فكانت النتيجة واحدة . فثبت من ذلك أن الاتكسيل يقتل التريبنزوم في الغدد الليمفاوية ولو دخل الجسم من أي جهة كانت . وهو يخفف جميع اعراض النوام الخفيف فيزول وتبطل آلام الرأس ويعود المصاب الى اعماله . وكذلك في النوع الثقيل حتى في الحوادث التي تنذر بالموت فان الحقن بالاتكسيل عدة مرار يقلل النعاس بالتدريج ويتنبه المريض شيئاً فشيئاً ويزول سلس البول ثم يتحسن الضعف العضلي شيئاً فشيئاً حتى يستطيع المصاب النهوض والمشي . نعم أن ذلك لا يكون في جميع الحوادث لان الذين يطول مرضهم قبل معالجتهم بالاتكسيل قلما يفيدهم العلاج نظراً لما ينجم عن هذا الداء من الاضرار التي لا تقبل الشفاء . اما نتيجة المعالجة بالاتكسيل فلا يمكن الوصول الى معرفتها الا بحث ليمفا الغدد المتضخمة بالبذل وفحص السائل المستخرج فحصاً مكرسكوبياً وقد تعود التريبنزوم بعد الحقن بالاتكسيل بنحو ١٥ يوماً أو ٤٠ يوماً فيعاد الحقن به

بقي أن نسأل هل يمكن شفاء النوام شفاء تاماً بالاتكسيل والجواب صعب في الوقت الحاضر فاذا عولنا على ما يعتقده الاستاذ كوخ ربما توصلنا الى ذلك بعد اتقان استخدام الاتكسيل والا كان هذا الداء وباء يخشى ان يبيد معظم سكان القارة السوداء

ادارة الهلال يلزمها الاعداد الآتية من سني الهلال

من السنة العاشرة ١ و٢ و٦ و٧ و٨ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ . ومن السنة الحادية عشرة ١ و٦ و٩ و١١ و١٢ و١٤ و١٦ . ومن السنة الثانية عشرة ١ و٥ و٨ و١١ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦ . ومن السنة الثالثة عشرة ٢ و٣ و٤ و٥ و٩ . ومن السنة الرابعة عشرة ١ و٣

حالة مصر الاقتصادية

هل يخشى على هذه النهضة من كثرة الديون

كتبنا في العام الماضي مقالة ضافية في النهضة المالية المصرية بينا فيها الثروة المصرية وان تلك الثروة حقيقية لاخوف عليها لان سببها زيادة النقود على العموم وزيادة محصول القطن بمصر مقداراً وثمناً فارتفعت اسعار الاطيان وتوسع النـاس بالاموال في مرافق الحياة فانتشرت الثروة وغلت الاسعار وفي جملتها أجور المساكن فارتفعت اثمان ارض البناء ولا تزال ترتفع • فسر الناس لهذه النتيجة لانها مبنية على الاحصاءات الرسمية والابحاث الاجتماعية المعقولة

ثم ما لبث الشك ان اخذ يتسرب الى اذهانهم لتباطؤ تلك الحركة وتوقف الناس عن ابتياع العقارات والارضين للزراعة او للبناء ورأوا قلة الاموال في ايدي الناس فذهبوا في تفسير ذلك الى ان تلك النهضة انما كانت من قبيـل المضاربة ولم تكن تلك الاسعار حقيقية فلا تلبث ان تهبط لان اكثر المضاربين بها مديونون بقسم كبير من اثمانها فاستحقت الاقساط وليس في وسعهم وفاؤها فاضطروا الى البيع وليس من يشتري فحدثت الازمة المالية

والجواب على ذلك ان وقوف حركة الاطيان ناتج عن قلة الاموال في ايدي الناس وسبب قلة المال البورصة ومضارباتها وما اصابها من الهبوط العظيم لكثرة الشركات المساهمة وتورط الناس بابتياع اسهمها لمجرد الانتفاع من صعود اسعارها الوقتي على غير المراد عادة من استثمار الاموال في مثل هذه الحال • فاكتتبوا بالاسهم على نية عرضها للبيع حالما يرتفع السعر • فكثرت المعروضات وهبطت الاسعار فتوقف الناس عن البيع وهم في حاجة الى المـال لوفاء ما بقي عليهم من اثمانها او لاسباب أخرى • فقلت النقود في ايدي الناس فضلاً عن قلتها في اوربا فتوقفت حركة العمل فلحق الاطيان حظ من ذلك الوقوف وهو وقوف موقت لا خطر منه على اصحاب الارضين وانمـا الخطر على المضاربين • اما الارض سواء كانت زراعية او للبناء فلا تزال اسعارها رخيصة بالقياس على ريعها كما فصلناه في المقالة التي اشرنا اليها (راجع الهلال ٨ و٩ من السنة الرابعة عشرة)

اما الديون التي على الارضين فلا خطر منها وقد درس هذا الموضوع صديقنا الدكتور عيد مدير صندوق الرهنيات العقاربة المصرية ووضع فيه تقريراً مطولاً رفعه الى نظارة خارجية بلجيكا عن سنة ١٩٠٦ بحث فيه عن ديون الاهالي المعقودة على رهن وعن العلاقة بين زيادتها وتقدم البلاد وعن تأثيرها في حياة مصر الاقتصادية . فبحث اولاً في تقدير الديون المعقودة على رهن والمطلوبة على اراضٍ مبيعة باقساط وهي ديون على المالكين اما لبنوك الرهنيات او لغيرها كشركات السوكرتاه او الافراد . فبلغت الديون التي لبنوك الرهنيات ٢٠,٦٠٠,٠٠٠ جنيه وكانت سنة ١٩٠١ نحو ربع هذا القدر . والديون التي لغير تلك البنوك بلغت ٧,٦٤٥,٠٠٠ جنيه وجملة ذلك ٢٨,٢٤٥,٠٠٠ جنيه

اما الاراضي المبيعة باقساط فيدخل فيها اراضي الدومين والدائرة السنية واراضي الشركات العقارية التي تبيع بالتقسيط للزراعة او البناء . وقد وجد الدكتور عيد ان الاقساط المستحقة يزيد مجموع قيمتها على عشرة ملايين جنيه على هذه الصورة :

جنيه مصري	
٣٤١,٤٩٥	الاقساط المستحقة لمصلحة الدومين
٨,٣٨٠,٤٠٨	« « للدائرة السنية
١,٧٣١,٨١٧	« « للشركات العقارية القديمة
٣٠٠,٠٠٠	« « لشركات اخرى جديدة
١٠,٧٥٢,٧٢٠	الجملة

فتكون الديون المصرية المعقودة على رهن مقسومة كما يأتي :

جنيه مصري	
٢٠,٦٠٠,٠٠٠	ديون البنوك
٧,٦٤٥,٠٠٠	« الشركات والافراد
١٠,٧٥٢,٧٢٠	« المبيعات باقساط
٣٨,٩٩٧,٧٢٠	الجملة

فمجموع هذه الديون نحو ٣٩ مليون جنيه وكانت نحو ربع هذا المبلغ سنة ١٨٩٥ فيظهر لأول وهلة ان اهل القطر ذاهبون الى الافلاس لتضاعف ديونهم . على اننا اذا تذكرنا ان عددهم زاد الآن نحو خمسين في المئة عما كان سنة ١٨٩٥ لانهم كانوا ثمانية

ملايين فاصبحوا نحو ١٢ مليوناً · وان الاطيان الزراعية كانت ٤,٧٢١,٣٠٠ فدان فصارت ٥,٦٠٠,٠٠٠ فدان وزادت اثمانها من ١٢٠ مليون جنيه الى ٣٥٠ مليوناً — اذا تذكر ذلك سهل عليه امر زيادة الديون ولم ير فيها ضيقاً ولا خطراً · واذا قابلنا بين الديون المصرية وديون الامم الأُخرى زدنا ثقة بحالتنا الحاضرة

فقد رأيت ان مجموع الدين على الاهالي نحو ٣٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه يخرج منها مقدار السلف المعقودة على املاك اي نحو ٧,٦٠٠,٠٠٠ جنيه فيبقى ٣١,٤٠٠,٠٠٠ جنيه وباستخراج النسبة بينها وبين قيمة الاطيان الزراعية اي ٣٥٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه (وقد اثبت الدكتور عيد صحة هذا التقدير في مقالة سابقة) كان الخارج نحو ٩ في المئة · وهاك ما يقابل ذلك في الدول الأُخرى باعتبار نسبة الدين المعقود على رهن الى الثروة العقارية وهي :



	النسبة في المئة
فرنسا	٠,١٠
النمسا	٠,٣٧
المانيا	٠,٣٠
روسيا	٠,٤٠
انكلترا	٠,٥٠
نروج	٠,٣٧
دنمارك	٠,٥٠
الولايات المتحدة	٠,١٧
مصر	٠,٠٩

فيكون دين مصر اقل من ديون سائر الممالك المتمدنة ولاخطر منه على الثروة · ثم بحث الدكتور عيد في ما نجم عن زيادة هذه الديون من الاثر الحسن في تقدم البلاد فذكر من ذلك زيادة قيمة الاراضي المزروعة بعد ان دخلت في ملك الاهالي واعتنوا باصلاحها وان البيع بالاقساط لم يثقل كاهل الاهالي بالديون لان فائدته خفيفة · ومن الجهة الأُخرى انتفع المشترون بزيادة قيمة الارض فضلاً عما احدثه هذا البيع من التأثير الحسن في الحياة العمومية المصرية

ثم ذكر تاريخ ملكية هذه الاطيان من عهد ولاية محمد علي حتى بلغت في عهد

اسماعيل حالة اوجبت قلق الدول فجعلت بعض املاك الخديوي المذكور ضمانة لبعض الديون التي كان يعقدها وباعت هذه الاطيان للأهالي . ناهيك باملاك الميري الحرة التي لم تكن الحكومة تنتفع بها فاخذتها الشركات العقارية الكبرى واصلحتها و باعتها لصغار المالكين واواسطهم بالتقسيط . والبيع بالتقسيط على هذه الصورة غيَّر نظام الملكية بالقطر المصري فاستطاع صغار المالكين ان يتقدموا تقدماً محسوساً

الى ان قال « واذا اعتبرنا اطيان مصلحتي الدائرة السنية والدومين فقط وجدنا ان ٥٧١,٠٨٦ فداناً (اي أكثر من عشر الاطيان المزروعة في القطر المصري) انتقلت الى الافراد وحلَّ هؤلاء الافراد محل الحكومة فيما يختص بالمطلوب منها للخارج اذ لولا بيع أطيان الدائرة السنية لما أمكن هذه المصلحة استهلاك ٩,٥١٢,٠٠٠ جنيه ولم تكن الدومين لتستهلك ٦,٩٦٥,٣٦٠ جنيهاً انكليزياً من سنداتها . نعم انه لا يزال عليها ٨ ملايين من الجنيهات ولكن هذا المبلغ سيدفعه ألوف المشترين الذين اقتسموا الاطيان »

وذكر في جملة الادلة على قلة الخطر من كثرة ديون القطر ان الاموال التي استلفها المديونون لم تنفق في وجوه لا فائدة منها فقال « واول هذه الادلة انه لا يوجد في مصر احراج ولا اراضٍ مخصصة للصيد . والبساتين الكبيرة قليلة فيها مما يدلُّ على ان الاراضي غير المثمرة والتي تستلزم نفقات باهظة قليلة جدًّا . ثم ان المباني في الارياف لم تستنفد مبالغ عظيمة فالى الآن يعيش الفلاح في عشه وهو قنوع اما صاحب الاطيان فانه يسكن منزلاً بسيطاً ولو كان ميسوراً . وفي نظير هذه البراهين النافية لصرف الديون في اوجه لا فائدة منها لدينا براهين أخرى تثبت ان جميع السلف تقريبا صرفت على الاطيان فالمزارعون فضلاً عن مشترى الاطيان باقساط قد اشتروا نقداً بواسطة السلف التي أخذوها من البنك العقاري او الزراعي مما ساعد كثيراً على نقل الملكية كما بيناه . ولكنهم لم يقتصروا على ذلك بل انفقوا مبالغ عظيمة في تحسين اطيانهم . ولاثبات هذا القول يكفي مراجعة احصاآت الجمارك لمعرفة ما ورد الى القطر من الادوات والآلات المختصة بالزراعة فضلاً عن حفر الترع وتقصيب الارض وغير ذلك . ومن قبيل العلم بالشيء ندرج هنا جدولاً يبين أهم الواردات من الاصناف التي من شأنها زيادة قيمة الارض و نقابل بين ما كان يرد منها قبل هذه النهضة وبعدها ليظهر الفرق جليا

الاصناف الوارده	١٨٨٦—١٨٩٠	١٩٠١—١٩٠٥
	جنيه مصري	جنيه مصري
فحم الحطب	٤٢٩,١٥٣	٩١٢,٢٥٧
خشب ومواد للبناء	٣٧٧,٧١٥	١,١٩٦,٧٧٨
آلات وطلمبات وابورات	١٨٤,٧٦١	٥٥٦,١١٤
حيوانات	١١,٩٨٥	٢٢٧,٩٧٦
سماد كيماوي	—	٣٨,٠٠٠
الجملة	١,٠٠٤,٦١٤	٢,٩٨١,١٢٥

واليك جدول آخر يبين زيادة الصادر من المحصولات الزراعية بوجه عام

الاصناف الصادرة	١٨٨٦—١٨٩٠	١٩٠١—١٩٠٥
	جنيه مصري	
قطن	٧,٦٦١,٣٤٦	١٤,٧٨١,١٣٥
حبوب وخضر جافة	٢,١١٥,٤٣٤	٢,١٢٠,٦٧٩
محصولات ثانوية	١٤٠,٣٢٣	٤٨٢,٩٢٧
سكر	٤٦٤,٠١٩	٣٧٥,٩٥٢
زيت وكحول وعسل	٤٣,٦٣٨	٦٥,٨٨٦
الجملة	١٠,٤٩٤,٧٤٠	١٧,٨٢٦,٥٧٩

ثم قابل بين ما يدفعهُ القطر المصري لرهنياته الآن وما كان يدفعهُ منذ عشر سنوات فبين ان معدل الفائدة كان سنة ١٨٩٥ نحو ٨ في المئة وكان الدين نحو ١١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وان معدل الفائدة الآن ٦٫٢ في المئة فكان القطر يدفع سنة ١٨٩٥ مبلغ ٨٨٠,٠٠٠ جنيه في السنة فاصبح اليوم ودينهُ ٣٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه يدفع عليها ٢,٤٣٩,٠٠٠ جنيه فقط وزد على ذلك ان متوسط الصادر من المحصولات كان في المدة الاولى ١١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فاصبح الآن نحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ اي انهُ زاد نحو ٧٠ في المئة

وقال في الختام « فورود الاموال الاجنبية قد افاد القطر فائدة عظيمة واذا اريد

استمرار هذه الفائدة وجب استمرار وروده الى القطر . هذا هو رأينا الصريح ولكننا مع ذلك نحتاط له ببعض الملاحظات وهو ان نمو البلاد يشبه نمو كل جسم حي بمعنى ان هذا النمو يتم باطوار يتخللها سكون وراحة حتى يمكن تمثيل النتائج التي صار الحصول عليها وتوزيعها توزيعاً مناسباً . فالقطر المصري الآن دخل في طور الاستثمار اي انه رتب نظامه الاقتصادي وابتدأ ينتفع من هذا الترتيب وما هذا الا نتيجة الاعمال التي ابتدأت منذ قرن واستمرت في طريق التقدم مع ما كان يتخللها من الاضطرابات السياسية الى ان جاء النظام الحالي فتوسع في الاصلاح وظهرت النتيجة ظهوراً سريعاً »

وخلاصة ما تقدم ان النهضة العقارية المصرية صحيحة ولا تزال تقبل التقدم وان ما نراه من الوقوف انما هو ناجم عن تورط بعض اصحاب الاموال في المضاربة بالاسهم على غير هدى ولا خوف على مصر مما على اطيانها من الديون . ولكن الخوف كل الخوف من مضاربات البورصة على الشكل الذي نراه شائعاً في اسهم الشركات مع ان الاصل في انشائها الاشتراك بالتجارة او الصناعة فحولتها البورصة الى المضاربة واصبح الخطر من الاشتغال بها يقرب من خطر المضاربة بالقطن ونحوه

احصاء النفوس في لبنان

نقلاً عن مجلة المشرق

النصارى		باقي السكان	
الموارنة	٢٣٠,٠٠٠	المسلمون	٣٠,٠٠٠
الروم الارثذكس	٥٤,٠٠٠	الدروز	٥٠,٠٠٠
الروم الكاثوليك	٣٤,٠٠٠	اهل الور والبدوان	٥٠٠
البروتستان	١,٥٠٠	الاجانب	٣٠٠
الارمن والسريان والكلدان	١,٠٠٠	اليهود	٢٠٠
اللاتين	٥٠٠		٨١,٠٠٠
	٣٢١,٠٠٠		٣٢١,٠٠٠
		المجموع	٤٠٢,٠٠٠

ملايين جنيه في السنة وكانت منذ عشرين سنة ١٩٩,٠٠٠ كيلو متر ونفقاتها اقل من اربعة ملايين جنيه

﴿ التليمتر او قياس الابعاد ﴾ هي نظارة جديدة تقاس بها الابعاد اخترعها الجنرال جيراو الفرنساوي وهو اختراع كبير الاهمية ولا سيما في الجندية لحاجة القواد الى تقدير الابعاد بينهم وبين اعدائهم ليكونوا على بينة من حركاتهم العسكرية ولا يخطئوا برميهم . وهي عبارة عن اسطوانة كثيرة الشبه من الظاهر باسطوانة التلسكوب الاعتيادية وحول فوهتها الواسعة من الخارج نطاق من المعدن مقسم الى درجات ودقائق تعدّ بها الامتار واجزاؤها . وما على الجنرال او غيره ممن يريد استخدام التليمتر الا ان ينظر فيه نحو الشبح المراد تقدير مسافته و يعالجه على اسلوب سهل حتى يرى الشبح بكيفية خصوصية فيتعين البعد على ذلك النطاق بالعلامات او الارقام

مطبوعات جديدة

﴿ تاريخ دول الاسلام ﴾ هو كتاب يدل اسمه على موضوعه الفه حضرة رزق الله افندي منقريوس الصدفي سكرتير شركة الخواجات تيمستوكلي بني وبشري حنا بالمنيا في ثلاثة اجزاء كبيرة لا يقل احدها عن اربعماية صفحة بقطع الهلال وهو اطول كتاب صدر في هذا الموضوع حتى الآن مما الفه اهل هذه النهضة في العربية . وقد قسمه المؤلف الى دول واعتمد في تأليفه على ثقات المؤرخين العرب وغيرهم وتوخى ترتيبه وتبويبه تسهيلاً لاستيعاب فحواه وزينه بالرسوم والاشكال وقد باشر طبعه وبعد ايام يصدر الجزء الاول منه . وقد كتب الينا حضرة المؤلف عن شروط بيع الكتاب او الاشتراك فيه وخلاصة ذلك (١) ان ثمن كل جزء على حدة خمسة وعشرون غرشاً (٢) ان ثمن الاجزاء الثلاثة معاً (بعد الفراغ من طبعها) سبعون غرشاً (٣) ان ثمن هذه الاجزاء معاً لمن يشتريها عند صدور الجزء الاول ويدفع نقداً خمسة وستون غرشاً (٤) ينزل من هذه الاثمان في كل حال عشرة في المئة لمشتركي الهلال (٥) ان ربع ثمن الكتاب بعد اخراج النفقات يقدم مساعدة

الجامعة المصرية . (٦) يطلب الكتاب من مكتبة الهلال بمصر وحضرة المؤلف بالمنيا . فنثني على اريحته لتسهيله نشر هذا التاريخ فان الثمن قليل بالنظر لحجم الكتاب وما فيه من الرسوم فضلا عما عاناه المؤلف من المشقة في جمع شتات التاريخ الاسلامي مما الفه المؤرخون قديماً وحديثاً فاحاط بتاريخ الاسلام من ظهور الدعوة الاسلامية الى الآن ونحث محبي التاريخ الاسلامي على اقتنائه

﴿ مؤلفات الغزالي ﴾ ذكرنا في ترجمة ابي حامد الغزالي في الهلال الماضي أهم مؤلفاته واشرنا الى ما صدر منها مطبوعاً وما لا يزال غير مطبوع وقد جاءنا من حضرة الشيخ مصطفى البابي الحلبي واخوته ان بعض الكتب التي ذكرنا انها لم تطبع قد طبعت وتباع في محلهم بالقاهرة وهي (١) كتاب الوجيز في فقه الامام الشافعي مع بيان مذهب الامام مالك وابي حنيفة والمزني والاقوال والاوجه البعيدة لاصحاب الامام الشافعي وهو جزءان صفحاتهما نحو ٣٨٠ صفحة كبيرة (٢) القسطاس المستقيم اعتنى بتصحيحه مصطفى افندي القباني الدمشقي وطبع بنفقة السيد محمد هاشم الكتبي في نيف ومئة صفحة . (٣) مشكاة الانوار وفي ذيله ترجمة المؤلف بقلم الشيخ احمد عزت المصري (٤) مجموع اربع رسائل للغزالي وهي كتاب الجام العوام عن علم الكلام وكتاب المنقذ من الضلال والمضنون به على غير اهله والمضنون الصغير المعروف بالاجوبة الغزالية في المسائل الاخروية صفحاتها معاً نحو ١٥٠ صفحة قطع وسط فنثني على حضرة الشيخ لانه نبهنا الى ذلك

﴿ الجريدة ﴾ هي جريدة سياسية يومية انشأها جماعة من وجهاء الوطنيين بالاكتتاب وهي اول جريدة عربية انشئت بهذه الكيفية يحررها نخبة من العلماء ورجال الصحافة ويديرها حضرة احمد لطفي بك السيد . و يظهر مما اطلعنا عليه من اعدادها انها معتدلة اللهجة مع ميل الى مسالمة الحكومة وقد رأينا العناية والاتقان ظاهرين في تحريرها وطبعها وانتقاء مواضيعها وجعلت شعارها قولاً يؤثر عن ابن حزم صدرت به الصفحة الاولى منها وهو « من حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق وان آلمتها في اول صدمة كان اغتباطه بذم الناس اياه اشد واكثر من اغتباطه بمدحهم اياه » بدل اشتراكها ١٢٠ غرشاً داخل القطر و١٥٠ غرشاً خارجه وهي قيمة زهيدة بالنظر الى ما يبذله اصحابها من المال في اتقانها لانها اختارت جماعة من احسن العمال اطمعتهم حتى تركوا اعمالهم في الصحف الاخرى بزيادة الرواتب . وعملها هذا على كونه مخالفاً للمألوف من العلائق بين ارباب المهنة الواحدة فقد آل الى نهضة عامة في رواتب المحررين وعمال المطابع على الاجمال .

فبدل اشتراكها على تقديرنا لا يفي ببعض نفقاتها ولا يضمن بقاءها الا مواصلة الامداد من المكتتبين وما يرجى كسبه من اجور الاعلانات ونحوها اذا اكتسبت ثقة ارباب الاعمال

﴿ حديث عيسى بن هشام ﴾ هو كتاب اجتماعي على اسلوب الرواية في قالب محاورة مروية على لسان «عيسى بن هشام» يتضمن انتقادات سياسية واجتماعية وتهذيبية عن احوال مصر و بعض رجالها واداراتها وأحكامها وعادات اهلها وطرق اغنيائها مما ينبغي اجتنابه أو يجب اتباعه بعبارة رشيقة بليغة يكفي في وصفها انها من انشاء محمد بك المويلحي المنشىء الصحافي نجل المرحوم ابراهيم بك المويلحي الذي ترجمناه في السنة الماضية . والكتاب جليل الموضوع حسن الاسلوب يطالعه الانسان بلذة وشوق كأنه يقرأ قصة او نكتة يغريه بذلك ما يستلذه من رشاقة الانشاء وسهولته فيستفيد من خلال المطالعة ادبًا وحكمة وتهذيباً . فنحث الادباء على مطالعته وهو يطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً والبريد ثلاثة غروش

﴿ لطائف السمر في سكان الزهرة والقمر ﴾ ما فتىء الانسان من اقدم ازمنة العمران ينظر الى كواكب السماء نظر الاعجاب حتى عبدها . ثم اعمل فكرته في احوالها واطوارها وذهب في ذلك مذاهب شتى . واشتغل اهل هذا التمدن بالبحث في السيارات على الخصوص وعن اقاليمها وهل هي ماهولة واذا كانت كذلك فما هي طبائع اهلها . والف بعضهم في سكان القمر وكتب غيرهم المقالات في المريخ وسكانه ونباته وآخرون بحثوا في الزهرة واهلها ومنهم من جعل بحثه علمياً فاسند اقواله الى ما هومعروف من احوال تلك السيارات وما يترتب على تلك الاحوال من طبائع الاحياء اذا وجدت هناك . والبعض الآخر جعل اعتماده على الخيال والحكمة الفلسفية كما فعل مؤلف الكتاب الذي نحن في صدده نخائيل افندي الصقال فقد صدره بترجمة حاله وترجمة حال والده يلي ذلك فصول في رؤيا تخيل ان والده جاءه فيها وقص عليه سياحة ساحها في الزهرة والقمر ذكر فيها ما شاهده هناك من الغرائب على اسلوب يرمي الى انتقاد اهل هذه الارض في احوالهم الاجتماعية والدينية والشرعية والصحية والأدبية والصناعية ويتخلل ذلك كلام في الفلسفة والطبيعيات والالهيات وغيرها والكتاب زهاء ثلاثمائة صفحة كبيرة ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون غرشاً واجرة البريد ثلاثة غروش



الجزء الثامن من السنة الخامسة عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٧ و ١٨ ربيع اول سنة ١٣٢٥



عميد انكلترا بمصر

لم تهتم الصحف المصرية منـذ عدة اعوام بحادث مثل اهتمامها باستقالة اللورد كرومر عميد انكلترا بمصر وخصوصاً لانه قدَّم استعفاءه في اثناء خوض تلك الصحف في تقريره الاخير ودرسه وانتقاده . استقال اللورد كرومر من منصبه بمصر بعد ان تولاه بضعاً وعشرين سنة وله النفوذ الاكبر في كل ما حدث فيها من الاصلاح او التغيير . فتاريخه عبارة عن تاريخها في اثناء هذه النهضة فلا عجب اذا قلنا فيه كلمة وان كانت عادتنا ان لا نترجم الاحياء وانما نعدُّ الكلام عنه من قبيل الكلام في تاريخ النهضة المصرية الاخيرة . على ان الافاضة في تاريخها يضيق عنها المقام فنكتفي بخلاصة ذلك ونقابل بين ما كانت عليه مصر عام الاحتلال وما صارت اليه الآن ونقدم الكلام بفذلكة في ترجمة حال اللورد كرومر ومناقبه فنقول :

ترجمة حاله ومناقبه

هو تاسع ابناء هنري بارنج احد اعضاء البارلمان الانكليزي ووالدته سليسيا ابنة كريمة الاميرال وندهام . ولد سنة ١٨٤١ ونشأ بمقاطعة نورفلك بانكلترا وسمي افلن بارنج وتثقف في المدارس العليا فلما بلغ السابعة عشرة انتظم في الجندية الانكليزية سنة ١٨٥٨ برتبة ضابط ملازم وبعد عشر سنين ارتقى الى رتبة كبتن (يوزباشي) سنة ١٨٦٨ والى رتبة ماجر (بكباشي) سنة ١٨٧٥ واحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ فقضى في الجندية نيفاً وعشرين سنة . على انه تولى المناصب الادارية والسياسية قبل اتمام مدة جنديته فتعين سكرتيراً خاصاً لقريبه اللورد نورثبروك من ١٨٧٢ — ١٨٧٦ في اثناء حكمه على الهند . فلما طرأ على مصر ما طرأ في أواخر عهد الخديوي اسماعيل من الاضطراب المالي كان قد رقي الى رتبة بكباشي وظهرت مواهبه في المسائل المالية واقتداره على حل مشاكلها فعينته انكلترا سنة ١٨٧٦ مندوباً عنها في صندوق الدين . وفي عام ١٨٧٩ الذي استقال فيه اسماعيل اقيمت المراقبة المالية الثنائية بمصر فتعين الماجر بارنج احد عضويها ولم يمكث طويلاً فانتقل وزيراً للمالية الهند سنة ١٨٨٠ في عهد اللورد ريبون وظل في هذا المنصب ثلاث سنوات حدث في الثانية منها الحوادث العرابية واحتلت الجنود الانكليزية مصر . وفي السنة التالية (سنة ١٨٨٣) اوفدته حكومة انكلترا الى مصر بلقب سير وسمته معتمداً سياسياً وقنصلاً جنرالاً لتنفيذ الاصلاح الذي اشار به اللورد دفرين في تقريره كما سيأتي

تولى هذا المنصب الهام وهو في الثالثة والاربعين من عمره وقد اعتدل مزاجه وتمرّس بالاعمال السياسية والمالية وعلم انه يعمل عملاً تنظر اليه اوربا بعين الناقد فاخذ يشتغل بنشاط وتعقل واتفق ظهور المهدي وقيام اهل السودان على حكومتهم المصرية فرأى بقاء السودان في حوزة مصر عثرة في سبيل اصلاحها فاشار بسلخه عنها وتفرغ للعمل في احيائها وعلم ان ثروتها انما تتوقف على الزراعة وتنظيم المالية فاهتم باصلاح الري بمساعدة السير كولن سكوت مونكريف واستعان على تنظيم المالية بالسير ادجر فنسنت . واقتصر في عمله اولاً على اصلاح هاتين المصلحتين ثم وجه التفاته الى القضاء فاستعان في اصلاحه بالسير جون سكوت والى الجندية بمساعدة السير افلن وود ثم السير فرنسيس جرانفل وكان في اثناء ذلك يعمل على تحسين الداخلية والمعارف وسائر مصالح الحكومة المصرية على ما نذكره واعترض عمله في هذا السبيل عراقيل كثيرة اهمها استفحال امر المهدي في السودان

ومطامع خليفته عبد الله التعايشي · واغتنم بعض الدول فوضى السودان واشتغال الدراويش بانفسهم فتوجهت مطامعها نحوه فكان الايطاليان في مصوع والبلجيكيون في الكونغو والفرنساويون في غربي افريقيا وكل منهم يتحفز للوثوب على السودان فسبقهم اللورد كرومر الى اقتناصه بحملة مؤلفة من الجيشين المصري والانكليزي بقيادة اللورد كتشنر افتتحت ام درمان وابادت بقية دولة الدراويش واصبح السودان تحت سيطرة الدولتين يخفق فوقها العلمان الانكليزي والمصري

وما زال اللورد كرومر في هذا المنصب وله الكلمة الاولى والقول النافذ في اصلاح مصر مالياً وادارياً واجتماعياً حتى استقال بالامس مراعاة لصحته وقبل استعفاؤه في ١١ ابريل الماضي وهو في السادسة والستين من عمره · وقد ارتقى في اثناء ذلك الى رتبة الاشراف سنة ١٨٩٢ وسمي اللورد كرومر من ذلك الحين · ونال رتبة فيكونت سنة ١٨٩٧ ورتبة ارل سنة ١٩٠١ واحرز من القاب شرف القاب التي يتفاخر بها كبار الرجال القاب G. C. M. G. و C. I. E. و K. C. S. I. و K. C. B. ورتبة D. C. L. من جامعة اكسفورد وتزوج سنة ١٨٧٦ بالسيدة اثل ستانلي كريمة السير رولند ستانلي فتوفيت سنة ١٨٩٨ فتزوج سنة ١٩٠١ باللادي كاترين تايم ابنة مارکس باث

وقد اسفت الدولة الانكليزية على استقالته اسفاً شديداً بدليل ما ذكره السير ادوارد جراي وزير خارجيتها عند اعلانه قبول الاستعفاء على مجلس النواب فقرأ عليهم اولاً صورة التلغراف الوارد من اللورد كرومر وهذا نصه :

« عقدت النية ان اسألكم قبول استعفائي وذلك بعد اطالة النظر في الامر ومشاورة طبيبي الخصوصي والسر ستيفن مكنزي المقيم الآن هنا · ويهمني كثيراً ان يعلم ان الاسباب التي حملتني على اتخاذ هذه الخطة انما هي اسباب صحية لا غير وان ليس لها اقل علاقة باسباب سياسية · واقول بوجه خاص انهُ لا يمكن أن يكون هناك طريقة اشد فاعلية وأدل على كرم الخلق من الطريقة التي ابدتني الحكومة الحاضرة بها · وقد كان لي اعظم سرور في الخدمة تحت رئاستكم فلذلك يسوءني جداً ان اقطع علاقتي الرسمية معكم · على ان قواي وهنت بعد قضاء تسع واربعين سنة في الخدمة العمومية فامسيت ولا طاقة لي بعد على احتمال الجهد الشديد الذي يقتضيه شغلي هنا · واشعر ايضاً اني لا املك الصحة والقوة اللتين لا بد منها لاجراء العدل مجراه في جميع المصالح المهمة المتعلقة بوظيفتي · وقد اتفق الطبيبان على وجوب امتناعي عن الاشغال والمهام »

وعقب وزير الخارجية المشار اليه بقوله :

« وقد ساءنا هذا الخبر جداً وهو يسوء المجلس أيضاً . اما من جهتي فانه ساءني فوق ما استطيع ان أصف لاننا اتكلنا على اللورد كرومر وجعلناه موضع ثقتنا وكذلك فعلت الوزارات الانكليزية التي تقلبت في منصة الاحكام منذ سنين كثيرة . وقد راجعنا اللورد كرومر في الامر ودارت المكاتبات بيننا وبينه على امل ان لا يكون عزمه قاطعاً باتاً ولكن استعادة صحته (ويسرني ان اقول ان هناك املاً بذلك) تتوقف كل التوقف على اعتزال الاشغال فاضطررنا الى قبول استعفائه ولنا مجال آخر للكلام مفصلاً على عمله في القطر المصري ولكني أريد ان اقول الآن ان غاية حكومة جلالة الملك المحافظة على ذلك العمل واطراد السياسة التي هو مصدرها والتي نراها موضحة أعظم ايضاح في تقريره الاخير الذي عرض الآن على البرلمان واني أقدر صعوبة الاستمرار بلا مساعدته حق قدرها العمل لان هذا كان متوقفاً كل التوقف عليه . واستعفاؤه من الخدمة في مصر أعظم خسارة شخصية تخسرها هذه البلاد (انكلترا) . والنجاح الذي اتمه في أوائل الاحتلال لا يكاد يصدق لو لم يكن قد أتمه فعلاً وذلك بسبب المصاعب الجمة التي عرضت في مصر وغيرها وان كان تقدم البلاد قد بات سهلاً في السنين الاخيرة بسبب الجاه والثقة اللذين نالهما الاحتلال فان اللورد كرومر هو الذي احدث ذلك الجاه وتلك الثقة »

ثم ذكر تعيين السر الدن غورست مكان اللورد كرومر فقال :

« وقد وافق الملك على تعيين السر الدن غورست مكانه بعد مشاورة اللورد كرومر في الامر فان للسر الدن غورست معرفة خاصة بالقطر المصري وما من احد نال عند اللورد كرومر ثقة أعظم من ثقته به او كان اكثر علاقة به منه في عمله واني واثق ان اختياره لهذا المنصب خير ضامن للاحتفاظ بذلك العمل والاستمرار عليه » اه

واللورد كرومر حيوي المزاج قوي البنية ومع بلوغه حدود الشيخوخة لا يزال وجهه مشرباً حمرة . وهو واسع الصدر دقيق النظر حازم قوي الحجة يحب ان يسمع اقوال مناظره فاذا تحقق صواب رأي تمسك به وناضل عنه بحجة قوية . وهو نزيه حر الفكر والقول والفعل مثل اكثر كبراء الانكليز وعقلائهم . ومما زاده تدقيقاً في عمله وسهراً على مصلحة دولته معاناته الجندية نيفاً وعشرين سنة لأن الجندي يتعود الطاعة حتى يصير العمل بالواجب ملكة راسخة بعملا . ويهون عليه التهالك في سبيل دولته و يصبح ذلك خلقاً يعسر عليه التحول عنه وخصوصاً في الذين يربون التربية الراقية و يتقلبون في المناصب الرفيعة ويذوقون

ثمار صبرهم وحزمهم فيزدادون رغبة في صدق الخدمة · واكثر مايكون ذلك في الدول الحية السائدة فتزداد حياةً وسؤدداً — سنة الله في خلقه

اعماله وآثاره

واعمال اللورد في مصر تنقسم الى اعماله قبل الاحتلال واعماله بعده — وهذه اهمها · ولو اوردنا تفصيلها لاستغرقت مجلداً كبيراً لانها عبارة عن تاريخ مصر في نهضتها الاخيرة بعد الاحتلال الانكليزي فنكتفي بخلاصتها مع تحري الحقيقة فنفي الرجل حقه وننتقد عمله

ويتضح ذلك جلياً بالمقابلة بين ما كانت عليه مصر عام الاحتلال وما صارت اليه الآن لأن كل ما حدث فيها من الاعمال انما حدث بمشورة اللورد كرومر او اقتراحه وكانت حكومته تعضده وتطلق يده حتى سماه الانكليز « صانع مصر الحديثة » ونقسم اعماله بمصر الى ادارية ومالية واجتماعية وادبية

اعماله الادارية والمالية

لما احتل الانكليز مصر وعملوا على اصلاح شؤونها انفذت حكومتهم اللورد دوفرين سفيرها اذ ذاك في الاستانة الى القطر المصري لتسوية المسائل المصرية وتنظيم تقرير عن حالها وما تحتاج اليه من الاصلاح · فجاء في اواخر سنة ١٨٨٢ واخذ يتفقد مصالح الحكومة ويجتمع بالخديوي ووزرائه و يتداول معهم في المسائل التي يجب النظر فيها · وبعد البحث والنظر بضعة اشهر رفع الى حكومته تقريراً عن احوال مصر هو اول تقارير معتمدي انكلترا عنها قسمه الى فصول في الجيش وتوابعه وتنظيم الحكومة والري واصلاحه والدائرة السنية والدومين ومصلحة التاريع وابحاث في حالة الفلاحين من حيث ماعليهم من الديون وفي الضرائب والمعارف العمومية والمدارس وفي مستخدمي الحكومة والتجنيد وتجارة الرقيق والمجالس المختلطة وحقوق مصر في ابرام المعاهدات وميزانية الحكومة وغير ذلك · وضمن الكلام في كل من هذه الابواب مايمكن اجراؤه من الاصلاح لانتظام أمورها

على ان كثيراً مما أشار به من الاصلاح الاداري كانت الحكومة المصرية قد شرعت به من عهد اسماعيل قبل الاحتلال ببضعة اعوام بناء على تقرير رفعته اليها لجنة تشكلت لهذا الغرض سنة ١٨٧٨ يتضمن ٩٣ مادة في تنظيم جباية الضرائب وتأليف مجلس التشريع وتنظيم الحسابات واصدار ميزانيات سنوية واعداد مبالغ احتياطية لملافاة ماعساه يطرأ وتنظيم المحاكم والغاء المغارم ووضع الضرائب على الاراضي الممتازة يومئذ وتعديل

سائر الضرائب والرسوم وتنظيم الري وتوزيع المياه وابطال المعونة في الاشغال التي لا يثبت انها ذات مصلحة عمومية وغير ذلك . فهذه الاصلاحات كانت الحكومة المصرية قد أخذت في تنفيذها من عهد اسماعيل واوائل حكومة توفيق ثم أتت الحوادث العرابية فاوقفت العمل بها فتمت على عهد الاحتلال في جملة اصلاحات أخرى



اللورد كرومر — في الخمسين من عمره

فلما رفع اللورد دفرين تقريره المشار اليه انفذت انكلترا المستر كليفورد لويد لتنفيذ الآراء التي تضمنها ذلك التقرير . وهو اول مستشار انكليزي شاطر النظار اعمالهم وجاء بعده غيره حتى صار لكل نظارة مستشار او غير مستشار فضلاً عن المفتشين والقضاة وغيرهم على ما هو مشهور وكلهم يرجعون الى مشورة اللورد كرومر وارشاده . فمرّ على القطر المصري بضعة وعشرون عاماً اطلقت انكلترا في اثنائها يد عميدها اللورد في تنفيذ الاصلاحات المطلوبة وهو يرفع اليها في كل عام تقريراً عما أتاه من الاعمال او ما حدث في وادي النيل من الاحوال

فمن الاصلاحات الادارية التي تمت على يد اللورد كرومر تنظيم الجيش وتدريبه على القواعد الانكليزية ولا ينكر أحد الفرق بين نظامه الآن وما كان عليه من قبل الا انه

اصبح في قبضة الإنكليز لان اكبر ضباطه منهم

ومنها ترتيب درجات المستخدمين وتنظيم اعمالهم وكان الاستخدام في الحكومة المصرية من ابواب الرزق الواسعة لاهل الدالة والوساطة بقطع النظر عن اهلية المستخدم او حاجة الحكومة الى خدمته حتى بلغ عدد مستخدميها عام الاحتلال ٢٠,٠٠٠ مستخدم على اختلاف درجاتهم ورواتبهم • فما زالت الحكومة تطلق سراحهم حتى صاروا الى نصف هذا العدد • ومع ما حدث في ادارة الحكومة من المصالح الجديدة فعدد المستخدمين الآن ١٣,٢٧٩ يعمل كل منهم بنشاط واهلية على قدر المنصب الذي يشغله وقد ذهبت الوساطة وسدت سبل الرشوة • وضبطت الاعمال ولا سيما في نظارة المالية ونحوها من المصالح التي يسهل تسرب الخلل اليها ويخشى خسارة الحكومة بها • وتوجهت العناية الى تنشيط الزراعة باصلاح الري وانشاء الخزانات والقناطر وفتح الترع وضبط السدود والجسور وغيرها • ونظم القضاء وانشئت المحاكم الاهلية وروقب القضاء وانتظمت مصلحة الصحة العمومية فقلت الوفيات وخفت الامراض فزاد عدد السكان وتم الغاء تجارة الرقيق وابطلت السخرة وحدث غير ذلك من الاصلاحات الادارية التي يطول شرحها فضلاً عن تشكيل مجالس المديريات ومجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وطريقة الانتخاب لعضوية هذه المجالس مما اشار به اللورد دوفرين في تقريره • وصدر بذلك قانونان يعرفان بالقانون النظامي والقانون الانتخابي • ويقال بالاجمال ان الاحتلال او عميده ضبط اعمال الحكومة المصرية وعوَّد مستخدميها معرفة ما لهم وما عليهم • فسارت الاعمال بنظام ونشاط فآل ذلك الى ثقة الناس بالحكومة وسهلت المعاملات وسلمت الحقوق وتوفرت الثروة في خزينة الحكومة وفي ايدي الناس وحدثت نهضة مالية لم يسبق لها نظير في وادي النيل واليك امثلة من ذلك :

﴿ميزانية الحكومة﴾ كانت ميزانية الحكومة في اوائل الاحتلال يتراوح الدخل فيها بين ثمانية وتسعة ملايين جنيه فما زال يرتقي كل عام حتى زاد في العام الماضي على خمسة عشر مليوناً مع ما تخلل ذلك من تخفيض الضرائب وابطال المغارم • فالدخل المذكور تدفع منه نفقات الجند والادارة وغيرها والمخصص لاستهلاك الدين ويبقى باقٍ قد تجمع بتوالي الاعوام فزاد مجموعه في العام الماضي على ١١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه مما لم يتفق مثله في تاريخ مصر الحديث

﴿الارض الزراعية﴾ وكانت مساحة الارض المزروعة عام الاحتلال نحو

٤،٥٠٠،٠٠٠ فدان فناهزت الآن ضعفي هذا القدر . ومجموع ضرائبها لا يزال واحداً فقد كانت ضرائب الاطيان قبل الاحتلال نحو خمسة ملايين جنيه . و بلغت هذا القدر في العام الماضي مع ان الاطيان الزراعية تضاعفت مساحتها

ناهيك بزيادة الغلة وارتفاع الاسعار وزيادة المساحة المزروعة قطناً وارتفاع اسعار القطن وتناقص الشراقي وغير ذلك مما فصلناه في مقالتنا « النهضة المالية المصرية » في السنتين ١٣ و١٤ من الهلال (عدد ٥ سنة ١٣ وعدد ٨ و٩ سنة ١٤)

﴿ التجارة ﴾ وكانت الحركة التجارية الخارجية حوالي الاحتلال يبلغ مجموع صادرها وواردها نحو عشرين مليون جنيه فزاد مجموع ذلك في العام الماضي على ٥٠،٠٠٠،٠٠٠ جنيه

﴿ ديون الفلاحين ﴾ كان الفلاح المصري مثقلاً بالديون الفادحة والفوائد الفظيعة وقد فصل اللورد دفرين ضنك الفلاحين في تقريره الذي تقدم ذكره . ومن ذلك قوله عن ديونهم « ويتبين من سجلات المحاكم المختلطة ان قيمة الرهون المسجلة من ست سنين اي من عام ١٨٧٦ (الذي انشئت تلك المحاكم فيه) الى الآن قد بلغت من ٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه الى ٧،٠٠٠،٠٠٠ جنيه تقريباً وان جانباً عظيماً من هذا المبلغ يشتمل فضلاً عن قيمة السلف على قيمة الفوائد المجتمعة التي معدلها الاعتيادي ٣ في المائة شهرياً او ستة وثلاثون في المائة سنوياً غير ان هذه الديون ليست كلها على الفلاحين بل ان جانباً منها على الامراء والباشاوات ومنها ايضاً ١،٣٧٧،٢٩٥ جنيهاً مصرياً على عقارات في الاسكندرية والمحروسة وكيف كان الحال فان المبالغ المسجلة باسم الفلاحين البالغة ٥،٠٠٠،٠٠٠ جنيه تقريباً كافية لاحداث اضطراب شديد »

وذكر ان عليهم ديوناً اخرى لمرابي القرى تبلغ نحو ٤ ملايين وانذر بعواقب هذه الحالة من تحول الاطيان الى الاجانب واشار بانشاء بنوك زراعية تسلف الاهالي المال بفائدة قليلة لتخفيف اثقال الديون عنهم وقد زاد مجموع الديون الآن الى اربعة اضعافه ولكن اصحابها في مأمن من السقوط لقلة الفوائد ولتوسع صغار المزارعين بما صار اليهم من الاطيان على ما بيناه في الهلال الماضي بباب « حالة مصر الاقتصادية »

﴿ عدد الاهالي ﴾ كان عدد سكان القطر المصري عام الاحتلال سنة ١٨٨٢ نحو ٦،٨٠٠،٠٠٠ نفس ولا نظنه الآن يقلّ عن ضعفي ذلك — وانما يتكاثر الناس وتنمو الثروة في ظل الامن والعدل والنظام والسكينة

واعتبر ذلك في سائر دلائل الثروة والنمو والرغد من مساحات المدن وعدد الابنية

وغير ذلك — فكانت مساحة القاهرة سنة ١٨٨٠ نحو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع فاصبحت اليوم ٨٠٠,٦٩١,٧٥٠ متر وكان عدد الابنية فيها ٢٥,٠٠٠ بناء فاصبح ٦٧,٠٠٠ بناء وكانت الارض بضواحي القاهرة تباع بالفدادين فصارت تباع بالامتار المتر بعشرات الجنيهات وكان عدد سكان القاهرة نحو ٣٧٥,٠٠٠ نفس عام الاحتلال فاصبح اليوم نحو مليون نفس وقس عليه

اعماله الاجتماعية والادبية

فتنظيم شؤون الحكومة وسيادة الامن واطمئنان الناس الى اعمالهم في عهد الاحتلال آل الى زيادة الثروة وتوسع الناس بمرافق الحياة والتنعم باسباب المدنية الحاضرة . وهناك نتيجة اجتماعية ذات بال نعني بها انتشار روح الحرية الشخصية بين العامة على اختلاف طبقاتهم بما تحققوه من رغبة الحكومة في مساواة رعاياها بين يدي القانوني وقد برهنت ذلك بحوادث كثيرة اشهرها حوادث رضا باشا وعلي باشا شريف ومنشاوي باشا فبيّنت للاهالي باجراء العدل على هؤلاء وامثالهم ان الناس انما يحترمون عندها باحترامهم القانوني والعمل به فذهبت دالة الكبراء ووساطة الوجهاء وقام مقامها الاهلية والاستحقاق والعدل والانصاف . وبعد ان كان الفلاح عبداً مسخراً يساق الى السخرة بالعنف ويجبر على العطاء بالكرباج اصبح حراً له ما للافندي او البيك او الباشا وعليه ما عليهم

﴿ حرية المطبوعات ﴾ ومن هذا القبيل اطلاق حرية المطبوعات وقد كنا في اوائل الاحتلال تحت مراقبة قلم المطبوعات القاضي بالتضييق على الكتاب والناشرين بقانون خاص بالمطبوعات صدر سنة ١٨٨١ هذا نص بعضه :

« المادة الاولى : لا يسوغ لاحد ان يكون صاحب مطبعة الا بعد ان تعطى اليه رخصة من نظارة الداخلية و بعد ان يودع عشرة آلاف قرش بصفة تامين وللحكومة في كل حال ان تنزع منه هذه الرخصة عند الاقتضاء

المادة الثانية : المطابع السرية تقفل وتضبط ادواتها ويجازى مالكها او المودعة عنده بغرامة من خمسة آلاف قرش الى خمسة عشر الف قرش

المادة الثالثة : لا يجوز لاحد من ارباب المطابع ان يطبع صحفاً قبل ان يقدم لادارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة عزمه على طبعها وكذلك لا يجوز له باية طريقة كانت بيع او نشر تلك الصحف بعد طبعها الا بعد ان يقدم خمس نسخ منها للادارة المذكورة

المادة الرابعة : يصير حجز وضبط اي مطبوع كان في الاحوال الآتية

اولاً اذا لم يبرز صاحب المطبعة وصلاً من ادارة المطبوعات بتقديمه الكتابة والنسخ المقررة في البند السابق

ثانياً اذا لم يتوضح في كل نسخة اسم ومحل سكن صاحب المطبعة الحقيقيين

ثالثاً اذا اقيمت امام احدى المحاكم دعوى تتعلق بمضمون ذلك التأليف

وفي هذه الحالة الاخيرة لا يكون الحجز والضبط قطعيين الا بعد صدور الحكم على صاحب التأليف المذكور من المحاكم المقامة امامها الدعوى

المادة الخامسة : عدم تقديم الكتابة قبل الطبع او عدم تقديم النسخ اللازمة قبل النشر يوجبان مجازاة صاحب المطبعة بدفع غرامة من الف الى الفي قرش

المادة السادسة اذا لم يضع صاحب المطبعة اسمه ومحل سكنه على كل نسخة من التأليف فيجازى بدفع مبلغ من الف الى الفي قرش غرامة واذا وضع اسماء ومحل سكن مفتعلين يغرم بدفع مبلغ من الفين الى اربعة آلاف قرش

المادة السابعة : يجوز في الاحوال المبينة ببندي ٥ و ٦ استبدال الغرامة بنزع الرخصة واقفال المطبعة

المادة الثامنة : يصير اثبات المخالفات بموجب محاضر يحررها مامورو الاثمان او مامورون مخصوصون يتعينون للتفتيش عن المطابع

المادة التاسعة : يسري هذا القانون على مطبوعات الحجر و باقي المطبوعات بسائر انواعها مهما كانت الطريقة المستعملة لطبعها ... » الخ

وقس على ذلك سائر مواده . وظل هذا القانون مرعيًا بعد الاحتلال عدة سنوات وقد ادركناه حيًّا وعملنا به حينًا — فكتابنا « تاريخ مصر الحديث » لم نطبعهُ الاَّ بعد عرضه على قلم المطبوعات ونيل الاذن بطبعه ودوّنّا ذلك على الصفحة الاولى منهُ . على ان السير بموجب ذلك القانون لم يكن وحدهُ كافلاً لنيل الرخصة وانما كان القطع في ذلك يرجع الى رأي ناظر الداخلية او من يقوم مقامه على ما يتراءى لهُ . ومما اتفق لنا اننا لما عمدنا الى انشاء مطبعة التأليف (اليوم مطبعة الهلال) قاسينا الامرّين في طلب الاذن . وبعد ان دفعنا التأمين اللازم واتينا بالضمانة حسب الاصول ونحن نتردد على قلم المطبوعات ونسمع الوعود المؤجلة بصدور ذلك الاذن اعتذر لنا وكيل ذلك القلم وهو باسف لعدم مصادقة ناظر الداخلية على صدور الاذن بانشاء هذه المطبعة . فاستغربنا ذلك واستبعدناه ولم نتمالك ان

كتبنا الى مدير قلم المطبوعات وهو يومئذ البارون مالورتي كتاباً بينا فيه سوء عاقبة هذا التصرف وانه يخالف سنة العدل المرجوة في عهد الاحتلال · فكان جوابه على ذلك انه ارسل الينا الرخصة المطلوبة حالاً وهي لا تزال عندنا

تلك هي حال المطبوعات حتى بعد الاحتلال ببضعة اعوام ولا يزال نص قانونها باقياً لم تصدر الحكومة ما ينقضه ولكنها اهملت العمل به تدريجاً واطلقت سراح المطبوعات فاصبحت الطباعة حرة مثل سائر التجارات المشروعة واصبح الناس يفتحون المطابع و ينشئون الجرائد بلا اذن و ينشرون آراءهم في الكتب او الصحف بلا مانع · ولا أزيدك علماً بما بلغت اليه الصحافة المصرية من المبالغة في الحرية الى حد التطرف او التطاول حتى على الذي منحها هذه الحرية باختياره ولولاه لكانت مقيدة بسلاسل من حديد · كانت الصحف المصرية آلات في ايدي ارباب النفوذ واصحاب السلطة فاصبحت رقيباً على اعمالهم تطالبهم بحقوق الشعب ومصلحة الامة ولولا مغالاة بعضها في ذلك الى حد الفوضى لاتت بافضل الحسنات · على انها خدمت الحكومة والامة خدماً ذات بال واقرب الادلة على ذلك ما كان من نتائج مناقشاتها بالامس على اقتراحات الجمعية العمومية · فان الحكومة احترمت اقوالها واجابتها الى بعضها ــ اين ذلك من حال الصحف قبل الاحتلال اذ كانت لا تجسر على ذكر الحاكم الا بالاحترام والاغضاء والا تعرَّض صاحبها للخطر · ومن الحوادث المشهورة ان احد اصحاب الجرائد الكبرى اشار في اواخر ايام اسماعيل الى شك خامره في مبلغ دفع الى الخديوي او دفعه الخديوي فقامت عليه القيامة وزج في السجن وكاد يموت جزعاً لولا حماية دولة اجنبية على أن ذلك الجزع أثر في صحته تأثيراً رافقه الى آخر ايامه · وجرائدنا اليوم تنتقد الامير والوزير والعميد وتشدد عليهم النكير والحكومة لا ترى في انتقادها بأساً كل ذلك من ثمار الاحتلال وانما حدث بارادة اللورد كرومر

﴿ التعليم ﴾ فالاحتلال خدم مصر خدماً جليلة بالادارة والمالية والجند والحرية الشخصية ولكنه قصر من حيث التعليم والتهذيب وقد فصلنا ذلك في الهلال الماضي · كان التعليم قبل الاحتلال اقرب الى المصلحة الوطنية وحفظ الجامعة القومية وترقية الشؤون الاجتماعية ولو ظل سائراً على تلك الخطة مع تعديله على ما يقتضيه الرقي العام في النهضة المصرية لكان الشعب المصري من أرقى الشعوب المتمدنة · كانت الحكومة قبل الاحتلال تفتح مدارسها للتعليم مجاناً في العلم وفروعه فنبغ الاطباء والمهندسون والقضاة وغيرهم وقد تعلموا العلم بالعربية فهان عليهم نشره بين اهلهم وذويهم وألفوا الكتب فيه لترقية آداب اللسان

العربي فاقفلت الحكومة في عهد الاحتلال باب المجانية وحولت التعليم الى اللغات الاجنبية واقتصرت في المدارس الثانوية على مبادىء العلم التي لا تغني فتيلاً وحولت الاذهان الى انشاء الكتاتيب لتعليم المبادىء الاولية من القراءة والكتابة وهو لا يفيد الفائدة المطلوبة في هذه النهضة ولا يوافق ما يبتغيه محبو هذه الامة . فان تعليم الكتاتيب لا يرقي الامم وانما نحن في حاجة الى تهذيب النفوس وتربية الرجال في المدارس العليا وتثقيف عقولهم بالعلوم العصرية الطبيعية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية حتى يفهموا كنه الوجود فيحسن التفاهم بين الشعب وحكامهم و يدرك الناس معنى حرية الصحافة و يعرفون ماهو مجلس النواب وماهي حقوق الامة و يميزون حدود الحاكم والمحكوم

فلو أجل اللورد كرومر حرية الصحافة الى بعد تعليم الامة وتثقيفها لكانت الحالة ابعد عن الفوضى مما هي عليه الآن لان اطلاق الحرية قبل الاستعداد لها لا يخلو من الخطر على اصحابها . واقرب الشواهد على ذلك ما اصاب مصر بعد انتقالها من ضغط اسماعيل الى رفق توفيق وتساهله فانتهم الحرية بغتة فآل ذلك الى ثورة قلبت احوال مصر رأساً على عقب انقلاباً سياسياً . وجاء الاحتلال مصر بحرية الصحافة قبل ترقية التعليم فيها فلا يخلو ذلك من الخطر عليها ان لم يكن سياسياً فادبياً تتمكن الصحف المتطرفة من التغرير بالامة الجاهلة والذهاب بها الى مهاوي الضلال بالتمويه والتحريض تارة باسم الدين وطوراً باسم الوطن

وزد على ذلك ان اطلاق حرية الصحافة الى ما نراه بين ظهرانينا مع تقييد افكار الامة والاقتصار في تعليمها على الكتاتيب ونحوها يخالف ما صرح به اللورد دفرين في تقريره الذي اشرنا اليه فانه تكلم فيه عن المدارس واشار بترقية التعليم . ومن اهم مقترحاته انشاء مدرسة كلية لتعليم العلوم العالية مثل كلية الاميركان بجوار الاستانة المسماة كلية روبرت وهي على نحو نظام كلية بيروت وهذا قوله :

« وحيث اني قد رأيت المقدار العظيم من النجاح الذي ناله الارمن والبلغاريون من التعليم في مدرسة روبرت التجهيزية بجوار الاستانة فانا على يقين من الحصول على مثل هاته النتائج في مصر من مدرسة تكون على نمط تلك المدرسة »

ولم يقل بانشاء الكتاتيب الصغرى لانه كان يرى فعلاً ان تعود مصر الى اهلها فيحكموها بانفسهم بعد ان يتأهلوا لذلك بالتدريب والتعليم وتأليف مجلس نيابي خلافاً لما يراه البعض من عجزها عن ذلك على اثر ما توالى عليها من الحكومات الاستبدادية الى ان قال « الا انني اطلب مع ذلك من حكومة جلالة الملكة ان تنظر الى القطر المصري بنظر اعلى من هذا

بكيفية انها تستعمل ما يترتب عليه ايجاد هيئات نيابية بحدود معقولة وادارة للقرى ومجالس للمشيخة مستقلة في الادارة من شانها ان يتولد عنها مستقبل سياسي لا يتعطل سيره بواسطة اجنبية مع تعضيده لزمن ما بحسب الاقتضاء بشورات ومساعدات حبية وفي الواقع انه لا توجد طريقة متوسطة بين الطريقتين السابق ذكرهما فانه لا يؤمل ان يمكن للوندرة ادارة وادي النيل بكيفية ينشأ عنها النجاح ولو شرعنا في ذلك لاصبح اهالي هذا الوادي ينظرون الينا بعين المقت والكراهة وينسبون الينا عدم الاخلاص والصداقة وتصبح القاهرة مجالاً للدسائس والمؤامرات الاجنبية علينا ونلتزم بعد حين ان نترك السير في مشروعاتنا بكيفية لا تلائم شرفنا او نكره على استعمال امور من شانها ان تلجئنا الى ان نسود على مصر سيادة كلية بخلاف ما اذا اكتفينا بنصيب اقل من ذلك وافهمنا المصريين اننا لانسعى ولا نرغب في ان نحكمهم بواسطة حكومة استبدادية بل نرغب بصدق الطوية واخلاص النية في ان نؤهلهم ليحكموا انفسهم تحت ظلال مودتنا المخلصة فيظهر لهم جلياً ان الحكومة الانكليزية من شانها ومصلحتها اكثر من غيرها من الحكومات الاخر الاوربية ان تراهم رافلين بحلل الثروة والسعادة متمتعين بثمار السلم والراحة ولا تسمح مثل غيرها من تلك الحكومات بان النفوذ الذي اضطرت الى استعماله بمجرى الحوادث يؤول الى سطوة يترتب عليها الظلم والاضطهاد وتثبيت مبادىء الوطنية والحرية التي افتخرنا بنشرها في جميع البلاد التي وضعنا قدمنا فيها »

الحكم الدستوري ويرى اللورد دفرين ان جعل حكومة مصر نيابية من اكبر الادلة على بعد انكلترا عن الطمع بها فقد قال في خاتمة تقريره :

« ثم ان ادخال النظامات النيابية في البلاد يدل على بعدنا عن الاغراض الذاتية فلو كنا نود جعل حكومتها تحت حمايتنا لما كنا نفكر في تلك النظامات الا في اخر الامر لانه مهما كان للدولة الحامية من المراقبة الشديدة والسيطرة على حكومة مطلقة ضعيفة فان مالهذه الدولة من صفات الامر والنهي في مثل هذه الحال يزول اذا كان للشعب مجلس نواب ينوبون عنه فان اوامر وكيل الدولة المحتلة تبطل بما يبديه الوزير من قول لا اقدر على ابدائه . ولكن قبل ان يقال بانه يوجد ضمانة لاستقلال مصر يلزم وقت كاف لتثبيت النظام الاداري الذي هو العنوان الاول للاستقلال ولمقاومة النفوذ الموجب للشقاق من الداخل والخارج وللتمرن على ذلك النظام ومعرفة مزاياه وخصائصه »

فتأهيل الامة لتحكم نفسها بحكومة دستورية نيابية لا يتم الا بترقية تلك الامة بالتعليم

الراقي والتربية السامية وهذا ما اوصى به اللورد دفرين كما رأيت ولم يذكر شيئاً عن الصحافة فاللورد كرومر لم يلتفت الى ترقية التعليم ولكنه اطلق حرية الصحافة ومنح الحرية الشخصية قولاً وفعلاً فنهضت الجمعية العمومية تطلب مجلساً نيابياً والحكومة لم تجب طلبها « لان الامة لم تستعد لذلك » والذنب في عدم استعدادها ليس لها بل للحكومة وبعبارة اخرى على عميد الاحتلال لان المصريين تعودوا ان يكونوا عالة في التعليم على حكومتهم وهذه امسكت يدها عن تعليمهم بمشورة اللورد طبعاً ولا ندري هل أشار بذلك ليضعف التعليم عمداً او أرجأ ترقيته الى أجل او هو يعتقد ان المصريين لا ينبغي ان يخرجوا في تعليمهم عما يقتضيه الاستخدام في مصالح الحكومة من الاقتصار على المبادي الاولية اللازمة لترجمة تقرير او كتابة تحرير في العربية والانكليزية اوالفرنساوية — وليس من شأننا الحكم في حقيقة ما اراده وانما اردنا انصاف هذا الرجل العظيم بعد ان خدم هذه البلاد نحو ربع قرن خدمة اذاب فيها دماغه وانهك اعصابه فلا يرجى ان يصيب في كل عمل لان الكمال لله وحده . ولا حرج عليه اذا اتبع الوجهة التي ظنها انفع لمصلحة دولته كما لا يلام الوطنيون اذا شكوا مما يؤلمهم وان كان الايلام غير مقصود

على ان ضعف التعليم في المدارس المصرية اقعد الوطنيين عن القيام بالوظائف الكبرى واللورد دفرين اوصى حكومته ان تبذل جهدها بتحويل وظائف الحكومة المصرية الى الوطنيين وكان عدد المستخدمين فيها من الافرنج يومئذ (سنة ١٨٨٢) ١,٠٥٤ من ٢٠,٠٠٠ مستخدم اي خمسة في المئة فاصبح عددهم الآن ١,٢٥٢ من ١٣,٢٧٩ اي نحو عشرة في المئة . وكان المستخدمون الافرنج سنة ١٨٨٢ معظمهم من الايطاليان هكذا :

عدد المستخدمين	
١٤٠	انكليز
١٠٠	مالطيون وغيرهم تحت حماية انكلترا
٢٤٠	فرنساويون
٣٠٠	ايطاليان
١٠٤	يونان
١١٥	نمساويون والمان
٠٥٥	امم أخرى
١,٠٥٤	

فالموظفون الاجانب في الحكومة المصرية الآن ١٫٢٥٢ اجنبياً منهم ٦٦٢ انكليزياً اكثرهم في الوظائف العالية و٥٩٠ من الامم الأُخرى وعذر الحكومة في تفضيل الاجانب ان الوطنيين غير كفء للعمل ومن اهم اسباب عجزهم ضعف التعليم وقلة العناية في تربيتهم التربية اللازمة للمناصب العالية والذنب في ذلك ليس لهم كما رأيت — الأ اذا قسناهم بسائر الامم المتمدنة فنرى التقصير في ذلك منهم الا قد آن لهم ان يتخلصوا من كفالة الحكومة من حيث التعليم والتربية كما تخلصوا من الاستسلام لاعمالها واخذوا ينتقدونها و يشددون النكير عليها

فاتكال الامـة على حكومتها في التعليم كل الاتكال انما يكون في عهد طفوليتها فاذا بلغت واثرت وارتقت صحافتها وجب عليها الاهتمام بنفسها بانشاء المدارس العالية من اموالها وتدريب ابنائها على الخطة التي يرون فيها مصلحتهم · فاذا نظرنا في مسألة التعليم من هذا الوجه تحوّل اللوم عن عميد انكلترا ومستشاريه والقي على عاتق كبار الامة وعقلائها · وقد ادرك هؤلاء هذه الحاجة فنهضوا لانشاء الجامعة المصرية فعسى ان لا يثبط عزائمهم نقد ولا يقعدهم لوم فانهم انما يدركون مرادهم بالتعليم الراقي سواء ارادوا الاستقلال او الحكم الدستوري او انشاء مجالس نيابية او هيئات دولية وسواء ارادوا ان يفعلوا ذلك بالسيف او بالقلم بالعنف او بالحسنى انما يحتاجون قبل كل شيء الى تهذيب النفوس وتدريبها على معرفة الحق والواجب وهـذا لا يكون الأ بتلقي العلوم العالية والتربية على المبادىء الراقية في المدارس الكبرى

فلا يختلف اثنان ان اللورد كرومر احسن خدمة مصر ادارياً وماليًا وانها مدينة له بذلك · وانهُ نظر في خدمتها سياسياً الى مصلحة دولته فابعدها عن الغرض الذي رمى اليه اللورد دفرين في تقريره من اعدادها للاستقلال · واذا قصر في ترقيتها من جهة التعليم والتربية فعلى الامة ان تقوم بسد ذلك النقص والله ولي التوفيق

الى مصر

ماذا جنيتِ وما جناه بنوكِ	اظلمتهم يا مصر ام ظلموكِ
فبسمتِ للغرب الطموح واهله	ومنحتهم فوق الذي منحوكِ
وعبستِ في وجه الشآم وانما	قطر الشآم وان عبستِ اخوكِ

(حافظ)

الاحصاء

تشتغل الحكومة المصرية الآن باحصاء سكان هذا القطر حسب اجناسهم واديانهم ومهنهم واسنانهم ومعارفهم فرأينا بمناسبة ذلك ان نقول كلمة في الاحصاء وتاريخه وانواعه

تاريخ الاحصاء

الاحصاء قديم مثل قدم العمران لان رئيس الجماعة أو قائدهم يهمه معرفة عدد رجاله والاطلاع على ما يملكون. فشيخ القبيلة كان يحصي ما في قبيلته من المقاتلة الذين يحملون السلاح. وملك المدينة كان يحصي ما في مدينته من الرعية الذين يؤدون الاتاوة أو الخراج. واقدم احصاء ذكره التاريخ احصاء موسى الكليم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد فقد جاء في سفر الخروج (ص ٢٨ عدد ٢٦) ان بني اسرائيل ممن ادرك العشرين فصاعداً بلغ عددهم ٦٠٣,٥٥٠ نفس وجاء ذكر مثل هذا الاحصاء أيضاً في سفر العدد ص ١ و٢ و٢٤. وقد احصاهم داود في اول القرن الحادي عشر قبل الميلاد فبلغ عدد البالغين منهم من سن العشرين فما فوق ١٣٠٠٠٠٠ نفس وهو يطابق احصاء يوسيفوس. وجاء احصاؤهم في سفر الايام أيضاً فكان مجموع ذلك ١,٥٧٠,٠٠٠ نفس فيكون عدد الاسرائيليين في زمن داود كباراً وصغاراً ذكوراً واناثاً نحو ٦,٠٠٠,٠٠٠ نفس وهو نحو عددهم الآن

ويلي احصاءات اليهود بالقدم احصاءات الرومان واقدم من ذكر احصاؤه ديمتريوس فاليريوس سنة ٣١٧ قبل الميلاد وذكروا احصاء اقدم منه لسرفيوس طوليوس ولكنه لم يثبت انه احصى فعلاً. على ان اتم احصاءات الرومانيين الاحصاء الذي أجروه في زمن اوغسطس قيصر حوالي ميلاد المسيح. وكانت عادتهم في الاحصاء ان تقتسم الحكومة هذا العمل في الولايات وكل ولاية تهتم باحصاء رعاياها فتدعو رئيس كل عائلة فيأتي بنفسه بين يدي العداد فيذكر اسمه واسم والده وهل هو متزوج وما هو اسم قرينته واسماء أولاده واعمارهم وما قيمة ما يملكه من الارض وغيرها

ويلي الرومان في الاحصاء الايطاليان واقدم احصاءاتهم احصاء فلورنسا

سنة ١٥٢٧ واحصاء البندقية سنة ١٥٨٤ ففرنسا سنة ١٧٠٠ فاسوج سنة ١٧٤٩ فالولايات المتحدة سنة ١٧٩٠ واراد الانكليز أن يحصوا سكان بلادهم سنة ١٧٥٣ فنعوا من ذلك بدعوى انه يخالف مبادئ الحرية الشخصية . على انهم بدأوا بالاحصاء من اول القرن التاسع عشر على ان يعيدوه كل عشر سنين

أما العرب فلم يلتفتوا الى وضع احصاء عام لمملكتهم وانما كانوا يحصون البالغين من رعاياهم اهل الذمة في الولايات ممن تحق عليه الجزية . ولم يصلنا من هذه الاحصاءات الا ما ذكروه عن مصر وسيأتي ذكره في الكلام عن احصائها . اما العرب فهم في صدر الاسلام الجند المحارب وكانوا ينزلون ضواحي البلاد المفتوحة وكان للامراء والخلفاء عناية حسنة في احصائهم وتدوين من يولد فيهم ليعلموا مقدار ما يطالب لهم من العطاء (الرواتب) على طريقة عمر في ديوانه وهو ديوان الجند . ففي صدر الاسلام كان في ضاحية كل بلد معسكر يقيم فيه المسلمون بحسب قبائلهم و بطونهم ثم صارت تلك المعسكرات مدناً كالفسطاط والبصرة والكوفة ونحوها وكان امير كل معسكر يدون اسماء رجاله بحسب قبائلهم و يترقب من يولد لهم من ذكر أو انثى فيدون اسمه وميلاده . وكانوا يجعلون على كل قبيلة من القبائل النازلة هناك رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول « هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل » فيقال « ولد لفلان غلام ولفلان جارية » فيكتب اسماءهم و يقال نزل بهم رجل من اهل كذا بعياله فيسميه وعياله فاذا فرغ المنادي من القبل اتى الديوان حتى يثبت ذلك في الدفاتر . وما زال ذلك شأنهم حتى ضعف العنصر العربي في الدولة العباسية فاسقطت تلك الاسماء من الدواوين وصار التدوين للاعاجم . وفي كل حال لم يكن عند المسلمين احصاء عام على نحو المفهوم منه اليوم

احصاء سكان الارض

قد رأيت مما تقدم ان الامم انما كانت تهتم بالاحصاء لمصلحة تتعلق بداخليتها فاليهود احصوا انفسهم والرومان احصوا سكان مملكتهم و ربما فعل الفرس مثل ذلك ايضاً واما احصاء سكان الارض على الاجمال فلم يتعرض له أحد قبل اواسط القرن

السابع عشر للميلاد واول من تصدى لذلك ركيولي الايطالي سنة ١٦٦٠ ثم احصاهم غيره وكان احصاؤهم تخمينياً وأول من عني في الاحصاء بدقة وضبط الالمان بهم وواكنر الالمانيان من سنة ١٨٨٠ وهاك احصاء سكان الارض على اختلاف الاعصر مع اسماء الذين احصوه وسني الاحصاء :

اسم المحصي	سنة الاحصاء	عدد السكان بالملايين
ركيولي	١٦٦٠	١,٠٠٠ مليون
سوسميلك	١٧٤٢	٩٥٠ »
فولتير	١٧٥٣	١,٦٠٠ »
فولني	١٨٠٤	٤٣٧ »
بنكرتن وفابري	١٨٠٥	٧٠٠ »
ملطبرون	١٨١٠	٦٤٠ »
مورس	١٨١٢	٧٦٦ »
بالبي	١٨١٦	٧٠٤ »
هاسل	١٨٢٤	٩٣٤ »
ستاين	١٨٣٣	٠٨٧٢ »
روجمان	١٨٣٨	٨٥٠ »
برنولي	١٨٤٠	٧٦٤ »
كولب	١٨٦٨	١,٢٧٠ »
بهم وو كنر	١٨٨٠ و١٨٨٢	١,٤٣٤ »
رافنستين	١٨٩٠	١,٤٦٨ »
بهم وو كنر (ايضاً)	١٨٩١	١,٤٨٠ »
....	١٩٠٠	١,٥٨٣ »

ولكل مملكة تاريخ خاص لاحصاء سكانها يظهر فيه تدرجها في النمو مما لا محل له هنا فنقتصر على مصر لاننا مقيمون فيها

احصاء مصر

يغلب على الظن لن مصر دخلت في جملة احصاء المملكة الرومانية وان كنا لم نقف على احصائها الحقيقي ولكن يؤخذ من بعض نصوص مؤرخي اليونان ان المصريين بلغ عددهم في عهد البطالسة نحو ثمانية ملايين نفس ولا نعرف احصاء لهم صريحاً قبل الاحصاء الذي ذكرهُ العرب عند الفتح فقد أجمع مؤرخو العرب على ان سكان مصر عام الفتح كان عددهم يزيد على ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ والعرب لم يذكروا عـدد السكان ولاهم احصوهم فرداً فرداً ولكنهم ذكروا الرؤوس التي ادت الجزية فبلغ عددها ٦,٠٠٠,٠٠٠ وهي تشمل البالغين من الرجال فاذا اعتبرناهم ربع السكان كان عددهم جميعاً ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ نفس او قل ٢٠ مليوناً وهو عدد كبير في نظر اهل هذا الزمان حتى انكره بعضهم وعدّه من « عادات الشرقيين في المبالغة » قال ذلك الدكتور كلوت بك في كتابه عن مصر المطبوع سنة ١٨٤٠ وهو انما قال ذلك لان عدد سكان مصر في أيامه لم يكن يزيد على ثلاثة ملايين فكيف يصدق زيادته الى سبعة اضعافه وقد علل استحالة ذلك بقوله «يؤخذ من احصاء مؤرخي اليونان ان سكان هذا القطر بلغ عددهم في زمن سيزستريس والبطالسة نحو سبعة ملايين نفس الى ثمانية واما مؤرخو العرب فزعموا ان عـددهم في زمن عمرو بن العاص بلغ عشرين مليوناً وهو قول يدلُّ على عادة الشرقيين في المبالغة بكتاباتهم . . . لاننا لو قسنا مصر بما نعلمه في سواها من نسبة عدد الناس الى مساحة ما يتوطنونه من الارض لوصلنا الى نتيجة تنفي كل شك . فمصر مساحتها سدس مساحة فرنسا ومهما قلنا في خصب وادي النيل وما يمكن الوصول اليه من امتـداد الزراعة وزيادة العمارة ولو سلمنا بامكان استثمار البقاع الرملية — فمع كل هذه الوسائل لا يرجى زيادة عدد السكان على ثلث الاحصاء الذي ذكره العرب » (اي نحو ٦,٣٣٣,٠٠٠ نفس) — هذا هو رأيهُ وانت ترى ان سكان مصر بلغ عددهم في احصاء سنة ١٨٩٧ نحو عشرة ملايين وربما زاد في الاحصاء الاخير على ١٢ مليوناً ولا يمضي بضع سنين حتى يناهز ١٤ مليوناً اي اكثر من ضعفي ما ظنه الدكتور كلوت بك غاية ما يمكن الوصول اليه

ولم يقتصر المسلمون على احصاء صدر الاسلام فقد كانوا يحصون رجال هذا القطر كل بضعة اعوام لاجل تعديل الجزية والخراج احصاء رسميا في ازمنة معينة وأشهر هذه الاحصاآت حدث في امارة الوليد بن رفاعة سنة ١١٠ ﻫ وذكروا انهُ خرج ليحصي اهلها وينظر في تعديل الخراج فاقام ستة اشهر بالصعيد حتى بلغ اسوان ومعه جماعة من الكتاب والاعوان وثلاثة اشهر في الوجه البحري فاحصوا من في القرى ١٠,٠٠٠ قرية وفي اصغر قرية ٥٠٠ جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية فجملة ذلك على الاقل ٥,٠٠٠,٠٠٠ رجل وعلى متوسط ما يلحق ذلك من النساء والاولاد والشيوخ يكون المجموع نحو ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس

واختلف عدد سكان مصر باختلاف العصور فكان ينمو في ظل العدل والامن ويضعف تحت نير الظلم والاستبداد حتى بلغ اقله في عهد الامراء المماليك في القرنين السابع عشر والثامن عشر لكثرة الذين هاجروا هذا القطر فرارًا من الظلم فانحط عدد سكانه في ايامهم الى اقل من مليونين او مليون ونصف. فلما افضت حكومة مصر الى محمد علي باشا وأخذت في نهضتها الأخيرة اخذ عدد سكانها في الزيادة وكانوا يقدرونها تقديرا تقريبيا واول احصاء رسمي اجرته الحكومة سنة ١٨٧٦ ثم سنة ١٨٨٢ و١٨٩٧ وفي هذا العام وهاك ترتيب الاحصاءات الرسمية :

سنة	عدد السكان
١٨٧٦	٥,٢٥٢,٠٠٠
١٨٨٢	٦,٨١٣,٩١٩
١٨٩٧	٩,٧٣٤,٤٠٠

واما احصاء هذا العام فتظهر نتائجه قريباً وربما ناهز ١٣ مليونًا

قال الامام الشافعي

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت نفسي من هم العداوات

اني أحيي عدوي عند رؤيته ... لادفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للانسان ابغضه ... كأنما قد حشى قلبي محبات

الناس داء دواء الناس قربهم ... وفي اعتزالهم قطع المودات

الغلاء او ارتفاع الاسعار

١ — الغلاء الخاص

الغلاء اما عارضٌ خاص او طبيعيٌ عام والعارض يطرأ بغتةً لاسباب وقتية على صنف من اصناف التجارة يقل وروده الى السوق والناس في حاجة اليه فيزداد طلبه فيرتفع سعره مما يحصل في الاسواق كل يوم على اختلاف الازمان والاحوال . وقد يكون السبب في ارتفاع السعر بعض الطوارئ الطبيعية من قحط اومرض يصيب المغارس فيضعف محصولها فيقل واردها فترتفع اسعارها . وقد يصطنعه بعض ارباب المطامع من التجار فيحتكرون صنفاً من اصناف التجارة اللازمة للناس ويرفعون سعره فيبتاعه الناس لاضطرارهم اليه وقد يكون من اهم لوازم الحياة كالحنطة او الزيت او نحوهما وفي التاريخ شواهد كثيرة من هذا القبيل اقربها عهداً منا ما كان يقع من غلاء الحبوب في مصر على عهد الامراء المماليك وقبلهم

على ان اقدم غلاء ذكره التاريخ ايام يوسف الصديق على عهد الفراعنة وهي سبع سني المجاعة المشهورة كان الجوع عاما في الارض الا مصر فان الطعام كان مختزناً فيها كما هو مشهور وهي من اقل البلاد تعرضاً للغلاء بالنظر الى خصب تربتها وكثرة خيراتها الا اذا قصر الفيضان

واقدم غلاء حدث بمصر بعد الفتح الاسلامي كان سنة ٨٧ للهجرة في خلافة عبد الملك بن مروان وغلاء سنة ٣٣٨ ﻫ في عهد الدولة الاخشيدية واميرها أبو القاسم ابن الاخشيد فمقته الناس ومنعوه من الصلاة . وحدث نحو ذلك سنة ٣٤١ ﻫ لتكاثر الفار حتى اتلف الغلات والكروم . وفي سنة ٣٤٣ ﻫ قصر النيل فقلت الغلة ثم عدمت فثار الناس وكسروا المنبر بمصر واستمر هذا الجوع تسع سنين . وتوالى الجوع من نقص مياه النيل عدة سنين وفي سنة ٣٥٦ ﻫ لم يبلغ ارتفاعهُ الا ١٢ ذراعاً واصابع ولم يسبق مثل ذلك في الملة الاسلامية فوقع هذا الغلاء في الدولة الاخشيدية وعلى أمارة مصر يومئذ الاستاذ كافور فعظم الامر من شدة الغلاء ثم مات كافور

فكثر الاضطراب وتعددت الفتن وكانت حروب كثيرة بين الجند والامراء قتل فيها خلق كثير وانتهبت اسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة فاشتد خوف الناس وضاعت اموالهم وتغيرت نياتهم وارتفع السعر وتعذر وجود الاقوات . ووافق ذلك عزم الفاطميين على فتح مصر فكاتب بعض المصريين قائد جنود الفاطميين بالمجيء الى مصر فجاء وفتح البلاد على اهون سبيل وابتنى القاهرة واستقدم مولاه المعز لدين الله الخليفة الفاطمي واهتم بالاسعار فوجد اكثرها مصطنعاً طمعاً من الطحانين واصحاب الغلال فضرب جماعة منهم وطاف بهم في الاسواق وجمع سماسرة الغلات في مكان واحد وحكم ان لا تباع الغلال الا هناك فقط ولم يجعل لمكان البيع غير طريق واحد واستمر هذا الغلاء الى سنة ٣٦٠ فاشتد الوباء فيها (الطاعون) وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين الاموات وفي السنة الثانية انحل الغلاء واخصبت الارض . وحدث غلاء في خلافة الحاكم بأمر الله تكرر مراراً

واكثر اسباب الغلاء فيما تقدم انما هو من تقصير النيل ولم تكن عندهم الوسائل الكافية لملافاة اضراره . وكثيراً ما كان يقع الغلاء لسوء الاحكام اذ يطمع الناس بعضهم ببعض ويكف المزارعون عن الزراعة وتقل الغلة ويشتغل الناس بالمخاوف عن المرافق واكثر ما يقع ذلك في أواخر الدولة كما حدث سنة ٣٥٦ هـ آخر الدولة الاخشيدية وسنة ٤٥٧ هـ ايام المستنصر بالله الفاطمي فقد وقع غلاء فاحش استمر سبع سنين . وسببه ضعف السلطنة واختلال احوال المملكة واستيلاء الامراء على الدولة واتصال الفتن بين العرب . ووافق ذلك قصور النيل واشتغال الناس عن الزرع — قال المقريزي « وتزايد الغلاء وعقبه الوباء حتى تعطلت الارض من الزراعة وخيفت السبل براً وبحراً وتعذر السفر الا بالخفارة الكبيرة وركوب الغرر واستولى الجوع لعدم القوت حتى بيع الاردب من القمح بثمانين ديناراً بل بيع الرغيف بسوق القناديل من الفسطاط بخمسة عشر ديناراً واكلت الكلاب والقطط حتى قلت فبيع الكلاب ليؤكل بخمسة دنانير وتزايد الحال في ذلك حتى اكل الناس بعضهم بعضاً وتحرز الناس وكانت طوائف تجلس باعلى البيوت ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب فاذا مر بهم أحد القوها

عليه ونشلوه في اسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه . ثم آل امر المستنصر الى ان باع كل ما في قصوره من ذخائر وثياب وسلاح وغيرها وصار يجلس على حصير وتعطلت دواوينه وذهب وقاره وكان نساء القصور يخرجن ناشرات شعورهن يصحن الجوع الجوع يردن المسير الى القرافة فيسقطن عند المصلى ويمتن جوعاً » اه

ولم يكن سبب هذا الغلاء ما ذكرناه من اختلال الاحكام وتقصير النيل فقط ولكن تجار الغلال كانوا يخزنونه ليبيعوه بالثمن الغالي واخبر المستنصر بذلك فبعث الى الوالي (محافظ القاهرة) وتوعده وهدده ان لم يبادر الى استخراج الغلة من مخابئها فبعث الى تجارها واجتمع بهم في مجلس استقدم اليه بعض المجرمين المحكوم عليهم بالاعدام البسهم لباس التجار فلما التأم المجلس امر الوالي باحضار احد اولئك المجرمين فجيء به فاوهم الحاضرين انه تاجر وقد خزن الغلة ولذلك امر بقتله فلما قتل بضعة من اولئك خاف التجار المحتكرين للغلة ووعدوا الوالي باخراجها وادارة الطواحين وتعمير الاسواق على ان يعفو عنهم ففعل وخفت وطأة الغلاء عن الناس

وتكرر الغلاء في الدولة الفاطمية بسبب احتكار الغلة وحبسها وكانت الحكومة تمنع ذلك على قدر الامكان

وحدث الغلاء غير مرة في الدولة الايوبية اهمها وقع في ايام الملك العادل بن ايوب سنة ٥٩٧ هـ بسبب توقف النيل عن الزيادة وانتهت زيادته الى ١٢ ذراعاً واصابع ذكروا انه عدم القوت حتى اكل الناس الاطفال من الجوع وكان الاب يأكل ابنه مشوياً ومطبوخاً وكذا الام فعوقب جماعة بسبب ذلك ثم فشا الامر وأعيا الحكام فكان يوجد بين ثياب الرجل والمرأة كتف صغير او فخذه او شيء من لحمه ويدخل بعضهم الى جاره فيجد القدر على النار فينتظرها حتى تتهيأ فاذا هي لحم طفل . واكثر ما وجد ذلك في اكابر البيوت بل وجدت لحوم الاطفال بالاسواق والطرقات مع الرجال والنساء مختفية وغرق في شهرين ثلاثون امرأة بسبب ذلك

وقد شهد ذلك الغلاء عبد اللطيف البغدادي الرحالة المسلم الشهير في اثناء سياحته بمصر فقال « دخلت سنة ٥٩٧ هـ مفترسة اسباب الحياة وقد يئس الناس من زيادة

النيل وارتفعت الاسعار واقحطت البلاد وأشعر اهلها بالبلاء وهرجوا من خوف الجوع وانضوى اهل السواد والريف الى امهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد أيدي سبا ومزقوا كل ممزق ودخل القاهرة ومصر منهم خلق عظيم واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت وعند نزول الشمس الحمل وبىء الهواء ووقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى اكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والارواث ثم تعدوا ذلك الى ان اكلوا صغار بني آدم فكثير ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون فيأمر صاحب الشرطة باحراق الفاعل لذلك والآكل ورأيت صغيراً مشوياً في قفة وقد احضر الى بيت الوالي ومعه رجل وامرأة زعم الناس انهما ابواه فامر باحراقهما

« ووجد في رمضان بمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم فاكل وبقي قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم ـ ومثل هذا اعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطلبه بكل حيلة وكذلك كل من اثر الاطلاع على علم التشريح وحين ما ابتدأ الفقراء في اكل بني آدم كان الناس يتناقلون اخبارهم ويفيضون في ذلك استفظاعاً لامره وتعجباً من ندوره ثم اشتد قرمهم اليه وضراوتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطيبة ومدخراً وتفننوا فيه وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حينئذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسماع له

« ولقد رأيت امرأة مشججة يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفروا معها بصغير مشوي تأكل منه وأهل السوق ذاهبون عنها ومقبلون على شؤونهم لم ار فيهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبي منهم اشد وما ذلك الا لكثرة تكرره على احساسهم حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق ان يتعجب منه ورأيت قبل ذلك بيومين صبياً نحو الرهاق مشوياً وقد أخذ به شابان أقرا بقتله وشيه واكل بعضه

« وفي بعض الليالي بعد صلوة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فبينما هو الى جانبها اغتنمت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيئاً وحكى لي عدة نساء انه يتوثب عليهن لاقتناص أولادهن ويحامين عنهم بجهدهن

« ورأيت مع امرأة فطيماً فاستحسنته وأوصيتها بحفظه فحكت لي انها بينما تمشي على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو الارض حتى ادركها فارس وطرده عنها وزعمت انه كان يهم بكل عضو ويظهر منه ان يأكله وان الولد بقي مدة مريضاً لشدة تجاذبه المرأة والفارس

« وتجد اطفال الفقراء وسبيانهم ممن لم يبق له كفيل ولا حارس منبثين في جميع اقطار البلاد وأزقة الدروب كالجراد المنتشر ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ

« واكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما اظن العلة فيه الا ان النساء أقل حيلة من الرجال وأضعف عن التباعد والاستتار ولقد احرق بمصر خاصة في أيام يسيرة ثلاثون امرأة كل منهن تقر انها اكلت جماعة فرأيت امرأة قد احضرت الى الوالي وفي عنقها طفل مشوي فضربت اكثر من مائتي سوط على ان تقر فلا تحير جواباً بل تجدها قد انخلعت عن الطباع البشرية ثم سحبت فماتت » اه

٢ — الغلاء الطبيعي العام

واما الغلاء الطبيعي العام فانه يحدث لاسباب عمرانية عامة وترافقه نهضة مالية تكثر فيها الاموال في إيدي الناس فترتفع أسعار السلع والغلات وسائر مرافق الحياة على السواء كما حدث في مصر لهذا العهد. واسباب هذا الغلاء في الغالب نشوء دولة او احتلال مملكة او فتح بلد او انشاء مدينة لغرض سياسي او تجاري او انتقال من عصر الى عصر او اكتشاف منجم او تجديد العلائق التجارية مع مملكة او نحو ذلك من احوال العمران التي تتوفر بها الثروة بين أيدي الناس ويكثر الذهب فتقل قيمته فترتفع قيم الاشياء التي يبادل بها

ولو راجعنا التاريخ لرأينا من ذلك امثلة تفوق الحصر على اختلاف الدول والاعصر والامصار نكتفي ببعض ما كان منها في المملكة الاسلامية منذ خرج العرب من جزيرتهم وفتحوا العالم فكانوا اذا انشأوا مدينة لا يمضي على انشائها زمن حتى تغص بمن يفد عليها من جالية الامم المجاورة للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الادب فتكثر الاموال في

ايدي الناس وترتفع الاسعار وتغلو الاجور . اعتبر ما كان من ذلك عند بناء بغداد ولم يمر عليها قرن حتى ضربت بثروتها الامثال اذ تسربت الاموال الى خزائنها ثم فاضت على رجال الدولة والمقربين فتوسعوا باسباب العيش فانتقلت الاموال الى التجار والعامة وتكاثر الذهب بين أيدي الناس وبعد ان كان أحدهم يقضي حاجياته بدراهم قليلة اصبحت الاسعار تقدر بالدنانير أو مئات الدراهم

وكان العربي في بداوته يكتفي من الكساء بالشملة أو البرد أو الحبرة واثمانها لا تتجاوز عشرات الدراهم فاصبح وهو يتمتع بالخز والوشي ويلبس الاقبية الثمينة يبذل في القطعة الواحدة عشرات الدنانير وبلغ ثمن العمامة الديبقي خمسماية دينار وربما لبس احدهم عشرة اقبية معاً وقد يجتمع عند احدهم عشرات أو مئات أو الوف من القطعة الواحدة

وبعد ان كانوا يفترشون الادم أو التراب اتخذوا الاثاث والرياش وتأنقوا في اصطناعه من الابنوس والعاج والحرير والخز ورصعوه ووشوه وبذلوا في اقتنائه الوف الدنانير . وبعد ان كانوا يقتاتون بالتمر والحبوب والالبان باسط احوالها مما يباع بدراهم أو دوانق صاروا ينفقون الدنانير في السكباج والدراج والفالوذج واللوزينج والجوزاب والخشاف وغيره على ما فصلناه في الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي . ويطلق ذلك على سائر المدائن الاسلامية في ابان دولة الاسلام بالفسطاط والقاهرة والبصرة والكوفة وغيرها

وما زالت الاسعار غالية على هذه الصورة حتى تقهقرت الدولة الاسلامية في الاجيال الوسطى وقل الذهب فرخصت الاسعار وعادوا الى احترام الدرهم . وبعد ان كان الرجل يجيز الشاعر بالف دينار او بضعة آلاف اصبح صاحب الألف من الدراهم او القروش يعد غنياً فدخل القرن التاسع عشر والناس في مصر والشام يتعاملون بالبارات او الميدات او الانصاف وبعدها القروش واكبر مبلغ كانوا يتعاملون به الكيس وهو خمسمئة غرش

فلما طرأ على ذينك البلدين ما طرأ من الاحوال السياسية في أوائل ذلك القرن

وتداخل الاجانب في شؤونه ونقلت اليه وسائل التمدن الحديث حدثت فيه نهضة عامة مالية واجتماعية وعلمية فتبدلت النقود وارتفعت الاسعار حتى اصبحت البارة لا يعتد بها وتدرجت قيمة القرش بالهبوط تدريجاً كما بيناه صفحة ٥٤٥ من هلال السنة الماضية حتى بلغ ما هو عليه الآن فكان الرجل يشتري بالقرش دجاجة أو رطلاً من اللحم او ارطالاً من اللبن فاصبح لا يستطيع ابتياع ذلك الا بعدة قروش

على ان زيادة الاسعار كانت على معظمها في اثناء العقد الاخير من القرن الماضي والعقد الاول من هذا القرن واليك امثلة من ذلك مما كانت عليه اسعار المأكولات ونحوها من حاجيات الحياة يوم اصدرنا الهلال سنة ١٨٩٢ وما صارت اليه اليوم فيظهر الفرق في اسعارها بأثناء ١٥ سنة

اسعار المأكولات في سنة ١٨٩٢ و١٩٠٧ بالقرش المصري

	سنة ١٨٩٢	سنة ١٩٠٧
الحنطة ثمن الاردب	٨٠	١٢٠
الفول «	٦٥	١٣٠
العدس «	٧	١٤٠
اللحم الضاني الرطل	٣	٤
« البقري الاقة	٦	١٠
السمن الرطل	٣	٦
الزبدة «	٢ ١/٢	٥
اللبن «	١/٢	١
الجبن البلدي الرطل	١	١ ٣/٤
البيض كل مئة بيضة	٨	٢٥
السمك الاقة	٥	١٠
الجبن الرومي الاقة	١٠	١٢
الموز الاقة	٣	١٠
البردقان المئة	١٠	٢٥

البلح الامهات الخمسة ارطال	١	٢
الخضار ما كان يساوي	١	٢
الدجاج الواحدة	٥	١٠
الارز الفرد	٦٠	٨٠
اجرة المنزل الشقة بالشهر	٣٠٠	٦٠٠
الخادم اجرته بالشهر	٥٠	١٢٠
بدلة الجوخ التي كانت تساوي	٢٠٠	٣٠٠

فترى من هذا الجدول ان معظم حاجيات المعيشة تضاعفت اثمانها و بعضها زاد على ضعفيه واقلها زادت قيمته خمسين في المئة . فلاجناح علينا اذا اعتبرنا معدل الزيادة مئة في المئة ولاغرو اذا زادت اجور الصناع وسائر العمال . وزيادة اجور هؤلاء تقتضي زيادة اثمان السلع التجارية على اختلاف انواعها لارتباط اجور المصنوعات باسعارها فاذا زادت هذه زادت تلك و بالعكس

ولذلك رأينا الغلاء عاماً في كل شيء فالعائلة التي كانت تكتفي في نفقتها بالف غرش لم يعد يكفيها اقل من الفين . فطلب المستخدمون زيادة الاجور وزاد التاجر اثمان بضائعه على نسبة ما ازداد في اجور عماله و في ثمن غذائه ومأواه . فتبودلت الزيادات وتوازنت المداخيل . فالتاجر الذي زادت نفقة منزله الى ضعفيها زاد كسبه على تلك النسبة وكذلك العامل أو المستخدم فالذي كان راتبه عشرة غروش صار عشرين غرشاً فتضاعف دخله كما تضاعفت نفقاته .

فالذين ساروا على هذه الخطة في رفع الأسعار أو زيادة الاجور لا بأس عليهم من الغلاء ولكن هناك طائفة من المستخدمين تحملوا اثقال الغلاء ولم يلحقهم نصيب من زيادة الاجور نعني بهم مستخدمي الحكومة فهؤلاء قد تضاعفت نفقاتهم وما زالت رواتبهم على حالها منذ كانت الاسعار رخيصة . فهم الفئة المظلومة ولم تنكر الحكومة تظلمهم فهمت بالتعويض عليهم بزيادة الرواتب على اسلوب جديد وقد مضى سنة وبعض السنة ولم نعمل شيئاً يستحق الذكر ولا ندري ما اوجب هذا التسويف

والقضية بسيطة والحق فيها واضح

ومن تقلبات الزمان أن مستخدمي الحكومة كانوا في التمدن الاسلامي هم واسطة نقل الثروة من بيوت الاموال الى اهل الاسواق لان الثروة في عهد ذلك التمدن كانت تبدأ في خزينة الحكومة وتنتقل منها الى رجال الدولة ومن يلتف حولهم من اعوانهم واتباعهم ومواليهم وهؤلاء ينفقونها في الاسواق على السلع والمأكولات

اما التمدن الحديث فقد تغيرت فيه اساليب الارتزاق واصبحت ثروة العامة من ثمار اعمالهم ونتاج قرائحهم في الصناعة أو التجارة أو الفنون والعلوم بقطع النظر عن ثروة الدولة وان كانت الثروتان متلازمتين اذا كان سببهما نهضة حقيقية وهي لا تكون حقيقية الا اذا احسنت الحكومة صيانتها بالعدل والامن والمحافظة على الحقوق فهل من العدل ان يتمتع بثمار هذه النهضة العامة وتترك رواتب رجال الدولة كما كانت ايام الرخص . . . وطبيعة العمران تقضي أن يكون رجال الحكومة من أول المتمتعين بتلك الثمار كما كان شأنهم في كل الازمنة والاعصر . ترتفع رواتبهم بزيادة الثروة وتهبط بهبوطها والتاريخ اصدق شاهد على ذلك . خذ كل وظيفة من وظائف الحكومة على حدة وراجع تاريخ راتبها من صدر الاسلام الى الآن فتحقق صدق هذه القاعدة

اقدم موظفي الدولة الجند وكان راتب الجندي في صدر الاسلام على عهد عمر ابن الخطاب من ٣٠٠ درهم الى ٥٠٠ في السنة والمسلمون في اوائل دولتهم ثم تقلبت هذه الرواتب بتقلب الدولة في العسر واليسر وباختلاف اغراض الخلفاء والسلاطين حتى بلغت في ايام السفاح ٩٦٠ درهماً وانحطت في الاجيال الاسلامية الوسطى وخصوصاً على عهد الامراء المماليك بمصر

فلما افضت الحكومة الى محمد علي باشا والف جنداً نظامياً بطبقاته المعروفة الآن جعل لهم رواتب بلغت في اواخر ايامه نحو رواتب الجند الآن الا الطبقات الصغرى من الصاغول اغاسي الى النفر فان رواتبه الآن اكبر مما كانت في تلك الايام واما الضباط الحكام فبعكس ذلك كما ترى في الجدول الآتي

رواتب الجندي المصري السنوية بالقرش المصري

الرتبة	ايام محمد علي	الآن
امير لواء	١٥٠,٠٠٠	٧٢,٠٠٠
اميرآلاي	١٠٠,٠٠٠	٥٦,٤٠٠
قائمقام	٣٦,٠٠٠	٣٦,٠٠٠
بكباشي	٣٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠
صاغقول اغاسي	١٥,٠٠٠	١٨,٠٠٠
يوزباشي	٦,٠٠٠	١,٠٠٠
ملازم اول	٣,٦٠٠	٧,٢٠٠
« ثاني	٣,٠٠٠	٦,٠٠٠
نفر	١٨٠	٣٦٠

واذا اعتبرنا الاسعار العمومية في عهد محمد علي وما بلغت اليه الآن رأينا رواتب الجند اليوم اقل كثيراً مما كانت في ذلك العهد

واعتبر ذلك بولاة الامصار كيف ارتفعت رواتبهم بارتفاع الثروة في التمدن الاسلامي فقد كان راتب الوالي أو العامل في زمن عمر بن الخطاب ٦٠٠ درهم في الشهر وزادت في ايام بني امية على ٥٠٠٠ درهم وبلغت في ابان الدولة العباسية ٢٥٠,٠٠٠ درهم وهي عمالة الفضل بن سهل من المأمون ولعلها خصوصية . وفي كل حال كانت اضعاف ما قبلها ثم انحطت فصارت عمالة مصر في اوائل القرن الرابع للهجرة ٦٠,٠٠٠ درهم في الشهر . ولما جاءت القرون الوسطى انحطت هذه الرواتب ثم عادت بعد النهضة العثمانية . وراتب الوالي الآن يتراوح بين ١٥٠ و ٢٥٠ ليرة عثمانية في الشهر

وتمشى على ذلك رواتب الوزراء والقضاة على ما بيناه في الجزء الثاني من تاريخ التمدن الاسلامي

ولم يكن دخل الوزير أو الكاتب أو غيرهما يقتصر على راتبه الخصوصي بل كانت الحكومة تقوم بنفقات كثيرة ورواتب لاولادهم واخوتهم وخدمهم

واتباعهم وارزاق ووظائف كثيرة وخصوصاً في مصر . فقد كان راتب الوزير في الدولة الفاطمية ٥٠٠٠ دينار في الشهر ولمن يليه من ولد أو أخ من ٣٠٠ الى ٢٠٠ دينار ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من ٥٠٠ — ٣٠٠ دينار ما عدا الاقطاعات غير ما يجري عليه وعلى اهله من المأكولات وسائر حاجيات الحياة . كان للوزير ابن عمار ايام العزيز بالله الفاطمي بمصر من الجرايات لنفسه وأهل حرمه من اللحم والتوابل ما قيمته ٥٠٠ دينار في الشهر . ومن الفاكهة سلة بدينار وعشرة ارطال شمع بدينار ونصف حمل بلح .

وكذلك الكتاب فقد كانوا يستولون فضلاً عن رواتبهم على اخرجة يومية تساوي اضعاف الراتب . وقد عدد المقريزي ما كان يستولي عليه كاتب من كتاب مصر في عهد الدولة الفاطمية في اليوم الواحد من البقول والتوابل والحلويات والاثمار والفاكهة والمطريات وسائر الاطعمة ومن الالبسة والافرشة وما كان يجري من ذلك كله على اولاده واهله فاستغرق تعداده نحو صفحتين أو ثلاث صفحات من قطع الهلال فاكتفينا بالاشارة اليه تفاديا من التطويل . فلما انحطت الدولة انحطت هذه الرواتب ثم نهضت مع هذه النهضة ولكنها لا تزال اقل مما يقتضيه الغلاء الأخير

وهناك طائفة من تخدمة العلم اصابها في هذه الثروة مثل مصاب مستخدمي الحكومة نعني المهن التي لها جعل معين يدفع في المرة أو في السنة كاجور الاطباء مثلاً واشتراكات الجرائد . فالطبيب لا تزال اجرته كما كانت من قبل وبدلات الاشتراك في الجرائد لا تزال كما هي — وقد لا يضر ذلك بالصحف السياسية لانها تعوّل في ارباحها على الاعلانات ونحوها وهذه لا حد لاسعارها ولا عبرة عندها ببدل الاشتراك زاد أو نقص . اما المجلات فعمدتها في رد نفقاتها على بدل الاشتراك فقط فاذا زادت نفقات الطبع والنشر وتضاعفت النفقات العامة وظل الاشتراك على حاله تعرضت للخسارة ولا ينقذها من ذلك الخطر الا زيادة بدل الاشتراك بما يعوض تلك الزيادة

البريد المصري

للبريد العام تاريخ طويل ربما أتينا عليه في وقت آخر وانما ازدنا ان نذكر تاريخ البريد المصري بمناسبة استقالة مديره العام سعادة يوسف باشا سابا بعد بضع وثلاثين سنة قضاها في خدمته كان في عشرين سنة منها مديراً عاماً ارتقت مصلحة البريد في ايامه ارتقاء بيناً ضارعت فيه ارقى برد العالم المتمدن فاستقالته من هذه المصلحة من اهم نقط تاريخها فنقول :

البريد المصري قبل هذه النهضة

البريد قديم وكانوا يريدون به غير ما يراد به الآن فكان صاحب البريد او صاحب الخبر اشبه برئيس البوليس السري او رقيب اصحاب الاعمال او هو عبارة عن عين الخليفة او الامير على رجاله او عماله فهو اشبه بقلم المخابرات في نظارة الحربية . فكان الملوك لا يولونه الا ثقاتهم من اهل التعقل والدراية وقد يولونه اولادهم . واول من اتخذ البريد في الاسلام معاوية بن ابي سفيان اقتداء بما كان قبله في الشام او ما أشار عليه به عماله في العراق . وكان الغرض منه في اول وضعه سرعة ايصال الاخبار بين الخليفة في الشام وعماله في مصر والعراق وفارس . ثم توسعوا فيه حتى جعلوه عيناً للخليفة على عماله وسائر رجال بطانته

وكان من الجهة الثانية واسطة العلاقة بين الخليفة وولاته ينقل اوامره اليهم واخبارهم اليه يحملونها على البغال او الجمال او الخيل في قطار يتألف من دابة فاكثر حتى تبلغ اربعين او خمسين دابة تسير في طرق للبريد خاصة تنقسم الى محطات او مواقف فيها دواب مسرجة فيبدل عمال البريد دوابهم التعبة بدواب مستريحة في كل موقف وكثيراً ما كانوا يستخدمون هذه الدواب لحمل بعض الناس الى الخليفة او الامير التماساً للسرعة

وكانوا يتراسلون ايضاً على ايدي الحمام ويسمونه حمام الزاجل وكان لهذا الحمام شأن كبير في التمدن الاسلامي استخدموه اولاً في العراق ثم الشام ومصر على عهد الدولة الفاطمية وكان بين الاسكندرونة وبين بغداد في العراق مخابرات متواصلة بحمام يسمونه حمام حلب . على انهم لم يعتنوا فيه العناية الكافية وينشئوا له الادارات الخاصة الا في العصور الاسلامية الوسطى فانهم عنيوا في ذلك عناية كبرى وخصوصاً في مصر . فقد كان للمخابرة بالحمام ابراج في قلعة القاهرة على عهد آل ايوبيين في القرن السابع للهجرة وقد بلغ عدد الحمام المستخدم لهذه الغاية فيها الف وتسعمائة طائر لها عمال يناط بهم امر العناية بها

وكانت الطيور المذكورة لاتبرح الابراج بالقلعة · وكان بكل مركز حمام في سائر نواحي المملكة بمصر والشام والعراق من اسوان الى الفرات · فلا تحصى عدة ما كان منها في الثغور والطرقات الشامية والمصرية وجميعها تدرج وتنقل من القلعة الى سائر الجهات · وكان لها بغال للحمل من الاسطبلات السلطانية وجامكيات البراجين والعلوفات تصرف من الاهراء السلطانية · فتبلغ النفقة عليها من الاموال مالا يحصى كثرة وكانت ضريبة العلف لكل مائة طير ربع ويبة فول في كل يوم

وكانت العادة ان لاتحمل البطاقة الا في جناح الطائر لامور منها حفظ البطاقة من المطر وقوة الجناح · ثم انهم علقوا البطاقة في الذنب · وكانت العادة اذا بطق الطائر من قلعة الجبل الى الاسكندرية فلا يسرح الا من منية عقبة بالجيزة وهي اول المراكز · واذا سرح الى الشرقية لا يطلق الا من مسجد التين خارج القاهرة · واذا سرح الى دمياط لايسرح الا من ناحية بيسوس بشط بحر منجا · وكان يسير مع البراجين من يوصلهم الى هذه الاماكن من الجاندارية · وكذلك كانت العادة في كل مملكة ان يتوخى الابعاد في التسريح عن مستقر الحمام · والقصد بذلك ان لا ترجع الى ابراجها من قريب

وما زال البريد على ما تقدم يختلف حالاً وسعة باختلاف الدول وينحط بانحطاطها حتى اصبح في اواخر القرن الثامن عشر في غاية التشويش فلما افضت حكومة مصر الى مؤسس العائلة الخديوية كان البريد في جملة مانظمه

البريد المصري بعد هذه النهضة

رتب محمد علي البريد على نحو الطريقة القديمة لنقل المراسلات على الخيل او على ايدي السعاة بين القاهرة والاسكندرية ودمياط ورشيد وبعض مدن الصعيد لنقل مراسلات الحكومة اما الاهالي فكان احدهم اذا اراد نقل رسالة انفذ ساعياً خصوصياً او اغتنم انتقال بعض الناس فيكلفه برسالته · ولما تكاثر الاجانب النازلون بمصر شعروا بالحاجة الى من يتولى الاهتمام بنقل المراسلات المتبادلة بينهم وبين اوطانهم واكثرهم يومئذ من الايطاليان فانشأ رجل ايطالي اسمه كارلو ميراتي سنة ١٨٤٠ بريداً صغيراً في الاسكندرية على مثال برد اوربا في ذلك الحين سماه « البريد الاوربي » وخلفه عليه ايطالي آخر اسمه تيتوكين وكان يتولى نقل المراسلات بين مصر واوربا وبين بعض مدن القطر · واتسعت اشغال هذا البريد باتساع تجارة القطر · حتى اذا دخل في خدمته ايطالي آخر اسمه جاكومو موتسي وكان نشيطاً دربًا فعمل على توسيع نطاقه فانشأ له نحو سنة ١٨٥٤ فروعاً في دمياط

والمنصورة وزفتى ودمنهور ورشيد وطنطا وغيرها

فقامت المناظرة بين البريد الاوربي و بريد الحكومة المصرية · ولم تكن الحكومة تستطيع الغاء ذلك البريد احتراماً للامتيازات الاجنبية فسعت في ضم البريدين وجعلت فاتحة ذلك الاتفاق رخصة وقتية اعطتها لصاحبي البريد الاوربي تيتوكين وموتسي تخولهما ادارة البريد بمصر الى عشر سنوات على ان تنقل المراسلات بالسكة الحديدية المصرية مجاناً فكان ذلك فاتحة تنظيم البريد

وتوفي تيتوكين بعد سنتين واستقل موتسي بالعمل وخطر له الرجوع الى بلده فاراد ان يبيع الرخصة لبعض البنوك الافرنجية فاغتنمت الحكومة هذه الفرصة وعرضت على موتسي المذكور ان يعيد البريد للحكومة قبل انتهاء مدة الرخصة ويتولى ادارته بنفسه على شروط رضيها وانضم البريدان سنة ١٨٦٥ وسميا معاً « البوسطة الخديوية » وسمي جاكمو موتسي مديراً عاماً عليها وانعم عليه بالرتبة الثانية مع لقب بك فصار اسمه موتسي بك وهو اول مديري البريد المصري



موتسي بك · اول مديري البريد المصري

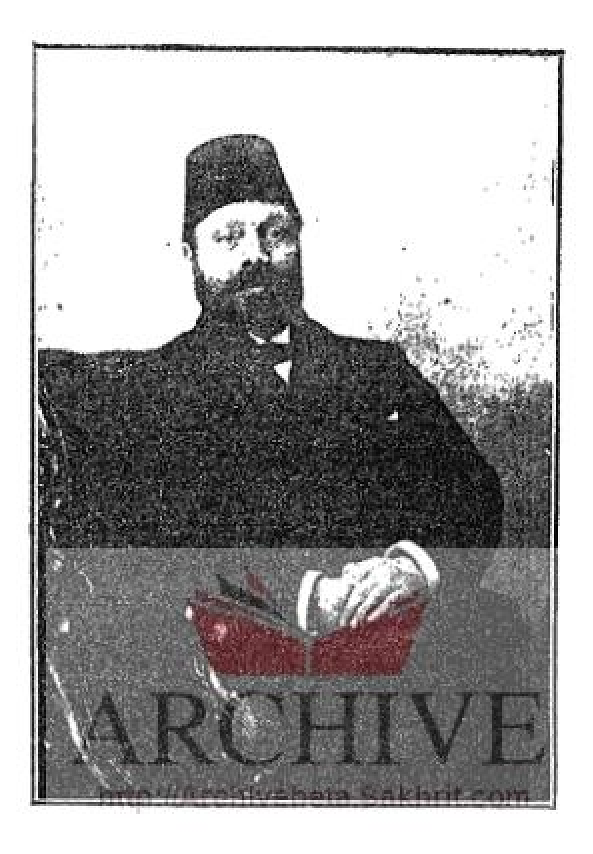
وتكاثر قدوم الاجانب الى مصر في عصر اسماعيل وزادت الحركة التجارية

زيادة كثيرة وزادت الحاجة الى البريد فانشأ موتسي بك فروعاً له في البلاد والقرى الكبرى في مصر السفلى والعليا وعلى شواطيء البحرين الابيض والاحمر وجعل ديوانه المركزي في الاسكندرية وسنّ له لائحة وقوانين رسمية وجعل لمراسلاته تعريفة عمومية . وكانت المراسلات تنقل في أول عهد البريد بلا طوابع فيقتضي صاحب البريد اجرة الرسالة او نحوها ويختمها بختم المصلحة . فاصطنع موتسي بك طوابع البريد المصري لأول مرة سنة ١٨٦٦ وجعل رسمها مثل رسمها الآن في وسطه صورة ابي الهول والاهرام بشكل بيضي وحوله اسم البريد وقيمة الطابع

وما زال البريد المصري مستقلا عن البرد الافرنجية الى سنة ١٨٦٨ فعقد اول معاهدة في هذا السبيل مع بريد النمسا ثم عقد معاهدة أخرى مع بريد ايطاليا وفي سنة ١٨٧٣ عقد معاهدة ثالثة مع بريد انكلترا وفي السنة التالية (١٨٧٤) دخل البريد المصري في اتحاد البوسطة العام . واول من ناب عنه في مؤتمر البوسطة موتسي بك المذكور . وفي تلك السنة احيل موتسي على المعاش وخلفه المستر كاليار فادخل هذا على مصلحة البريد تغييرات ساءت عماله لانه عزل كثيرين منهم وخفض رواتب بعضهم . ولكنه ادخل في المصلحة اصلاحات كثيرة من جملتها انه خفض اجور اكثر المراسلات وحوالات النقود وجعل اجرة الخطاب المرسل الى خارج القطر غرشاً صاغاً وكان غرشاً ونصف غرش .

وانتقل المستر كاليار سنة ١٨٧٩ من ادارة البوسطة الى مصلحة الجمارك فخلفه هالتون بك ووضع للبريد لائحة جديدة وادخل كثيراً من الاصلاحات الهامة واحدث نحو ستين فرعاً للبريد ورتب خطوطاً نيلية لنقل المراسلات والنقود وغيرها . وفي ايامه صنعت طوابع البريد على المراسلات المغرمة (تاكس) وتوطدت العلائق مع مصالح البرد الأُخرى وفي سنة ١٨٨٧ نقل هالتون بك الى رئاسة مجلس السكة الحديدية المصرية وتعين مكانه يوسف بك سابا (سابا باشا)

دخل سابا باشا في خدمة البريد المصري في اوائل سني تأسيسه وتعين رئيساً لاحد اقلامه سنة ١٨٧٣ وما زال يرتقي في مناصب هذه المصلحة حتى صار مديراً عاماً لها سنة ١٨٨٧ وهو اول مدير شرقي تولاها . ووافق توليه تلك الادارة دخول مصر في نهضة جديدة نجاراها وعمل على تنظيم مصلحة البريد تنظيماً عظيماً وفي ايامه أُقفل اكثر مكاتب البرد الافرنجية التي كانت على سواحل مصر فاقفل مكتب البوسطة الفرنساوية بالسويس ومكتب البوسطة النمساوية في الاسكندرية وغيرها



يوسف باشا سابا · مدير البريد المصري سابقاً

واحدث سابا باشا في البريد المصري نظامات وقواعد سهلت المواصلات فكانت اكبر مساعد في النهضتين التجارية والعلمية لما توخاه من تخفيض الاجور وتسهيل العمل وانشاء المكاتب الفرعية · وله فضل كبير على الصحافة لتخفيض رسوم الصحف الى مليم واحد على العدد داخل القطر مهما بلغ وزنه · وكان لهذا التخفيض تأثير كبير في تنشيط الصحف · وقد زاد انتشارها بباب فتحه بالبريد للاشتراك فيها وفي الجرائد الاجنبية · وتزايدت الحركة الصحافية وما يلحقها من المطبوعات في ايامه الى ما لم يسبق له مثيل فبلغ عدد الصحف او المطبوعات الواردة الى القطر المصري من الخارج نحو ٥,٥٠٠,٠٠٠ ارسالية على اختلاف المواضيع واللغات وبلغ عدد الصادر من مطبوعات مصر الى خارجها نحو ٢,٣٥٠,٠٩٠ ارسالية بين صحف وكتب وبلغ الصادر منها الى داخل القطر نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ ارسالية

ومن آثاره انهُ انشأ صندوقاً للتوفير تسهيلاً لارباب المداخيل الصغيرة وجعل فيهِ فرعاً للاحداث تنشيطاً لروح الاقتصاد في نفوسهم فسهَّل عليهم حفظ ما يجتمع لديهم من القروش القليلة بلصق طوابع من فئة خمسة مليمات على استمارات وضعت لهذا الغرض فاتت هذه الطريقة بفوائد عظمى · وجعل أجرة الخطاب داخل القطر نصف غرش بدلاً من غرش وبالجملة فانه لم يدخر وسعاً في ترقية مصلحة البريد · فاذا عدَّ موتسي بك موسسها فسابا باشا منظمها وموطد أركانها وسيذكر فضله عليها كما ذكرنا تاريخها · وتاييداً لذلك ناتي على أمثلة مما بلغت اليهِ هذه المصلحة من الرقي في ايامه

كان عدد المراسلات التي تنقل بالبريد عند توليهِ ادارتهُ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ رسالة فصارت الآن نحو ستين مليوناً · وكانت النقود الصادرة من القطر عام توليه عشرة ملايين جنيه فزادت اليوم على اثنين وعشرين مليوناً · واصبح عدد الطرود المتبادلة بالقطر وخارجه نحو ٧٥٠,٠٠٠ طرد وكانت عام ١٨٨٧ نحو ربع هذا القدر · وكانت فروع البريد المصري في تلك السنة نحو ٢٠٠ فرع فزادت اليوم على الف فرع او مكتب · وبلغ عدد الذين اودعوا نقودفي صندوق التوفير نحو ٤٤,٠٠٠ نفس ومجموع ما اودعوه نحو ٢٤٠,٠٠٠ جنيه وقد زادت ايرادات البريد في ايامه زيادة كبيرة فبلغ صافي ربحها لعام ١٩٠٥ نحو ٦٦٠,٠٠٠ جنيه وهو اكبر مبلغ كسبته هذه المصلحة في عام واحد

حكم

المتصفح في الكتاب ابصر لمواضع الزلل فيهِ من منشئهِ

اكثر الناس انتقاداً للاعمال اعجزهم عن الاتيان بمثلها كان الناس رجلان عامل وناقد

من صنف فقد استهدف فان احسن فقد استعطف وان اساء فقد استقذف

لم ارَ باكياً احسن تبسماً من القلم

جواب الجواب من الخطط الصعاب

كتاب المرء عنوان عقله ولسان فضلهِ

عقول الرجال تحت اسنة اقلامهم

من زاد ادبهُ على عقله كان كالراعي الضعيف مع الغنم الكثيرة

وما اعجبتني قط دعوى عريضة ولو قام في تصديقها الف شاهد

صحة العائلة

النظافة

لمحمد افندي جميل بيهم في بيروت

٥ - تنظيف المسكن

المسكن هو المحل الذي يبنيه الانسان ليقيه تأثير التغيرات الجوية وشر التعديات الحيوانية • وقد تختلف كيفيته باختلاف اصطلاح البلاد ويختلف صلاحه للسكن وعدمه باختلاف مواد عمله ووضعه واتساعه وتقسيمه • وان خير المساكن ما كان مبنياً بمواد جافة غير قابلة لامتصاص الرطوبة على ارض مرتفعة كثيرة الهواء متسعاً متعدد النوافذ بعيداً عن الغابات الكثيفة والآجام والمياه الراكدة وعن الغبار والمقابر لما يتصعد عنهما من الابخرة التي تجعل الهواء غير صالح للاستنشاق وكان يرى ابقراط ان الساكنين بقرب السور والمتاريس يلحقهم امراض خطرة وما ذلك الا لان تلك المتاريس تمنع بيوتهم من التعرض للنور وتسد عنهم مجرى الهواء ولا يخفى ما في ذلك من الضرر البين لان البيوت المظلمة تكون رطبة مؤثرة في اصحابها فتراهم صفر الالوان ضعيفي القوى العقلية والبدنية وطالما جلبت لهم امراضاً مختلفة لا سيما اذا صحب الرطوبة الوساخة ورداءة الطعام والشراب

ولا يخفى القارىء الفاضل ان هناك شرطاً مهماً لتتميم صلاح المنزل خارجاً عما ذكر الا وهو النظافة لان المسكن مهما كان جامعاً للامور الصحية حالة كونه عارياً عن الطهارة فهو لا شك غير صالح للسكنى لما للوساخة من المضار القتالة لافسادها الهواء المعول عليه في سلامة الجسد وهو المصفي للدم الذي فيه قوام البنية • وذلك ان الله جلت قدرته خلق الانسان في أحسن تقويم وجعل الدم المصفى سبباً لقوام جسده وهو انه بعد هضم الغذاء في المعدة يمتص صفوه في قناتين توصلانه الى القلب بعد اجتماعهما في قناة واحدة وهو اذ ذاك في لون البياض وقبيل الوصول الى القلب يصب في قناة دم الدورة الراجع الى القلب ايضاً • والقلب شكل صنوبري منقسم داخله الى قسمين يمين وشمال وكل منهما منقسم الى قسم علوي وقسم سفلي وبينهما حاجز فيه منفذ يوصل بينهما له غطاء ينفتح وينطبق • فالقناة المتقدمة تصب في الطبقة العليا من القسم الايسر ومن هناك

يفتح له الغطاء فيصب نقطة في الطبقة السفلى ثم ينقبض الغطاء بسرعة ثم نقطة أخرى وهكذا كلما انطبق الغطاء ضربت جميع الانباض التي في البدن فحركتها تابعة لحركة الغطاء قوة وضعفا سرعة وبطئاً ثم يخرج الدم من القسم الايسر السفلي في عرق عظيم هو مجتمع عروق الانباض فيصعد الى الاعلى ثم يتفرع منه فروع وهاتيك الفروع تتفرع منها فروع أخر أقل منها حجماً وهكذا الى أن يعم جميع اجزاء البدن وهي عروق الانباض وكلما انتهى نبض الى حده يتلقى الدم منه عرق من العروق التي لا تتحرك وهذه وظيفتها ارجاع الدم الى القلب فتكون عند اتصالها في الانباض صغيرة الحجم ثم لا تزال تجتمع فتعظم الى ان تصير عرقاً واحداً فيصب في القسم الايمن من القلب الذي هو مقسوم ايضاً مثل الايسر وحركته مثل حركته غير ان الدم يخرج من الطبقة السفلى منه في عرقين يوصلانه الى الرئة . ولا يخفى ان الدم اذ ذاك قد دار في جميع البدن ونقص من اصل كميته بما ترشحه العروق الى اللحم والعظم وقد تغيرت عناصره فقل منه الاوكسيجين وزاد فيه الحامض الفحمي فاسود وصار بقاؤه مضراً في البدن . فتداركت حكمة الباري هذا وجعلت الرئة تجذب الهواء السليم المركب عادة من واحد وعشرين جزءاً من مائة من الاوكسيجين وجزء والوجزئين من الحامض الفحمي وتسعة وسبعين من الازوت وشيء يسير من الماء حالة كونه بخاراً . فاذا دخل الرئة استرجع الدم منه مافقد من الاوكسيجين ودفع فيه ما عنده من الحامض الفحمي ثم اخرجته الرئة في التنفس وأخذت هواء آخر . وعند ما يصفو الدم في الرئة برجوعه الى اعتداله ينبعث منها في عرق عظيم ويرجع الى القلب من الجهة اليسرى وهكذا في كل لحظة

فظهر من هذا البيان شدة إحتياج الانسان الى الهواء النقي ووجه احتياجه . فاذا تبين هذا تحتم علينا ان نوضح نتائج الهواء الفاسد ونقرر سبب فساده فنقول : ان الهواء الكروي اذا فسد بان زاد فيه الحامض الفحمي خصوصاً عن مقداره الاعتيادي باحتوائه على غازات وابخرة وتصاعدات رديئة فان استنشاقه يسبب عسراً في التنفس ودوخاناً ووجع رأس وزرقة في الوجه ومن ثم الاختناق وهذا يحصل اما عن عائق في التنفس او عن تنفس هواء حار لعدم نقاوته غير كاف للتغذي ولا يكون التنفس تاماً الا اذا كان الجسم محاطاً بكثير من الهواء الصافي المتجدد بقدر الكفاية لسهولة جريانه في الرئة

ولفساد الهواء اسباب متنوعة نذكر بعضها تتميماً للفائدة : وهو اما ان يتسبب عن

وجود اشخاص كثيرين في محل ممنوع عنه تجديد الهواء بحيث ان الهواء الذي داخله لا يقوم باودهم . واما عن ايقاد النار في مكان مقفل او عن عمل عمليات كيماوية فيه او عن كثرة المصابيح او عن وجود ازهار ونباتات في محل ضيق او عن وجود مياه راكدة او عن وساخة المسكن لما ينبعث عن جواهرها من الغازات السامة الى غير ذلك من الاسباب المتعددة

فاذا علمنا شدة احتياجنا الى الهواء النظيف وعظيم ضررنا من الفاسد منه وتبين لنا أسباب تغيره وفساده أتضح لنا ما للنظافة من الفضل العميم وثبت عندنا ان من اهم واجباتنا بقاء الهواء بنقاوته الاصلية في المنزل لنظافته وهذه عدا عن انها من مقتضيات حفظ الصحة ومستلزمات المدنية فانها من مسببات تمام الراحة والسرور وما اصدق ما قيل « البيت النظيف يفرح قلب صاحبه » وقد نشر الهلال في الجزء الثالث سنته الحالية من جملة نصائح عن السير هنرمان ذكرانها سبب لاطالة العمر ما نصه « تنقية الهواء داخل البيت وخارجه » فمن المعلوم انه لا يتأتى الاول الا بتجديد الهواء وتنظيف المسكن والمراحيض التي تتصاعد منها ومن مياه الغسل غازات سامة وروائح كريهة تكون علة لانتشار الوباء بين اهل ذلك المنزل اذا لم يعتن بتطهيرها

وكما ان الجسد والثوب يطهران في الماء فيلزم ايضاً غسل البيت المرة بعد المرة وتجديد تكليس او دهن داخله في كل مدة لانه تحقق ان المواد الكريهة التي تنبعث من الاجسام الحيوانية بواسطة البخار الرئوي الجلدي تلتصق في الحيطان وتدوم بها زمناً طويلاً فاذا تكاثرت كانت سبباً لتغيير الهواء كما وانها تلتصق بالمفروشات والرياش البيتية فينبغي زيادة الاعتناء بتنظيفهما خصوصاً اذا كان هناك مريض لئلا تكون فيهما الجراثيم وتكون سبباً لنقل العدوى عاجلاً او آجلاً

هذا من جهة نظافة المسكن الداخلية وأما من الجهة الخارجية فيلزم الاحتراس الكلي من ان ندع الاسربة ومجاري المياه تسيل من البيت وتبقى راكدة في قربه تكون مستنقعاً ينبعث منها ابخرة رديئة تضر في مناخه واليك ما قال فيها الرازي « هذه المياه سبب للحميات » وكذا اذا جفت وصارت صلصالاً يتصاعد من الجواهر النباتية والحيوانية التي تفقد الحياة حينئذ روائح رديئة سامة تضر من جاورها ضرراً عظيماً اذ تجلب ايضاً الحميات الخبيثة واليرقان وعدة امراض وخيمة

وللتوقي من هذا وذاك يجب على كل من استطاع ان يجعل في قرب بيته حفرة

عميقة تسري اليها السوائل المنزلية وتكمن فيها ليأمن شرها لئلا تجري لقنوات الشرب فتجعلها غير صالحة كل وانه يلزم ان تكون الحفرة المذكورة بعيدة عن الآبار ومستودعات المياه كي لا يحصل الارتشاح بدنوها منهما واذا لم تنقطع الرائحة منها فيلقى بها كمية من الزاج المسحوق فان مع سهولة استعمال هذه الطريقة تأتي بالفائدة المطلوبة

ومن جملة التدابير المفيدة لمنع الابخرة الناشئة عن الرطوبات والوخامة التي تفسد هواء المنزل احاطته بغرس الاشجار وخصوصاً شجر الكينا والصنوبر لكن بشرط ان يترك ما بينها مسافات واسعة بحيث لا تضر سير الهواء وفي ذلك منفعة عظمى لما للاشجار من اصلاح الهواء وتنقيته من المواد المضادة للصحة

وفي الجملة فاذا اعطى الانسان كل ذي حق حقه بان تمشى على القواعد المذكورة وراعى قول القائل « اليك عن كل ما يخل باصول النظافة في جسدك وثوبك وبيتك » واعتنى بنقاوة هواء منزله على الدوام وخصوصاً في الشتاء لزيادة احتياجنا فيه لتجديد الهواء لاسباب منها اننا نأخذ فيه من الاوكسيجين اكثر مما ناخذه في غير فصل لزيادة تولد الحرارة الغريزية فيه ولوجود بعض بورات احتراقية يترتب عليها اخذ كمية من الاوكسيجين فانه يبعد مع المشيئة الربانية عما ينافي صحته لما يترتب على النظافة من الفوائد الجمة

ونخص بالحض على ما ذكر المرأة اذ انها اكثر استعداداً لانحراف المزاج واشد ضرراً من المنزل الوخم لطول مكثها فيه ولانها هي ربة مسكنها ومديرة شؤون اولادها وبها تتعلق اكثر اقسام النظافة العائلية كملاحظة نظافة منزلها واثواب زوجها واولادها وطهارة اجسامهم ونقاوة الطعام والشراب الى غير ذلك من الامور المتعلقة بها ومن انيطت به ادارة المنزل وشؤون الاولاد كان مطالباً اكثر من غيره بالنظافة

فحبذا لو تصرف المدارس الاناثية اوقاتها في تدريب تلميذاتها على كيفية ترتيب المنزل وتربية الاطفال بدلاً مما هي منهمكة فيه من الزوائد على المطلوب من المرأة وهذه الطريقة خير واسطة للمصلحة العمومية لما يترتب عليها من الفوائد الجمة وبالاخص فيما يتعلق بتربية الاطفال عندما تصير التلميذات أمهات فيربين صغارهن عندئذ على الطريقة المستقيمة بنظافة تامة في كل الامور ويجعلنهم في ترتيب كلي ترتاح اليه النفوس سالكات مع هذا طريق الاقتصاد ولا يخفى ما في ذلك من المنافع التي تدر على البلاد خير الخيرات وايمن البركات

طوابع بوسطة خيرية

تفنن اهل البر في طرق الاحسان وأساليب جمع الحسنات وتوزيعها على مستحقيها ومن جملة اساليب الجمع اليانصيب الخيري (اللوترية) وهذا كثير في مصر ولا تكاد تخلو طائفة من يا نصيب خيري تستعين به على جمع الاحسان • ومنها افتتاح اسواق الاحسان تباع بها المصنوعات بأثمان باهظة واكثرها مقدمة هدايا من بعض اهل اليسار وفيها ماتصنعه بعض السيدات الفواضل بايديهن وتقدمنه لتلك السوق التماساً للاجر • ومن طرق الاحسان طوابع بريدية خيرية تطبع باسم بعض الجمعيات الخيرية على شكل مخصوص يضاف على قيمتها العادية بالبريد شيء يخصص مجموعه لعمل خيري — من ذلك ان في هولندا جمعية انشئت لمقاومة داء السل اصطنعت طوابع باسمها جعلت قيمتها ضعفي الثمن الاعتيادي فمن اختار ارسال كتاب بطابع من طوابع هذه الجمعية دفع ثمنه ضعفي ثمن الطابع الاصلي • فنصف هذا الثمن يدفع لمصلحة البريد والنصف الآخر يدفع لصندوق الجمعية • ويشترط في هذه الطوابع ان لا تستعمل الا في داخلية البلاد التي اصدرت فيها • ومع ذلك فقد بلغت قيمة ما بيع منها في سنة واحدة ٩٧,٩٢٣ فرنكاً نصفها لجمعية مقاومة السل وذلك ٤٨,٩٦١ ½ فرنك يخرج منها نحو ٣٠٠٠ فرنك نفقات الطبع والنشر وغيرها فيبقى للجمعية نحو ٤٥,٠٠٠ فرنك ربحاً صافياً في السنة • وقد اقتدى بهولندا في جمع الاحسان على هذا السبيل أسوج ورومانيا فعسى ان تنتبه الجمعيات الخيرية عندنا لهذه الحيلة في جمع المبرات

طلبة العلوم الاسلامية

في المساجد المصرية سنة ١٩٠٦

وضع حضرة امين بك سامي ناظر مدرسة دار العلوم جدولاً مفيداً بين فيه عدد طلبة العلم والعلماء والمدرسين في المساجد المعدة للتدريس في القطر المصري لعام ١٩٠٦ وخلاصة ذلك ان عدد المساجد التي تلقى فيها الدروس ٣٤٧ مسجداً والمدرسون ١,٠٢٥ مدرساً والطلبة ٢٢,٣٥٢ طالباً على هذه الصورة :

	اسماء المساجد	عددها	المدرسون	الطلبة
القاهرة	الجامع الازهر	١	٣٦٧	٩٧٥٨
الاسكندرية	معاهد العلم	١	٣٩	٤٤٠
«	الجامع الانور	١	١١	١٥٠
دمياط	جامع البحر وجامع المتبولي وغيرهما	٥	٣٨	٢٥٢
بور سعيد		٤	٦	٦٢
السويس		١	١	٨
البحيرة	مساجد رشيد والنواحي	١٧	٣٢	٤٢٨
طنطا	الجامع الاحمدي	١	٧٠	٥١٦١
دسوق	الجامع الدسوقي	١	١٧	٥٣٣
بنادر أخرى	مساجد النواحي	٨	١٠	٢٩٥
المنوفيه	» »	٢٠	٤٧	٧٣٣
الشرقيه	» »	١٨	٢١	٢٢٤
الدقهليه	» »	٤٩	٩٧	٤٠٥
القليوبية	» »	٦	٦	٤٩
الجيزة	» »	٣	٣	٣٠
بني سويف	» »	١٢	١٤	١٦٦
الفيوم	» »	٥٩	٨٠	٣١٨
المنيه	» »	٩	١١	١٨٦
اسيوط	» »	٥٣	٨٩	١٠٩٢
جرجا	» »	٣٣	٥٤	٥١٧
قنا	» »	٢١	٣٢	١٨٤
اسوان	» »	٢٥	٣٠	٣٦٦
	المجموع	٣٤٧	١٠٢٥	٢١٣٥٢

ويؤخذ مما ذكرهناك ان الطلبة منهم ١٠،٣٨٩ من الشافعية و٤،٤٠٨ من الحنفية و٦،٥٢٢ مالكية و٣٣ حنابلة. والمدرسون منهم ٤٥٧ شافعية و٢؟٢ حنفية و٣٦٣ مالكية

و ٣ حنابلة . وان بين طلبة الازهر ٦٦١ طالباً من غير المصريين منهم ٥٢ من اهل السودان — الى ان قال « ونظراً لان عدد مسلمي القطر المصري بتعداد سنة ١٨٩٧ هو ٨,٩٨٣,٧٧٥ فباعتبار ان عدد الذكور الذين تجاوزوا سن التعليم الابتدائي من هؤلاء يبلغ ٣,٣٦٨,٩١٥ اي ثلاثة اثمان ذلك المجموع فتكون نسبة المشتغلين بالعلوم الشرعية ٦,٤٥ في الالف »

ووضع جدولاً آخر عن مدارس القطر المصري سنة ١٨٩٤ الاميرية وغير الاميرية خلاصته ان عدد المدارس بالاجمال ٨,٩١٢ مدرسة فيها ١٩٦,٦١٠ طالباً و١٢,٥٠٥ مدرسين . ومن هذه المدارس ٢٤ مدرسة اميرية طلبتها ٤,٢٣٨ومدرسوها ٣٢١ مدرساً و٣٣ مدرسة اوقاف ومكاتب اهلية طلبتها ٥,٣٩٢ ومدرسوها٢٥٥مدرساً و١٨٧مدرسة للمرسلين المسيحيين طلبتها ٢٠,٠٨٩ طالباً ومدرسوها ٧٩٢ مدرساً و٨,٦٦٨ مدرسة متنوعة فيها ١٦٦,٨٩١ طالباً و١١,١٣٧ مدرساً



ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي
الى اللغة الانكليزية

صدر الجزء الرابع من ترجمة كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة الانكليزية بقلم صديقنا الاستاذ مرجليوث الشهير . وقد بدأ بنشر الجزء الرابع بناء على استصوابنا لانهُ لما استحسن نقل الكتاب الى الانكليزية احب ان يمتحن وقعهُ عند قرائها بجزء يصدره اولاً فاستصوبنا نشر الجزء الرابع لانه يبحث في سياسة الدولة وفيه فلسفة تاريخ الاسلام فنقلهُ بعبارة انكليزية تدلُّ على ملكة في الانشاء يندر مثلها بلاغة ودقةً . ولا عجب فان انشاءهُ العربي لا يقلُّ في اسلوبه عن اساليب بلغاء صدر الاسلام . وقد سمى هذا الجزء « الامويون والعباسيون » (Umayads & Abbasids) ونبه الى انهُ الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . وذيلهُ بفهرس ابجدي استغرق نحو ثلاثين صفحة ضمنهُ ما ورد في الجزء المذكور من الاعلام الجغرافية والتاريخية وامهات المواضيع المهمة على اسلوب دقيق جعل الترجمة الانكليزية اكثر نفعاً لمطالعي هذا الجزء مع الاصل العربي . فنشكر لصديقنا الاستاذ تفضله في تقديم اسمنا لقراء اللغة الانكليزية ؛ واذا اصاب الكتاب استحساناً عندهم فالفضل راجع

معظمه لثقتهم بعلمهِ وحسن اختياره · وقد انفقت على نشر هذا الكتاب « لجنة تذكار جيب » التي يرأسها صديقنا الاستاذ برون المستشرق الشهير في جامعة كمبردج · ودخول هذا الكتاب في جملة مطبوعات هذه اللجنة يزيد الانكليز ثقة بفائدته لان واقف اموالها اشترط انفاق ريعها في نشر الكتب الشرقيـة المفيدة · فنثني على هذه اللجنة لانها سهلت نشر الكتاب · والجزء الرابع المذكور يباع بخمسة شلينات في محل لوزاك وشركاه في لندن وهذا عنوانهُ :

Messrs Luzac & C°. 40 Gr. Russel St. London

☙ نجعة الرائد في المترادف والمتوارد ☙ صـدر الجزء الثاني من هذا الكتاب ويكفي في بيان فوائده اللغوية انهُ من آثار الطيب الذكر فقيد اللغة والانشاء الشيخ ابراهيم اليازجي وقد افضنا بوصف الجزء الاول في الهلال السادس من السنة الثالثة عشرة والكتاب جزيل الفائدة للراغبين في تمتيق الانشاء العربي فنحث الادباء على اقتنائه · وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ستة عشر غرشاً واجرة البريد قرشان

☙ رودريك و بورجيا ☙ هي رواية تاريخية حماسية غرامية تأليف ميشال زيفاكو الروائي الفرنساوي وقد نقلت الى العربية وصدر الجزء الاول منها ولم يذكر فيه اسم المترجم ولا الطابع وجرت حوادثها في ايام البابا اسكندر السادس و يطلب الجزء الاول من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرش

☙ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل عصر ☙ هو كتاب في التاريخ والادب للسيد علي صدر الدين المدني ابن احمـد نظام الدين من اعلام الادب في القرن الحادي عشر للهجرة ويعرف بابن معصوم · وهو يتضمن اخبار الشعراء والادباء في القرن المذكور ومقسوم الى ابواب في محاسن اهل الحرمين ومحاسن اهل الشام ومصر ومحاسن اهل اليمن ومحاسن اهل العجم والبحرين والعراق والمغرب · وفيه امثلة من منظوم هؤلاء ومنثورهم وقد بدأ بطبعه حضرة عزيز بك زند والمهُ محمد افندي امين الخانكي الكتبي بمصر فجاء كتاباً ضخماً في نيف وستمائة صفحة وهو يطلب من مكتبة الهلال

☙ تربية النفس بالنفس ☙ هو كتاب تهذيبي اخلاقي الفهُ بالانكليزية الاستاذ جون ستيوارت بلاكي من اساتذة جامعة ايدنبرج ونقلهُ الى العربية صالح افندي حمدي حماد وفي نقله خدمة كبيرة للناشئة المصرية لانهُ يرشد الانسان الى ما يحتاج اليه في هذه الحياة من التربية العقلية والتربية البدنية والتربية النفسية على اسلوب يلائم نظام الحياة

الاجتماعية الحاضرة · وقد طبعه حضرة المترجم طبعاً متقناً وتبرع بثمنه لمشروع الجامعة المصرية وجعل حق اعادة طبعه لها الى انقضاء سنتين · وهي هدية صادفت محلها لتشابه الغرض من انشاء الجامعة ونشر هذا الكتاب نعني تربية نفوس الشبان

※ الدروس التهذيبية للاطفال ※ وهذا ايضاً من الكتب التي نحن في افتقار اليها لتربية النفوس وتهذيب الاخلاق · الفهُ بالانكليزية مستر جولد ونقله الى العربية احمد افندي فوزي احد متخرجي مدرسة المعلمين التوفيقية ومدرس بمدرسة الناصرية — قال المؤلف انهُ كتبهُ للاطفال بين العاشرة والرابعة عشرة ويرى المترجم انهُ يوافق اهل مصر الى ابناء السنة العشرين · فنثني على حضرته لهذه الخدمة النافعة ونستنهض همم ادبائنا الى نقل مثل هذه الكتب او التأليف فيها فان ناشئتنا اكثر افتقاراً الى التربية وتقويم الاخلاق مما الى العلم مع ضعفهِ في مدارسنا · والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش ونصف

※ البعث ※ هي رواية اخلاقية اجتماعية غرامية تأليف الكونت طولستوي الشهير ونقلها الى العربيـة رشيد افندي حداد وقد صدر الجزء الثاني منها مطبوعاً بنفقة المكتبة الشرقية و يطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمنها كلها ستة عشر غرشاً واجرة البريد ٤ غروش

※ حياة الزوجين ※ هو كتاب اجتماعي ادبي يشتمل على آداب الحياة الزوجية وما يجب على كل من الزوجين نحو صاحبه وعلى ما تضمنتهُ اسفار الحكماء واساطير العلماء مما تتضح بهِ مناهج السعادة وقواعد الهناء لهما · تأليف عبد اللطيف افندي مصطفى من موظفي البوسطة المصرية في القاهرة وهذا من الكتب الاجتماعية المفيـدة ويطلب من المؤلف بمصر

※ ابدع الاساليب ※ هو مطول في انشاء الرسائل والمكاتيب لحضرة عبد الباسط افندي الانسي يحتوي على امثلة ما يكتب في المراسلات والمخاطبات والعرائض على اختلاف المواضيع والاغراض للمقامات الرسمية وغير الرسمية و يتخلل ذلك النصوص التي يخاطب بها الملوك ورجال الدولة وارباب المناصب العالية والرسائل التي يتبادلها الاصدقاء والخلان او يكتبها الاب لابنه او الولد لابيه على اختلاف المراد بها من تهنئة او توصية او شفاعة او تعزية او مشورة او شكر او نحو ذلك · وفي ذيل الكتاب فصل في اصول مسك الدفاتر · والكتاب نيف وستمائة صفحة طبع بمطبعـة المعارف في بيروت و يطلب منها ومن مكتبة الهلال ومكتبة الشيخ مصطفى البابي بمصر وثمن النسخة ١٢ غرشاً والبريد غرشان

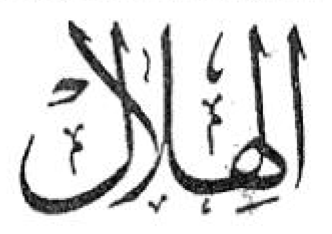
※ كتاب الاخـلاق ※ للشيخ محيي الدين بن عربي هي رسالة كتبها الامام

المذكور سنة ٥٩١ ه الى بعض اخوانه وضمنها نصائح ادبية فلسفية اخلاقية وقد طبعت بنفقة محمد افندي هاشم الكتبي وتطلب منه ومن الشيخ مصطفى البابي

﴿ عرائس المروج ﴾ ان اخواننا السوريين في المهجر أقرب منا تناولاً لآداب الافرنج لقيامهم بين اظهرهم واختلاطهم بهم . وللسوري قدرة عظيمة على الاقتباس والتوفيق بين طباعه وطبائع الوسط الذي يعيش فيه كل على حسب امياله ومواهبه . ولذلك رأينا ادباءنا في المهجر يقلدون ادباء الافرنج في الخيال الشعري على الاسلوب الافرنجي من تصوير الطبيعة او وصف العواطف في قالب خيالي على سبيل القصة او الحلم او النظم ويجيدون في ذلك . ومن نوابغ كتابنا في المهجر على هذا الاسلوب جبران افندي خليل جبران وبين يدينا كتابه « عرائس المروج » وهو عبارة عن ثلاث رسائل او روايات ضمنها ما شاء من الحكمة والموعظة فضلاً عن الانتقاد الادبي والاجتماعي غير ما تضمنته من وصف الآثار والاخلاق . والكتاب يطلب من مطبعة المهاجر في نيويورك لصاحبها امين افندي الغريب

﴿ روايات مكسيم غوركي ﴾ ومما امتاز به ادباؤنا في اميركا الجنوبية اطلاعهم على الآداب الاسبانية والبورتغالية ويندر بيننا من يهتم بها على كونها اقرب آداب الافرنج الى آدابنا لما في الاسبان من آثار التمدن العربي وآدابه واخلاق اهله . فينبغي لنا ان ننقل آدابهم الى لساننا واخواننا في المهجر أولى منا بذلك لشيوع اللغة الاسبانية بينهم وقد اخذوا ينقلون عنها . وبعض ما نقلوه دخيل فيها من لغة أُخرى كما فعل ابراهيم افندي شماده فرح نزيل سانباولو بنقل روايات مكسيم غوركي عن البورتغالية ومؤلفها روسي ترجمت رواياته الى سائر لغات العالم المتمدن فنقل اديبنا منها الى العربية ثلاث روايات في مجلد فنثني على ادبه ونتقدم الى اخواننا هناك ان يوجهوا انتباههم في ما يريدون نقله الى الآداب الاسبانية التي يعسر الوقوف عليها في اللغات الشائعة فيكون فضلهم مضاعفاً

﴿ المجلة القبطية ﴾ هي مجلة تاريخية جغرافية علمية تشريعية دينية اصلاحية لصاحبها ومنشئها جرجس افندي فيلوثاوس عوض تصدر بمصر مرة في الشهر وهي متقنة الطبع جيدة الورق مزينة بالرسوم والاشكال بدل اشتراكها اربعون غرشاً في السنة . وهو ثمن بخس بالنظر لما حوته من المقالات المفيدة والرسوم الجميلة ولمنشئها فيلوثاوس افندي اطلاع واسع على تاريخ الامة القبطية وآدابها وسائر تاريخ مصر وما يتعلق به . وفيه ميل البحث والتدقيق ولذلك فاننا نرجو لمجلته نجاحاً حسناً



الجزء التاسع من السنة الخامسة عشرة

يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٧ و ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥





اورانغ زيب

امبراطور الهند المغولي العظيم

ولد سنة ١٦١٨ وتولى سنة ١٦٥٨ وتوفي سنة ١٧٠٧

١ — الهند وملوكها

توالى على الهند دول شتى من اقدم ازمنة التاريخ حتى جاء الاسكندر الكبير في القرن الرابع قبل الميلاد وفتح بعضها فلما مات ذهب سلطانه عنها · وفي القرن الثاني للميلاد زحف عليها المغول والاسكثيون فتغلبوا على البنجاب ولكن قدمهم لم ترسخ في البلاد لان اهلها الهنود والآريين كانوا يكرهونهم ولكنهم اقاموا بينهم وظلوا يتقاطرون اليها فاصبح اهل الهند في اوائل النصرانية خليطاً وقد انقسمت الى ممالك وامارات يحكمها امراء متفرقون

فلما ظهر الاسلام وتوغل المسلمون في الفتح كانت الهند من جملة مرامي نبالهم ومغارس اعلامهم فهاجموها مراراً فلم يتيسر لهم فتحها الا في اواخر القرن الاول للهجرة في كهولة الدولة الاموية · ففتحوا السند وجبوا خراجها ثم خرجت من ايديهم في اوائل العصر العباسي حتى اذا استفحل امر السلطان محمود الغزنوي في اواخر القرن الرابع من الهجرة غزاها اثنتي عشرة غزوة ففتح منها بلاداً لم يفتحها غيره من المسلمين وكان حيثما نزل كسر الاصنام ونشر الاسلام حتى تجاوز البنجاب وقشمير · وتوالى على الهند بعد الدولة الغزنوية عدة دول من المسلمين اكثرها صغيرة ولم يمتد سلطانهم الا على بقع صغيرة لمدات قصيرة · واكبر الدول الاسلامية التي تولت الهند بعد الغزنوية الدولة الطغلاقية التركية من سنة ١٣٢٠ م الى ١٤١٤ م والدولة المغولية من سنة ١٥٢٦—١٨٥٧ ومؤسسها واكبر ملوكها « اكبر خان » وقد نشرنا سيرة حياته في الهلال العاشر من السنة الثانية عشرة

ومن اكبر ملوكها واطولهم حكماً واوسعهم سلطة اورانغ زيب وهو ابن حفيد اكبر خان اي ابن شاه جهان بن جهان كير ابن اكبر خان · وقد بلغت مملكة المغول في ايامه معظم اتساعها واخذت بعده بالانحلال حتى خلفتها الدولة الانكليزية سنة ١٨٥٧

٢ — اورانغ زيب

ولد اورانغ زيب سنة ١٦١٨ وسموه محمداً ولما نشأ توسم فيه ابوه العظمة فجعل اسمه اورانغ زيب اي « اكليل التاج » ثم لقبوه بمحيي الدين ولما اشتد ساعده وظهرت فتوحاته لقبوه « عالم كير » اي فاتح العالم · وكان منذ نعومة اظفاره شديد التمسك بالدين وكان لابيه شاه جهان ثقة بشجاعته وشدة بطشه على صغر سنه فعهد اليه غير مرة قيادة بعض حملاته وفي جملتها حملته على الهند وراء نهر الاندوس فاتى اعمالاً زادت ابيه ثقة به فولاه قيادة حملة انفذها لمحاربة الازابكة فلم ينجح فيها نجاحاً كبيراً فنقله الى حرب كانت منتشبة في الدكن ففاز فوزاً باهراً في عدة وقائع حتى فتح مدينة حيدر اباد واباحها لرجاله · فبعث اليه

ابوه ان يكتفي بما فتحه ثم اصيب هذا بمرض شديد فتحولت الاذهان الى من يخلفه

وكان لشاه جهان اربعة ابناء وهم دارا ومراد بخش وشجاع واورانغ زيب . وكان دارا اكبرهم سناً وفيه شجاعة وعدل وهو احق اخوته بالملك . ولكن الشعب لم يكونوا يحبونه لحرية ضميره وتساهله في امر الدين فلما اشتد المرض على ابيه قبض هو على ازمة الاحكام في دلهي وكان شجاع اقرب اخوته سناً اليه وقد تولى البنغال فلم يقتنع بذلك فحمل الى دلهي لينازع اخاه دارا الملك فاغتنم اورانغ زيب هذا الخصام لينال الملك لنفسه لانه كان شديد المطامع وله منزلة حسنة في قلوب الشعب بسبب تدينه وتقواه . ولكنه رأى من حسن السياسة ان يستعين باخيه مراد وكان حاكما في كزرات ففاوضه في امر اخويهما وانهما لا يصلحان للملك واظهر انه لا رغبة له في السياسة بل يفضل الانقطاع الى التدين والاقامة في مكة وعرض ان يساعده بقواته و يتحدا لنزع السلطة من اخويهما وتسليمها لمراد فصدق هذا قوله ووافقه واتحد جيشاهما وحملا على اخويهما . فشفي والدهم في اثناء ذلك وتنازل مراد عن الملك و بعث اليهما بما حصل فانكرا شفاء الوالد وظلا في حملتهما فشجاع التقى بابن دارا ولم يستطع الوقوف امامه . اما جيش دارا فلقيه اورانغ زيب ومراد بجيشهما الجرار وشتتا شمله وفر قائده فحمل عليهما دارا نفسه بجيش آخر فغلباه وهزماه شر هزيمة ودخلا دلهي . فاحتال اورانغ زيب وقبض على ابيه وحجر عليه حتى توفي بعد ثماني سنوات وسعى في قتل اخيه مراد فخلا له الجو فتولى عرش الهند سنة ١٦٥٨ وعمل على قتل الذين يخشى نهوضهم عليه فسعى في القبض على دارا بعد حرب وقتله وفعل مثل ذلك باخيه شجاع فهزمه حتى مات

واستقل اورانغ زيب بعرش الهند وحكمها نحو نصف قرن كان شديداً فيها ولكن ايامه كانت اكثر ايام الدولة المغولية زهواً وثروة ومما زاد ثروتها انه اضاف اليها كثيراً من ممالك الهند الاخرى . وكان اقصى همه ان يتم فتح الاقسام الجنوبية من الهند وكان قد بدأ بفتحها في ايام ابيه وكانت مملكة الدكن في ذلك العهد قد خضع له منها ولايتا بيدار واحمد نكر مع البشنبور و بقيت بيجابور وجلكندة تحاربانه فصمم على اكتساحهما وضمهما الى سلطته فقضى النصف الاول من مدة حكمه في محاربتهما . ونشأ في اثناء ذلك دولة هندية جديدة تعرف بدولة المهراتة فلم يكن همه قاصراً على اخضاع بقية دولة الدكن الاسلامية ولكنه كان يخاف سطوة تلك الدولة الهندية البرهمية الجديدة

قضى ربع قرن في محاربة بيجابور وجلكنده ولم يظفر بهما وطمع المهراتة به فضايقوه وهددوه واغتنم ابنه اكبر (الثاني) اشتغال ابيه وشق عصا الطاعة وانضم للمهراتة فعظم ذلك

على اورانغ زيب واصبح بين ان يتخلى عن عرشه الذهبي في دلهي من اجل مضرب من خيش في الدكن اوان يعدل عن فتح تلك البلاد فغلب عليه حب الفتح فجرد سنة ١٦٨٣ حملة يندر اجتماع مثلها قوة وعددا وفي جملتها ١٥٠,٠٠٠ من الافراس والافيال والأبغال و٥٠,٠٠٠ جمل ونحو ٤٠٠,٠٠٠ رجل وبعد حرب شديدة ضمَّ ذينك البلدين الى مملكته وحول التفاته الى محاربة المهراتة صيانة للاسلام فقضى عشرين سنة في محاربة تلك الدولة تمكن بعد عناء شديد من القبض على ملكها فقتلهُ شر قتلة وافتتح عاصمة المهراتة وحصونهم ثم عادوا فجمعوا شتاتهم وتشددوا وحاربوا اورانغ زيب حرباً شديدة فاسترجعوا حصونهم بعد ان انهك في سبيل حمايتها كل قواه وامواله وجنوده فتذمر الجنود من تاخر رواتبها فعظم ذلك عليه وحدثته نفسه على ضعفه وغضبه ان ينتقم منهم فابلغهم ان من لم يشأ الخدمة فليعتزل فتفرق اكثر رجاله عنه فاتيح للمهراتة الظفر فاضطر لمخابرتهم في الصلح ولم يحسن رئيس المهراتة السياسة في المخابرة ولو احسنها لاستولى على مملكة المغول على اهون سبيل على ان تلك الدولة كانت في اواخر ايامها فلم يلبث اورانغ ان مات سنة ١٧٠٧ واختلف خلفاؤه عليها

فاورانغ زيب كان من الملوك العظام وبلغت مملكة المغول الهندية في ايامه ما لم تبلغ اليه في ازمنة سواه فاشتملت على افغانستان واسام فضلاً عن الهند من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب الاّ بعض المقاطعات . وبلغ مقدار الخراج المتحصل نحو ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وهو كثير بالنظر الى تلك الايام . ولو احسن السياسة وتوخى الرفق والعدل لعاشت دولته ولكنه كان مؤثراً للشدة والتظاهر بالابهة وإن كان ميالاً في داخليته الى البساطة . وكان ذكياً شديد التمسك بالاسلام كاتباً مجيداً كثير الحفظ للاشعار فضلاً عن القرآن ولولا ما اتاه من القسوة في خلع ابيه وقتل اخوته وما ظهر من شدته في احكامه لكان من اعاظم الملوك الذين يقتدى بهم . كان تدينه الشديد سبباً في نيله السلطة لكنه بغّضه الى غير المسلمين ولاسيا البراهمة فانهم كانوا يكرهونه كرهاً شديداً حتى الذين كانوا تحت سلطانه او في خدمته من الامراء والقواد فانهم كانوا يخدمونه خوفاً منه لاحبّاً به فلما مات انقلبوا على الدولة ونازعوا اولاده سلطانهم — والحاكم العاقل يبذل جهده في التسلط على القلوب قبل الاعناق ليكرمه رعاياه حبّاً به لاخوفاً منه . ولكن الناس يتفاوتون في ذلك فرؤساء الاعمال الصغرى من عامة الناس فيهم من يرغب في اكتساب قلب عامله قبل استخدام يده او عقله ومنهم من لايهمه من العامل الا ان يقوم بالعمل الموكول اليه سواء احب صاحبه او ابغضه

خطاب اللورد كرومر

ألقى اللورد كرومر في حفلة وداعه التي عقدت بالاوبرا الخديوية في ٤ مايو الماضي خطاباً يتضمن خلاصة آرائه في مصر ورجالها وما حدث فيها من الاصلاح والتغيير فآثرنا نشره ليحفظ في بطون التاريخ وهذا نصه :

الديباجة

ارجو ان تقابلوا اقوالي بالحلم والاغضاء ان خطابي هذا يكلفني جهداً عظيماً جسدياً وادبياً . أما جسدياً فلانه يلزمني ان اجمع قوتي كلها لاخطب عليكم وأما ادبياً فلأن اللطف الذي غمرني به الناس على اختلاف طبقاتهم في الاسبوع الذي فات قد غلبني وحملني جميلاً كثيراً ولاني اشعر بالم الحزن الشديد في نفسي على فراق هذه البلاد التي لي فيها اصدقاء كثيرون وبها تقترن كل الحوادث التي حدثت لي في خدمتي العمومية وكذلك الافراح والاتراح التي أصابتني في حياتي المنزلية ومعيشتي العائلية

اني لا افارق هذا القطر ايها السادة لاسباب سياسية وانما افارقه لان يد الدهر ابتدأت تثقل عليّ ولاني بعد ما قضيت في الخدمة العمومية نحو نصف قرن كنت في اكثره أكد كدّاً وأعدو عدواً يحق لي الآن أن أنال نصيبي من الراحة ولاني أشعر ايضاً ان المهام والمصالح العظيمة التي يطلب من وكيل الدولة البريطانية السهر عليها الآن أوفى وأتم اذا عين لها من هو اصغر سناً وفي ابان قوته ونشاطه عقلاً وجسداً

ارى قبل التكلم في امور اخرى أن اقول كلاماً قليلاً عن الاشارات اللطيفة والعبارات الرقيقة التي فاه بها جناب الكونت دوسربون وعطوفة رئيس النظار عن السيدة التي هي معينتي في حياتي . فقد وقعت اقوالها وقعاً شديداً في نفسي ولا اشك انها وقعت كذلك في نفسها أيضاً . وهذا موضوع لو اطلقت لنفسي العنان فيه لعدوت في ميدان الفصاحة شوطاً بعيداً ولكنني املك عواطفي لاسباب ظاهرة وأكتفي بقولي اني لما كنت اصغي الى الخطبتين اللتين سمعناهما كنت اتمنى ان اكون مكان الخطيبين الكريمين واطرى اللادي كرومر عوضاً عن ان ارد على الثناء والاطراء

وربما جاز لي في هذا المقام ان اقول انه كان من اقرب الامور الى قلب اللادي الاشتراك مع غيرها من السيدات المحسنات في تقليل الوفيات من الاطفال وتخفيف فتك الآفات بهم فتكاً ذريعاً فعسى ان هذا العمل الذي ابتدأ ابتداء حسناً لا يهمل في المستقبل

المستر فندلي وغيره

ولست اطيل الشرح ايها السادة في تاريخ ما مضى ولا استطيع أن اشير الى جميع الذين أسعدني حظي بان اكون شريكاً لهم في انشاء مصر الجديدة وانما اقول اني كنت دائماً انال اكثر من نصيبي من مديح الناس على كل امر حسن تمَّ في هذه البلاد حديثاً والحال اني لولا موآزرة غيري من المصريين والاوربيين ابناء أمتي وابناء الامم الاخرى لما استطعت ان اعمل شيئاً مما عملناه واقول انه لم يعمل احد منهم عملاً انفع مما عمله المستر فندلي الذي كان ينوب عني في ظروف وأحوال لا تخلو من صعوبة خصوصية مدة غيابي في السنوات الاخيرة

لا ريب عندي ان في الاربع والعشرين سنة التي قضيتها في وظيفتي هنا ارتكبت خطأ كثيراً ويحتمل ان يكون قد عاداني أناس أيضاً ولكني اؤمل ان يكون وجودكم هنا اليوم دليلاً على اني ربحت لي اصدقاء كثيرين أيضاً وقد أثر فيَّ حضور كثيرين من رصفائي الاجانب الذين كانت العلاقات الشخصية بيني وبينهم على غاية الوداد كما كانت بيني وبين الذين سبقوهم ايضاً

الخديوي توفيق باشا

قلت اني لا استطيع ان اتكلم عن جميع الذين كانوا شركائي في العمل لكن ذكر واحد أو اثنين من اكابرهم يخطر الان في بالي وتتردد صورتها بجلاء وقوة امام ذهني حتى لا يسعني الا ان اذكر اسميهما في هذا المقام . فاقول كلمة أو كلمتين عن شخص أرى ان الناس لم يعطوه حقه ولا انصفوه وأريد به المغفور له سمو الخديوي توفيق باشا على اني لا اقصد أن اسرد الفاظ المدح الفارغ أو اورد الاقوال والعبارات المصطلح عليها بلا نظر الى صحة معانيها بل اني اعني ما اقول فتوفيق باشا كان

يعرف بلاده و يعرف أهل بلاده أيضاً حق المعرفة وكان شبه حلقة الاتصال بين المصلحين والشعب المصري يلطف من شدة غيرة الاولين احياناً ويبذل نفوذه مع الآخرين لنفي خوفهم من الاصلاح الذي كان حينئذ يفوق خوف المحافظين المتطرفين فالتاريخ يكون ظالماً لا عادلاً ان لم يجعل لتوفيق باشا مقاماً ذا شأن بين الغابرين من الملوك والامراء الشرقيين وهو لم يكن مشتركاً بنفسه كثيراً في اصلاح مصر وتجديدها ولكنه كان لحكمته وحسن فطنته ينشط ويؤيد الساعين في تجديدها واصلاحها

نوبار باشا ورياض باشا

وهناك شخص آخر من عظماء الزمن الماضي يخطر الآن على بالي وتتردد صورته في هذا المقام امام ذهني . فالذين يعرفون منكم ايها السادة تاريخ العهد الماضي في مصر والذين قرأوا تقريري السنوي الحديث يعلمون ان ما اقترحته لتعديل نظام الامتيازات الاجنبية انما هو بمثابة تتمة للعمل العظيم الذي يحكي أعمال أرباب السياسة والذي خط المرحوم نوبار باشا خطته الاصلية

واذكر أيضاً اسم رجل آخر من ارباب السياسة وأنا مسرور بمشاهدته الآن بيننا لانه صديقي القديم المؤتمن دولة رياض باشا

أننا ايها السادة في زمان لا يحتاج فيه الشاب المصري الذي يتظاهر بمظاهر المصلحين الى شجاعة تذكر . ولكن ما هو كائن الآن لم يكن كذلك طول الزمان بل كان لاسماعيل باشا رحمه الله طرق عنيفة في معاملة الذين لا يطأطئون الرؤوس امامه ولا يعنون لهيبته ومع ذلك وقف رياض باشا منذ ٣٠ سنة واعترض بكل جراءة على سوء الادارة واقام الحجة على فساد الاحكام الذي كان متغلباً على مصر في تلك الايام . وعلق الجرس بعنق الهر فاعجبت بشجاعته هذه حينئذ . وكثيراً ما وقع بيني وبين صديقي وصفيي القديم خلاف بعد ذلك ولكني لم اكف قط عن النظر اليه بعين الاعتبار بل بعين المحبة التي تستحقها صفاته العبقرية

مصطفى باشا فهمي وبطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول

وماذا اقول عن صديقي العزيز السامي المقام في عيني عطوفة مصطفى باشا فهمي فقد قضينا السنين الطوال ونحن كلانا على اعظم صداقة شخصية فاولا أقول انه من اعظم الذين التقيت بهم في حياتي لطفاً واكرمهم اخلاقاً واحسنهم مناقب امتاز بتمام الاخلاص والاستقامة والحرية والصدق في كل عمل من اعمال حياته . وثانياً أقول انه خدم اهل بلاده اجل الخدم ولكن بطريقته المعهودة من السكينة والهدو والابتعاد عن التعرض لغيره والدخول في مالا يعنيه . وانا اعلم ان هذه الاقوال القليلة لا توفي صفاته الجليلة بعض حقها ولكنه لا يزال لدي قول كثير والوقت يقضي على ان اختصر في ما اقول

ومما اوجب لي السرور العظيم اني عاشرت ناظر الخارجية المصرية سعادة بطرس باشا غالي معاشرة طويلة وكان يؤدي اعظم منفعة واجل خدمة بما أوتي من ثاقب البصيرة وسعة الحيلة العقلية في حل المشكلات التي تنجم عن حالة البلاد السياسية الخصوصية

واذكر اخيراً ايها السادة اسم رجل لم اشتغل معه الا من عهد قريب لكن معاشرتي القصيرة له قد علمتني ان احترمه احتراماً عظيماً وان اصاب ظني او لم يخطئ كثيراً فسيكون امام ناظر المعارف الجديد سعادة سعد باشا زغلول مستقبل عظيم المنفعة العمومية لانه حائز لجميع الصفات اللازمة لخدمة بلاده فهو صادق مستقيم كفوء مقتدر شجاع في ما هو مقتنع به وقد احتمل الطعن والذم من كثيرين دونه فضلاً بمراحل من ابناء وطنه فهذه صفات سامية فالواجب ان صاحبها يتقدم كثيراً

منكريف وجارستن ومسبرو ونجت باشا

اما شركائي في العمل من الاوروبيين فغاية ما اقوله عنهم اني اشكرهم من صميم فؤادي على مساعدتهم التي لا تثمن وعلى شدهم ازري في أحوال محفوفة بمصاعب عظيمة ولا يسع المقام ذكرهم الآن كلهم باسمائهم ولكن ان كان فيهم من يجب علي

اهل هذه البلاد ان يعزوا اسمه خصوصاً فاذله السر كولن منكريف والسير ولـيم جارستن واعوانهما الذين أعطوا المصريين اعظم مايحتاجون اليـه وهو ماء الري وأضيف الى اسميهما اسم رجل فرنساوي شهير جليل وهو المسيو مسبرو الذي اكسبته ابحاثه العلمية في تاريخ مصر القديم ماهو حقيق به من الصيت الطائر في الآفاق

اخيراً ايها السادة اقول انه لم يكن يهمني و يلذ لي من كل واجباتي اكثر من واجباتي المختصة بالسودان وساعد اشتراكي مع السر رجينلد ونجت واعوانه الغيورين الا كفاء في الاصلاح العظيم الجاري في تلك البلاد منذ اعوام مصدراً استمد منه الفخر والسرور كل ايام حياتي

حسن ظنه بالمصريين وحسن اعتذاره عنهم

فبمساعدة الذين ذكرتهم ومساعدة كثيرين غيرهم أظن اننا عملنا عملاً غير رديء في ربع قرن من الزمن وان يكن فيه مافيه من القصور والتقصير ولكن يقول لي قوم كثيرون ان المصريين بوجه الاجمال لايعترفون كثيراً بالجميل و بالمنافع والفوائد التي لاشك في انها منحت لهم فأجيب على ذلك اني لااعرف مايشعر به المصريون من هذا القبيل ولكن فيلسوفاً فرنساوياً قال قولاً اورد معناه ولست اجزم باقتباس مبناه قال اذا قاسي شعب آلام الظلم والضيم طويـلاً لم يكد يبـقى له طاقة على شكر الذين يخلصونه منها

ولا ريب ان اهل مصر قاسوا كثيراً في ماضي زمانهم ومهما كان شعور المصريين وكانت حاسانهم ومهما برهن لي المبرهنون واقاموا عليّ الحجة والدليل فلست بتاركهم يحجونني ليخرجوني من الوهم الشريف الذي انا فيه ان صح انه وهم لاحقيقة . واعني بذلك انه لايمكن ان اصدق ان المصريين أو احسنهم على كل حال — ينكرون ان يد التمدن الغربي التي كانت انكلترا تستعملها لعمل عملها في الخمس والعشرين سنة الماضية هي التي انتشلتهم من بالوعة البأس بعد ماالتقم دهرهم فيها . وهب انى اقتنعت — وما انا بمقتنع مطلقاً — ان ابناء الجيل الحاضر لايعترفون بهذه الحقيقة الجلية فاني لاازال اؤمل مع ذلك ان نسلهم يعترف بها اذ المعتاد ان اولاد العميان يكونون من المبصرين

الغرض السياسي والغرض الاداري

ايها السادة لما اتيت هذه الديار لاتقلد وظيفتي الحالية فيها وضعت نصب عيني غرضين وجعلت اسعى اليهما دواماً مدة اعوام طويلة احدهما سياسي والآخر اداري :

فالغرض السياسي الذي وضعته نصب عيني هو ان اكون من جملة المساعدين على اعادة ذلك الاتفاق الذي قضت الاحوال بحسه بين فرنسا وانكلترا ولم تنقض ذلك مقاصد حكامها واهاليها ولا مطامعهم . قال السياسي الطائر الصيت المسيو غمبتا الذي كانت ارادته المتسلطة على العقول مدة تقلده منصبه تؤثر في سير تاريخ مصر تأثيراً دائماً يوصي اهل بلاده اياكم وان تقطعوا حبل المحالفة الانكليزية ومذهبي في السياسة الدولية الذي يشاركني عدد عظيم من اهل بلادي فيه يمكن ان يعبر عنه بهذه العبارة : اياكم وان تقطعوا حبل الاتفاق الفرنسوي فان هذا الاتفاق الذي اشار اليه الكونت دوسريون بعباراته المطبقة مبني على اشتراك الفريقين في المصلحة . وعلى قرب الجوار وتشابه النظامات السياسية واحترام كل فريق للآخر احتراماً ناتجاً عن تلاقيهما في ساحات الوغى كثيراً واقتتالهما فيها شديداً وعلى كون خصائص كل منهما وصفاته مكملة لخصائص الآخر وصفاته وزد على ذلك كله انه ليس في هـذا الاتفاق تهديد لاحد وانما هو صادر عن رغبة الفريقين في حفظ السلام في العالم فان كان في العالم امتان تقضي عليهما الاحوال بان تتصادقا فانما هما امتا فرنسا وانكلترا

فلا يخفى على اقل مبتدىء في السياسة انه مادامت هذه القرحة المصرية تنز فصداقة تينك الامتين لا بد وان تمس ولذلك لما اتيت مصر سنة ١٨٨٣ عقدت نيتي على ان اسعى في سد هذه الثغرة بقدر ما تمكنني دائرة وظيفتي . وكان ذلك سعياً شاقاً كسعي الطالع جبلاً حاملاً ثقلاً . فان الامتين قضتا الاعوام وكل منهما تنظر الى الاخرى شزراً وقد دارت بينهما المضاربة والملاكمة القاسية ولكنها لم تتعد والحمد لله حد الكلام ونلت انا نصيبي منها فقد ظلت زمناً والجرائد الفرنسوية تذكر اسمي منعوتاً بنعوت الذم الا نادراً واظن ان اكثرها كان يلقبني بكرومر الوحش (Le brutal Cromer) وقد شبهتني مرة على ما اتذكر باعظم آلهة الوثنيين حبا

لشرب الدماء حيث لقبني بولوك . ولكن مداعبات الجرائد هذه هي في المناقشات السياسية كالافاويه والتوابل في الطعام فتكسبها حياة وتزيدها نكهة ورونقاً فلا يحسن بالانسان ان يحفل بها كثيراً لاسيما وان زمانها قد مضى لحسن الحظ وانقضى وتغيرت لهجة الجرائد الفرنسوية حتى لقبتني مرة في هذه الايام بهذا الشيخ الجليل Cet illustre viellard على اني افرغت الجهد مدة اعوام كثيرة في المساعدة على عقد الاتفاق بين الامتين واقول الان ان اسعد يوم من ايام خدمتي في مصر كان يوم ٦ ابريل سنة ١٩٠٤ الذي وقع فيه الاتفاق الانكليزي الفرنسوي ولست أدعي اني كنت من اشهر واضعي ذلك الاتفاق بل أعترف ان الفضل في عقده كان لارباب السياسة المتولين زمام الامور الخارجية يومئذٍ في باريس ولندن وربما جاز لي من غير ان امس واجب الاكرام والاحترام ان اضيف اليوم مليكنا السامي النهى العظيم المواهب العقلية الذي نلت الفخر والامتياز بخدمته السنية ولكن يسوغ لي ان اقول ان الجهد المتواصل الذي بذله اولو الشان في مصر مدة اعوام طويلة لاجتناب كل ما يمكن اجتنابه من المنازعات ولفض كل الدعاوي والشكاوي الصغيرة التي تنجت عن احتلال بريطانيا العظمى لمصر — هذا كله مهد الاتفاق وسهل الامر على المتفاوضين فيه

واتكلم الآن عن الغرض الاداري الذي وضعته نصب عيني فاقول سمعت في هذه الايام لفظاً ولغواً كثيراً عن ان حكومة مصر حكومة مستبدة ظالمة فلا يهمني ان اطيل في الرد على مثل هذا الكلام بالتطويل بل اقول اني افرغت جهدي مدة خدمتي كلها بمصر في بث روح الحرية في نظام حكومة اقتضت الضرورة ان تكون حكومة « بيروقراطية » ولكنني لم اذخر وسعاً في الاطلاع على حقيقة الرأي العام سواء كان أوربياً أو محلياً واعطائه حقه من الاعتبار والاهتمام وحسبي أن اترك لغيري الحكم في مقدار نجاحي من هذا القبيل

الارتقا الادبي والعقلي والتعليم

ثم التفت الى امر آخر وهو اني اسمع قوماً يقولون ان مصر ارتقت ارتقاء مادياً عجيباً في الاعوام الاخيرة ولكن لم يعمل فيها شيء لترقية اهلها ادبياً وعقلياً . عجباً ايها

السادة كيف يقال ان مصر لم ترتق أدبياً هل الحكم فيها اليوم للكرباج وحده كما كان في الايام الغابرة ؟ هل السخرة (العونة) باقية فيها ولم تطو الايام عليها ؟ هل لعنة الرق لا تزال حالة عليها ولم تزل عنها ؟ اليس كل شخص فيها من الامير الى الصعلوك الحقير سواء امام القانون ؟ ألم ينشط الناس فيها الى السعي والكسب ؟ اليس أصغر الناس فيها يجنون اليوم ثمار سعيهم و يتمتعون بما يحصلونه بعرق جبينهم اليس من الحقائق المقررة أن العدالة لا تشرى وتباع اليوم وان كل انسان حر بل ربما ظن قوم انه حر اكثر مما يجب ان يكون — في المجاهرة بآرائه والتعبير عما في ضميره وان سلطان « البخشيش » قد ثل عرشه وعزل عن مقاماته العليا في الحكومة ولم يبق له اثر الا في أخرياتها وضواحيها وان ماء النيل الذي يحيي الاراضي و يأتيها بالخصب يوزع على الامير الخطير والفلاح الفقير بالقسط والعدل وان المرضى يمرضون و يعالجون الآن في مستشفيات مستكملة العدد ووسائط الراحة . وان المجرمين والمجانين لا يعاملون الآن معاملة الوحوش الضارية حتى الحيوان الاعجم لم يفت الرفق به عناية المصلحين . وان اشتراك الحكام والمحكومين في المصالح أصبح أمراً مقرراً عند الفريقين قولاً وفعلاً . وان كل عمل تعمله الادارة وان كل خطأ — اذ العصمة لله وحده — تكون آثار حسن القصد بادية عليه ورغبة الحكومة في خير الاهالي ظاهرة منه وان الاموال التي تؤخذ من جيوب الذين يدفعون الضرائب التي قلت كثيراً عما كانت عليه تصرف الآن في الوجوه النافعة للبلاد بعد ما كان معظمها يصرف على بناء قصور لا منفعة لها ونحو ذلك من الامور التي لم تكن تهم السكان بوجه من الوجوه فان كانت هذه الامور كلها وكان غيرها مما يمكنني ان اذكر منه كثيراً لا تعد ترقية أدبية فالحق يقال اني لا اعلم بعد ذلك ما المراد من قولهم آداب وأدبيات

ولكن يقول قوم ان عقول المصريين وآدابهم لم ترتق . فانكر هذا القول ايضاً انكاراً باتاً . انظروا الى تعليم البنات فهل يظن عاقل انه يمكن لهذه البلاد ان تتشرب روح التمدن الحقيقي مادام مقام المرأة غير متغير فيها ان كان احد يظن ذلك فاني اخالفه في ظنه كل المخالفة . ومع ذلك فانه منذ بضع سنين — والعهد غير بعيد — لم يكن

أحد يهتم بهذه المسألة غير صديقي سعادة يعقوب باشا ارتين وعزتلو قاسم بك امين وآخرين قليلين وأما بقية الاهالي فلم يكونوا يبالون بذلك بل انهم كانوا ضده فانظروا التغيير الذي حصل الآن لم يبق عند الحكومة المصرية مدارس تسع كل البنات اللواتي يروم والدوهن تعليمهن . وانظروا ايضاً الى التعليم الابتدائي فان النظام الذي كان متبعاً قبل الاحتلال البريطاني لم يكن يصلح لشيء ثم تغير ذلك أيضاً تغيراً عظيماً لان الكتاتيب* تنشأ في كل جهة من جهات القطر بعناية كثيرين من أعيان البلاد المستنيرين . وقد ابتدأت حركة اخرى تستحق الذكر لتعليم الصنائع للاهلين

التعليم العالي وسمو الامير

أما تعليم العلوم العالية وأعني بها الحقوق والطب والهندسة وما شاكل فالتقدم فيها كلها مستمرٌ مطرد منذ اعوام نعم انه لو تيسر للحكومة المال الوافر منذ عشرين سنة لكان قد تم اكثر مما تم الآن كثيراً ولكن عقدة القضية المصرية ان المال الذي كان للحكومة سبيل اليه لم يكن وافراً بل لم يكد يكون كافياً مدة اعوام كثيرة لسد حاجاتها الضرورية . على اني لا انكر ان البلاد لا تزال مفتقرة الى تقدم كثير أدبياً وعقلياً وانا واثق ان المعارف ستتقدم وترتقي سريعاً على يد ناظر المعارف الحالي وجناب المستر دنلوب مستشاره لا سيما وانه قد نزل بالامس الى الميدان حليف كفوء عالي الشان فاني قرأت منذ برهة يسيرة حديثاً جرى لسمو الخديوي مع مكاتب احدى الجرائد الفرنسوية . وقد قال سموه فيه « ان الهم الدولي بامر الدين المصري قد مضى وانتهى . واقول في سياق الكلام ان هذا القول مطابق للواقع الآن ولكني واثق انه لو كانت الحكومة تنفذ كل مشروع من مشروعات الاصلاح الغريبة التي تكاثر سمعنا لها في هذه الايام لكان الهم الدولي بمالية مصر لا يلبث ان يعود ويحيا في الحال ولكنني لا اطيل الكلام من هذا القبيل

ثم قال سموه وقد حان لنا أن نبذل جهدنا ليس في خير الاهالي المادي فقط بل في سد حاجاتهم العقلية والادبية ايضاً وانا لا يهمني أمر اكثر مما يهمني هذا الامر فأرحب بأقوال سموه هذه من صميم فؤادي وأقول ان سموه خصوصاً يقدر

ان يرقي شعبه كثيراً من الجهة الادبية فهو قادر على ابطال فضائح ديوان الاوقاف وتطهيره من الادران المفسدة للآداب والاخلاق في هذه البلاد وقادر ان يظهر لاهل دينه انه يمكن اصلاح المحاكم الشرعية من غير مس لاصول الديانة الاسلامية . وقادر على احباط أعمال أولئك المتزلفين لقضاء مآربهم الخصوصية الذين يشيرون ولا يتحملون مسؤولية بل يتألبون حول كل صعبة شرقية ويكون نفوذهم كله شراً وبالاً على الآداب العمومية . وقادر على استعمال نفوذه وهيبته لشد ازر المصلحين الحقيقيين الذين يريدون الخير للبلاد قلباً وقالباً وتنشيطهم في سعيهم فان كان سموه يفعل هذه الاشياء كما هو مأمولي نال الشكر الاحترام من كل طبقة من طبقات الامة

دوام نظام الاحكام والسير الدن غورست

أخاف ان اكون قد أتعبتكم أيها السادة بطول الكلام ولكن كل ما قلته كان عن الماضي فاذا تكرمتم علي بالاصغاء فاني أقول شيئاً عن المستقبل

ما هي حقائق الحالة المصرية الآن . أولاها في أن الاحتلال البريطاني يدوم الى ما شاء الله وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسمياً . وثانيتها هي انه ما دام الاحتلال باقياً فالحكومة البريطانية تكون بالضرورة مسئولة عن الخطة التي تجري عليها الادارة المصرية لا تفصيلاً بل اجمالاً . ولا يكن عند أحد أقل ريب في هذه الحقيقة الثابتة . والنتيجة التي استنتجها من هاتين المقدمتين هي ان نظام الحكومة الحالي دائم رغماً عما يعتريه من العيوب والشواذ الكثيرة التي لا يعترف بها أحد أكثر مني وأظن انه ليس في الناس من هو أقدر على ضمان الدوام لهذا النظام من جناب السر الدن غورست خلفي المقتدر البارع

كلكم تعرفون مقدرة السر الدن غورست ومزاياه فلا حاجة بي الى اطالة الكلام في شرح أوصافه الجليلة وانما أقول اني سررت اعظم سرور بتعيينه في مكاني لان الصداقة بيني وبينه عظيمة ولان ثقتي به تامة ثم اني أرى من أقوال الجرائد الاوربية والمحلية انها تشير على السر الدن غورست باتباع ما تسميه سياستي

سياستي

فرأيت أن أوضح ما ذا كانت «سياستي» هذه ويكفي لايضاحها كلمات قليلة وهي ان سياستي كانت قول الحق وأنا عالم أن السر الدن غورست يجري على هذه السياسة ولا ريب عندي انه يجد في القيام بواجباته الشاقة من أبناء بلاده وغيرهم من التأييد الخالص الفعال ما كنت أنا أجده منهم دائماً . ولا تنسوا أيها السادة أن مبدأ الاتحاد قوة يجب أن يتبع أتم أتباع في هذا القطر اذا أردنا أن نحصل على أتم النفع منه

ليس من المحتمل أيها السادة ان يكون لي دخل عظيم في السياسة في المستقبل ولكني لا أكف عن الاهتمام بأمور مصر على قدر ما تسمح به قوتي وعافيتي . فأبذل كل ما يمكنني بذله من نفوذي في ترقية هذه البلاد على الخطة الموضوعة الآن لترقيتها ولا أمدح تغييراً فجائياً فيها ولا أشير بكل خروج عنيف عن المناهج الحالية الى منهاج جديد واذا اقتضى الامر فاني سأطلب وألح خصوصاً بان هذه الحركة الكاذبة المتعلقة لانشاء مجالس نيابية سريعاً لاتعامل الا بقدر ما تستحق وان سألتموني أيها السادة عما تستحق قلت لكم انها لا تستحق شيئاً لانها لا تعبر في الحقيقة عن رأي المتنورين من سكان القطر المصري أوروبيين كانوا أو مصريين بل انه متى زال كل ما يقال الآن من الهذيان والمبالغة كان الاختلاف في الرأي بيني وبين خصومي وخصوصاً الذين في بلاد الانكليز منهم اختلافاً في الدرجة لا المبدأ فهم يريدون أن يعدوا عدواً سريعاً جداً وانا أرى أن الخبب أحسن سير يوافق مصلحة البلاد فان هذا السير هو الذى نفع معنا في الماضي وهو الذى أشير بدوامه فلا يبطىء حتى يصير مشينا ثقيلاً ولا يسرع حتى يصير عدواً زميلاً . لاقتناعي انه اذا أسرع كثيراً خيف أن جواد مصر يكبو فيقع ويكسر ركبتيه

واخبركم ايها السادة لماذا ارى هذه الاراء واذكرها الان . لا اراها لان من ورائها مزايا سياسية لوطني ولا لاني اعتقد ان جميع الازكياء من الاوربيين والمصريين في هذه البلاد يشاركونني فيها . كلا بل لاني اؤمل ان ما اقوله لحضراتكم الان يترجم الى لغة اهل البلاد ويبلغ مسامع الملايين الذين لا يسمع لهم صوت — اولئك

الفلاحين اللابسين الجلابيات الزرقاء الذين يتوقف تقدم البلاد في الثروة واليسر على تعبهم فانا — الذي يعد نفسه دائماً صديقهم الحقيقي — احذرهم من ان يغتروا ويضلوا باقوال الذين يدعون كذباً بانهم ينوبون عنهم وينطقون بلسانهم وينقلون عنهم بلا اذن ولا توكيل منهم آراء لا يرونها بل لا يفهمونها ولا يدركونها ويطلبون اموراً سياسية لو أجيبوا اليها حالا لعادت بالضرر على مصالح الناس عموماً وعلى مصالح افقر اهالي القطر خصوصاً ولو كنت اتحول عن الدفاع عن هذا النظام الذى دام نحو ربع قرن لان الى انتقاده لكان أول ما انقده فيه ان التقدم كان سريعا جدا فيه عوضا عن ان يقال انه كان بطيئا جدا وانه لمزيد سرعته لم يتيسر بعد لعامة الناس ان يقتبسوا ويألفوا الاصلاحات التي تمت فيه

بقي لي نصيحة أخرى احب ان اقولها قبل ان اجلس في مكاني وهي ان قولهم « الاتحاد قوة » لا يصدق على الذين هم في خدمة الحكومة فقط بل على جميع الذين يهمهم ادخال التمدن الحقيقي الى هذه البلاد . فالواجب عليهم أن يتحدوا معا ولا اعني بذلك ان الانكليز والفرنسويين والالمان وسائر الاوربيين فقط يطرحون عنهم ما بينهم من المناظرة والمنافسة ويتحدون معا في مصلحة واحدة بل ان جميع الذين يريدون ان تكون الحكومة حكومة عقل وأن يكون تقدم البلاد مستمرا دائما يتحدون جميعهم معا سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين اوربيين أو افريقيين أو اسويين ويقاومون القوات المجاهدة في سبيل التأخر والتقهقر حقيقة سواء كان جهادها عن جهل أو عن عمد وقصد واشكركم ايها السادة في الختام على اصغائكم الي بالصبر وطول الاناة هذه المدة التي قلت فيها كل ما اردت قوله

ولا شك عندى ان الصعوبات لا تزال كثيرة في سبيل المصلح المصرى السرالدن غورست ولكن اخر كلمة اقولها له ولكم كلكم هي كلمة كان عباد الالهة ايزيس في هذه البلاد كثيرا ما ينقشونها على قبورهم بلغة القوم الذين هم اصل التمدن الاوربي والذين استوطن اناس كثيرون من ذويهم هذه البلاد لخيرها والذين أعد منهم اصدقاء كثيرين لي واعني بها لغة اليونان . ومعنى تلك اللفظة « تشجعوا »

الداهومي وتوابعها

للمقدسي صاحب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب

١ - تمهيد

قدمت لكم رسالة عن الداهومي وتوابعها ومعها رسم توفا الثاني ملك بورتو نوفو الحالي وبهانزين ملك الداهومي المتوفى حديثاً . وقد شاهدته العام الماضي في بوردو وهو راجع من منفاه في اميركا الى الجزائر وتشوقت للوقوف على احوال بلاده وتاريخها وكنت درست شيئاً منها في معرض باريس سنة ١٩٠٠ ثم أتيح لي السفر قبل بضعة اشهر لمرسيليا فزرت معرض المستعمرات العام فيها ودققت في احوال الداهومي وغيرها من المستعمرات الفرنساوية . وكأن الانسان في المعرض يشاهد البلاد وما فيها ويحيط علمه بجزئياتها وكلياتها

ولا يخفى عليكم ما في درس هذه الرسالة وأمثالها من الصعوبة لاسيما على الطريقة التي سلكتها من معرفة أصول المسائل وربطها بالتاريخ الاسلامي اذ لا يكفي في مثل هذا المقام ترجمة المقالات الفرنساوية وانما ينبغي مقابلتها بالتواريخ العربية واستخراج اسماء البلدان التي وضعها المتقدمون لكيلا ينقطع حبل الاتصال بين القديم والحديث

فمدينة « وهران » مثلاً وهي من مدن الجزائر ألفت فيها الكتب العربية ونظمت في فتوحها القصائد الطويلة وجرائدنا لم تزل تكتبها (اوران) كما ينطق بها الفرنساويون لترجمة الاسم على عجل من تلغرافات روتر وهافاس . وكذلك غانة يكتبونها (كينيا) ويقولون كينيا العليا وكينيا السفلى وخليج كينيا وكينيا الفرنساوية والبورتكيزية .... الخ كما حرره صاحب الخلاصة الصافية في أصول الجغرافية المطبوع في بيروت . والاتراك يكتبونها (كينه) و (غوينه) ويلقنونها لابناء المدارس في جميع الممالك العثمانية

ولم ينتبهوا الى ان الافرنج والبرتغاليين على الخصوص انما حرفوا هذا الاسم عن سلطنة غانة القديمة التي أسسها المسلمون على ضفاف النيجر . لان البرتغاليين لما خرجوا بسفنهم لسواحل افريقيا لم يكن بايديهم الا خرائط العرب كخريطة الشريف الادريسي المحفوظة اليوم بمكتبة باريس الاهلية وترى غانه فيها مرسومة على ضفاف النيجر وقد

ترجمت هذه الخريطة الى الفرنساوية ونشرت كالاصل في اطلس شرادر التاريخي • فهذا الخطاء الذي لا مندوحة لنا عن الوقوع فيه نتيجة نقلنا المدنية الاوربية بدون ان نمعن النظر في التاريخ الاسلامي الذي قمتم بخدمته احسن قيام ٭ .فلنصلح الآن بقدر الاستطاعة ما تيسر لنا اصلاحه من اسماء الاعلام والبلدان والا ساقنا الجهل الى تسمية ابن سينا (افيسين) وابن رشيد (افروس) كما سماها الافرنج في قرونهم الوسطى وعصورهم المظلمة

وقد قضيت الايام والشهور في البحث والتنقيب عن مضمون الرسالة المرسلة اليكم وربما بيضت الورقة الواحدة منها اكثر من مرتين فالمأمول ان يقدرها قراء الهلال قدرها ولا يملوا من تلاوة ما فيها من الاسماء الاعجمية السودانية • وكيف يملون وهم بحمد الله شارعون بفتح المدارس الكلية وتعلم العلوم العالية ويتحتم عليهم معرفة القارة الافريقية قبل سواها لانها اصبحت محوراً يدور عليه دولاب السياسة والمالية وقامت مسألة المستعمرات الافريقية مقام المسألة الشرقية واشتدت رقابة الدول على المغرب الاقصى

فنحن معشر الشرقيين وان فاتنا الاستيلاء على افريقيا واعمالها فلا يفتنا على الاقل العلم بها لان العلم بالشيء نوع من الاستيلاء عليه • والنشر فيها لغتنا العربية حتى ترى الهلال يقرأ في الداهومي وغيرها من افريقية الغربية بعد ان يحمل اليها من مصر براً على القطار الحديدي وما ذلك ببعيد • وترى السوريين اليوم يعدون بالعشرات في كل مدينة من افريقية الغربية مثل سن لويس ودكروقونا قري وبنجرفيل وقوتونو — ولا غرو في ذلك فان السوريين ورثة اولئك الفينيقيين وهم اول من طاف حول القارة الافريقية واستعمرها

وكثيراً ما اشاهد في بوردو السودانيين وهم ذاهبون من تلك السواحل الى الاقطار الحجازية او راجعون منها وبعضهم يقرأ العربية وقد اكتسبوا ثروة من زرع اراضيهم ورواج متاجرهم واصبحوا يرفلون في حلل ذات بهجة والوان مفرحة بعد ان كانوا بالامس عراة متوحشين

فالرقي الذي ارتقته تلك البلاد يفوق التصور • والقرية التي كانت منذ عشر او خمس عشرة سنة مشتملة على اربعين او خمسين بيتاً من بيوت الاخشاش المتخذة من القش اصبحت مدينة ذات شوارع واسواق ودور وفنادق وزادت نفوسها على اربعين وخمسين الف نسمة كان الخالق جلت قدرته قال لها كوني فكانت

٢ - جغرافيتها

حدودها ومساحتها — شكل ارضها وجبالها — انهارها وغدرانها . — هوآءها — ادارتها وتقسيماتها السياسية . — اهاليها واديانهم ومعارفهم . — تجارتها وطرق المواصلة والمخابرة . — مدنها المشهورة

الداهومي وتوابعها مستعمرة فرنساوية في افريقيا الغربية بين خليج غانه والدرجة ١٤ من العرض الشمالي وبين مستعمرة لاغوس الانكليزية شرقاً ومستعمرة توغو الالمانية غرباً . واكثر حدودها وضعية لا طبيعية تعينت بمعاهدتين عقدتا في باريس سنة ١٨٩٧ والتي بعدها . فالحد الغربي المتفق عليه بين فرانسا والمانيا يبتدىء من جزيرة بايول التي على ساحل المحيط ويذهب شمالاً على موازاة نهر مونو ثم ينفرج عند الدرجة التاسعة من العرض الشمالي ويمر بين قريتي (رجه) و (غاندون) وعند الدرجه ١١° ينعطف نحو الغرب ليفصل بين السودان الفرنساوي وتوغو الالمانية . والحد الشرقي المتفق عليه بين فرانسا وانكلتره يبتدىء من مصب اجاره بقرب البحر المحيط ثم يتبع نهر او قباراً من قرية دبابانا الى الدرجه ٩° من العرض الشمالي ثم ينفرج نحو الشرق ويقطع نهر النيجر بالقرب من قرية كيري التي يقال لها بورابلو ثم يتبع وادي ماوري وينعطف نحو الشرق عند الدرجة ١٤ من العرض الشمالي . واصل الداهومي من ساحل البحر الى الدرجة التاسعة وما فوق ذلك تابع لها ومساحة الداهومي وتوابعها ١٦٦,٠٠٠ كيلو متر مربع . فهي اكبر من ايالة تونس بست وثلاثين الف كيلو متر مربع

وساحل الداهومي مستقيم ليس فيه خلجان ولا تعاريج وانما بداخله قنوات وغدران اي بحيرات فاصلة بين الساحل الخارجي والساحل الداخلي المسكون وممتدة من الغرب الى الشرق على موازاة الساحل وهي مع قلة عمقها قابلة لسير البواخر الصغيرة . ووراها اراضي مستنقعة يكثر فيها الدغل واجمات القصب . وعلى مسافة بضع كيلومترات عن الساحل منطقة النخيل الذي يستخرج منه الزيت وتمتد هذه المنطقة الى مدينة سافالو جنوبي الدرجة الثامنة من العرض وبينها وبين نهر النيجر منطقة ثانية مشتملة على دوح وغاب من الاشجار العظيمة ذات الاغصان المتفرعة كالاشجار

المعروفة عند الفرنساويين باسماء فروماجه ، روفو ، قاريتــه والاخيرة هي شجرة الزبدة التي يستخرج من جوزها نوع من السمن النباتي المستعمل في طبخ الاطعمة وانارة السرج وعمل الصابون وشجرة القولا ولها جوز مغذٍ ومنبه يأكله السودان ويتعاملون به تعاملنا بالقهوة وشجرة الكاوتشو التي يستخرج منها المغيط وشجر النارجيل ذات الجوز الهندي ونبات النيل المستعمل في الصبغ وغير ذلك من الشجر والنبات العجيب المختص باقليم خط الاستواء . وعمرت الاهالي الاراضي المحيطة بالقرى والمدن واقتلعوا منها الشوك والشجر وزرعوا فيهــا الدخن والذرة والفاصولية وفستق العبيد والارز والمانيوق والايغنام وهما اشبه بالبطاطة . فالقسم الساحلي من الداهومي سهول مستوية خالية من الاشجار وتبتديء صخور الغرانيت عند مدينة ابومي وترتفع الارض بالتدريج فتشكل بقاع سافلة وما هي التي يمر بينها نهر ادية . وفي شمال كارنوفيل جبال دبلكاسة وهي قليلة الارتفاع ووراءها جبال اتافورة الممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ولا يتجاوز علوها الثمانماية متر واراضيها صخرية لا ينبت فيها الا اعشاب ضعيفة وشجيرات متفرقة . وفي شمال هذه الجبال أي في السطح المائل الى النيجر منطقة ثالثة يقال لها بلاد غورمة ويندر فيها الشجر والنبات ولكن يكثر العشب لان المياه تغمرها نصف السنة .

فجبال اتافورة تقسم اراضي الداهومي الى سطحين احدهما مائل نحو النيجر والآخر نحو خليج غانه . والمياه السائلة من هذه الجبال الى نهر النيجر قليلة الاهميــة وهي عبارة عن سيول بخلاف المياه السائلة الى الجهة الاخرى فانها تجتمع في نهر اويمه وفي نهر فولتا اودية الجاري في مستعمرة توغو الالمانية . وتجري انهار الداهومي من الشمال الى الجنوب ويخف جريانها عند مصابها لقلة الانحدار ولذا كثرت في السواحل الغدران والقنوات وركدت فيها المياه التي يغادرها السيل واستنقعت وافسدت الهواء . ويمر نهر اويمه بجانب كارنوفيل ثم يصب فيــه عن اليسار نهر اوقباره المتقدم ذكره وعن اليمين عند مدينة بوغيسه نهر زو المار ببقاع ماهي فيصبح نهر اويمه قابلا لسير البواخر الصغــيرة وينصب في غدير بورتونوفو وفي بحــيرة نوقوه . وفي غرب اويمه نهر سو لكنه قصير ويصب ايضاً في بحيرة نوقوه . ثم نهر قفو المنصب في غدير اهيمه . ونهر مونو الفاصل بين الداهومي وتوغو الالمانية ويصب امام بوبو الكبيرة . ويتشكل من مصاب هذه الانهار قناة ممتدة على موازاة الساحل ومنصبة في البحر عند بوبو الكبيرة وفوتونو ولاغوس

وهواء الداهومي وان كان سليما في اصله وفي داخــل البلاد فالحمى المرزغية تكثر في

السواحل لركود المياه في غدرانها وتفتك بالاوروبيين وبقية المهاجرين كما يفتك السل الرئوي بالوطنيين المبتلين بشرب المسكرات وهي من سموم المدينة الاوربية . ومتوسط الحر في الداهومي ٢٨ درجة بميزان سنتغراد ومعظمه ٣٧ واقله ١٧ درجة وتهب فيها رياح شديدة تثير الغبار وتعكر الجو وتسمى رياح هرمتان

ادارتها وتقسيماتها السياسية . — ادارة الداهومي وتوابعها مفوضه الى حاكم فرنساوي مقيم في بورتونوفو وتابع للحاكم العام على افريقيا الغربية الفرنساوية المقيم في دكر مينا السنغال . وتقسم مستعمرة الداهومي وتوابعها الى داهومي السفلى وهي من الساحل الى كارنوفيل أي للدرجة ٩ من العرض الشمالي وداهومي العليا وهي ما فوق ذلك الى الدرجة ١٤ في حدود السودان الفرنساوي . وتقسم داهومي السفلى الى الاراضي الملحقة بفرانسا والاراضي التي تحت حماية فرانسا . فالاراضي الملحقة عبارة عن الساحل والثغور وتقسم الى ثلاث مديريات :

(١) بوبو الكبيره . ويتبعها اغوه . (٢) ويده . ويتبعها اور ، سافي ، افريقية . (٣) قوتونو . ويتبعها ابومي فالا في ، غودومي . وفي كل منها مدير تابع للحاكم وفي كل ثغر وقرية مشيخة وعمد تابعون للمدير . وتنقسم الاراضي المحمية الى خمس ممالك وهي :

(١) مملكة بورتونوفو . في الشرق واميرها الحالي توفا الثاني . (٢) مملكة اللاده في الوسط . واميرها جي غلا . (٣) مملكة ابومي . في الشمال واميرها اغولي اغبو . (٤) مشيخة اوانشي . في الساحل الغربي وسميت باسم سكانها . (٥) مشيخة اديره قيطو . في شمال بورتونوفو وفي شرق ابومي ومركزها قيضو وسكانها من امة ناغو المنتشره في مستعمرة لاغوس . وفي شمال هذه الممالك الخمسة بلاد ماهي ومركزها سافالو . وفي كل حماية منها مقيم اشبه بالمقيم العام في تونس يدير سياسة المملكة باسم اميرها او مشيختها ويتصرف فيها كما يشاء . وتقسم داهومي العليا الى اربع دوائر كبيرة وهي :

(١) دائرة بورغو . فوق الدرجة التاسعة من العرض على حدود المستعمرة الانكليزية وتقسم الى ايالة غمباري ومركزها باراقو والى ايالة ينكي ومركزها ينكي

(٢) دائرة جوغو قوانده . غربي دائرة بورغو وعلى حدود المستعمرة الالمانية . وتشتمل على جبال دياكاسه واناقوره وتنقسم الى بلاد قودوقولي وبلاد البسيله المعروفة بمملكة شابه والى مملكة جوغو ومملكة قوانده وولاية قونغو بيري

(٣) دائرة غورمه . فيما وراء جبال اناقوره الى السودان الفرنساوي . ومركزها

فادانغورمه

(٤) دائرة النيجر الاوسط · على ضفتي النيجر ومركزها فاريماما · وتنقسم الى ممالك بواي وقاندي و بانيكاره وهي على سفح جبال اتاقوره والى داندي وهي بلاد الزابرمه على ضفة النيجر اليسرى

وفي بعض هذه الدوائر مقيمون ومراكز فرنساوية ونقط عسكريه ولكن قدم فرنسا لم ترسخ الآن بتلك الديار الشاسعة ولا في بلاد ماهي ايضاً لاشتغالهم عنها بتعمير الساحل ومد السكة الحديدية واصلاح الثغور والمرافي التجارية

اهاليها · — تقدر سكان الداهومي وتوابعها في الاحصاآت الرسمية بمليون من النفوس · لكن يفهم من كلام السياح والمشتغلين بانهم اكثر من ذلك و ينقسمون الى امم كثيرة · فسكان الداهومي السفلي هم الداهوميون و يسمون انفسهم (فون) وقد اشتهروا بالشجاعة وشدة البأس وانتصروا في حروبهم على مجاوريهم واستبعدوهم واسسوا ممالك ابومى واللاده و بورتونوفو · ومال اهل مملكة بورتونوفو للدعة والسلم لقربهم من الساحل واشتغالهم بالتجارة · والاواتشي و يسمون انفسهم (اؤوه) و يسكنون الساحل الغربي في البلاد المعروفه باسمهم · والماهي وهم امة كبيرة قاطنة في البلاد المنسوبة اليهم شمالي ابومي وعاصمتهم مدينة سافالو و بجانبهم امة فودوفولي وهم من جنس الماهي · وفي داهومي السفلى طائفة من الفلانيين النازلين من الشمال ومن الحواسة القادمين من حوصه للتجارة والاستخدام في سلك العسكرية الفرنساوية · وفي مدن الساحل قليل من الاوربيين وافراد من السوريين وعسكر السنغال والجزائر · واكثر سكان الداهومي السفلي فتشيون اي مشركون يعبدون الاوثان و يتقربون اليها بالضحايا البشرية ولهم كاهنات وكهان واصنام منحوتة من الخشب نحتاً وخشباً كما كان للعرب اللات والعزى ولهم عيد كبير يضحون فيه العبيد واسراء الحرب · واذا مات الملك دفنوا معه بعض وزرائه والمقربات اليه من العسكر واكثرهن من النساء المدربات على الحرب · ولكن الفرنساويين منعوا هذه الفظائع الدموية · و نشر الفلانيون والحواسة الاسلام بين قليل من الداهوميين وعلموهم القراءة العربية لان الفلانيين والحواسه قديمو عهد بالاسلام ولهم حرص على نشره وتعليم لغته · وفي اكثر مدن الساحل و بعض مدن الداخل كنائس ومدارس للكاثوليك والبروتستانت يعلمون فيها الفرنساوية والانكليزية ومبادي العلوم العصرية وللاولاد والشبان اقبال على التمدن بالمدنية الاوربية ولكن رغبتهم قليلة في الدين المسيحي ولذا لم يتنصر من الداهوميين الا فئة قليلة انضم اليها

العبيد الراجعون من البرازيل واميركا والمتعمدون فيها

واما اهالي الداهومي العليا فاكثرهم مسلمون و ينقسمون الى امم كثيرة اعظمهم امة الباريبا المنتشرة في دوائر بورغو والنيجر الاوسط وقوانده وهم طوال القامة اقوياء البنية يلبسون اللباس و يركبون الخيل . وامة البسيلة منتشرة من بيدو وكارنوفيل الى مدينة جوغو . ثم امة الكافر المنتشرة من جوغو الى بيرني وفي غرب جبال اناقوره ايضاً وهم همج يسكنون الجبال والكهوف ولا يلبسون المنسوجات ولذا سماهم المسلمون (كافر) لشدة توحشهم وكفرهم . وامة الغورمايه او الغور مانشه منتشرة في دائرة غورمه وايالة قونقوبيري وهم اهل مسالمة وسكون . وفي دائرة النيجر الاوسط التوارك وهم من امم البربر والزابرمه والفلانيون وهذه الامة الاخيرة منتشرة في اكثر جهات الداهومي و يشتغلون برعي المواشي

التجارة والمواصلة والمخابرة . — انحصرت تجارة الداهومي سابقاً بالرقيق الذي كان يؤسر في الحروب والغارات و يحمل على السفن الى اميركا ولذا اشتهرت الداهومي باسم ساحل الرقيق . فلما منعت النخاسة صار سكان الداهومي يتاجرون بمحصولاتهم الارضية واهمها الزيت الذي يستخرج من ثمر النخل ونواته لان في الداهومي وتوابعها احراجا كثيرة من النخيل وغيره من اشجار البلاد الحارة وفيها المزارع والمراعي ومواشي البقر والغنم والخيل واهم سلع التجارة في الداخل الحبوب والمواشي ومنسوجات مدينة جوغو ومصنوعات سوقوتو وسروج تمبكتو ومراكش جوز القولا وهو في نظر السودانيين كبن القهوة في نظرنا فتذهب القوافل باحمال جوز القولا وغيره من الامتعة من بلد الى بلد وتبيع وتشتري بالمقايضة . واما التجارة الخارجية فالصادرات هي زيت النخل والكاوتشو اي المغيط وجوز القولا وقليل من قديد السمك الذي يصطاد من الغدران والقنوات ويقدد والقطن وفستق العبيد . والوارد الى المستعمرة الداهومية المنسوجات الاوربية والتبغ والمسكرات والملح والخردوات والقزاز و بلغت نتيجة ذلك في عام ١٩٠٥ ما ياتي :

صادرات	٢١،٨٢٢،٧٤٣	فرنك
واردات	١٠،٦٨١،٢٣٨	
	٣٢،٥٠٣،٩٨١	

و بلغت ميزانية المستعمرة لعام ١٩٠٦ ميلادية ٤،٢٥٨،٥١٥ فرنك

وترسو البواخر الفرنساوية على قوتونو اسكلة الداهومي مرتين في كل شهر اثناء ذهابها

واياباً من بلاد القونغو الى مرسيليا و بوردو · وترسو عليها البواخر الانكليزية والالمانية مرة في كل اسبوع اثناء دورانها على المستعمرات الانكليزية والالمانية · وفي الداهومي الآن سكة حديد تبتدىء من قوتونو و يده وتمر في اللاده وابومي وشافالو وقد وصلت الى بار قو وطولها ٢٢٦ كيلومتراً وستصل الى شاطىء النيجر ليذهب فيه المسافر على الباخرة الى السنغال وغانة الفرنساوية · وفتح الفرنساويون وسط غاب النخيل والاحراج طريقاً عسكرية من قوتونو الى ينكي مارة بكارنوفيل لسوق جيوشهم ومدافعهم وفتح الداهوميون طرقاً اخرى بين القرى والمدن · واما خطوط التلغراف فتمتد بين جميع المدن والمراكز المهمة وترتبط في مدينة فادانغورمه بخط السودان التلغرافي المتصل بخط مستعمرة غانه ومستعمرة ساحل العاج الفرنساويتين · ثم تجتمع الخطوط التلغرافية في مدينة دكر وتذهب تحت البحر في (قابلو) الى بريست من اساكل فرانسا فتتصل بالخطوط التلغرافية الاوروبية · وتنوي فرانسا الآن انشاء خط تلغرافي بين الجزائر والسودان مارا بالصحراء لتصل اخبار الداهومي الى فرانسا عن طريق مرسيليا

ولم تزل الصنائع في الداهومي على فطرتها الاصلية فيصطنع اهلها القفاف والحصر والفخار وحلي الذهب والفضة وتنسج القطن في مدينة جوغو واشتهرت منسوجاتها باسم (سالا) وفي مدن الساحل معامل فرنساوية لتصفية الزيت وحفظه في البراميل

مدنها — مركز عموم المستعمرة مدينة بورتونوفو مبنية على غدير متشكل من مصب اويه ومتصل بقناة (توشه) الممتدة الى مدينة لاغوس. وعدد سكان قوتونو اليوم ٥٠،٠٠٠ نفس وفيها مقر الحاكم الفرنساوي والملك توفا الثاني وأبنية الحكومة والتجار ومزرعة كبيرة على نفقة الحكومة لاصلاح الفلاحة واجراء التجارب الزراعية · وميناء المستعمرة مدينة قوتونو ترسي عليها البواخر وتفرغ حمولتها في قطار السكة الحديدية وتشحن براميل الزيت على الطرز الجديد المستحدث في أوربا · والثانية مدينة بوبو الكبيرة وفيها طائفة من صيادي السمك يقددونه على الطريقة الافرنجية ويبيعونه في الخارج. والمدينة و يده أهمية تجارية لخروج السكة الحديدية منها ولوجود بعض المعامل الافرنجية فيها وعدد سكانها عشرون الف نفس · وفي أبومي ٤٠،٠٠٠ نفس وكانت قبلاً عاصمة المملكة الداهومية باجمعها · وكانت مدينتها الثانية (قانا) وهي مشرفة

ومقدسة عند الداهوميين وفي مدينة اللاده ١٠,٠٠٠ نفس فقط . وفي كل مدينة من المدن الآتية سوق للتجارة نذكرها على الترتيب باعتبار أهمية أسواقها وهي سافالو . زنيانادو قوفه ؛ تشاورو ؛ باوينيان . سافه . اجارا . وأما مدن الداهومي العليا فهي باراقوا التي تنتهي اليها الآن السكة الحديدية . ونيكي وكانت قبلاً عاصمة مملكة بورغو وقد تدنت اليوم ولم يبق فيها من السكان الا ٥٠٠٠ نفس . ومدينة جوغو وأهلها البسيلة وبجانبها أوانفاره أي مدينة الاغراب وأهلها من الحواسة وفيهما أسواق كبيرة ومنسوجات وطنية . وقوانده ماوقدى و باناقواره . وناغون قاورى مركزقونقوبيرى وأهم مدن غورمه فادانغورمه وبالة . وفي بلاد الزابرمه قاريماما وتمقالا ودوسو . وجميع هذه المدن اسلامية

٣ — تاريخ الداهومي

طواف الفينيقيين حول افريقيا للاستعمار . — المانع لليونان والرومان من استعمار غربي افريقيا . — تغلب المسلمين على هذا المانع وتأسيسهم سلطنة غانة على ضفاف النيجر . — تبعية الداهومي وما جاورها لدولة غانة العلوية . — استرقاق الداهوميين وبيعهم في أسواق المغرب الاقصى . — طواف الافرنج حول افريقيا لمطاردة الاندلسيين والمغاربة ولتطلب تجارة الهند التي كانت محصورة بيد العرب في المحيط الهندي . — تحريف الافرنج لاسم غانة الى كينة او غينية وتسميتهم الداهومي وما جاورها بساحل الرقيق . — تشكيلهم الشركات و بناء القلاع واعطاء الامتيازات بنقل الرقيق الى اميركا — ظهور الامارات الصغيرة في الداهومي وهي : جودا . اردر . فوا . جاكن .

روي عن شيخ المؤرخين هيرودتس انه في زمن نخاو فرعون مصر خرج الفينيقيون بسفائنهم من صور وصيدا وطافوا حول القارة الافريقية في ثلاث سنين . و يستفاد من كتابة يونانية ترجمت قديماً عن كتابة فينيقية كان القرطاجنيون نقشوها على معبد لهم بجوار تونس ان الملاح الشهير حنون خرج من قرطاجنة بستين سفينة في كل منها خمسون مقذافاً وخرج معه ثلاثون الف مستعمر فدار واحول افريقيا حتى بلغوا الساحل

المعروف اليوم باسم سيراليون . ولا ندري هل تجاوزوا هذا الحد وأسسوا المستعمرات في الداهومي وما وراءها ام لا . لان آثارهم بتلك السواحل لم تكتشف بعد

اما اليونان والرومان فلم يصلوا الى افريقيا الغربية لا من البر لحيلولة الصحراء دونها ولا من البحر لصعوبة ارساء السفن على سواحلها بسبب استوائها وفقدان الخلجان والمرافئ منها . لكن المسلمين بعد فتحهم شمالي افريقيا لم تعقهم الرمال والقفار للوصول الى غربيها . فقطعوا الصحراء الكبيرة واسسوا الدول على ضفاف السنغال والنيجر وبحثوا عن تلك الديار في كتبهم كجغرافية الشريف الادريسي ورحلة ابن بطوطة وكتاب الذيل لاحمد بابا التنبكتي المعاصر للجلال السيوطي وتاريخ السودان لعبد الرحمن السعدي الصنهاجي الفه في مدينة جني على ضفاف النيجر وانتهى فيه الى حوادث سنة ١٠٦٥ هجرية وطبع في فرنسا وغير ذلك . قال ابن خلدون في مقدمته :

« وفي جنوب هذا النيل [1] – يعني النيجر والسنغال – قوم من السودان يقال لهم لملم وهم كفار ويكتبون في وجوههم واصداغهم واهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الا أناس اقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي والكهوف ويأكلون العشب والحبوب غير مهيأة وربما يأكل بعضهم بعضاً وليسوا في عداد البشر فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلويين يعرفون ببني صالح وقال صاحب كتاب رُجار [2] انه صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة

---

(١) ظن ابن خلدون (المتوفي سنة ٨٠٦ هـ — ١٤٠٣ م) النيجر والسنغال نهراً واحداً خارجاً من منبع النيل ومنصباً في مصب السنغال ولذا سماه نيل السودان تفريقاً له عن نيل مصر . (٢) هو الشريف الادريسي المتوفى في صقلية سنة ٥٧٩هـ. الف كتابه المسمى نزهة المشتاق في اختراق الافاق وقدمه لروجر الثاني ملك صقلية أي سيسيليا فاشتهر بكتاب رجار وترجم للاتينية وطبع سنة ١٥٩٣ م في رومية لتعويل نواتية الافرنج على خرائطه

لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي ... » انتهى

فالداهوميون وجيرانهم كانوا في عصر ابن خلدون وهو القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للميلاد اقرب الى الحيوان الاعجم من الناطق يسترقهم اهل غانة والتكرور ويبيعونهم في اسواق المغرب الاقصى

ثم تغلب الافرنج على مسلمي اسبانيا وخرجوا بسفائنهم المحيط الغربي يطاردون الاندلسيين والمغاربة وكان في مقدمة امم الافرنج البرتغاليون الذين اكتشفوا جزر فناريا (١٣٤١ م) وجزر ماديرا واصور (١٣٥٠ م) كما ذكره ابن خلدون في المقدمة اثناء الكلام على الجغرافيا حيث قال :

« وقد بلغنا ان سفائن من الافرنج مرت بالجزائر الخالدات في اواسط هذه المائة — يعني الثامنة للهجرة والرابعة عشرة للميلاد — وقاتلوهم فغنموا منهم وسبوا وباعوا بعض اثارهم بسواحل المغرب الاقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي اخبروا عن حال جزائرهم وانهم يحتفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير وماشيتهم المعز وقتالهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت .... الخ »

ثم بين اهتداء النواتية والملاحين في اسفارهم بالخرائط الجغرافية . وكانت سفن البرتغاليين بقيادة اميرهم هنري الملاح فاوصلها الى الرأس الاخضر حيث اليوم مدينة دكر ثم اوصلها بارتلمي دياز الى رأس الرجاء الصالح جنوبي افريقيا (١٤٨٦ م) ثم بلغ بها فاسقو دوغامة الهند (١٤٩٨ م) واقتدت بالبرتغاليين بقية امم الافرنج من الاسبانيين والنورمانديين والهولانديين فاقتحموا لج المحيط الغربي بعد ان كانوا يظنون الداخل فيه مفقوداً والخارج منه مولوداً ويعتقدون في ركوبه مخالفة لاوامر الكنيسة . واكتشفوا اميركا والجزر الكثيرة وطافوا حول افريقيا وذهبوا للهند التي كانت ضالتهم لان الذي حملهم على هذه الاسفار انما هو رغبتهم في الحصول على تجارة الهند كالتوابل التي تعالج بها الاطعمة من الفلفل والقرنفل والزنجبيل وكالأفاويه التي يعالج بها الطيب وبالاواني الصينية والمنسوجات القشميرية واللاهورية والمعادن

الثمينة والاحجار الكريمة وجميع ما يعبرون عنه الآن بمحصول المستعمرات . فان تجارة هذه الاصناف كلها كانت في القرون الوسطى محصورة بايدي العرب ينقلونها في المحيط الهندي على مراكبهم ويحملونها على قوافلهم الى مكة والاسكندرية ومرافىء سوريا والاناضول ثم تحمل من هذه المرافىء الى البندقية وجنوه وتوزع منها على امم اوربا . فكانت محصولات الهند ومصنوعاتها لا تصل الى غربي اوربا الا بعد مرورها بأيدي تجار كثيرين وتحملها نفقة باهظة بسبب اجرة النقل ورسوم الجمارك والمروريه ولذا كانت التوابل تباع في الاسكندرية بثلاثة اضعاف ما كانت تشترى به من كلكتة وكان البخور الجاوي يباع فيها بخمسة اضعاف ما كان يباع في مكة [1] فلما استفاق الافرنج من غفلتهم بعد الحروب الصليبية انتبهوا لما بايدي العرب من المكاسب وفتشوا عن طريق جديدة للهند ينقلون فيها البضاعة رأساً الى بلادهم بدون مرورها في بلاد العرب فخرجوا من لزبون وقادس ودييب وامستردام يخوضون بسفنهم عباب المحيط الغربي كما كانت تخرج تجار العرب من البصرة وسيراف ومسقط وعدن للخوض في لجج المحيط الهندي وطافوا سواحل افريقيا وتاجروا مع اهلها وتعاوضوا معهم كما كانت تتعاوض العرب مع الامم الوحشية في جزائر الهند وسواحلها على ما وصفه المسعودي وغيره وصوره صاحب قصة السندباد البحري

فلما وقف الافرنج على ساحل غانة اي ساحل تلك المملكة المؤسسة على ضفاف النيجر وكانوا قرأوا اسمها في الكتب المترجمة من العربية الى اللاتينية حرفوا هذا الاسم وقالوا ساحل كينة أو غينة وخليج كينه كما قالوا ساحل السنغال للنهر النازلة على ضفافه بعض قبائل صنهاجه الذين خرجت منهم دولة الملثمين أو المرابطين ويسميها الافرنج دولة المراود . ثم بنوا قلاعاً في جميع سواحل افريقيا الغربية وعمروا المخازن والحواصل واسسوا الشركات التجارية وقسموا ساحل غانه الى اقسام سموها باسماء مختلفة باعتبار متاجرهم فيها فقالوا ساحل الحبوب أو ساحل الفلفل وساحل العاج وساحل الذهب وساحل الرقيق وهذا الساحل الاخير عبارة

---

(١) اطلس الجغرافية التاريخية لشرادر خريطه ٣٠

عن مستعمرة الداهومي وما جاورها من مستعمرة توغو الالمانية ومستعمرة لاغوس الانكليزية . فكان الرقيق ينقل من هذا الساحل على مراكب الافرنج الى اميركا وجزائر الانتيل كما تشحن البضاعة ويسوق النخاس الرقيق بالسوط كما يسوق الراعي الماشية بعصاه ويحشرونهم نساء ورجالاً في زريبة كالبهائم ويستخدمونهم في فلاحة الارض وتعميرها واستخراج المعادن وفي زراعة القطن وقصب السكر وشجر البن وغيره من محصولات المستعمرات الاميركية لان الاوروبيين المهاجرين لاميركا لا يستطيعون الاعمال الشاقة ولا يتنازلون لعملها ويرون استخدام سودان افريقيا اسهل عليهم وآمن لمصالحهم من استخدام هنود اميركا

ففي سنة ١٥١٧ م انعم شارلكين الشهير على احد حاشيته بامتياز يبيح له شراء اربعة الاف عبد من سواحل غانه ليبيعهم في جزر الانتيل باميركا والانتفاع باثمانهم ثم وضعت بقية ملوك اسبانيا تجارة الرقيق تحت الاحتكار كما تحصر الدول في زماننا تجارة التبغ والملح وغيرهما . واستمرت تجارة الرقيق من سنة ١٥٨٠ الى سنة ١٦٤٠ محصورة بايدي البرتغاليين الذين اكتشفوا افريقيا الغربية واسسوا القلاع في سواحلها . ثم تغلب عليهم النورمانديون اي الفرنساويون واعطي امتياز الاحتكار في سنة ١٨٠١ الى شركة غانه الفرنساوية على شرط ان يكون ربع المكسب الى ملك اسبانيا والربع الثاني لملك فرانسا والباقي للشركة . ولم تكن انكلترا في ذاك التاريخ ترى تجارة الرقيق معيبة ولا مخالفةً للحقوق الانسانية فكان الانكليز يشترون الالوف المؤلفة من الرقيق ويدخلونهم في مستعمراتهم الاميركية لزرع القطن وقصب السكر ثم وضعت الدولة الانكليزية تجارة الرقيق تحت الاحتكار وشرطت في معاهدة أوترخت التي عقدتها مع اسبانيا — ١٧١٣م ان يكون لملك انكلترا وللشركة المؤلفة من تبعته حق بادخال ٤٠٨٠٠ رقيق في كل سنة الى المستملكات الاسبانية في اميركا وان يكون هذا الحق لمدة ثلاثين سنة . واحصي عدد الارقاء الذين ادخلوا من سنة ١٦٨٠ الى سنة ١٧٨٠ في جزائر الانتيل الانكليزية اي التابع منها لانكلترا فقط فبلغ ٢,١٣٠,٠٠٠ نفس . والذين ادخلوا سنوياً في المستعمرات الفرنساوية باميركا

من سنة ١٧٨٦ الى سنة ١٧٨٨ م بلغ ٣٠,٠٠٠ رقيق [١]

وكانت قيمة العبد الصحيح السالم من العيوب تساوي في اميركا مائة وستين ليرة انكليزية لغلاء الاسعار بسبب كثرة الذهب والفضة المستخرجة من معادنها . وكان جمع العبيد من ساحل غانة وشحنهم في السفن لا يكلف نفقة باهظة لان لم الارقاء كان اما بتسليح الرجال واغارتهم على الزنوج واما بشرائهم من ملوكهم بأشياء تافهة كالخرز والزلف والمنسوجات والخرداوات مما ليس له كبير قيمة . فكانت السفينة التي تشحن ٥٠٠ عبد يربح صاحبها من سبعين الى ثمانين الف ليرة انكليزية ومن ذلك يفهم اقبال امم الافرنج على تجارة الرقيق في ساحل غانة وتفضيلهم لها على تجارة الهند [٢]

فراجت البضاعة الادمية واستفحل جلابة الرقيق في سواحل افريقية على العموم وفي ساحل الرقيق على الخصوص وتأسست فيه الدول الصغيرة للنهب والاسترقاق وكانت الداهومي في اوائل القرن السابع عشر للميلاد منقسمة الى ثلاث ممالك صغيرة :

مملكة جودا او كنّاة وعاصمتها سافي وهي في شمال ويدة

مملكة اردر وهي اعظم الممالك الثلاث وعاصمتها اردر ويقال لها اليوم اللادة وميناها فوتونو وكودومي

مملكة فوا وهي في الشمال ويقال لها اليوم ابومي

ويضاف لهذه الممالك الثلاثة مملكة جاكن الصغيرة التي على غدير نوفوه وعاصمتها ابومي قالافي .

وستأتي بقية الكلام

---

(١) حقوق الدول لمؤلفه بالفرنساوية بون فيس (٢) تاريخ بروق آدم الانكليزي المترجم للفرنساوية .

باب السؤال والاقتراح

عيد الفصح وكيف يستخرجونه

(المحلة الكبرى) نقولا افندي مخائيل

ما هو السبب في اختلاف الطوائف المسيحية في تعيين يوم عيد الفصح فيكون الفرق تارة ٣٥ يوماً وطوراً ٢٨ أو اكثر أو اقل أو لا يكون ثمة فرق البتة

《الهلال》 الفصح من اعياد اليهود القديمة وهو من اكبر اعيادهم كانوا يحتفلون به في ١٤ نيسان القمري من كل عام تذكاراً لخروجهم من مصر . واليهود يؤرخون بالاشهر القمرية وان تكن اسماؤها عندهم كأسماء الشهور الشمسية . وفي الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج تفصيل الاحتفال بعيد الفصح ومعنى الفصح في العبرانية النجاة أو العبور وفيه اشارة الى نجاة الاسرائيليين من مصر بدأوا بتعييده من السنة الثانية لخروجهم ولا يزالون على ذلك الى اليوم

اما النصارى فيعيدون الفصح تذكاراً لقيامة السيد المسيح من بين الاموات . ومما يحسن ذكره ان لفظ الفصح في اللغات الافرنجية المشتقة من اللاتينية مأخوذ عن الاصل العبراني فهو في الفرنساوية paques وفي الايطالية pasque وفي الاسبانية pascua وكل هذه محرفة عن الاصل اللاتيني pascha وهو نفس اللفظ العبراني أو الكلداني (بسكا)

والاحتفال بعيد الفصح عند المسيحيين دخيل في النصرانية لان الرسل لم يذكروه . والمسيحيون في اوائل النصرانية كانوا يعتبرون كل يوم من ايامهم فصحاً .

واما اصل هذا العيد فهو ككثير غيره من الاعياد المسيحية عبارة عن عادة كانت عند الامم المتنصرة قبل تنصرها . فقد قلنا ان الفصح قديم عند اليهود فالذين تنصروا منهم ظلوا على عادتهم فيه واعتبروا ذلك الاحتفال تذكاراً لقيامة المسيح لانه صلب ليلة الفصح وسموه ذبيحة الفصح . ولو كان كل المتنصرين في صدر النصرانية اسرائيليي الاصل لاتفقوا على يوم معين يعيّدون فيه هو ١٤ نيسان القمري . ولكنهم كانوا اخلاطاً من اليهود واهل الاوثان (الامم) فاعتبر اليهود عيد الفصح الحقيقي اليوم الذي صلب فيه المسيح وهو ١٤ نيسان فجعلوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً يذكرون به صلبه لا يراعون في ذلك يوم الاسبوع . فكانوا يعيدون في ١٤ نيسان من كل عام سواء كان ذلك يوم الاثنين او الثلاثاء او غيرهما من ايام الاسبوع . واما المتنصرون من اهل الاوثان فقدسوا اول يوم من الاسبوع (يوم الاحد) بعد عيد الفصح عند اليهود وهو اليوم الذي قام به المسيح من بين الاموات بقطع النظر عن تاريخ الشهر سواء وقع ذلك اليوم في ١٠ او ١٤ او ٢٠ من الشهر فانقسمت الكنيسة بهذا الاعتبار الى فئتين فئة تعيد باعتبار يوم الاسبوع والاخرى باعتبار تاريخ الشهر

واصبح امر هذه الاعياد فوضى حتى كثيراً ما كانوا يحتفلون بعيد الفصح في بعض السنين خمس مرات او ستاً . وما زال ذلك شأنهم حتى اصدر البابا بيوس الاول (سنة ١٤٧) امراً يقضي على المسيحيين بان يعيدوا الفصح في يوم الرب (الاحد). وتوفي بيوس وخلفه البابا انيكيتوس سنة ١٥٧ وظل على هذا القرار لكن بوليكاربوس اسقف ازمير يومئذ كان لا يزال على رأي اليهود باعتبار تاريخ الشهر اي ١٤ نيسان فشخص الى رومية سنة ١٥٩ وفاوض البابا في هذا الشأن فلم يقنع احدهما الآخر فظل كل منهما على رأيه . وحدث مثل ذلك ايضاً سنة ١٩٧ بين البابا فيكتور الاول وبوليكراتس اسقف افسس فاشتد الجدال بينهما حتى افضى الى نزاع اهتزت له دعائم الكنيسة ولم يأت بنتيجة

على ان الكنائس المسيحية لم تجر في هذا المعنى على رأي واحد فربما تسير هذه

الكنيسة على عادة اليهود بضعة اعوام ثم تتحول الى عادة الرومان او بالعكس حتى انعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ للنظر في أمور كثيرة في جملتها عيد الفصح . وكانت الكنائس المسيحية عامئذ تعيد على ما نصه البابا الا السوريين والانطاكيين فانهم كانوا على رأي المتنصرة من اليهود . فاقر مجمع نيقية بالاجماع على استئصال هذا الخلاف وامر ان يكون عيد الفصح في يوم واحد عند كل الكنائس النصرانية . وهاك ملخص قرارهم

(١) يجب ان يحتفل بعيد الفصح في يوم الاحد

(٢) ان هذا الاحد يجب ان يكون اول احد يأتي بعد ١٤ من الشهر القمري الفصحي فاذا اتفق وقوع ١٤ من هذا الشهر في يوم احد فالفصح يكون في الاحد التالي

(٣) ان المراد بالقمر الفصحي هو الشهر القمري الذي يقع ١٤ منه في يوم الاعتدال الربيعي او ما يليه . (٤) ان الاعتدال الربيعي هو يوم ٢١ مارس (اذار) من كل سنة

ولما كان استخراج يوم الفصح على هذه الشروط يستلزم مهارة في علم الفلك تركوا استخراجه وتعيينه لفلكيي الاسكندرية . وكانت الاسكندرية يومئذ مرجع علماء الفلك فاناطوا باسقفها استخراج عيد الفصح بالحساب الفلكي واصداره الى سائر الكنائس

وكان ذلك القرار كافيا لاجماع الكنائس على الاحتفال بعيد الفصح في اول احد يأتي بعد ١٤ من الشهر الفصحي ولكنهم ما زالوا في ريب من كيفية استخراج الحساب من حيث الكبس واعتبارات اخرى يطول شرحها نذكر بعضها على سبيل المثال

يؤخذ من قرار نيقية المتقدم ذكره ان ١٤ نيسان (او الشهر الفصحي) لا يجوز ان يقع قبل ٢١ مارس فالفصح لا يمكن ان يكون قبل ٢٢ مارس . فاذا وافق ١٤ من الشهر الفصحي ٢١ مارس كان اول ذلك الشهر في ٨ مارس فاذا اتفق ان هلاله ظهر في ٧ مارس فالرابع عشر منه يوافق ٢٠ مارس اي قبل الاعتدال الربيعي بيوم واحد . فلا يجوز والحالة هذه ان يعتبر هذا الشهر الشهر الفصحي بل الشهر التالي لان ١٤ منه وقع قبل الاعتدال الربيعي والشرط ان لا يقع قبله . وعند ذلك فالرابع عشر من الشهر القمري التالي يوافق ١٨ ابريل (اي ٢٩ يوماً بعد ٢٠ مارس) ثم اذا اتفق ان يكون ذلك اليوم يوم احد فلا يجوز ان يكون هو يوم الفصح بل الاحد التالي لان الشرط ان يكون اول احد بعد ١٤ من الشهر الفصحي فيقع العيد في ٢٥ افريل فعيد الفصح لا يقع قبل ٢٢ مارس ولا بعد ٢٥ أفريل . واذا شئت زيادة الايضاح راجع هلال ١٥ سنة ٧

الاحصاء

والنهضة المالية المصرية

القاهرة داود بك عمون

نشرتم في مثل هذا اليوم من السنة الماضية في هلالكم الاغر مقالة عن اراضي البناء في العاصمة اوضحتم فيها ان لاخوف من نزول قيمتها لانها على كثرتها لا تزيد على حاجة السكان وذكرتم انها لا تلبث ان تتحول قبل سنوات قليلة الى منازل وقصور وكان بحثكم قائماً على شواهد وارقام تدل على العناية والتدقيق فاعتمده كثيرون وتورطوا في الشراء او امتنعوا عن البيع بسببه . وقد بنيتم حسابكم على ان عدد سكان العاصمة تسعمائة الف نسمة ثم تبين من الاحصاء الرسمي انهم لا يزيدون على ٦٥٠ الفاً فاصبحنا متشوقين الى معرفة رأيكم الآن في مسألة اراضي البناء وفي صحة الاحصاء او فساده

فنرجو نشر مقالة ثانية في هذا الموضوع مشبعة بالادلة والشواهد تبينون رأيكم فيها لانكم غير بريئين من المسؤولية عما آلت اليه الحالة

الهلال نشكركم ما ابديتموه من حسن الظن في مقالتنا عن النهضة المالية المصرية حتى ظننتم الناس تورطوا في شراء الاراضي او توقفوا عن البيع بناء على ما ظهر لهم من الادلة على صحة هذه الثروة بشهادة الارقام وخصوصاً من حيث ارض البناء في القاهرة وان من جملة ما عولنا عليه في اثبات صحة هذه الثروة تكاثر سكانها حتى قدرناهم بتسعمائة الف نفس . وقد رأيتم ان التقدير المشار اليه يبني على الارقام الرسمية والقواعد الاقتصادية والاقيسة العقلية مما لا سبيل الى نقضه، ولا عبرة في مخالفته لما ظهر من الاحصاء الاخير فان هذا الاحصاء جاء مخالفاً لما كان يتوهمه الناس كافة وقد طعنت الصحف اليومية فيه وذكرت امثلة كثيرة من ادلة نقصه كاغفال بعض المنازل او بعض الناس لتقاعد العمال او الخطأ في جمع الارقام او انكار السكان او نحو ذلك. واما نحن فاننا نبين نقصه بالارقام المبنية على القواعد الاقتصادية الثابتة :

لا يخفى ان لزيادة السكان نسبة متشابهة في المدن الكبرى تختلف في البلد الواحد باختلاف درجات نموه ونوع نهضته وتفاوت المهاجرة اليه من واحد في المئة بالسنة الى ٣ او

ما هو اكثر . والغالب ان تتضاعف تلك الزيادة نفسها بتوالي الاعوام فضلاً عن نسبتها العشرية الى عدد السكان — خذ مثلاً لذلك نمو المدن الكبرى في العالم المتمدن واقربها شبهاً بمصر نيويورك كما يظهر من الجدول الآتي :

سنة	سكان نيويورك	الزيادة في المئة سنوياً
١٨٦٠	٨٠٥,٠٠٠	٠٠٠
١٨٧٠	٩٤٢,٠٠٠	٢,٠٠
١٨٨٠	١,٢٠٠,٠٠٠	٢,٣٠
١٨٩٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٢,٥٠
١٩٠٠	٣,٤٣٠,٠٠٠	٥,٠٠

واعتبر ذلك في البلاد على الاجمال . على ان هذه الزيادة ترجع الى سببين رئيسين اولاً زيادة المواليد على الوفيات ثانياً تكاثر المهاجرين . اما المواليد فمعدلها يختلف في العالم المتمدن من ٤٫٥ في المئة الى ٢٫٣ والوفيات معدلها من ٣ في المئة الى ١٫٥ في المئة واما المهاجرة فيختلف ازدياد السكان بها باختلاف البلاد واختلاف الازمنة والاحوال وقد يقل سكان بعض البلاد بالمهاجرة بان يكون النازحين منها اكثر من النازحين اليها فالولايات المتحدة من اكثر الممالك ازدياداً في سكانها بالمهاجرة اليها ومثلها مصر في الاعوام الاخيرة

ومن قواعد الاجتماع ان التمدن يزيد السكان في المدن اكثر من زيادتهم في القرى وهاك جدولاً لسكان الولايات المتحدة باعتبار اهل المدن واهل القرى :

سنة	سكان الولايات المتحدة	منهم في المدن	نسبة اهل المدن الى المجموع
١٧٩٠	٣,٩٢٩,٢١٤	١٣١,٤٧٢	٣,٣٥
١٨٠٠	٥,٣٠٨,٤٨٣	٢١٠,٨٧٣	٣,٩٧
١٨١٠	٧,٢٣٩,٨٨١	٣٥٦,٩٣٠	٤,٩٣
١٨٢٠	٩,٦٣٣,٨٢٢	٤٧٥,١٣٥٠	٤,٩٣
١٨٣٠	١٢,٨٦٦, ٢٠	٨٦٤,٥٠٩	٦٫٧٢
١٨٤٠	١٧,٠٦٩,٤٥٣	١,٤٥٣,٩٩٤	٨٫٥٢
١٨٥٠	٢٣٫١٩١,٨٧٦	٢,٨٩٧,٥٨٦	١٢,٤٩
١٨٦٠	٣١,٤٤٣,٣٢١	٥,٠٧٢,٢٥٦	١٦٫١٣

١٨٧	٣٨,٥٥٨,٣٧١	٨,٠٧١,٨٧٥	٢٠٬٩٣
١٨٨	٥٠,١٥٥,٧٨٣	١١,٨١٣,٥٤٧	٢٣٬٥٠٧
١٨٩٠	٦٢,٦٢٢,٢٥٠	٣٨,٢٨٤,٣٨٥	٢٩٬٢٠

واذا نظرت الى مصر من هذا القبيل رأيت اسباب الزيادة متوفرة فيها مثل اكثر البلاد نموًّا لان الوسائط الصحية تتحسن فيها يومياً فيزيد عدد المواليد على الوفيات وتتزايد المهاجرة اليها كل عام عما قبله . فعدد السكان يتزايد فيها مضاعفاً ولا سيما في المدن الكبرى وخصوصاً القاهرة وقد رأيت ان زيادة سكان مدينة نيويورك لم يقل معدلها عن اثنين في المئة وقد تجاوز خمسة في المئة والقاهرة لا تقل عن نيويورك اتساعاً لاهل الهجرة فانها مقصد النازحين وملجأ المرتزقين . واعتبر نحو ذلك أيضاً في سائر عواصم اوربا وغيرها من المدن الحية النامية . وفي السنين العشر الاخيرة كانت القاهرة في ابان عمرانها وظهور ثروتها فلو قدرنا الزيادة فيها على متوسط سواها اي ٣٬٥ في المئة فقط لزاد عدد سكانها على ٧٦٥,٠٠٠ نفس على اننا ننظر في مقدار هذه الزيادة بالقياس على المعلوم من قواعد الاجتماع

احصاء القاهرة بالقياس على الماضي

قلنا ان زيادة السكان تتوقف على امرين مهمين اولاً زيادة المواليد على الوفيات وثانياً زيادة النازحين الى البلد على النازحين منه . فزيادة المواليد في القاهرة مضطردة بالنظر الى تقدم الوسائط الصحية . ويؤخذ من احصاآت مصلحة الصحة ان عدد مواليد القاهرة في المدة بين الاحصائين قبل الأخير أي من ١٨٨٢ الى ١٨٩٧ بلغ ٣٠١,٢٩٥ مولوداً وبلغ عدد الوفيات ٢٧٤,٣٤٠ وفاة فالباقي ٢٦,٩٥٥ نفساً هو زيادة المواليد في تلك المدة تضاف الى الاحصاء الاول لسنه ١٨٨٢ وهو ٣٧٤,٨٣٨ نفساً فيكون معدل الزيادة من المواليد اقل من ٠٬٥ في العام . ولكن هذا المعدل اخذ في الزيادة كل عام حتى تضاعف في السنين العشر من ١٨٩١ — ١٩٠٠ فبلغ معدل الوفيات فيها ٨٩ في المئة من المواليد بالقاهرة فالباقي هو ١١ في المئة لعشر سنين فيلحق السنة ١٬١ في المئة اي اكثر من ضعفي معدل الزيادة في المدة السابقة

واما المهاجرة الى القطر المصري فانها تتضاعف سنويًّا ولا سيما الى القاهرة وبلغت زيادة النازحين اليها على النازحين منها ما بين الاحصائين اللذين ذكرناها (من ١٨٨٢ — ١٨٩٧) ١٤٠,٠٥٢٠ نفساً وكان عدد سكان القاهرة لسنة ١٨٨٢ نحو ٣٧٤,٣٤٠ نفساً فيلحق السنة الواحدة ٩,١٢٠ نفساً او نحو ٢٬٥ في المئة من السكان في السنة فاذا اعتبرنا

عدد المهاجرين مابين الاحصائين الاخيرين (١٨٩٧ و١٩٠٧) لم تزد نسبته عما كانت ما بين الاحصائين الأولين (١٨٨٢ و ١٨٩٧) كانت نسبة مجموع الزيادة على سكان القاهرة من زيادة المواليد على الوفيات وزيادة النازحين اليها على النازحين عنها نحو ٣،٦ في المئة بالسنة . فاذا اعتبرنا مجموع هذه الزيادة ٣،٦ في المئة في العام كما كانت في الاحصاء الماضي فقط كانت ٣٦ في المئة في السنين العشر . وكان احصاء القاهرة لسنة ١٨٩٧ نحو ٥٦٥,١٨٧ فبزيادة ٢٠٠,٠٠٠ نفس اي نحو ٣٦ في المئة من ذلك العدد يكون المجموع ٧٦٥,١٨٧ نفساً . ولكنه اكثر من ذلك لان المهاجرة الى القطر المصري تضاعفت في السنين الأخيرة عما كانت عليه من قبل بسبب ما شاع من توفر الثروة في هذا القطر فتقاطر الناس اليه من سائر انحاء العالم للتكسب والارتزاق في ظل العدل والامن ناهيك بمن توافد من الامم المغلوبة على امرها فراراً من الضنك او الضغط . على ان المهاجرة الى القاهرة نفسها كانت مضاعفة لانها نالت نصيبها من المهاجرين القادمين من الخارج وهاجر اليها جانب كبير من اهل الارياف الذين توفرت لديهم الاموال فابتنوا المنازل لانفسهم في ضواحيها التماساً للتمتع بملاذ الحضارة والابهة . ولو أتيح لنا ان نعد المهاجرين في هذه المدة لا نظنهم يقلون عن ضعفي المهاجرين قبلاً ولذلك قلنا ان سكان القاهرة يناهز عددهم ٩٠٠,٠٠٠ نفس فاين هذا من ٦٥١ الفاً التي بلغ الاحصاء الاخير اليها . فلو كان هذا الاحصاء صحيحاً لكان معدل الزيادة في العام ١،٤ في المئة وهي لا تكاد تجاوز زيادة المواليد وحدها كما رأيت

على انك لو راجعت احصاءات مصلحة الصحة للاعوام الاخيرة لرأيت الفرق واضحاً وقد قابلنا الدكتور انجل رئيس قلم الاحصاء بمصلحة الصحة وباحثناه في ذلك فاطلعنا على احصائه اهل القاهرة في نفس المدة التي استخرجت فيها الحكومة احصاءها لهذا العام فاذا هو ٦٧١,٣٤٤ نفساً وسألناه كيف يستخرج هذا الاحصاء فاخبرنا انه يضيف زيادة المواليد على التعداد السابق ويضيف الى ذلك عدد المهاجرين على النسبة التي كانت سنة ١٨٩٧ وكذلك عدد الاوربيين فانه يقدرهم في احصائه كما كانوا لذلك العام فضلاً عن ان احصاء الصحة لا يتضمن سكان الضواحي ومواليدهم فلا يعول عليه في تقدير عدد السكان تقديراً مضبوطاً وان كانت زيادته على احصاء الحكومة ظاهرة

احصاء القاهرة بالنظر الى عدد الابنية

ويدلنا على نقص ذلك الاحصاء ايضاً الفرق العظيم بين زيادة عدد السكان به وزيادة

عدد المنازل فقد كان عدد المنازل في احصاء عام ١٨٩٧ مع حلوان ٥١,١١٠ منازل او ابنية. ويريدون بالبناء في الاحصاء المنزل القائم بنفسه بما فيه من الطبقات او الادوار وما يلحقه من الحوانيت . وبلغ عدد سكان هذه المنازل في تلك السنة ٥٧٠,٠٦٢ نفساً فيلحق المنزل الواحد نحو ١١٬١٥ نفس وبلغ عدد الابنية لعام ١٩٠٥ على ما تناولناه من إدارة الاموال المقررة يوم كتبنا مقالتنا في النهضة المالية المصرية ٦٦٬٦٢٧ بناء اي انها زادت عما كانت عليه في الاحصاء الماضي ١٦,٥٩٨ بناء ما عدا حلوان فاذا اعتبرنا زيادة السكان باعتبار الابنية على نسبة واحدة وحسبنا لكل منزل ١١٬١٥ نفس كان مقدار زيادة السكان نحو ١٨٣,٠٠٠ نفس اذا أضيفت الى التعداد السابق زاد المجموع على ٧٥٠,٠٠٠ على ما تراه مفصلاً في هذا الجدول :

القسم	الابنية سنة ١٨٩٧	السكان سنة ١٨٩٧	الابنية سنة ١٩٠٥	الزائد من الابنية	ما يلحقه من السكان	عدد السكان سنة ١٩٠٥
عابدين	٣,٨٨٠	٤٩,٣٢٣	٤,٤٣٧	٥٥٧	٦,٢١٠	٥٥,٥٣٣
باب الشعرية	٤,٥٥٥	٥١,٦٠٠	٦,١٧٧	١,٦٢٢	١٨,٠٨٥	٦٩,٦٨٥
بولاق	٧,١٢٩	٧٦,٢٨١	٩,٧٣٤	٢,٦٠٥	٢٩,٠٤٥	١٠٥,٣٢٦
شبرا	٤٠,٣٩٤	٣٢,٧٧٩	٤,٥٨٤	١٩٠	٢,١٩٠	٣٤,٩٦٩
الدرب الاحمر	٤,٠١١	٦٨,٥٩٢	٧,١٠٦	٣,٠٩٥	٣٤,٥٠٩	١٠٣,١٠١
الازبكية	٣,٠٤٥	٣٦,٠٧٠	٣,٧١٠	٦٦٥	٧,٤١٤	٤٣,٤٨٤
الجمالية	٤,٥٠٧	٥٧,٨٩٧	٥,٧٨٥	١,٢٧٨	١٤,٢٤٩	٧٢,١٤٦
الخليفة	٤,٦٢٤	٤٧,١٩٦	٦,٢٩٩	١,٦٧٥	١٨,٦٧٦	٦٥,٨٧٢
مصر القديمة	٣,٥٠٤	٣١,٨٤٩	٤,٩٤٩	١,٤٤٥	١٦,١١١	٤٧,٩٦٠
الموسكي	١,٨٣٨	٢٣,٢٣٨	٢,٤٦١	٦٢٣	٦,٩٤٦	٣٠,١٨٤
السيدة زينب	٤,٧٤٨	٥٣,٦١١	٧,٠٠٨	٢,٢٦٠	٢٤,٠٨٤	٧٧,٦٩٥
الوايلي والمطرية	٤,٢١٧	٣٦,٧٥١	٤,٦٧٧	٤٦٠	٥,١٢٩	:١,٨٨٠
حلوان	٦٥٧	٤,٨٧٥	؟ ٧٠٠	٤٣	٤٧٩	٥,٢٥٤
	٥١,١٠٩	٥٧٠,٠٦٢	٦٧,٦٢٧	١٦,٥١٨	١٨٣,١٢٧	٧٥٣,٠٨٩

فترى عدد السكان بلغ ٧٥٣,٠٨٩ نفساً لسنة ١٩٩٥ فاذا اعتبرنا زيادة المساكن

في السنتين الاخيرتين على نفس النسبة في المدة الماضية اي ٢،٠٠٠ مسكن في السنة وحسبنا للمسكن ١١ نفساً كان مقدار هذه الزيادة ٤٤،٠٠٠ نفس فيكون عدد اهل القاهرة لهذا العام نحو ٨٠٠،٠٠٠ نفس ونظنه يزيد على ذلك لان المساكن التي زادت في السنتين الاخيرة ينبغي ان يقدر لها ضعفا ما كان يقدر للمساكن السابقة لان ابنية الاحصاء السابق يدخل فيها العشش التي لا تؤجر واماكن العبادة كالجوامع والكنائس وابنية الحكومة مما لا يسكن او ان سكانه قليلون . واما الابنية الجديدة فاكثرها قصور كبيرة انشأها اصحابها للاتجار بها والمهم يتألف احدها من اربع طبقات فاكثر والطبقة من شقتين او اكثر فربما اشتمل البناء على ثماني عائلات او ١٦ عائلة او اكثر او اقل ومعدل العائلة خمسة اشخاص فاذا اعتبرنا هذا الفرق هان علينا تقدير سكان القاهرة بنحو تسعائة الف نفس

ومما يدل على خلل الاحصاء الاخير ان بعض احياء المدينة زاد عدد ابنيته ونقص عدد سكانها كما يظهر من مراجعة الجدول الآتي . فترى بعض الاحياء زاد فيها عدد الابنية ولم يزد عدد سكانها الا قليلاً او نقص عما كان عليه ويغلب ذلك في الاحياء القديمة التي يخاف اهلها الاقرار بحقيقة عددهم كما ترى

القسم	ابنية سنة ١٨٩٧	ابنية سنة ١٩٠٥	سكانه سنة ١٨٩٧	الاحصاء الاخير
عابدين	٣،٨٨٠	٤،٤٣٧	٤٩،٣٣٣	٥١،٠١٥
باب الشعرية	٤،٥٥٥	٦،١٧٧	٥١،٦٠٠	٥٥،٩٨٥
بولاق	٧،١٢٩	٩،٧٣٤	٧٦،٢٨١	٨٦،٥٩١
شبرا	٤،٣٩٤	٤،٥٨٤	٣٢،٧٧٩	٤٩،٥٩١
الدرب الاحمر	٤،٠١١	٧،١٠٦	٦٨،٥٩٢	٦٩،٢٧٧
الازبكية	٣،٠٤٥	٣،٧١٠	٣٦،٠٧٠	٤٩،٣٦٥
الجمالية	٤،٥٠٧	٥،٧ ٥	٥٧،٨٩٧	٦٠،٩٥٣
الخليفة	٤،٦٢٤	٦،٢٩٩	٤٧،١٩٦	٥٤،٠٤٨
مصر القديمة	٣،٥٠٤	٤،٩٤٩	٣١،٨٤٩	٣١،٥٢٥
الموسكي	١،٨٣٨	٢،٤٦١	٢٣،٢٣٨	٢٢،١٦٠
السيدة زينب	٤،٧٤٨	٧،٠٠٨	٥٣،٦١١	٦١،٩٢٠
الوايلي	٤،٢١٧	٤،٧٧٧	٣٦،٧٥١	٥٢،٠٠٧

نقسم الدرب الاحمر مثلاً زاد عدد الابنية فيه نحو ٣,٠٠٠ بيت ولم يزد عدد سكانه الاَّ ٦٨٥ نفساً . وقسم مصر القديمة زاد عدد ابنيته نحو ١,٥٠٠ بناء ونقص عدد سكانه ٣٠٠ نفس وقسم الموسكي زاد عدد ابنيته نحو ٦٠٠ بيت ونقص سكانه ١١,٠٠٠ نفس

هذا ما وصلنا اليه بالاستقراء والقياس اعتماداً على ارقام رسمية واقيسة عقلية فاذاً ظهر خطاء في النتائج كانت التبعة على المصادر الذي نقلنا عنها تلك الارقام

على اننا اذا اغضينا عن تلك المصادر ونظرنا في احوال القطر المصري على العموم وفي القاهرة على الخصوص رأينا تضاعف سكانها ظاهراً في ازدحام الاقدام بالمدن وانشاء الاسواق الجديدة وتزاحم العمال فيها مع بقاء الاسواق القديمة على حالها وتكاثر كل شيء وانشاء الاحياء الجديدة في ضواحي القاهرة وقيام الابنية المعددة الطبقات والناس يطلبون المنازل فلا يجدونها الاَّ بالاجور الفاحشة مما لاسبيل الى انكاره

وقد رأينا بعضهم يعلل قلة السكان مع كثرة الابنية ان الناس كانوا يتزاحمون عشرات في بيت واحد فاصبحوا اليوم يلتمسون الهواء المطلق . فبعد ان كان ثلاث عائلات تقيم في منزل واحد اصبحت تقيم الآن في ثلاثة منازل . وهو تعليل قد يصح على نفر قليلين ولكن يقال في مقابل ذلك ان معظم الابنية التي زادت في الاعوام الاخيرة يسع الواحد منها خمس عائلات فاكثر ومعدل الابنية القديمة يلحق الواحد منها عائلتين فقط (اي ١١ نفساً) كما تقدم

احصاء القاهرة بالقياس على المأكولات

وهناك ادلة كثيرة مبنية على ارقام رسمية ايضاً تدلُّ دلالة ناطقة على زيادة سكان القطر اكثر مما قدرتهُ الحكومة فى احصائها الأخير . فعدد سكان القطر لايزيد في تقديرها على ١١,٥٠٠,٠٠٠ نفس وكان في الاحصاء الماضي ٩,٧٣٤,٠٠٠ نفس فيكون مقدار الزيادة ١,٨ في المئة بالسنة ولو نظرت في ما ينفقهُ اهل القطر من المأكولات ونحوها من مرافق الحياة لرأيت اكثرها تضاعف

ولنأخذ منها المأكولات الضرورية التي ترد من الخارج ونقابل بين مقاديرها سنة ١٨٩٦ قبل سنة الاحصاء الماضي ومقاديرها للسنة الماضية نقلاً عن تقارير الكمارك المصرية الرسمي ونكتفي باهم الاصناف :

		سنة ١٨٩٦	سنة ١٩٠٦
بقر	(رأس)	١٤,٠٦٩	٥٢,٣١٦
ضاني وماعز		٤٣,٠٠٠	٢٩١,٠٨٩
لحوم مقددة ونحوها	(كيلو غرام)	٦٢٧,٨٠٠	٦٢١,٨٥٣
سمك مملح ومدخن	«	١,٢٤٠,٠٠٠	١,٣٢٦,٠٠٠
زبدة	«	٩٥٦,٠٠٠	١,٣٤٢,٠٠٠
جبنة	«	٢,٠٨٦,٠٠٠	٤,٥٦٥,٠٠٠
عسل	«	٧١,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠

و يعترض على ذلك ان هذا الفرق لا يعوَّل عليه بالاحصاء لان السكان يتفاوتون في تناول هذه الماكولات باختلاف الاحوال والازمان مما لا يمكن حصره فنرجع الى صنف من الماكول لا يستغني عنه احد نعني الحنطة فان الناس على اختلاف طبقاتهم يأكلونها ونضيف اليها الذرة لشيوع اكلها بين اهل الارياف . فالحنطة والذرة يتألف منهما خبز اهل القطر المصريّ وهما يستغلان في مصر و يأتي بعضهما من الخارج و يصدر من غلتهما المصرية الى الخارج

وللوصول الى نتيجة معقولة ننظر في الفدادين التي زرعت قمحاً وذرة سنة ١٨٩٦ او الى معدل بضع سنوات قبلها وفي مقدار محصول الفدان . و يؤخذ من كتاب الاطيان والضرائب ان الارض التي زرعت حنطة لسنة ١٨٩٦ بلغت مساحتها ١,٢١٢,٠٤٢ فدانًا والتي زرعت ذرة بلغت ١,٠٩٩,٨٧٦ فدانًا . و يؤخذ من تعديل مصلحة الاراضي الاميرية ان محصول الفدان من القمح لحوالي ذلك العام نحو اربعة اردبات ونصف اردب فاذا اعتبرنا محصول الذرة ايضاً على تلك النسبة كان مجموع الغلة لذلك العام كما يأتي :

١,٢١٢,٠٤٣	حنطة
١,٠٩٩,٨٧٦	ذرة
٢,٣١١,٩١٨	فدانًا
٤,٥	محصول الفدان
١٠,٤٠٣,٦٣١,٠	اردبّاً

فيكون مجموع ما اكله اهل القطر من الخبز سنة ١٨٩٦ نحو عشرة ملايين اردب

ونصف . ثم زادت مساحة الارض المزروعة حنطة وذرة وزاد محصولها بتحسين وسائل الري فبلغت الفدادين المزروعة حنطة لسنة ١٩٠٦ او حواليها ١,٢٤٨,٨٧٥ والمزروعة ذرة ١,٣٧٧,١٨ وصارت الغلة خمسة اردبات ونصف اردب للفدان الواحد فيكون مجموع الغلة على هذه الصورة :

١,٢٤٨,٨٧٥	حنطة
١,٣٧٧,١٨٠	ذرة
٢,٦٢٦,٠٥٥	فداناً
٥،٥	محصول الفدان
١٤,٤٤٣,٣٠٢،٥	اردب

اي نحو اربعة عشر مليون اردب ونصف فاذا اعتبرنا عدد سكان القطر المصري كالنسبة بين الغلتين زاد عددهم لهذا العام على ١٣,٥٠٠,٠٠٠ نفس . وقد تجاوزنا عما يزيد من وارد الحنطة والذرة لمصر عن صادرها وهي تستحق الاعتبار وانما اردنا الحساب التقريبي على سبيل المثال

هل على الثروة خطر

فالاحصاء الأخير ناقص لا يعوَّل عليه في تعيين مقدار زيادة السكان . على ان نقص عدد السكان عما ذكرناه في مقالتنا الماضية مما يؤثر في تقدير اثمان ارض البناء لان العمدة في ذلك التقدير على مساحة ما تشغله الابنية القائمة والتي يتوقع انشاؤها حتى تمتلئ ارض القاهرة من الابنيـة فاذا فرضنا صحة احصاء الحكومة كانت زيادة السكان في السنين العشر الاخيرة ثمانين الف نفس وقد شغلت ٢٠,٠٠٠ بنـاء فالمساحة الباقية منها بلا ابنية تحتاج الى اقل كثيراً مما قدرناه لها هناك على نفس هذه النسبة

ومما اوجب الريب من امر هذه النهضة ما اصاب السوق المالية في هذه الاثناء من العسر بحيث قلت الاموال بين أيدي الناس وتوقفت البنوك عن الدفع واصاب القوم ضيق فاضطر بعضهم الى بيع ما يملك من الارض بثمن بخس وتوقف البيع والشراء وقد كتب الينا غير واحد يسألونا رأينا في هذه الحالة وهل يخشى منها على الثروة فنغتنم هذه الفرصة للجواب على ذلك فنقول :

لو كانت ثروة الديار المصرية قائمة على التجارة وما يلحقها من مضاربات البورصة لكان عليها خطر من هذا الاضطراب ولكن ثروتها زراعية ثابتة لا تتزعزع وانما يضر

هذا العسر المالي بصغار المضاربين على الغالب كالوباء الوافد يتناول ضعاف البنية ويتقي الاقوياء • وقد نبهنا الى هذا الخطر في مقالتنا المشار اليها بالسنة الماضية في اثناء كلامنا على ادوار الثروة فذكرنا تشكيل الشركات الكثيرة وتهافت الناس على ابتياع الاسهم وقد يكون راس مال بعض هذه الشركات الثقة فقط فاذا ذهبت الثقة لسبب من الاسباب سقطت اسهمها وخسر حاملوها وتلحق الخسارة بسائر الشركات • وقسمنا الثروة هناك الى ثلاثة اطوار الاول طور الاستعداد او الحضانة والثاني طور الاتساع والبلوغ والثالث طور التبديد والسقوط وبينا كيف تنمو الثروة في الطور الاول وتتوفر الاموال في ايدي الناس الى ان قلنا في كلامنا عن الطور الثاني وما يليه ما يأتي :

« والطور الثاني عبارة عن اتساع تلك الثروة باستخدامها واستثمارها فتنزل اسهم الشركات في الاسواق وتاخذ في الارتفاع والناس يكسبون الاموال ويزدادون رغبة في ابتياعها وتزداد المكاسب بازدياد الطلب ويزداد الطلب بازدياد المكاسب • لان الشاري على ثقة انه سيكسب اذا باع فيهرع طلاب الثروة على اختلاف طبقاتهم الى المضاربة ولا يزالون يحوّلون اموالهم من العقار والبضائع والمعامل الى الاسهم حتى تستغرق معظم ما يملكون وتحول التجارة الى مضاربة محضة وتتصاعد اسعار الاسهم الى اضعاف قيمها الحقيقية

« والذين يكسبون بالمضاربة يستخدمون بعض اموالهم في مشروعات ينشئونها لانفسهم يصدرون لها اسهماً ينزلونها الى السوق ويكون حظها مثل حظ سواها من الصعود والهبوط • وينفقون البعض الآخر في اسباب الرخاء فيقتنون الرياش الفاخر والالبسة الثمينة ويبتاعون المركبات ويبذلون المال في بناء القصور والتفنن في سائر اسباب النعيم فترتفع اسعار السلع وتكثر ارباح الباعة فيتكاثف الصناع على انشاء المعامل والمتاجر فيكثر الطلب على العمال والكتاب فترتفع اجورهم فيكثرون من النفقة في سبيل التنعم فينشأ من ضروب التجارة ما لا يكون في غير ايام الرخاء والبذخ فينغمس الناس في الثروة ويصبح همهم التانق في كل شيء فيتعودون كثرة النفقة وارتفاع الاسعار وينسون قواعد الاقتصاد فيبتاعون سلعاً لا يحتاجون اليها يبذلون فيها اضعاف اثمانها مغالاة في البذخ والترف

« فاذا كانت الثروة قائمة على قواعد اقتصادية صحيحة وكان الانفاق من كسب حقيقي فارتفاع الاسعار يزيد اسباب الثروة لا يقللها • اما اذا كانت تلك الثروة قائمة على مجرد « الثقة » وكانت حركة السوق مبنية على المضاربة وقد تصاعدت اسعار الاسهم الى درجة

فاحشـة حتى تورط الناس ولم يكتفوا بالمضاربة باموالهم فاخذوا يضاربون بما يستدينونه من المصارف المالية (البنوك) وهذه انما تسلفهم الاموال ثقة بهم وهم يبذرون ما يقع لهم من المكاسب على غير هدى ولا يزالون في امان ما دامت المصارف واثقة بهم ودوام ذلك محال لان اسعار الاسهم لا يمكن استمرارها في الصعود . فيأتي يوم يتساءل المضاربون فيه « هل ما ندفعه من المال يساوي ما ناخذه من الاسهم ؟ » وهذا السؤال هو مفتاح الشكوك واول ابواب السقوط ونقطة الانتقال الى الطور الثالث من اطوار الثروة . وينبه الناس الى ذلك غالباً طارئ طبيعي من قحط او نحوه . وقد يكفي توقف حركة التجارة ولو قليلاً لسبب سياسي او اداري او صحي . فلا يزال القوم آمنين يضاربون بالمبالغ الباهظة طالما كانت آمالهم في الصعود وطيدة فاذا خامرهم شك خارت عزائمهم وخافوا الافلاس فيعمدون الى بيع ما في ايديهم فيكثر البائعون فتسرع الاسعار في الهبوط اضعاف سرعتها في الصعود ولا يجسر احد على الابتياع لضياع « الثقة » — وكيف يبتاعون وهم لا يعلمون الحد الذي سيقف الهبوط عنده ؟ فالمقيدون بعقود على مبالغ معينة قبل الهبوط لامهرب لهم من القيام بما عليهم فيبيعون بالثمن الممكن وقد يكون اقل كثيراً مما اشتروا به فيبدأ الافلاس في البيوت المالية المؤسسة على المضاربة ولا رأس مال لها غير الثقة فتسقط طبعاً بمجرد ذهاب تلك الثقة . ثم يتدرج الافلاس الى سائر البيوتات المالية على تفاوت رؤوس اموالها لارتباطها بعضها ببعض ارتباط سلسلة متداخلة الحلقات فاذا انكسرت حلقة انفرطت كلها . وكما كانت الثقة علة حياتها تصبح الشكوك علة سقوطها . ولا يستطيع الوقوف بين يدي تلك العاصفة الاَّ القليلون . ونظراً لترابط الممالك من هذا القبيل فاذا اصيبت مملكة بازمة مالية اصاب سائر الممالك شيء منها » اه

فالضيق المالي في سوق الاسهم اليوم سببه تكاثر الشركات وتهافت الناس على ابتياع اسهمها لمجرد المضاربة فالاكثرون اشتروا اضعاف ما تتحمله ماليتهم ودفعوا ما بايديهم من المال قيمة القسط الاول على امل ان يرتفع السعر و يبيعوا اسهمهم قبل ايفاء الاقساط الباقية . وكثر حملة الاسهم وكلهم يريدون البيع فكثرت المبيعات فنزلت الاسعار وامسك اصحاب الاموال عن ابتياعها مع رخص اثمانها خوفاً من المستقبل المجهول . و زاد السوق ضيقاً ماشاع في اوربا عن احوال مصر السياسية بعد استعفاء اللورد كرومر وانتشار الاشاعات عن الاحزاب الوطنية مما لا حقيقة له ولكنه اثر في اصحاب الاموال في اوربا ومنهم مديرو المصارف الكبرى بمصر فاصبحوا يخافون امداد الناس بالاموال متلفة على اسهم او اراض

و بالغوا في ذلك حتى منعوها عن اصحاب الاطيان الزراعية فازداد الضيق واخذ كبار الماليين بمصر يسعون في ملافاته بتاليف نقابة مالية فالفوها في اخر مايو الماضي

وفي كل حال فان هذا الضيق وقتي يضرُّ بصغار المضاربين و ينفع كبارهم شان البورصة في كل زمان ومكان . ولابدَّ من زوال هذه العاصفة فالذين يستطيعون صبرًا على مايملكون يعوضون خسارتهم لان الاطيان الزراعية وهي اساس هذه الثروة لم تتأثر من هذا الضيق بل ظلت قيمتها آخذة بالزيادة وهي تباع باثمان حسنة وارض البناء لاتزال قيمتها محفوظة وستعود اسعارها الى ما كانت عليهِ وتحسن لان المعوَّل في ارتفاع اسعارها على اجور المنازل وهذه لاتزال آخذة في الصعود . هذا ما نراه للاسباب التي قدمناها والله اعلم



صحة العائلة

الحيوانات المنزلية والخطر منها على الصحة

لبعض الناس لذة في تربية بعض الحيوانات الاهلية كالقطط والكلاب ونحوها فينفقون الاموال في ابتياعها وتربيتها . وتربية هذه الحيوانات اكثر شيوعاً في اوربا واميركا منها عندنا . ولا بأس من هذه العادة لان هذه الحيوانات لاتخلو من فائدة للمنازل التي تقيم فيها . ولكننا ننبه الى ما في وجودها من الخطر على اهل المنزل . واهم اخطارها نقل العدوى فان الكلب او الهر ينتقل من يد الى يد و يضع انفه على كل ما يعرض له في الطرق او المنازل او في ايدي الناس ويحمل ذلك الى صاحبه وربما وضعه على وجهه او يديه او عنقه والصاحب في غفلة عما تلوث به من المكروبات المضرة ناهيك بما تحمله تلك الحيوانات في شعورها من الاقذار وقد تختزنها اياماً حتى تصادف مكاناً قابلاً للعدوى فتصيبه

وقد عني الدكتور ملنجر مدير معمل باستور في الاستانة في درس هذا الموضوع

مطبوعات جديدة

(تاريخ دول الاسلام) ذكرنا هذا الكتاب الكبير في الهلال السابع من هذه السنة لمؤلفه رزق الله افندي منقريوس وقلنا أنه تحت الطبع فنعلن حضرات القراء أنه قد صدر الجزء الاول منه وهو يشتمل على جغرافية بلاد العرب واصول العرب وملوكهم قبل الاسلام وظهور الاسلام والخلفاء الراشدين فالامويين فالعباسيين ودول الادارسة والاغالبة والطاهرية والعلوية والصفارية والطولونية والسامانية والفاطمية والمكناسية والزيارية وآل بويه والسلارية والكلبية والشاهينية والحسينية في ٢٢٨ فصلاً تدخل في ٤٥٠ صفحة من قطع الهلال وفيه كثير من رسوم النقود الاسلامية وغيرها . ويطلب هذا الجزء من حضرة المؤلف بالمنيا ومن مكتبة الهلال بمصر وثمن النسخة منه ٢٥ غرشاً واجرة البريد ثلاثة غروش

(انا او ابن العصر) هي سلسلة روايات عصرية في الحياة واحوالها الاجتماعية وضعها كاتب اديب يعرفه القراء باسم « محرر الغزالة » وقد اشتهر باسلوبه الرقيق باللغة العامية المصرية منذ كان ينشئ « مجلة الغزالة » والانشاء بلغة العامة ليس من الامور السهلة وانما هو يفتقر الى ملكة وذوق في اسلوب العبارة وانتقاء الالفاظ لا يقل عما يلزم لكتاب اللغة الفصحى . وامتازت كتابات محرر الغزالة فضلاً عن رقة اسلوبها بخلوها من الالفاظ التي تخجل العذراء وقلما يتحاشاها كتاب اللغة العامية وباحتوائها على نصائح وعظات ادبية واجتماعية لا غنى عنها للشبان والشابات ولا للوالدين والوالدات وقد عني الآن بانشاء سلسلة روايات عصرية ينتقد فيها المرأة والرجل في كل ادوار الحياة على ان لا يدع عادة غير مستحسنة الا انتقدها لا يراعي في ذلك كبيراً ولا صغيراً غنياً ولا فقيراً ويسبك انتقاده في قالب روائي غرامي باللغة العامية المصرية وقد ظهرت الحلقة الاولى وموضوعها « اصل الغرام نظرة » ننصح لكل قارئ ان يطلع عليها فانها حوت من انتقاد العادات والاخلاق والاعمال ما يجدر بكل اديب او اديبة ان يعرفه ويتعظ به باسلوب خفيف مشوق فنثني على محرر الغزالة ونتقدم اليه ان يزيدنا

بن هذا الاسلوب

﴿ ديوان الشاب الظريف ﴾ الشاب الظريف هو شمس الدين التلمساني المتوفي سنة ٦٨٨ هـ وله شعر اشتهر بجزالته وسهولته وقد عنيت المكتبة الاهلية في بيروت بطبعه طبعة جديدة منقحة ومصححة مضافا اليها ما امكن العثور عليه من نظمه المتفرق في دواوين الادب مفسرة الفاظه اللغوية خدمة لطلبة المدارس فنثني على حضرة محمد افندي جمال مدير المكتبة المذكورة ونحث الادباء على مطالعة شعر الشاب الظريف

﴿ ديوان حافظ ﴾ صدر الجزء الثاني من ديوان حافظ وفي ذكره غنى عن التحريض على مطالعته وهو يشتمل على ما نظمه هذا الشاعر المتقن بعد صدور الجزء الاول من هذا الديوان واكثره نشر في حينه بالجرائد والمجلات وفي جملتها الهلال وفي الجزء المذكور قصائد ادبية واجتماعية وسياسية وتهذيبية وادبية لم يتوفق سواه الى مثلها وقد دارت المناقشة على شعر حافظ في بعض الصحف بين انتقاد ودفاع وان اختلفوا في ذلك فهم متفقون على ان حافظاً في الطبقة الاولى من شعراء العصر ويمتاز شعره بالتناسق والتناسب بين اياته مع البلاغة والاتقان والديوان يطلب من مكتبة الهلال

﴿ العقود اللؤلؤية في اخبار الدولة الرسولية ﴾ الدولة الرسولية من الدول الاسلامية في جزيرة العرب خلفت الدولة الايوبية في اليمن في اوائل القرن السابع للهجرة وقد سميت رسولية نسبة الى رسول للخليفة العباسي تولى ابنهُ علي بن رسول ولاية مكة سنة ٦١٩ هـ تحت ظل السلطان مسعود الايوبي الذي كان حاكماً على اليمن في ذلك الحين فلما توفي السلطان مسعود سنة ٦٢٥ هـ استقل منصور عمر بن علي بحكومة اليمن وتوالى عليها من اعقابه بضعة عشر اميراً عرفت دولتهم بالرسولية آخرهم مظفر يوسف في منتصف القرن التاسع للهجرة. ومن اشهر ملوكها السلطان الاشرف اسماعيل تولى الملك سنة ٧٨٨ هـ وتوفي سنة ٨٠٣ وقد عاصره جماعة من فطاحل العلماء من جملتهم الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ والامام علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢ هـ وقد أرخ هذا الامام الدولة الرسولية من نشأتها الى وفاة السلطان الاشرف المذكور في كتاب سماه العقود اللؤلؤية في اخبار الدولة الرسولية . وكان ممن هذا التاريخ نسخة في مكتبة مصلحة الهند في لندن نقل منها نسخة صحيحة المستشرق ردهوس واهداها الى مكتبة جامعة

كمبريدج ثم اشتغل المستشرق المذكور في نقل هذا الكتاب الى الانكليزية وعنيت لجنة جيب التي يرأسها صديقنا الاستاذ برون بنشره فصدرت الترجمة الانكليزية في ٣٢٠ صفحة وهي تشتغل بنشر الاصل العربي . ولا يخفى ما في ذلك من الخدمة لآداب اللغة العربية على العموم وتاريخ الاسلام على الخصوص فنثني على القائمين بهذا العمل اجزل الثناء

اشتراك الهلال

في السنة القادمة

بناء على ما فصلناه في مقالة الغلاء وارتفاع الاسعار بالهلال الماضي لم نر بدًّا من زيادة بدل اشتراك الهلال — فهو سيكون من اول السنة السادسة عشرة **٨٠** غرشاً في القطر المصري و **١٠٠** غرش في الخارج

على اننا سنعوض هذه الزيادة على حضرات المشتركين بما نتوخاه من زيادة العناية في البحث والتحقيق وانتقاء المواضيع الاجتماعية المفيدة على نحو ما رأوه منا في مواضيع هذه السنة والتي قبلها . ونبذل الجهد في زيادة حجم الملحق الذي نعوض به عن الشهرين الاخيرين على ما يقتضيه الموضوع

ملحق السنة القادمة

تاريخ العرب قبل الاسلام

كانت ملاحق الهلال للسنين الخمس الماضية اجزاء تاريخ التمدن الاسلامي فلما فرغنا من هذا الكتاب اخذنا نشتغل في اعداد كتاب آخر اجمع القراء على شدة الحاجة اليه نعني « تاريخ الاسلام » ولم نتمكن من الشروع به في هذه السنه فجعلنا ملحقها رواية تاريخية عصرية كبيرة منقولة عن الانكليزية تتضمن ترجمة محمد علي باشا واعماله ومناقبه ومآثره ستصدر مع الهلال القادم في نيف وثلاثماية صفحة وترسل للدافعين كالعادة . وسنجعل ملحق السنة القادمة كتاباً في « تاريخ العرب قبل الاسلام » وهو بمثابة تمهيد لتاريخ الاسلام والله الموفق في كل حال

انجيل برنابا

ظهر مطبوعاً

سئلنا في الهلال العاشر من السنة الرابعة عن انجيل برنابا ما هو فاجبنا بما ياتي :

« برنابا لفظ آرامي معناه ابن النبوة وقد لقب به يوسف الذي ورد ذكره في اعمال الرسل ص ٤ ع ٣٦ بانه لاوي قبرسي باع حقلاً له وجاء بدراهمه والقاها عند ارجل الرسل . وقد ترجم الرسل (برنابا) بابن الوعظ او التعزية يريدون انه انكر نفسه وانقطع للتبشير ويظهر مما قيل فيه في اماكن اخرى انه كان مجاهداً في نصرة النصرانية مرافقاً الرسل في اعمالهم

« وانجيل برنابا انجيل ينسب اليه وجد في العربية وترجم الى الايطالية والاسبانية والانكليزية ويظن علماء الكتاب المقدس انه مصطنع الفه بعض هراطقة المسيحيين في القرون الاولى للميلاد او محرف عن اصله لانه يخالف الاناجيل الاخر ببعض القضايا المهمة فاعتبره المسيحيون من الكتب الابوكريفية التي لا تسلم الكنيسة بصحتها وقد حكم بذلك البابا جلاسيوس الاول في القرن الخامس للميلاد فيظهر انه وجد في العربية قبل ذلك القرن ومن الغريب ان العرب الثقات لم يذكروه ولكننا قرأنا عنه في بعض موساعات التوراة على لسان الافرنج على ان القول بوجوده مكتوباً بالعربية قبل القرن الخامس مما يلقي شبهة في الرواية ولعلهم يريدون انه وجد بلغة أخرى ثم نقل الى العربية بعد ذلك

« وكان وفي مكتبة البرنس اوجين دي سافوا نسخة قديمة من هذا الانجيل مترجماً الى الايطالية وعثر العلامة سايل على ترجمة اسبانية ماخوذة عن الايطالية في كتاب ضخم مؤلف من ٢٢٢ فصلاً في ٤٢٠ صحيفة في صدر كتابة يؤخذ منها انه ترجم عن الايطالية بقلم مسلم اندلسي اسمه مصطفى » اه.

فالانجيل المذكور ظهر الآن مطبوعاً في مطبعة جامعة اكسفورد باصله الايطالي مع ترجمة انكليزية للونسدال ولورا راغ في نيف وخمسمائة صفحة مع مقدمة ضافية في حقيقة هذا الانجيل وواضعه وماخذه نشرا في صدرها مثالاً من النسخة الايطالية ماخوذاً بالتصوير الشمسي . وقد اهدتنا المطبعة المشار اليها نسخة من هذا الكتاب فنشكرها على ذلك . ونظراً

لاهمية هذا الكتاب عند قراء العربية باعتبار ما فيه من التعاليم المؤيدة للعقائد الاسلامية مع مخالفتها للاناجيل الأُخر رأينا ان ناتي بخلاصة ما حواه هذا الانجيل من هذا القبيل وما وصل اليه الباحثون في حقيقته فنقول :

انجيل برنابا والاسلام

يمتاز هذا الانجيل عن سائر الاناجيل بتعاليم توافق ما جاء في القرآن مخالفاً لما في الاناجيل المعروفة من انكار لاهوت المسيح وصلبه وان المسيح تنبأ بمجيء نبي المسلمين وسماه باسمه (محمد) ونحو ذلك على ما نبينه في ما يلي

✲ لاهوت المسيح ✲ جاء في انجيل برنابا من الاقوال المخالفة للاعتقاد بلاهوت المسيح بضع عشرة فقرة — منها قول المسيح في الفصل ٤٧ وقد سئل ان يقيم ميتاً « خذني يا الله من هذا العالم لان الناس قد جنوا واوشكوا ان يدعوني الهاً » وطفق يبكي

وقوله في الفصل ٥٢ « اني انسان مثل سائر الناس وانما جعلني الله نبياً على بني اسرائيل لاجل شفاء المرضى وتوبة الخطاة اني عبد الله وانتم شهود على ذلك »

وقوله في الفصل ٥٤ « لعن الله من يدخل في اقوالي اني ابن الله »

وقس على ذلك اقوالاً في مثل هذا المعنى في الفصول ٩٦ و٩٧ و١١٢ و١٣٨ و٢١٢ و٢٢٠

✲ صلب المسيح ✲ وفي هذا الانجيل فصل في صلب المسيح يخالف ما جاء منه في الاناجيل الاخر خلاصته من الفصل ٢١٥ و٢١٦ ان يهوذا « لما باع يسوع جاء الجند معه الى المكان الذي كان يسوع فيه فسمع هذا ضوضاءهم فخاف ودخل البيت وكان الاحد عشر نائمين . ورأى الله الخطر على عبده فامر جبرائيل وميخائيل ورفائيل واوريال وزراءه ان يخرجوا يسوع من العالم فاخرجوه من النافذة الجنوبية وحملوه الى السماء الثالثة ليسبح الله مع الملائكة الى الابد . اما يهوذا فدخل اولاً الى الغرفة التي كان يسوع فيها والتلامذة نيام وفعل الله معجزة فاصبح يهوذا بوجهه وصوته كانه يسوع حتى ظنناه هو بعينه فقلنا له ألستَ يا سيد معلمنا هل نسيتنا ؟ فضحك ساخراً وقال انكم حمقى ألا تعرفونني انا يهوذا الاسخريوطي . وهو يقول ذلك دخل الجند وقبضوا عليه وساقوه وقد شبه لهم انه يسوع بعينه وعبثاً حاول اقناعهم انه يهوذا » فحوكم في حديث طويل وصلب

✲ التنبوء عن مجيء نبي المسلمين ✲ في هذا الانجيل فقرات عديدة في هذا الموضوع بعضها صريح وبعضها يؤخذ بالتاويل والاقوال الصريحة تذكر النبي باسمه « محمد »

وبعضها تسميه المسيح او رسول الله من ذلك قوله في الفصل ٣٩ : لما وقف آدم على قدميه قرأ في الهواء كتابة تلمع كالشمس هذا نصها « لا اله الا الله محمد رسول الله » ولما اخرج آدم من الجنة رأى ذلك مكتوبا ايضاً على بابها

وفي الفصل ٤٤ سأله تلاميذه اذا كان رسولاً من عند الله فاجابهم منكرًا ذلك الى ان قال « فاقول لكم اذن ان رسول الله عظيم فخيم ... يورك في الوقت الذي ياتي فيه الى هذا العالم . صدقوني اني رأيته واحترمته وكذلك كل نبي رآه لانهم يشعرون انهم يستمدون النبوة من روحه ولما رأيته امتلأت نفسي تعزية فقلت يا محمد كان الله معك وجعلني اهلاً لاشد سيور حذائك لاني بذلك اكون نبياً ومقدساً عند الله »

وقوله في الفصل ٥٥ « ولما يقترب من العرش يستقبل الله رسوله كما يستقبل الصديق صديقه بعد فراق طويل فيتكلم الرسول اولاً قائلاً « اني احمدك واحبك يا الهي واشكرك من كل قلبي ونفسي لانك خلقتني عبداً لك وفعلت كل شيء حباً بي ...» ثم يقول الله لرسوله « مرحباً ايها العبد المؤمن اطلب ما تشاء فيعطى لك » فيجيب « يا الهي اتذكر انك لما خلقتني قلت انك ستصنع العالم والنعيم والملائكة والناس حباً بي فيمجدوك بي انا عبدك »

وفي الفصل ٩٧ يسأل بعض الكهنة يسوع عن علامة مجيء المسيح وعن اسمه فيجيبه « ان المسيح يسمى العجيب سماه الله بذلك لما خلق روحه ووضعها في المجد السماوي وقال الله تمهل يا محمد لاني ساخلق الجنة والعالم وسائر المخلوقات اكراماً لك .... فاسمه محمد » وقد ورد اسمه على هذه الصورة في الاصحاح ١٣٧ و١٨٣ و٢٢١ وجاء ذكره باسم الرسول او رسول الله مراراً

كل ماتقدم ليس في الاناجيل الاخر شبيه له . ولكن هناك فقرة في التنبوء عن النبي تشبه ما جاء في بعض الاناجيل مع بعض التحريف نعني مسألة البارقليط او الفارقليط ورد هذا اللفظ في انجيل يوحنا بفتح اوليه هكذا Παράκλητος ومعناه الروح المعزي (العدد ٢٦ من الفصل ١٤) في قول السيد المسيح « واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم » وجاء هذا اللفظ في انجيل برنابا بالامالة والكسر هكذا Περικλυτος اي الممدوح او الشهير (او محمد او احمد) فوافق ذلك مآل ما جاء في سورة الصف « واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد.. »

والمفسرون انتبهوا الى مسألة الفارقليط من صدر الاسلام وطبقوها على فحوى هذه الآية فقد جاء في سيرة النبي لابن هشام عند كلامه عن صفة النبي في الانجيل قوله • وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاء من الله في الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما اثبت يحنس الحواري لهم حين نسخ لهم الانجيل من عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم انه قال من ابغضني فقد ابغض الرب ولولا اني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها احد قبلي ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا انهم يعزونني وايضاً للرب ولكن لا بد من ان تتم الكلمة التي في الناموس انهم ابغضوني مجاناً اي باطلاً فلو جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القدس هذا الذي من عند الرب خرج فهو شهيد عليّ وانتم ايضاً لانكم قديماً كنتم معي في هذا قلت لكم لكيما لاتشكوا والمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس » اهـ

وفي انجيل برنابا كثير مما يوافق تعاليم القرآن عن الصلاة والصوم وغيرها

هل هذا الانجيل اصلي حقيقي

لم يذكر الباحثون هذا الانجيل قبل القرن الثامن عشر للميلاد اذ عثروا على نسختين منه احداها ايطالية والاخرى اسبانية • فالنسخة الايطالية حصلها كرامر من امستردام في اوائل القرن المذكور ثم اهديت الى البرنس اوجين دي سافوا سنة ١٧١٣ ثم انتقلت مع سائر كتب هذا الرجل الى مكتبة فينا الملوكية ولا تزال هناك الى الآن • والنسخة الاسبانية زعم بعضهم ان الايطالية مترجمة عنها وقد فقدت ويؤخذ من مقدمات هذه النسخ وقرائن أخرى ان هذه النسخ منقولة عن اصل ايطالي او اسباني كان في مكتبة سكستوس الخامس في اواخر القرن السادس عشر • وابعد ما استطاعوا ترجيعها اليه من القدم لا يتجاوز اواسط القرن الخامس عشر وانها منقولة بالاصل عن نسخة عربية كان المظنون في اواسط القرن الثامن عشر انها لا تزال موجودة في الشرق — ذكر ذلك هوايت سنة ١٧٨٤ نقلاً عن سايل • وسواء اصابا او اخطاءا فان هذا الانجيل العربي لا وجود له في العربية الآن

فالقائلون بصحة انجيل برنابا يستندون الى انه كان موجوداً قبل الاسلام ودليلهم على ذلك انه ذُكر في جملة الاسفار التي حرمها البابا جلاسيوس المتوفى سنة ٤٩٦ للميلاد في امر عال ينسب اليه ويعرف باسمه Decretum Gelasii ولكن اهل البحث من علماء

التاريخ يذهبون الى ان الامر المذكور مزور بكليته ولهم على ذلك ادلة لا محل لها هنا

والقائلون بتزوير هذا الانجيل يستدلون على انه لم يعرف قبل القرون الاخيرة ولم يرد ذكره في تاريخ الكنيسة ولا التاريخ العام على الاطلاق • وقد كتب صديقنا الاستاذ مرجليوث فصلاً خاصاً في مقدمة ذلك الانجيل بين فيها اغفال المسلمين ذكره مع حاجتهم اليه في تأييد اقوالهم من صدر الاسلام ولاسيما بعد ظهور علم الكلام وشيوع المناظرات الدينية رغم ما كتبه علماء المسلمين من الانتقاد على النصارى واتهامهم بتحريف التوراة والانجيل كما فعل ابن حزم وابن تيمية وغيرهما — فلو وجد انجيل برنابا في ايامهم لعرفوه ولو عرفوه لاحتجوا به على النصارى • وزد على ذلك ان هذا الانجيل لم يذكر في فهارس الكتب القديمة كالفهرست لابن النديم وكشف الظنون لحاجي خليفه مع احتوائهما على اسماء كتب لا اهمية لها ناهيك بالسير النبوية وقد جاء فيها كثير من اقوال اليهود والنصارى عن مجيء النبي وصفته كما رأيت في سيرة ابن هشام — فلو كان هذا الانجيل موجوداً في عصرهم لم يغفلوه

وخلاصة ما بلغ اليه بحثهم في حقيقة هذا الانجيل وما استدلوا عليه من درس اسلوبه ونصوصه انه وضع في اثناء الاجيال المظلمة وان اقدم ما وصل الينا من نسخه ينسب الى راهب ايطالي اسمه فرا مارينو من اهل القرن السادس عشر فهو اما وضع هذا الانجيل من عند نفسه او نسخهُ عن ناسخ قبله — والواضع في كل حال ايطالي قد يكون راهباً او عامياً ولكن له معرفة جيدة بالتوراة اللاتينية واطلاع واسع على مؤلفات دانتي شاعر الايطاليان وعلى الزبور مع المام قليل بالقرآن والحديث • ويستبعد عندهم العثور على نسخة عربية واذا وجدت فلا تكون قديمة • ويذهبون في سبب وضعه ان واضعه اراد التقرب به من المسلمين بعد دخوله في الاسلام او وضعه لنكاية ابناء دينه القدماء • هذا ما وصل اليه الباحثون حتى الآن

خطاب اللورد كرومر

اوعز الينا غير واحد من حضرات القراء ان نبدي رأينا في خطاب اللورد كرومر الذي نشرناه في الهلال الماضي وكتب الينا آخرون ان ننشر ما ارتأته الجرائد الكبرى في انتقاده او تقريظه فنتقدم الى حضراتهم ان يعذرونا اذا اكتفينا بنشر الخطاب فان الرد عليه من قبيل الابحاث السياسية التي لا شأن للهلال فيها

بصادرات المصنوعات الاخرى كنسبة ثلاثة في الالاف اصبحت قيمته للسنة الماضية ٥٠٠,٠٠٠و١٣٨ فرنك ونسبته الى ما يصدر من المصنوعات الاخرى كنسبه ٥٠٣٨ في المئة ولا تزال آخذة في الزيادة

مطبوعات جديدة

تكاثرت عندنا المطبوعات الجديدة وضاق هذا الهلال عن استيفاء وصفها وهو آخر اهلة هذه السنة واذا اجلناها الى اول السنة القادمة طال الانتظار على اصحابها فرأينا ان نكتفي بذكرها مختصرًا على ان نعود الى بعضها في فرصة أخرى

﴿ كتاب المصلح والمقلد والوحدة الاسلامية ﴾ لرصيفنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ابحاث اجتماعية دينية يتوخى فيها حرية القول والاصلاح ويكاد يكون فريدًا في ذلك. ينشر ابحاثه هذه في مجلته على اساليب مختلفة بطريق الاخبار او العظة او الفتوى او المحاورة او غير ذلك . ومن هذا القبيل محاورات المصلح والمقلد فقد مثل فيها ما يختلف فيه المقلد المحافظ على القديم عن المجتهد الراغب في الاصلاح وحجج كل منهما ظهرت في المجلدين الثالث والرابع من المنار ثم نشرها في كتاب على حدة والحقها بفتاوي في الاجتهاد والتقليد وكليات الدين الاسلامي والكتاب نحو ١٥٠ صفحة ويباع في مكتبتي المنار والهلال بخمسة غروش صاغ وأجرة البريد غرش

﴿ تاريخ الأستاذ الامام ﴾ وعني السيد رشيد رضا ايضًا بتأليف كتاب مطوّل في سيرة فقيد الأسلام الشيخ محمد عبده. قسمهُ الى ثلاثة اجزاء الاول في ترجمة حياته ومناقبه والثاني في مختارات من اقواله ونفثات يراعه والثالث في ماقيل فيه بعد مماته من التأبين والرثاء وقد تعجل المؤلف في نشر الجزئين الثاني والثالث في مجلدين كبيرين اولها صفحاته ٨٦٠ صفحة كبيرة تحتوي على خيرة رسائل الفقيد ومقالاته في اصلاح التربية والتعليم الديني ومدافعته عن الاسلام ورحلته الى صقلية وعلى مكاتباته في مواضيع شتى وثمنه عشرون غرشًا . وثانيها ٤٣٠ صفحة تشتمل على تابين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء ونموذج من تعازي اهل الاقطار والامصار ومراثي الشعراء في ذلك الفقيد رحمهُ الله وثمنه عشرة غروش . فنثني على رصيفنا اطيب الثناء والجزءان يطلبان من مكتبتي المنار والهلال

الدليل في موارد اعالي النيل هو تقرير ضخم وضعه في الانكليزية السير وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية في ما يطلب من الاصلاح والتعديل في احوال النيل و يليه نبذ لجناب المستر ديبوي مفتش عموم ري السودان شرح فيها خبر رحلته في اعالي النيل . وقد عهدت النظارة بتعريبه الى حضرة ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة فيها فعربه تعريباً لم يسبق له مثيل في مطبوعات الحكومة المصريه من حيث متانة العبارة وصحتها ورشاقتها واختيار المصطلحات الجيولوجيـة او الجغرافية التي يقتضيها هـذا الموضوع مما يصح ان يتخذه المترجمون انموذجاً في نقل امثال هذه المواضيع الفنية الى اللغة العربية . فجاء كتاباً ضخماً صفحاته زهاء ٦٥٠ صفحة كبيرة يتخلله كثير من الرسوم الفوتوغرافية والخرط الجغرافية ولولا ضيق المقام لنشرنا مثالاً يؤيد شهادتنا بعبارته واسلوبه فنشكر لحضرة المعرب وان كنا نأسف لضياع تعبهِ في مؤلف فني لا تتداوله الايدي وقلما تستفيد الشبيبة من نسقهِ او اسلوبه . على اننا نرجو ان يلقى حضرة المعرب ما يستحقهُ من المكافأة على هذا العمل الشاق

مؤلفات السيد البكري نشرنا في الهلال السادس من هذه السنة فصلاً طويلاً في وصف كتاب صهاريج اللؤلؤ لسماحة السيد توفيق البكري . فنبشر عشاق الادب انهُ قد صدر في زهاء اربعماية صفحة كبيرة من معجزات المنثور والمنظوم مشروحة شرحاً تاريخياً لغوياً بقلم الشيخ احمـد بن امين الشنقيطي والشيخ ابي بكر محمد لطفي المصري وثمن النسخة ١٥ غرشاً صاغاً واجرة البريد غرشان صاغ . وقد صدر من آثار السيد البكري ايضاً (١) كتاب التعليم والارشاد فانهُ رسم ترتيبهُ ووضع شكله وتبويبه وعهد بتصنيفه الى بعض رجال الصوفية فجاء في سبعمائة صفحة تتضمن فصولاً في التعليم والارشاد من حيث العقائد والعبادات وتدبير النفس بين الفضائل والرذائل والعادات وتدبير الجسم والعائلة وتدبير المال وغير ذلك مما لا يستغني عنه الشبان في هذا الزمان وهو يعطى مجاناً لمن يطلبهُ (٢) كتاب بيت الصديق ضمنهُ سماحة السيد تاريخ بيت ابي بكر الصديق و تراجم من اشتهر من اعقابهِ من اول الاسلام الى الآن و يشتمل على كثير من الحقائق الهامة وصفحاته ٤٢٠ صفحة وثمن النسخة ٨ غروش واجرة البريد غرشان (٣) كتاب بيت السادات الوفائية وفيهِ نسب هذا البيت وتراجم مشاهيره في نحو مائة صفحة وثمن النسخة ٥ غروش واجرة البريد غرش (٤) المستقبل للاسلام وقد طبع للمرة الثانية وفيه بحث اجتماعي فلسفي في الاسلام ومجاراتي التمدن الحديث وان

سياق الاحوال يدلّ على ان المستقبل للاسلام وثمن النسخة ٣ غروش واجرة البريد غرش وتطلب هذه الكتب من مكتبة الهلال. فنثني على سماحة المؤلف ثناء جميلاً ونحث اهل الوجاهة واصحاب المناصب الرفيعة على الاقتداء بسماحته في خدمة العلم وترقية اسبابه بدلاً من قضاء اوقاتهم في ما لا يفيد

﴿ الانسان ابن التربية ﴾ لحضرة جرجي افندي نقولا باز كلف في الابحاث الاجتماعية الاخلاقية ويكاد لا يمضي بريد يأتينا ببيروت الاَّ وهو يحمل الينا مقالة له في التربية او التهذيب في احدى الجرائد او يذكر خطاباً تلاه في نادٍ او جمعية لمثل ذلك الغرض. ومن هذا القبيل كتابه الذي نحن في صدده وعنوانه يدل على موضوعه فقد بحث فيه بحثاً اجتماعياً فلسفياً في الانسان ومحاسن العصر ومساوىء الحضارة وسوء التربية وحالها في البيت والمدرسة والتربية الاجتماعية وغير ذلك وقد وفى الموضوع حقه وايده باقوال القدماء والمحدثين بعبارة رشيقة واضحة. فجاء كتاباً جزيل الفائدة يحسن نشره في المدارس والمنازل وقد طبع بنفقة جمعية شمس البر وخصص ريعه لاعمالها الادارية. فنثني على حضرة المؤلف ونرجو ان يثابر على هذه الخطة الجميلة في ما يكتبه لاننا في حاجة الى تقويم معوجنا وارشاد خلائقنا الى طريق الصواب ونحن في عصر الانتقال. ونشكر لحضرته تفضله باهداء الكتاب الينا شكراً جزيلاً

﴿ تاريخ الامة القبطية وكنيستها ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لمؤلفته السيدة بتشر الانكليزية وقد نقل الى العربية وطبع بنفقة رصيفنا تادرس بك المنقبادي صاحب جريدة مصر وهو اوفى كتاب في هذا الموضوع يجدر بكل مصري الاطلاع عليه ويطلب من ادارة مصر وثمن الثلاثة الأجزاء معاً اربعون غرشاً غير اجرة البريد

﴿ كفاية الراغبين ﴾ هو كتاب في مناسك الحج على مذهب الامام الشافعي وفيه ايضاح المسافات وازمنتها براً او بحراً وخصوصاً طريق مكة والمدينة ووصف الاماكن المشهورة تأليف حضرة عطية افندي محمد مصطفى وهو جزيل الفائدة لطلاب الحج لانه يسهل عليهم الطريق ويرشدهم الى سواء السبيل فنحثهم على اقتنائه

﴿ تاريخ دول الاسلام ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه رزق الله افندي منقريوس وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٢٥ غرشاً واجرة البريد ثلاثة غروش

﴿ كتاب النفس ﴾ للشيخ الرئيس ابن سينا رسالة تبحث في القوى النفسانية او في النفس على سنة الاختصار ومقتفي طريقة المنطقيين اهداها المؤلف الى الامير نوح بن

منصور الساماني. وكان من هذه الرسالة نسختان خطيتان احداهما في لايدن والاخرى في ميلانو. وقد نقلت الى اللغة اللاتينية في القرن السادس عشر ونشرت فيها ثم وقف المستشرق لاندور سنة ١٨٧١ على النسخة الخطية العربية في لايدن فنسخها لينشرها فقابلها بنسخة ميلانو ثم قابلها بالترجمة اللاتينية وترجمة عبرانية لكتاب فلسفي فيه طائفة كبيرة من اقوال ابن سينا. وبعد تحقيق كثير ومراجعة على الاصول اليونانية التي اقتبس ابن سينا منها نشرها في مجلة المستشرقين الالمانية سنة ١٨٧٥ ثم طبعت على حدة ببيروت سنة ١٨٨٢ فوقف صديقنا الاستاذ ادوار فانديك على هذه الطبعة فوجدها خالية من الشروح والتفاسير واطلع على طبعة لاندور واغتنم مصيفه في العام الماضي في ميلانو وقابلها على النسخة المحفوظة هناك ورغب في نشرها على قراء العربية فتبرعت شركة طبع الكتب العربية بنشرها على نفقتها فجاءت في ٨٧ صفحة كبيرة مع مقدمة وافية ومذيلة بملخص رواية الانسان للدكتور وربات فنشكر الاستاذ فانديك هذه الخدمة

﴿السجل المصري﴾ هو كتاب دوري يصدر في منتصف كل شهر لمؤلفه حضرة علي افندي يوسف الكريدلي ويشتمل على كل ما حدث في الشهر السابق من الحوادث والوقائع واعمال الحكومة من اوامر عالية ومنشورات ولوائح وتنقلات ورتب ونياشين ووفيات ومواليد وافراح وغير ذلك. وبين يدينا المجلد الاول من السنة الاولى عن حوادث شهر يناير سنة ١٩٠٧ في نحو ٢٠٠ صفحة قطع وسط ويصدر في مثل هذا العدد كل شهر فيجتمع منه في السنة نحو ٢,٤٠٠ صفحة وبدل الاشتراك ستون غرشاً في العام فقط وثمن النسخة خمسة غروش وهو ثمن زهيد بالنظر الى الفوائد التي يرجى الحصول عليها من تدوين الحوادث الجارية في حينها بالتوالي شهراً بعد شهر فنرجو لهذا المشروع النجاح الذي يستحقه

﴿الريحانة﴾ هي مجلة تاريخية ادبية روائية تصدر بمصر مرة بالشهر لصاحبتها ومحررتها السيدة جميلة حافظ بدل اشتراكها ثلاثون غرشاً في القطر المصري وعشرة فرنكات بالخارج واطلعنا في الجزء الاول منها على فصول في التاريخ والادب والاجتماع ولا سيما مما يتعلق بالمرأة والمنزل والآداب الاجتماعية والاخلاق وفي ذيلها رواية معربة فنحث فتياتنا على الاشتراك فيها

﴿مجلة الازهر﴾ هي مجلة علمية دينية ادبية تهذيبية تاريخية تبحث بالمسائل العلمية وتدافع عن حقوق الازهر تصدر بمصر مرة كل اسبوعين لمديرها ومنشئها محمود زكي بك صاحب جريدة الكوكب بدل اشتراكها ثمانون غرشاً وللطلبة المعلم ٤٠ غرشاً ويشترك في

تحريرها نخبة من أكابر علماء الازهر فنتمنى لها الثبات والنجاح

❊ المال او فضائح البورصة ❊ هي اشهر روايات الروائي العمراني اميل زولا نقلت الى العربية بقلم السيدة استيرموبال الكاتبة الشهيرة وطبعت بنفقة عبد المسيح بك انطاكي صاحب جريدة العمران وفي شهرة المؤلف مع ما اصاب هذا القطر من مضاربات البورصة في في هذا الصيف ما يغنينا عن تحريض القراء على مطالعتها وهي جزآن في مجلد واحد ثمنه عشرون غرشاً ويطلب من ادارة العمران ومكتبة الهلال

❊ عبد القادر الجيلاني ❊ نشر الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الكبير رسالة ضافية في سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني الشهير في المجلة الاسيوية الانكليزية بعددها الصادر في افريل من هذا العام ضمنها بحثاً تحليلياً في ترجمة هذا الامام واقوال الذين ترجموه كصاحب بهجة الاسرار والذهبي وغيرهما ونشر قول الذهبي بنصهِ العربي وهو يدخل في بضع عشرة صفحة مع خلاصة اقوال الآخرين . فنثني على صديقنا الاستاذ لما يبذلهُ من العناية في خدمة آداب اللغة العربية

❊ PHONIKISCHE SPRACHLEHRE ❊ هو كتاب لتعليم اللغة الفينيقية في اللغة الالمانية لحضرة المستشرق روزنبرج استاذ اللغات السامية في فينا مع مقدمة تاريخية جغرافية عن فينيقية وما يليها وايضاحات كثيرة بالاحرف الفينيقية والمقابلة بينها و بين الاحرف القرطلجية وما يقابلها من الاحرف العبرانية وايضاح ذلك باللغة الالمانية مع تصاريف الافعال والاسماء ومعجم ابجدي لما جاء فيهِ من الالفاظ والكتاب جزيل الفائدة لطالبي اللغات السامية القديمة

❊ اكابر اللصوص ❊ هي رواية غرامية من مؤلفات بونسون دي تيرايل الكاتب الفرنساوي صاحب رواية روكامبول الشهيرة نقلها الى العربية خليل افندي ابراهيم زيدان وقد صدر الجزء الأول منها في ٢٤ صفحة بعبارة سهلة رشيقة وموضوع الرواية كثير التشويق للمطالعة و يطلب هذا الجزء من حضرة المعرب في بيروت ومن مكتبة الهلال بمصر وثمنهُ ثمانية غروش واجرة البريد غرش ونصف

اعتذار عن هذا الهلال

ان اضطرارنا لختام «رواية الامين والمامون» في هذا الهلال قد حملنا على اغفال كثير من مواضيعه فنرجو المعذرة